كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين   الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الخامس

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

5



الطبعَـة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعَـة الثـانية

1426هـ - 2005م

الطبعَـة الثـالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[62] ـ ذكر النابغة الجَعْديّ ونسبه وأَخباره[1]
والسبب الذي من أَجله قيل هذا الشعر

[نسبه]

هو ، على ما ذكر أَبو عمرو الشَّيبانيّ والقَحْذَميّ ، وهو الصحيح ، حِبّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَس ، وقيل ابن عمرو بن عُدَس مكان وحوح ، ابن رَبيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر . هذا النسب الذي عليه الناس اليومَ مجتمعون . وقد روى ابن الكَلْبيّ وأَبو اليَقْظان وأَبو عُبيدة وغيرُهم في ذلك رواياتٍ تُخالف هذا ، فمنها أَنّ ابن الكلبيّ ذكر عن أَبيه أَنّ خَصَفة الذي يقول الناس إنّه ابن قيس بن عَيْلان ليس كما قالوا ، وأنّ عِكْرمة ابنُ قيس بنِ عَيْلان وخَصَفة أمّه ، وهي امرأة من أَهل هَجَر . وقيل : بل هي حاضنته ؛ وكان قيس بن عَيْلان قد مات وعِكْرمة صغير فربّته حتى كبِر ، وكان قومه يقولون : هذا عكرمة بن خَصَفة ، فبقيت عليه ؛ ومَن لا يعلم يقول : عِكرمة بن خَصَفة بن قيس ، كما يُقال خِنْدِف ، وإنّما هي امرأة وزوجها إلياس بن مضر . وقالوا في صَعْصَعة بن معاوية : إنّ الناقميّة بنت عامر بن مالك ، وهو الناقم ، سُمِّي بذلك لأَنّه انتقم بلطمةٍ لُطِمها ، وهو ابن سعد بن جَدّان[2] بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار ، كانت عند معاوية بن بكر بن هَوازن فمات عنها أَو طلّقها وهي نسء[3] ، فتزوّجها سعد بن زيد مَناة بن تميم ، فولدتْ على فراشه صعصعةَ بن معاوية ، ثم ولدت هُبَيْرة ونَجْدَة وجُنادة ؛ فلمّا مات سعد اقتسم بنوه الميراثَ وأُخرجوا صعصعةَ منه ، وقالوا : أَنتَ ابن معاوية بن بكر ؛ فلمّا رأَى ذلك أَتى بني معاوية بن بكر فأَقرّوا بنسبه ودفَعوه عن الميراث ؛ فلمّا رأَى ذلك أَتى سعدَ بن الظَّرِب العَدْوانيّ فشكا إليه ما لقِي ، فزوّجه بنتَ أَخيه عَمْرة بنت عامر بن الظَّرِب ، وأَبوها

1 ترجمة النابغة الجعدي في طبقات ابن سلام 123–131 والشعر والشعراء : 208–214 ومعجم المرزباني 195 وكتاب المعمرين رقم : 66 والخزانة 3 : 167–173 والموشّح : 64 وأُسد الغابة والإصابة والاستيعاب وانظر بروكلمان 1 : 232 وقد جمعت أشعاره ماريا نلينو ، وقد اعتمدنا هنا طبعة المكتب الإسلاميّ للطباعة والنشر ، بيروت ، 1964 .

2 ل : خندف .

3 النسء : المرأة يظنّ بها الحمل لتأخّر الحيض .

عامر الذي يُقال له : ذو الحِلْم ؛ وعَمْرة ابنتُه هذه هي التي كانت تَقرَع له العصا إذا سها في الحكم ؛ وله يقول الشاعر[1] :

لذي الحِلْم قبلَ اليوم ما تُقرَع العصا وما عُلِّم الإنسانُ إلاّ ليَعْلَما

قال : وكانت عَمْرَة يوم زوَّجها عمُّها نسئاً من ملك من ملوك اليمَن يُقال له : الغافِق بن العاصي الأَزْدِيّ ، والمُلْك يومئذٍ في الأَزْد ، فولَدت على فراش صعصعة عامرَ بن صعصعة ، فسمّاه صعصعةُ عامراً بجَدِّه عامر بن الظَّرِب . وقال في ذلك حبيب بن وائل بن دُهْمان بن نصر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن : [من الكامل]

أزعمتَ أنَّ الغافقيّ أبوكم نسبٌ لَعَمْرُ أبيك غيرُ مُفَنَّدِ

وأبوكم مِلِكٌ يُنتِّفُ باسته هَلْباء عافيةً كعُرف الهُدْهُدِ

جَنَحتْ عجوزُكُمُ إليه فردَّها نسئاً بعامركم ولمّا يُويدِ[2]

ويكنى النابغةُ أبا ليلى .

وأخبرنا أبو خَليفة عن محمَّد بن سلاَّم قال : هو قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وقال ابن الأعرابيّ : هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة ، ووافق ابنَ سلاّم في باقي نسبه . وهذا وَهْمٌ ممّنْ قال : إنّ اسمه قيس[3] ؛ وليس يُشَكّ في أنّه كان له أخ يُقال له وَحْوَح بن قيس ، وهو الذي قتله بنو أسد ؛ وخبره يُذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة .

وأمّه فاخرة بنت عمرو بن جابر بن شِحْنة الأَسَديّ .

[سبب لقبه النابغة]

وإنّما سُمِّي النابغةَ لأنّه أقام مدّةً لا يقول الشِّعر ثم نبغَ فقاله .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمَّاد قرأتُ على القَحْذميّ : قال الجعديّ الشِّعرَ في الجاهليّة ثم أُجْبَلَ[4] دهراً ثم نَبَغَ بعدُ في الشِّعر في الإسلام .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمَّار عن محمَّد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : أقام النابغة الجعديّ ثلاثين سنة لا يتكلَّم ، ثم تكلَّم بالشِّعر .

---

1 تقدّم بيت المتلمس هذا في ترجمة ذي الإصبع العدواني . وانظر المثل في مجمع الميداني 1 : 37 ومستقصى الزمخشري 1 : 408 .

2 يُويد في ل : يولد .

3 انظر بشأن اسمه والخلاف فيه (أهو قيس بن عبد الله أم عبد الله بن قيس) مصادر ترجمته .

4 أُجبل الشاعر : صعب عليه قول الشعر .

[عمره وشعره فيه]

قال القَحْذميّ في رواية حمّاد عنه : كان الجعديّ أسنَّ من نابغة بني ذُبْيان .

قال ابن سلاّم في رواية أبي خَليفة عنه : كان الجعديّ النابغةُ قديماً شاعراً طويلاً مُفلِقاً طويل البقاء في الجاهليّة والإسلام ، وكان أكبر من الذّبياني ؛ ويدُلّ على ذلك قولُه[1] : [من الوافر]

ومَن يـكُ سائلاً عنّي فإنّي   مـن الفِتيـان أيّامَ الخُنانِ[2]

أتت مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه   وعَشْرٌ بعد ذاك وحِجّتـانِ

فقد أبقتْ خطوبُ الدَّهر منّي   كما أبقتْ من السيفِ اليَماني

قال وعُمِّر بعد ذلك عُمراً طويلاً . سُئل محمّد بن حبيب عن أيّام الخُنان ما هي ؟ فقال : وقعةٌ كانت لهم ؛ فقال قائل منهم وقد لقُوا عدوَّهم : خنُّوهم[3] بالرماح ، فسُمِّيَ ذلك العامُ الخُنانَ . ويدلُّ على أنّه أقدم من النابغة الذُبيانيّ أنّه عُمِّر مع المُنذر بن المُحرِّق قبل النعمان بن المنذر ، وكان النابغة الذُبيانيّ مع النعمان بن المنذر وفي عصره ، ولم يكن له قِدَمٌ إلاّ أنّه مات قبل الجَعْديّ ، ولم يُدرِك الإسلام . وقد أدركه الجعديّ الذي يقول[4] : [من الطويل]

تَذكَّرتُ شيئاً قـد مَضى لسبيلِهِ   ومِنْ عـادةِ المحـزونِ أن يَتَذكَّرا

نَدَامـايَ عند المُنـذر بنِ مُحـرِّقٍ   أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرض مُقفِرا

كُهـولٌ وفِتيـانٌ كأنَّ وجوهَهـم   دنانيرُ ممّا شِيفَ في أرضِ قَيصَرا[5]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني عبد الله بن محمد بن حكيم عمّن كان يأخذ العِلمَ عنه ولم يُسمِّ إليَّ أحداً في هذا : أنّ النابغة عُمِّر مائة وثمانين سنة ، وهو القائل[6] : [من المتقارب]

لبِستُ أُنـاساً فأفنيتُهـم   وأفنيـتُ بعد أُنـاسٍ أُناسا

ثلاثـةَ أهلِـينَ أفنيتُهـم   وكان الإلـه هُوَ المُسْتَآسَا[7]

وهي قصيدة طويلة ، يقول فيها ، وفيه غناء :

---

1 شعر النابغة الجعدي : 160–163 .

2 رواية الشطر الأول في الشعر والشعراء : «ومن يحرص على كبري فاني» . الخنان : داء يأخذ بالإبل في مناخرها وتموت منه .

3 خنوهم : اقطعوهم .

4 انظر رائية النابغة (رقم 3 أ) في مجموع شعره : 35–59 وهناك بعض اختلاف في الرواية .

5 شيف الدينار أو السيف : جلي .

6 شعره : 77–80 .

7 المستآس : المستعان .

صوت

وكنتُ غُلاماً أُقاسي الحُرو ... بَ يَلْقى المُقاسون منّي مِراسَا

فلمّا دَنَوْنا لجَرْسِ النُّبا ... حِ لَم نعرِف الحيَّ إلاّ التماسا

أَضاءتْ لنا النَّارُ وجهاً أغَرَّ ... مُلتبساً بالفُؤادِ التباسا

غنّى في هذه الثلاثة الأبيات فُلَيح بن أبي العَوْراء خفيفَ ثقيل أوَّلَ بالوسطى .

رجع الخبر إلى رواية عمرَ بن شبَّة :

قال : وقال أيضاً : [من الوافر]

أَلا زعمتْ بنُو سعدٍ بأنّي ... أَلا كذَبوا كبيرُ السنِّ فاني

أَتتْ مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه ... وعشرٌ بعد ذاك وحِجَّتانِ

قال : وأنشد عمرَ بنَ الخطّاب رضي الله تعالى عنه أبياتَه التي يقول فيها : [من المتقارب]

ثلاثــةَ أهلـينَ أفنيتُهم

فقال له عمر رضي الله تعالى عنه : كم لبثتَ مع كلّ أهل ؟ قال : ستّين سنة .

[شعره مشؤوم]

وأخبرني بعض أصحابنا عن أبي بكر بن دُريد عن عبد الرّحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه قال : أُنشِد رجلٌ من العجم قولَ النابغة الجعديّ : [من المتقارب]

لبِستُ أُناساً فأفنيتُهـم ... وأفنيتُ بعد أُناسٍ أُناسا

[قيل إنّه عاش 220 سنة]

وفُسِّر له ، فقال : «بدِين شان بود» ، أي هذا رجل مشؤوم . وأمّا ابن قُتيبة فإنّه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمَّد أنّه عُمِّر مائتين وعشرين سنة ، ومات بأصْبهان . وما ذاك بمُنكَر ؛ لأنّه قال لعمر رضي الله تعالى عنه : إنّه أفنى ثلاثةَ قرون كلّ قرن ستّون سنة ، فهذه مائةٌ وثمانون ، ثمّ عُمِّر بعده فمكَث بعد قَتْل عمر خلافةَ عثمان وعليّ ومعاوية ويزيد ، وقدِم على عبد الله بن الزبير بمكّة وقد دَعا لنفسه ، فاستماحه ومدَحه ؛ وبين عبد الله بن الزبير وبين عمر نحوٌ ممّا ذكر ابنُ قتيبة ؛ بل لا أشكُّ أنّه قد بلَغ هذه السنّ . وهاجى أوْسَ بن مَغْراء بحضرة الأخطل والعَجّاج وكعب بن جُعَيل فغلبه أوسٌ ، وكان مُغَلَّباً .

[دعاء النبيّ له]

حدَّثنا أحمد بن عمر بن موسى القَطَّان المعروف بابن زَنْجَوَيْهِ قال حدَّثنا إسماعيل بن عبد الله السكَّريّ قال حدَّثنا يَعْلى بن الأَشْدق العُقَيليّ قال حدَّثني نابغة بني جَعْدة قال :

أَنشدتُ النبيَّ ﷺ هذا الشِّعرَ فأُعجِب به : [من الطويل]

بلغنا السَّماءَ مَجدُنا وجدودُنا   وإنا لنَبْغِي فوقَ ذلك مَظْهَرا

فقال النبيُّ ﷺ : «فأَين المَظْهرُ يا أَبا ليلى» ؛ فقلت : الجنَّة ؛ فقال : «قُل إن شاءَ الله» ؛ فقلتُ : إن شاءَ الله . [من الطويل]

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لَمْ يكُن لَهُ   بَوادِرُ تَحْمِي صَفْوَه أَن يُكَدَّرَا

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لَمْ يكُن لَهُ   حَليمٌ إذا ما أَوْرِدَ الأَمرَ أَصْدَرَا

فقال النبيُّ ﷺ : «أَجَدْتَ لا يَفْضُضِ اللهُ فاك» ؛ قال : فلقد رأَيته وقد أَتت عليه مائة سنة أَو نحوُها وما انفضَّ مِن فِيهِ سِنّ .

[تجنّب الخمر والأزلام والأوثان]

أَخبرني محمَّد بن الحسن بن دُرَيد قال أَخبرني أَبو حاتم قال أَخبرنا أَبو عُبيدة قال : كان النابغة الجَعْديّ ممَّن فكَّر في الجاهليّة وأَنكر الخمرَ والسُّكر وما يفعل بالعقل وهَجر الأزلام والأوثان وقال في الجاهليّة كلمتَه التي أَوَّلها[1] : [من المنسرح]

الحمدُ للهِ لا شريكَ لَهُ   مَن لَمْ يقُلْها فنفسَه ظَلَمَا

وكان يذكر دينَ إبراهيم والحنيفيّة ، ويصوم ويستغفِر ، ويتوقَّى أَشياء لعواقبها .

[وفد على النبيّ وأسلم]

ووفَد على النبيِّ ﷺ فقال : [من الطويل]

أَتيتُ رسولَ الله إذ جاءَ بالهُدى   ويتلو كتاباً كالمَجَرَّةِ نَيِّرَا

وجاهدتُ حتى ما أُحِسّ ومَن معي   سُهَيْلاً إذا ما لاح ثُمَّتَ غَوَّرا

أُقيم على التَّقوى وأَرضى بفعلها   وكنتُ مِنَ النَّارِ المَخُوفةِ أَوْجَرا[2]

[استأذن عثمان في سكنى البادية]

وحسُن إسلامُه ، وأَنشد النبيَّ ﷺ ؛ فقال له : «لا يَفْضُضِ اللهُ فاك» ؛ وشهِد مع عليِّ بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنه صِفِّينَ . وقد ذُكِر خبره مع عمر رضي الله عنه ؛ وأَمّا خبره مع عثمان فأَخبرنا به أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال مَسْلَمةُ بن مُحارِب : دخل النابغة الجعديّ على عثمان رضي الله تعالى عنه فقال : أَستودعكَ اللهَ يا أَمير المؤمنين ؛ قال : وأَينَ تريد يا أَبا ليلى ؟ قال : أَلْحَقُ بإبلي فأَشرَبُ من أَلبانها فإنِّي مُنكِر لنفسي ؛

1 شعر النابغة : 132 .

2 أُوجر : خائف .

فقال : أَتَعَرُّباً[1] بعد الهجرة يا أبا ليلى ؟ أما علمتَ أَنّ ذلكَ مكروه ؟! قال : ما علمتُه ، وما كنت لأَخرجَ حتّى أُعلِمَكَ . قال : فأَذِن له ، وأَجَّل له في ذلك أجلا ، فدخل على الحسن والحسين ابني عليّ فودّعهما ؛ فقالا له : أَنشِدْنا من شعرك يا أَبا ليلى ؛ فأَنشدهما : [من المنسرح]

الحمدُ لله لا شريكَ لـهُ مَن لَمْ يقُلْها فنفسَه ظَلَمَا

فقالا : يا أَبا ليلى ، ما كنّا نروي هذا الشعرَ إلاّ لأُميّة بن أَبي الصَّلت ؛ فقال : يا ابنيْ رسول الله ﷺ إنِّي لصاحبُ هذا الشعر وأَوَّل مَن قاله ، وإنّ عين السروق لَمن سرَق شعرَ أُميّة .

[كان مغلباً في الهجاء]

قال أَبو زيد عمرُ بن شَبَّة في خبره : كان النابغة شاعراً متقدِّماً ، وكان مغلَّباً ما هاجى قطّ إلاّ غُلِب ، هاجى أَوسَ بن مَغْراء وليلى الأَخيليّة وكعبَ بن جُعَيل فغلبوه جميعاً .

[مهاجاته أوس بن مغراء]

وقال أَبو عمرو الشَّيْباني : كان بدءُ حديث النابغة وأَوس بن مغراء أَنّ معاوية لمّا وجَّه بُسْرَ بن أَرْطاة الفِهْريّ لقتل شيعة عليّ بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنه ، قام إليه معنُ بن يزيد بن الأَخنَس السُّلَميّ وزياد بن الأَشهب بن وَرْد بن عمرو بن رَبيعة بن جَعْدة ، فقالا : يا أَمير المؤمنين ، نسأَلك بالله وبالرحم أَلاّ تجعل لبُسْر على قيس سلطاناً ، فيقتل قيساً بمَن قتلتْ بنو سُلَيم من بني فِهْر وبني كِنَانة يومَ دَخل رسول الله ﷺ مكّة ؛ فقال معاوية : يا بُسر لا أَمْرَ لكَ على قيس ؛ وسارَ بُسْرٌ حتّى أَتى المدينة ، فقتَل ابنَيْ عُبيد الله بن العبّاس ، وفرَّ أَهل المدينة ودخلوا الحرَّة (حرَّةَ بني سُلَيم) . ثم سارَ بُسر حتّى أَتى الطائف ؛ فقالت له ثَقيف : ما لكَ علينا سلطان ، نحن من قيس ؛ فسار حتى أَتى هَمْدان وهم في جبل لهم يُقال له شِبَام ، فتحصَّنت فيه همدان ، ثم نادَوْا : يا بُسر نحن هَمْدان وهذا شِبَام ، فلم يلتفت إليهم ، حتّى إذا اغترّوا ونزلوا إلى قُراهم ، أَغار عليهم فقتل وسبى نساءهم ؛ فكُنَّ أَوَّلَ مسلماتٍ سُبِينَ في الإسلام . ومرَّ بحيّ من بني سعد نُزُولٍ بين ظَهْرَيْ بني جَعْدة بالفَلَج[2] ، فأَغار بُسْر على الحيّ السَّعْديين فقتل منهم وأَسَر ؛ فقال أَوْس بن مَغْراء في ذلك : [من الطويل]

مُشرِّين ترعَوْن النَّجيل وقد غَدتْ بأَوصال قَتْلاكم كِـلابُ مُزاحِمِ

المُشرّ : الذي قد بسَط ثوبه في الشمس . والنجيل : جنس من الحَمْض. فقال النابغة

---

1 التعرّب : أَن يصير المرء أَعرابيّاً بعد أَن كان مهاجراً ، وقد عدَّ الرسولُ ذلك من الكبائر .

2 الفلج : موضع أَو ماء .

يجيبه[1] : [من الوافر]

متى أَكلتْ لُحومَكُم كِلابي أَكلْتَ يديكَ من جَرَبٍ تَهامِ[2]

أَخبرنا أَبو خليفة الفضل بن الحُباب مِمَّا أَجاز لنا روايتَه عنه من حديثه وأَخباره مِمّا ذكره منها عن محمَّد بن سلاَّم الجُمَحيّ عن أَبي الغَرَّاف ، وأَخبرنا به أَحمد بن عبد العزيز وحَبيب بن نَصر ، قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة عن محمَّد بن سلاَّم عن أَبي الغَرَّاف : أَنّ النابغة هاجى أَوسَ بن مَغْراء ؛ قال : ولَم يكن أَوس مثلَه ولا قريباً منه في الشِّعر ؛ فقال النابغة : إِنِّي وإِيَّاه لَنبتَدِر بيتاً ، أَيُّنا سبَق إِليه غلَب صاحبَه ؛ فلمّا بلَغه قولُ أَوس : [من الطويل]

لَعَمْرُك مـا تَبْلَى سَرابيـلُ عامرٍ من اللؤم ما دامتْ عليها جلودُها

قال النابغة : هذا البيت الذي كنّا نَبتدِر إليه . فغُلِّب أَوسٌ عليه .

قال أَبو زيد : فحدَّثني المدائنيّ أَنّهما اجتمعا في المِرْبَد فتنافرا وتهاجيا ، وحضَرهما العَجَّاجُ والأَخطل وكعب بن جُعَيل ، فقال أَوْس : [من الرجز]

لَّما رأَتْ جَعدةُ منَّـا ورْدَا ولَّـوْا نَعاماً في البلادِ رُبْدَا
إِنَّ لَنـا عليكُـمُ مَعَـدّا كاهلَهـا وركنَهـا الأَشَدَّا

فقال العَجَّاج : [من الرجز]

كلّ امرىءٍ يَغْدو بما استعدّا

وقال الأَخطل يُعين أَوسَ بن مغراء ويحكُم له : [من الطويل]

وإِنِّـي لقاضٍ بـين جَعـدةِ عامرٍ وسَعدٍ قضاءً بَيِّنَ الحـقِّ فَيْصلا
أَبو جعدةَ الذئبُ الخبيثُ طَعامُه وعَوفُ بن كعبٍ أَكرمُ الناس أَوَّلا

وقال كعب بن جُعَيل : [من البسيط]

إِنِّي لقـاضٍ قضاءً سوف يتبعـه مَنْ أَمَّ قَصْداً ولم يَعدِل إلى أَوَدِ[3]
فَصْلاً من القولِ تَـأْتَمُّ القضاةُ به ولا أَجُـور ولا أَبغِـي على أَحدِ
ناكت بنو عامـرٍ سعداً وشاعرَها كما تَنِيـك بنــو عَبْس بنـي أَسدِ

---

1 شعر النابغة : 201 .

2 تهام : منسوب إلى تهامة . وقارن بالنقائض : 717 .

3 أَود : عوج .

[مهاجاته ليلى الأخيليّة]

وقال أَبو عمرو الشيباني : كان سبب المهاجاة بين ليلى الأَخيليّة وبين الجعديّ أَنَّ رجلاً من قُشَير ، يُقال له ابن الحَيا (وهي أُمّه) واسمه سَوّار بن أَوْفى بن سَبْرة ، هجاه وسبَّ أَخوالَه من أَزْد في أَمرٍ كان بين قُشير وبين بني جَعْدة وهم بأَصبهان متجاورون ، فأَجابه النابغة بقصيدته التي يُقال لها الفاضحة[1] ، سُمِّيت بذلك لأَنّه ذكر فيها مساويَ قُشير وعُقيل وكلَّ ما كانوا يُسبّون به ، وفخَر بمآثر قومه وبما كان لسائر بطون بني عامر سوى هذين الحيَّين من قُشير وعُقيل : [من الطويل]

جَهِلتَ عليّ ابنَ الحيا وظلمتَني وجَمّعت قولاً جاءَ بيتاً مُضلّلا

وقال في هذه القصّة أَيضاً قصيدتَه التي أَوّلها[2] : [من البسيط]

إمّا تَرَيْ ظُلَلَ الأَيّامِ قد حَسَرَتْ عنّي وشَمّرتُ ذَيلاً كانَ ذَيّالا[3]

وهي طويلة ، يقول فيها :

ويومَ مكّةَ إذْ ماجَدْتُمُ نَفَراً حامَوْا على عُقَد الأَحسابِ أَزْوالاً[4]
عند النّجاشيّ إذ تُعطونَ أَيديَكم مُقرَّنين ولا تَرجُون إرْسالا
إذ تَستحِبُّونَ عند الخَذْل أنّ لكم مِنْ آلِ جَعْدة أَعماماً وأَخْوالا
لو تستطيعون أَنْ تُلْقوا جُلودَكُمْ وتجعلوا جِلْدَ عبد الله سِرْبالا

يعني عبدَ الله[5] بن جَعدة بن كعب :

إذاً تسرْبلتُم فيه ليُنجيَكم ممّا يقولُ ابنُ ذي الجَدَّينِ إذْ قالا
حتّى وَهبتم لعبد الله صاحبَه والقولُ فيكم بإذن اللهِ ما فالا[6]
تلك المكارمُ لاقَعْبانِ من لَبنٍ شِيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أَبْوالا

يعني بهذا البيت أَنّ ابن الحَيا فَخر عليه بأَنّهم سَقَوْا رجلاً من جَعدة أَدركوه في سفر وقد جهِد عطشاً لبناً وماءً فعاش .

1 شعر النابغة : 114–122 .
2 شعره : 100–112 .
3 ذيال : طويل .
4 أَزوال : جمع زول وهو الفتى الخفيف الظريف والجواد .
5 هو خال النابغة الجعدي .
6 فال : أخطأ .

وقال في هذه القصّة أيضاً يفخر عليهم قصيدتَه التي أوَّلها[1] : [من الكامل]

أبلِغْ قُشَيراً والحَرِيشَ فما ذا ردّ في أيديكم شَتْمي

وفخر عليهم بقتل عَلْقمة الجُعْفيّ يوم وادي نِساح[2] وقتل شَراحِيل بن الأَصْهب الجُعْفيّ ، وبيوم رَحْرَحان أيضاً ، فقال فيه : [من البسيط]

هَلاَّ سألتَ بيومَيْ رَحْرحانَ وقد ظَنَّتْ هَوازنُ أنَّ العِزَّ قد زَالا[3]

فلمّا ذكر ذلك النابغة قال : [من البسيط]

تِلكَ المَكارم لاقَعبانِ من لبن شِيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

ففخر بما لهُ وغَضَّ مِمَّا لهم . ودخلت[4] ليلى الأخيليّة بينهما فقالت : [من الطويل]

وما كنتُ لو قاذفتُ جلَّ عَشيرتي لأذكرَ قَعْبَيْ حازِرٍ قد تَثَمَّلا[5]

وهي كلمة[6] . فلمّا بلغ النابغةَ قولُها قال[7] : [من الطويل]

ألا حَيِّيا ليلى وقُولا لَها هَلاَ فقد رَكِبتْ أَيْراً أغرَّ مُحَجَّلا

وقد أكلتْ بقلاً وخِيماً نباتُه وقد شَرِبتْ من آخر الصيف أُيَّلا

يعني ألبان الأُيَّل .

دَعِي عنكِ تَهْجاءَ الرِّجال وأَقْبِلي على أذْلَغِيٍّ يملأُ استَكِ فَيْشَلا

وكيف أُهاجِي شاعراً رُمحه استُه خَضِيبَ البَنانِ لا يزال مُكَحَّلا

فردَّت عليه ليلى الأخيليّة فقالت[8] : [من الطويل]

أنابغُ لَم تَنْبغ ولَم تكُ أَوَّلا وكنتَ صُنَيّاً بين صُدَّيْن مَجْهَلا

الصُنَيُّ : شِعْب صغير يسيل منه الماء . وصُدّان : جبلان .

أنابغُ إنْ تَنْبغ بلؤمك لا تجدْ للؤمك إلاّ وَسْط جَعْدة مَجْعَلا

1 شعر النابغة : 234 .

2 وادي نساح : باليمامة .

3 رحرحان : جبل خلف عرفات كان للعرب فيه يومان سيورد أبو الفرج خبرهما فيما بعد في هذه الترجمة .

4 ل : واعتنت .

5 الحازر : اللبن الحامض .

6 كلمة هنا بمعنى قصيدة .

7 شعر النابغة : 123 .

8 ديوان ليلى الأخيليّة (جمع وتحقيق خليل العطيّة وجليل العطيّة ، الكويت ، 1971) 100–101 .

تُعيِّرني داءً بأمِّك مثلُه وأيّ حَصانٍ لا يُقال لها هَلا[1]

فغلبتْه . فلمّا أتى بني جعدة قولُها هذا ، اجتمع ناس منهم فقالوا : والله لنأتينَّ صاحبَ المدينة ، أو أمير المؤمنين ، فيأخذَنَّ لنا بحقِّنا من هذه الخبيثة ، فإنّها قد شتَمتْ أعراضنا وافترَتْ علينا ، فتهيَّئوا لذلك ؛ وبلَغها أنّهم يريدون أن يستعدُوا عليها ، فقالت : [من الطويل]

أتاني من الأنباء أنّ عشيرةً بشَوْرانَ يُزْجون المطيّ المُذَلَّلا[2]

يروح ويغدو وفدُهم بصحيفةٍ ليَستجلِدوا لي ، ساء ذلك مَعْمَلا

وقد أخبرني ببعض هذه القصّة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة فجاء بها مُختلِطة ، وهذا أوضح وأصحّ .

[يوم وادي نِساح]

قال أبو عمرو : فأمّا ما فَخر به النابغةُ من الأيّام ، فمنها يوم عَلْقمةَ الجُعْفيّ ، فإنّه غَدا في مَذْحِج ومعهُ زُهَير الجعفيّ ، فأتى بني عُقَيل بنِ كعب فأغار عليهم ، وفي بني عقيل بطون من سُلَيم يقال لهم بنو بَجْلة ، فأصاب سَبْياً وإبلاً كثيرة ، ثمّ انصرف راجعاً بما أصاب ، فاتّبعه بنو كعب ، ولم يلحَق به من بني عُقيل إلاّ عِقَالُ بن خُوَيلد بن عامر بن عُقَيل ، فجعل يأخُذ أبعار إبل الجُعفيّين فيبُول عليها حتى يُندِّيَها ، ثم يلحَق ببني كعب فيقول : إيهِ فِدىً لكم أبَواي ، قد لَحِقتم القومَ ؛ حتى ورَدوا عليهم النخيلَ في يوم قائظ ، ورأسُ زهير في حِجْر جارية من سُلَيم من بني بَجْلة سباها يومئذٍ وهي تَفْليه ، وهو متوسّد قطيفةً حمراءَ وهي تَضفِر سَعَفاتِه ـ أي أعلى رأسه ـ بهُدْب القطيفة ، فلم يشعُروا إلاّ بالخيل ؛ فكان أوّلُ مَن لَحِق زُهيراً ابنَ النهّاضة ، فضرب وجهَ زهير بقوسه حتى كسَر أنفَه ، ثم لحِقه عِقالُ بنُ خُوَيلد ، فبعَج بطنَه ، فسال من بطنه بَرِيرٌ وحَلَب ، والبرير : ثمر الأراك . والحلب : لبن كان قد اصطبحه . فذلك يوم يقول أبو حَرْب أخو عقال بن خُوَيلد : والله لا أصطَبِح لبناً[3] حتى آمن من الصِّباح[4] . قال : وهذا اليوم هو يوم وادي نِساح[5] وهو باليمامة .

[يوم شراحيل]

قال : وأمّا يوم شَراحِيلَ بن الأصْهب الجُعْفيّ فإنّه يوم مذكور تفتخر به مُضَرُ كلُّها .

---

1 وأي حصانٍ لا يقال له هلا في ل : وأي نجيب لا يقال له هلا .

2 شوران : جبل في ديار بني جعدة .

3 ل : حلباً .

4 الصباح : الغارة في الصبح .

5 لم يتطرّق أبو عبيدة في النقائض وابن عبد ربّه في العقد الفريد إلى يوم وادي نساح أو يوم شراحيل .

وكان شَراحِيلُ خرج مُغِيراً في جمع عظيم من اليمن ، وكان قد طال عمرُه وكثُر تَبَعُه وبعُد صيتُه[1] واتّصل ظَفَرُه ، وكان قد صالح بني عامر على أن يَغزُوَ العرب مارّاً بهم في بدأته وعودته لا يَعْرِض أحدٌ منهم لصاحبه ؛ فخرج غازياً في بعض غَزَواته فأبعد ، ثم رجَع إليهم فمرَّ على بني جَعْدة فقَرَتْه ونحرتْ له ؛ فعمَد ناسٌ من أصحابه سفهاءُ فتناولوا إبلاً لبني جعدة فنحروها ؛ فشكَتْ ذلك بنو جعدة إلى شَراحيل ، فقالوا : قَرَيْناك وأحسنّا ضيافتك ثم لم تمنع أصحابك ممّا يصنعون ؛ فقال : إنّهم قوم مُغيرون ، وقد أساءوا لعَمْري ؛ وإنّما يُقيمون عندكم يوماً أو يومين ثم يرتحلون عنكم . فقال الرُّقاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة لأخيه ورد بن عمرو ، وقيل : بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن وَرْد : دَعْني أذهب إلى بني قُشَير ، قال : وجَعْدة وقُشَير أخوان لأمّ وأب ، أمّهما رَيْطة بنت قُنفُذ بن مالك بن عوف بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور ، فأدعوهم ، واصنَع أنت يا هذا لشَراحيل طعاماً حسَناً كثيراً ، وادعُه وأدخِله إليك فاقتُله ، فإن احتجت إلينا فدَخِّنْ ، فإنّي إذا رأيتُ الدّخان أتيتك بهم فوضعنا سيوفنا على القوم . فعمَد وردٌ هذا إلى طعام فأصلحه ، ودعا شَراحيلَ وناساً من أصحابه وأهله وبني عمّه ، فجعلوا كلّما دخل البيتَ رجلٌ قتله وردٌ ، حتى انتصف النهار ؛ فجاء أصحاب شَراحيل يُتْبِعُونه ، فقال لهم وردٌ : تَروّحُوا فإنّ صاحبكم قد شَرِب وثمِل وسيرُوح فرجعوا ؛ ودخَّن وردٌ ، وجاءت قُشير ، فقتلوا من أدركوا من أصحابه ، وسار سائرُهم ؛ وبلَغهم قتلُ شَراحيل ، فمرّوا على بني عُقَيل ، وهم إخوتهم ، فقالوا : لنقتلَنّ مالكَ بن المُنتفِق ؛ فقال لهم مالك : أنا آتيكم بورد ؛ فركِب ببني عُقيل إلى بني جَعْدة وقُشَير ليُعطوهم ورداً ؛ فامتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فذَبّوا عن عُقَيل ، حتى تفرّق مَن كان مع شَراحيل . فقال في ذلك بَحِيرُ بن عبد الله بن سَلَمة[2] : [من الوافر]

أحَيٌّ يتبعون العير نَحْراً ... أحبُّ إليك أم حَيًّا هلالِ
لعلّك قاتلٌ وَرْداً ولَمّا ... تَساقَ الخيلُ بالأَسَل النِّهالِ
ألا يا مالِ وَيْحَ سِواك أَقصِرْ ... أما ينهاك حلمُكَ عن ضلالِ

[يوما رحرحان]

وأمّا يوما رَحْرحان[3] ، فأحدُهما مشهور قد ذُكر في موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار

1 ل : صوته

2 له ترجمة في المؤتلف والمختلف للآمدي (76) وقد ضبط بالقلم بضمّ الباء وفي النقائض (ص 70) بفتحها .

3 انظر في خبر يومي رحرحان كتاب النقائض ص 1060 وما بعدها . أمّا ما أورده أبو الفرج عن غارة الطماح الحنفي فغير متّصل بيومَيْ رحرحان .

الحارث بن ظالم ، وهذا اليوم الثاني ، فكان الطمّاح الحنفيّ أغار في بني حَنيفة وبني قَيس بن ثَعْلبة على بني الحَريش بن كعب وبني عُبادة بن عُقَيل وطوائفَ من بني عَبْس يقال لهم بنو حُذَيفة[1] ؛ فركبت بنو جَعْدة وبنو أبي بكر بن كِلاب ، ولم يشهَد ذلك من بني كِلاب غيرُ بني أبي بكر ، فأدركوا الطمّاحَ من يومهم ، فآستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه ، وقتلوا عدداً من أصحابه وهزموهم .

[كعب الفوارس ومقتله]

قال : وأما ما ذكره[2] من إدراكهم بثأر كعب الفوارس ، فإن كعب الفوارس ، وهو ابن معاوية بن عُبادة بن البَكّاء ، مرّ على بني نَهْد وعليه سلاحه ، فحمَل عليه رجل من نَهْد يُقال له خُلَيف فقتله وأخذ فرسَه وسلاحه ؛ ثم إنّ خُليفاً بعد ذلك بدَهْرٍ مَرَّ على بني جَعْدة ، فرآه مالك بن عبد الله بن جعدة وعليه جُبّة كعب وفيها أثر الطعنة ، وكان مُحْرِماً فلم يقدِر على قتله ، فقال : يا هذا ! ألا رقَعتَ هذا الخَرْق الذي في جُبّتك ؟ وجعل يترصّده بعد ذلك ، حتى بلَغه بعد دهرٍ أنّه مَرَّ ببني جَعْدة ، فركِب مالكُ بن عبد الله بن جعدة فرساً له وقد أخبر أنّ خُليفاً مَرَّ بجَنَباتهم ، فأدركه فقتله ، ثم قال : بُؤْ بكعب . ثم غزا نواحيَهم عبدُ الله بن ثَور بن معاوية بن عُبادة بن البَكّاء : جَرْماً ونَهْداً ، وهم يومئذٍ في بني الحارث ، فناداهم بنو البَكّاء : ليس معنا أحدٌ من قومنا غيرنا وإنّ النهديّ قتل صاحبنا مُحْرِما ؛ فقاتلهم نَهْد وجَرْم جميعاً يومئذٍ ، وكان عبد الله بن ثَوْر يومئذٍ على فرسٍ وَرْدٍ ، فأصابوا من نَهْدٍ يومئذٍ غنيمة عظيمة ، وقتلوا قَتلى كثيرة . فقال عبد الله في ذلك : [من الطويل]

فسائِلْ بني جَـرْمٍ إذا مـا لقِيتَهم ... ونَهْداً إذا حَجّتْ عليك بنو نهدِ
فإن يُخبروكَ الحــقَّ عنّا تَجدْهُم ... يقولون أبلى صاحبُ الفرس الوَرْدِ

[يوم الفلج]

قال : وأمّا يوم الفَلَج[3] ، فإنّ بكر بن وائل بعثتْ عيناً على بني كعب بن رَبيعة حتّى جاءَ الفَلَجَ ـ وهو ماء ـ فوجد النَّعَمَ بعضَه قريباً من بعض ، ووجد النّاسَ قد احتملوا ، فليس في النَّعَم إلاّ من لا طَباخ[4] به من راعٍ أو ضعيف ؛ فجاءهم عينُهم بذلك ، فركبت بكر بن وائل

---

1 ل : جذيمة .

2 لم يذكر النابغة ثأر كعب الفوارس في القصائد التي أشار إليها أبو الفرج . فهل سها أبو الفرج أو أنّ ثمّة سقط في أصول الأغاني التي وصلتنا ؟ وقد أورد أبو عبيدة خبر الثأر (ص 469) متّصلاً بخبر «يوم فيف الريح» .

3 هذا يوم آخر لم يتطرّق إليه أبو عبيدة وابن عبد ربّه .

4 لا طباخ به : لا قوّة له ولا سمن له .

يريدونهم ، حتى إذا كانوا منهم بحيثُ يسمعون أصواتهم ، سمِعوا الصَّهيل وأصواتَ الرجال ؛ فقالوا لعينهم : ما هذا ويلك ؟ ! قال : والله ما أدري ، وإنّ هذا لما لم أعهد ، فأرسلوا مَن يعلَم عِلمَهم ؛ فرجَع فأخبرهم أنّ الرجال قد رجَعوا ، ورأى جمعاً عظيماً وخيولاً كثيرة[1] ؛ فكرّوا راجعين من ليلتهم ؛ وأصبحت بنو كعب فرأوا الأثر فاتّبعوهم ، فأصابوا من أخرياتهم رجالاً وخيلاً ، فرجعوا بها .

[خداش بن زهير وهبيرة بن عامر]

قال : وأمّا قوله : [من البسيط]

لو تستطيعون أن تُلْقوا جُلودَكم وتجعلوا جِلد عبدِ الله سِرْبالا

فإنّ السبب في ذلك أنّ هُبَيرة بن عامر بن سَلَمة بن قُشير ، لقي خِداش بن زهير البَكّائي ، فتنافرا على مائة من الإبل ، وقال كلٌّ منهما لصاحبه : أنا أكرم وأعزّ منك ؛ فحكَّما في ذلك رجلاً من بني ذي الجَدّين ، فقضى بينهما أنّ أعزَّهما وأكرَمهما أقربُهما من عبد الله بن جعدةَ نسباً ؛ فقال خِداشُ بن زُهَير : أنا أقرب إليه ، أمّ عبد الله بن جَعدة عمّتي ، وهي أميمة بنت عمرو بن عامر ، وإنّما أنت أدنى إليه منّي منزلةً بأب ؛ فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبد الله دون المُكاثرة بآبائهما إقراراً له بذلك ، حتى فلَجَ[2] هبيرةُ القُشَيريُّ وظفِر .

[عبد الله بن جعدة]

قال أبو عمرو : وكان عبد الله بن جَعْدة سيِّداً مُطاعاً ، وكانت له إتاوةٌ بعكاظ يُؤتى بها ، يأتيه بها هذا الحيُّ من الأَزْد وغيرُهم ؛ فجاء سُمَيرُ بن سَلَمة القُشَيريّ وعبدُ الله جالسٌ على ثياب قد جُمعت له من إتاوته ، فأنزله عنها وجلسَ مكانَه ؛ فجاءَ رِياح بن عمرو بن رَبيعة بن عُقَيل وهو الخليع ، سُمِّي بذلك لتخلّعه عن الملوك لا يُعطيهم الطاعة فقال للقشيريّ : ما لَكَ ولشيخنا تُنزله عن إتاوته ونحن ها هنا حولَه ! فقال القشيريّ : كذبتَ ، ما هي له ؛ ثم مدّ القشيريّ رجلَه فقال : هذه رجلي فاضربها إن كنتَ عزيزاً ؛ قال : لا ! لعمري لا أضرب رجلَك ؛ فقال له القُشَيريّ : فامدُدْ لي رِجلَك حتى تعلم أأضربها أم لا ؛ فقال : ولا أمدّ لَكَ رِجلي ، ولكن أفعلُ ما لا تُنكره العشيرة وما هو أعزُّ لي وأذَلُّ لكَ ؛ ثم أهْوى إلى رِجل القشيريّ فسحَبه على قفاه ونحّاه ، وأقعد عبدَ الله بنَ جَعْدَة مكانَه .

---

1 ل : وخلقاً كثيراً .

2 فلج : غلب وفاز .

قال : وعبد الله بن جعدة أوّل مَن صنع الدّبّابة[1] ؛ وكان السبب في ذلك أنّهم انتجعُوا ناحيةَ البحرين ، فهجموا على عبدٍ لرجلٍ يُقال له كَوْدَن في قصر حَصين ، فدخّن العبدُ ودعا النساءَ والصبيانَ ، فظنّوا أنّهُ يُطعمهم ثريداً ، حتى إذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم ، فصاح النساء والصبيان ، وقام العبد ومَن معه على شُرَف القصر ، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلاّ رماه ؛ فلمّا رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دَبَّابة على جذوع النخل وألبسها جلودَ الإبل ، ثم جاء بها والقومُ يحملونها حتى أسندوها إلى القصر ، ثم حفروا حتى خرقوه ؛ فقتل العبدَ ومَن كان معه واستنقذ صبيانَهم ونساءهم . فذلك قول النابغة[2] : [من الطويل]

ويومَ دعا وِلدانَكم عبدُ كَوْدَنٍ … فخالُوا لدى الدّاعي ثريداً مُفلفلا
وقى ابنَ زِياد وهو عُقبة خيرِكم … هبيرةُ ينزو في الحديد مُكبَّلا

يعني هبيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قُشير ، وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة خرج ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة ، حتى مرّوا على بني زياد العبسيّين والرجالُ غَيَبٌ ، فأخذوا ابناً لأَنَس[3] بن زياد وانطلقوا به يرجون الفِداء ؛ وانطلق عمُّه عُمارة بن زِياد حتّى أتى بني كعب ، فلقي هُبَيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قشير ، فقال له : يا هبيرة إنّ الناسَ يقولون : إنّك بخيل ؛ قال : مَعاذَ اللهِ ! قال : فهَبْ لي جُبّتكَ هذه ؛ فأَهْوَى ليخلَعها ، فلمّا وقَعتْ في رأسه وثَب عليه فأسَره ، ثم بعث إلى بني قُشير : عليّ وعليّ إن قبلتُ من هُبَيْرة أقلّ من فِدية حاجبٍ[4] إلاّ أن يأتوني بابن أخي الذي في أيدي بني جَعْدة ؛ فمشتْ بنو قُشير إلى بني جعدة ، فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم ، فافتدَوْا به هُبَيْرةَ .

[وحوح أخو النابغة]

وأمّا خبرُ وحوح أخي النابغة الذي تقدّم ذكره مع نسب أخيه النابغة ، فإنّ أبا عمرو ذكر أنّ بني كعب أغارت على بني أسد فأصابوا سَبْياً وأَسْرى ، فركبتْ بنو أسد في آثارهم حتى لحِقوهم بالشُّرَيْف[5] ، فعطفت بنو عُدَس بن ربيعة بن جعدة ، فذادوا بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلاً وردّوهم ؛ ولم يظفَروا منهم بشيء . وتعلّقت امرأة من بني أسد بالحَكَم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة وقد أردفها خلفَه ، فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته ، فعطَف

1 الدبابة : آلة من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ويقرّبونها من الحصن المحاصر لينقبوه .
2 شعر النابغة : 129 عن الأغاني .
3 ل : لأوس .
4 هو حاجب بن زرارة .
5 ل : السديف وهو تحريف . والشريف واد بنجد .

عليه عبدُ الله بن مالك بن عُدَس وهو أَبو صَفْوان ، فضرب يدها بالسيف فقطعها وتَخلّصه . وطُعِن يومئذٍ وحوح بن قيس أَخو النابغة الجعديّ ، فارتُثّ[1] في معركة القوم ، فأَخذه خالد بن نَضْلة الأَسدي ؛ وعطَف عليه يومئذٍ أَخوه النابغة ، فقال له خالد بن نَضْلة : هَلُمَّ إليّ وأَنت آمن ؛ فقال له النابغة : لا حاجةَ لي في أَمانك ، أَنا على فرسي ومعي سلاحي وأَصحابي قريب ، ولكنّي أُوصيك بما في العَوْسجة (يعني أَخاه وحوح بن قيس) ؛ فعدَل إليه خالد فأَخذه وضمّه إليه ومنَع مِنْ قتله ودَاواه حتى فُدِي بعد ذلك . قال : ففي ذلك يقول مُدْرِك العَبْسيّ[2] : [من الوافر]

أَقمتُ على الحِفاظِ وغاب فَرْجٌ وفي فَرْجٍ عن الحسب انفراجُ
كذلك فِعْلُنا وحِبالُ عمّي ورِدْنَ بوحوح فَلَجَ الفِلاجِ

[مزيد من مفاخرة النابغة الجعدي]

ومّما قاله النابغة في هذه المفاخرة وغُنّي فيه قولُه وقد جُمِع معه كلّ ما يغنّى فيه من القصيدة[3] : [من المنسرح]

صوت

هل بالدّيارِ الغداةَ من صَمَمِ أَم هَلْ برَبْع الأَنيس من قِدَمِ
أَم ما تُنادِي من ماثلٍ دَرَج السّـ ـيلُ عليه كالحوض مُنهدِمِ
غرّاءُ كالليلة المباركة القمـ ـراء تَهدِي أَوائلَ الظُّلَمِ
أَكْني بغير اسمها وقد علِم الله خَفيّاتِ كلّ مُكتَتَمِ
كأَنَّ فاهاً إذا تبسَّم من طِيبِ مَشَمٍّ وطيبِ مُبْتَسَمِ[4]
يُسَنّ بالضِّرْوِ من بَراقِشَ أَو هَيْلانَ أَو ضامرٍ من العُتُمِ[5]

عروضه من المنسرح . وفي الأَوّل والثاني والثالث من الأَبيات خفيفُ ثقيلٍ أَوّل بالخنصر في مجرى البنصر ، ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أَحد ، وذكر ابن المكّي والهشاميّ أَنّه لمعبد ، وأَظنّه من منحول يحيى ، وذكر حبش أَنّه لإبراهيم . وفي الثالث وما بعده لابن سريج رمل

1 أرتث : أَصابته جراح وبه رمق .
2 ل : الفقعسيّ .
3 شعر النابغة الجعدي : 148 .
4 وطيب مبتسم في الديوان : وحسن مبتسم .
5 يسنّ : يسوّك . الضرو : شجر طيب الرائحة يتسوّك به . براقش وهيلان : مدينتان كانتا في اليمن ثم خربتا . العتم : شجر الزيتون البرّي .

بالبنصر ، وذكر حبش أنّ فيها لإسحاق رملاً آخر ؛ ولابن مِسْجَح فيها ثقيل أوّل بالبنصر .

[سبقه إلى الكناية عمّن يعني]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : أوّلُ مَن سبقَ إلى الكناية عن اسم من يَعْنِي بغيره في الشعر الجعديُّ ، فإنّه قال : [من المنسرح]

أَكْنِي بغير اسمها وقد علم اللهُ ... خَفِيّاتِ كلِّ مكتتمِ

فسبَق الناسُ جميعاً إليه واتّبعوه فيه . وأحسنُ مَن أخذه وألطفهُ فيه أبو نُواس حيث يقول[1] : [من الخفيف]

أَسأَلُ القادمين من حَكَمانِ ... كيف خلّفتُمُ أبا عثمانِ

فيقولون لي جِنانٌ كما سرَّ ... ك في حالها فسَلْ عن جنانِ

ما لهمْ لا يُبارك اللهُ فيهمْ ... كيف لم يُغْنِ عندهم كِتماني

[رأي الفرزدق في شعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو بكر الباهليّ قال حدّثني الأصمعيّ قال : ذكر الفرزدقُ نابغةَ بني جعدة فقال : كان صاحبَ خُلْقان عنده مُطْرَفٌ بألفٍ ، وخِمارٌ[2] بَوافٍ ، يعني درهما .

[مدح ابن الزبير]

وحدَّثني خبرَه مع ابن الزبير جماعةٌ ، منهم حبيبُ بن نصر المهلَّبيّ وعمر بن عبد العزيز بن أحمد والحِرْميّ بن أبي العلاء ووَكيع ومحمّد بن جرير الطبريّ حدّثنيه مِنْ حِفْظه ، قالوا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا أخي هارون بن أبي بكر عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان بن محمّد بن يحيى بن عُروة عن أبيه عن عمّه عبد الله بن عُروة قال : أقْحمت السنةُ[3] نابغةَ بني جعدة ، فدخل على ابن الزبير المسجدَ الحرامَ ، فأنشده[4] : [من الطويل]

حَكَيتَ لنا الصِّدِّيقَ لمّا وَلِيتَنا ... وعثمانَ والفاروقَ فَارتاح مُعدمُ

أَتاك أبو ليلى يَجُوب به الدُّجى ... دُجى الليلِ جوّابُ الفلاةِ عَثَمْثَمُ[5]

1 ديوان أبي نُواس (الغزالي) : 252 .

2 الخمار : النصيف تغطّي به المرأة رأسها ، وقد يطلق على العمامة لأنّ الرجل يغطّي بها رأسه .

3 أقحمت السنة : اضطر بسبب الجدب إلى الخروج من البادية إلى الريف حيث الخضرة والماء .

4 شعر النابغة الجعدي : 204–205 .

5 العثمثم : الجمل الشديد الطويل .

لتجبرُ منـه جانبـاً زَعْزَعت بـه صُروفُ الليالي والزمـانُ المُصمِّمُ

فقال له ابن الزبير : هوِّن عليك أبا ليلى ، فإنَّ الشعر أهونُ وسائِلك عندنا ، أمّا صفوةُ مالنا فلآل الزبير ، وأمّا عَفوته[1] فإنّ بني أسد بن عبد العزّى تشغلُها عنك وتَيْماً معها ، ولكن لك في مال الله حقّان : حقّ برؤيتك رسولَ الله ﷺ ، وحقّ بشِرْكتك أهلَ الإسلام في فيْئهم ؛ ثم أخذ بيده فدخل به دارَ النَّعَم ، فأعطاه قلائصَ سبعاً وجَملاً رَجيلاً[2] ؛ وأوْقر له الإبلَ بُرّاً وتمراً وثياباً ، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفا ؛ فقال ابن الزبير : ويح أبي ليلى ! لقد بلغ به الجَهْدُ ؛ فقال النابغة : أشهد أنّي سمِعت رسولَ الله ﷺ يقول : «ما وَلِيتْ قريش فعدَلت واستُرحمت فرَحِمتْ وحَدَّثت فصَدَقتْ ووعدت خيراً فأنجزت فأنا والنبيّون فُرّاطُ القاصفين»[3] وقال الحِرْميّ : «فُرّاطٌ لها ضُمُنٌ» . قال الزُّبَيريّ : كتب يحيى بن مَعين هذا الحديث عن أخي .

[هجاؤه أبا موسى الأشعري]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ أحمد بن محمّد بن عبد الله بن صالح وهاشم بن محمّد الخُزاعيّ أبو دُلَف قالا حدّثنا الرِّياشيّ قال قال أبو سليمان عن الهَيْثم بن عديّ قال : رَعَتْ بنو عامر بالبَصرة في الزرع ، فبعث أبو موسى الأشعريّ في طلبهم ، فتصارخوا : يا آلَ عامر ، يا آل عامر ! فخرج النابغة الجعديّ ومعهُ عُصبة له ؛ فأُتيَ به إلى أبي موسى الأشعريّ ، فقال له : ما أخرجك ؟ قال : سمعتُ داعيةَ قومي ؛ قال : فضربه أسواطاً ؛ فقال النابغة[4] : [من الوافر]

رأيتُ البَكْرَ بَكْرَ بني ثمودٍ وأنتَ أراك بكرَ الأشعَرينا
فإن يكُـنِ ابنُ عفّانٍ أميناً فلم يَبْعَثْ بلك البَرَّ الأمينا
فيـا قبرَ النبـيّ وصاحِبَيْهِ ألا يـا غَوْثَنا لـو تسمَعُونا
ألا صَلَّى إلهكـمُ عليكـم ولا صلَّى على الأُمراء فِينا

[مع عليّ ومعاوية]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا بعض أصحابنا عن ابن دَأْب قال : لمّا خرج عليٌّ رضي الله تعالى عنه إلى صِفِّين خرج معه نابغةُ بني جَعْدة ؛ فساق به يوماً فقال[5] : [من الرجز]

---

1 عفوته : عفوة أيّ ما فضل عن النفقة .
2 القلائص : جمع قلوص وهي الناقة الشابة . والجمل الرجيل أو الرحيل : القوي على السير .
3 فراط القاصفين : المتقدّمون إلى الشفاعة أو الحوض في تزاحم . ضمن : ضامنون .
4 شعر النابغة الجعدي : 210 .
5 شعره : 192–193 .

قد علِم المِصْرانِ والعِراقُ ... أنَّ عليّاً فحلُها العُتاقُ[1]

أبيضُ جَحْجاجٌ لـه رُواقُ ... وأُمّه غالَى بها الصَّداقُ

أكرمُ من شُدَّ به نِطاقُ ... إنّ الأُلى جارَوْكَ لا أفاقوا

لهم سِياقٌ ولكم سياقُ ... قد علمتْ ذلكمُ الرِّفاقُ

سُقتم إلى نَهْج الهُدى وساقُوا ... إلى التي ليس لها عِراقُ[2]

في مِلّةٍ عادتُها النِّفاقُ

فلمّا قَدِم معاويةُ بن أبي سفيان الكوفةَ ، قام النابغةُ بين يديه فقال[3] : [من الطويل]

أَلَم تأْتِ أهلَ المَشْرِقَين رسالتي ... وأيُّ نصيح لا يَبيتُ على عَتْبِ[4]

مَلَكتمْ[5] فكان الشرُّ آخرَ عَهدِكُمْ ... لئن لَم تداركْكُمْ حُلُومُ بني حَرْبِ

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهلَ النابغة ومالَه ؛ فدخل النّابغةُ على معاوية ، وعنده عبدُ الله بن عامر ومروان ، فأنشده[6] : [من الطويل]

مَنْ راكِبٌ يأتي ابنَ هندٍ بحاجتي ... على النَّأي والأنباءُ تُنْمَى وتُجلَبُ

ويُخبر عنّي ما أقول ابنَ عامر ... ونعم الفتى يأوي إليه المُعصَّبُ[7]

فإنْ تأخذوا أهلي ومالي بِظنّةٍ ... فإنّي لَحَرّابُ الرجالِ مُحرِّبُ

صَبورٌ على ما يكره المرءُ كلِّه ... سِوى الظلم إنّي إن ظُلمت سأغضَبُ

فالتفت معاويةُ إلى مروان فقال : ما ترى ؟ قال : أرى ألاّ تردّ عليه شيئاً ؛ فقال : ما أهونَ والله عليك أن ينجحر هذا في غار ثم يقطع عرضي عليّ ثم تأخذه العربُ فتَرويه ، أما والله إن كنتَ لِمَن يرويه ! أُردُد عليه كلّ شيء أخذتَه منه . وهذا الشِّعر يقوله النّابغة الجعديُّ لعِقال بن خُوَيلد العُقَيليّ يُحذّره غِبَّ الظلم لمّا أجار بني وائل بن مَعْن ، وكانوا قتلوا رجلاً من جَعْدة ، فحذَّرهم مثلَ حرب البَسوس إن أقاموا على ذلك فيهم .

---

1 المِصران : البصرة والكوفة .

2 ليس لها عراق : ليس لها نهاية أو غاية .

3 شعر النابغة الجعدي : 214 .

4 وأي في ل : برأي . وفي أنساب الأشراف : وإنّي نصيح .

5 ملكتم في أنساب الأشراف : هلكتم .

6 شعره : 7–8 .

7 المعصب : الذي أكلت ماله السنون أو الذي يُعصب بطنه من الجوع .

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ : كان السببُ في قول الجعديّ هذه القصيدةَ أنّ المُنتشِر الباهليّ خرج فأغار على اليمن ثم رجع مُظفَّرا . فوجد بني جعدة قد قتلوا ابناً له يُقال له سِيدان ، وكانت باهلة في بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ثم في بني جعدة ، فلمّا أن علم ذلك المُنتشر وأتاه الخبرُ أغار على بني جعدة ثم على بني سُبيع في وَجْهه ذلك ، فقتل منهم ثلاثةَ نفَر ؛ فلمّا فعل ذلك تصدّعت باهلةُ ، فلحِقتْ فرقة منهم يُقال لهم بنو وائل بعِقال بن خويلد العقيليّ ، ولحِقتْ فرقة أُخرى يُقال لهم بنو قُتيبة وعليهم حَجْلٌ الباهليّ بيزيد بن عمرو بن الصَّعِق الكلابيّ ، فأجارهم يزيد ، وأجار عِقالٌ وائلاً . فلمّا رأت ذلك بنو جَعدة أرادوا قِتالهم ، فقال لهم عقال : لا تقاتلوهم فقد أجرتُهم ؛ فأمّا أحدُ الثلاثة القَتلى منكم فهو بالمقتول ، وأمّا الآخران فعليّ عَقْلُهما[1] ؛ فقالوا : لا نقبل إلاّ القتالَ ولا نُريد من وائل غِيَراً (يعني الدية) ؛ فقال : لا تفعلوا فقد أجرتُ القومَ ؛ فلم يزل بهم حتى قبِلوا الدية . وانتقلت وائل إلى قومهم . فقال النابغة في ذلك قصيدتَه التي ذكر فيها عِقالاً[2] : [من الطويل]

فأبلِغْ عِقالاً أنّ غايةَ داحسٍ ... بكفّيكَ فاستأخرْ لها أو تَقدّمِ
تُجيرُ علينا وائلاً في دمائنا ... كأنّك عمّا نابَ أشياعَنا عَمِ
كُلَيبٌ لَعَمْرِي كان أكثَر ناصراً ... وأيسرَ جُرماً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ
رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرَّ بطَعنةٍ ... كحاشية البُردِ اليَمَاني المسَهَّمِ[3]
وما يَشْعُر الرمحُ الأصمُّ كعوبُه ... بثَرْوَةِ رَهطِ الأبلخ المتظلِّمِ[4]
وقال لجَسّاسٍ أغِثْني بشَرْبةٍ ... تفَضّلْ بها طَولاً عليّ وأنعِمِ
فقال تَجاوزتَ الأحَصّ وماءَه ... وبطنَ شُبَيثٍ وهو ذو مُترسمِ[5]

1 العقل : الدية .
2 شعر النابغة الجعدي : 142–144 .
3 المسهم : المخطّط .
4 في رواية «بنزوة رهط الأبلج المتوسم» . والأصمّ : الصلب . والثروة كثرة العدد . والأبلخ : المتكبّر الذي لا يرعوي عن الفجور . المتظلّم : الظالم .
5 الأحص وشبيث : ماءان أو موضعان . والمثل «تخطّى إلي شبيثاً والأحصّ» (مجمع الميداني : 1 : 145 وجمهرة العسكريّ 1 : 155) .

63 ـ [حرب بكر وتغلب][1]

[مقتل كليب بن ربيعة ونشوب حرب البَسوس]

وكان السببُ في قتل كُليبٍ[2] بن رَبيعة، فيما ذكره أبو عُبيدةَ عن مُقاتل الأحول بن سِنان بن مَرْثَد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرْثَد أخي بني قيس بن ثَعْلبةَ، ونسختُ بعضَه من رواية الكَلْبيّ، وأخبرنا به محمّدُ بن العبّاس اليَزيديّ عن عمِّه عبيدِ الله عن ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل، فجمعتُ من روايتهم ما احْتِيجَ إلى ذكره مختصرَ اللفظ كاملَ المعنى، أنّ كُلَيباً كان قد عَزَّ وسادَ في رَبيعة فبَغى بَغياً شديداً، وكان هو الذي يُنزِلُهم منازلَهم ويُرحِّلُهم، ولا يَنزِلُون ولا يَرحُلون إلاّ بأمره. فبلغ من عِزّه وبغيه أنّه اتّخذ جِرْوَ كلبٍ، فكان إذا نزل منزلاً به كَلأٌ قذف ذلك الجرْوَ فيه فيَعْوي، فلا يَرعَى أحدٌ ذلك الكلأ إلاّ بإذنه، وكان يَفعل هذا بحِياض الماء، فلا يَرِدُها أحدٌ إلاّ بإذنه أو مَنْ آذَنَ بحَرْبٍ؛ فضُرِب به المثلُ في العزّ، فقيل: «أعزُّ من كُلَيبِ وائلٍ»[3]. وكان يَحمي الصيدَ، ويقولُ: صيدُ ناحية كذا وكذا في جِوارِي؛ فلا يَصيدُ أحدٌ منه شيئاً؛ وكان لا يمرُّ بين يديه أحدٌ إذا جلس، ولا يحتبي أحدٌ في مجلسه غيرُه؛ فقتله جَسَّاسُ بنُ مُرّةَ.

وقال أبو عُبيدةَ: قال أبو بَرْزَةَ القَيْسيّ وهو من ولد عمرو بن مَرْثَد: وكان كليبٌ بنُ ربيعة ليس على الأرض بَكْريّ ولا تَغْلَبيّ أجار رجلاً ولا بعيراً إلاّ بإذنه، ولا يَحمي حِمىً إلا بأمره، وكان إذا حَمى حِمىً لا يُقْرَبُ؛ وكان لِمُرّةَ بن ذُهْلِ بنِ شَيْبان بن ثَعْلَبَة عشرةُ بنينَ جَسَّاسٌ أصغرُهم، وكانت أُختُهم عند كليب. وقال مُقاتِلٌ وفِراسٌ: وأُمُّ جسَّاسٍ هَيْلَةُ بنتُ مُنقِذِ بن سليمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مَناةَ، ثم خلَف عليها سعدُ بن ضُبيعةَ بنِ قيس بن ثَعْلبةَ بعد مرّة بنِ ذُهْل، فولدتْ له مالكاً وعَوْفاً وثعلبةَ. قال فِراسُ بن خَنْدَق البَسُوسيّ[4]: فهي

---

1 انظر حول هذه الحرب النقائض: 905 وما بعدها والعقد الفريد 5: 213 وما بعدها ونهاية الأرب 15: 396–406 و21: 473 وما بعدها وابن الأثير 1: 523 وسرح العيون: 92 والشريشي 2: 371 وأيّام العرب في الجاهلية (محمد أحمد جاد المولى وعلي محمّد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ط2، 1953) 142–168 وبعض كتب الأمثال عند الحديث على المثل «أعزّ من كليب وائل» والمثل «أشأم من البسوس». وقد جمع أبو الفرج روايات أبي عبيدة والكلبيّ والمفضل واختصر اللفظ.

2 اسمه وائل، وكليب لقب غلب عليه بسبب جروه الذي سيرد الحديث عنه بعد قليل.

3 المثل 2594 مجمع الميداني 2: 42 وأمثال العرب؛ للضبّي: 129 وجمهرة العسكري 1: 132 ومستقصى الزمخشريّ 1: 246.

4 النقائض: القيسيّ.

أُمّنا . وخالة جَسَّاس البَسُوس ــ وقال أبو بَرْزَة : البَسُوسِيَّةُ ــ وهي التي يُقال لها : «أَشأَمُ من البَسُوسِ»[1] فجاءت فنزلتْ على ابن أختها جَسَّاس فكانت جارةً لبني مُرّة ، ومعها ابنٌ لها ، ولهم ناقةٌ خَوّارةٌ[2] من نَعَم بني سعد ومعها فَصيل .

أَخبرني عليّ بنُ سليمان قال ، قال أَبو بَرْزَةَ : وقد كان كُليب قبل ذلك قال لصاحبته أُختِ جَسّاس : هل تَعْلَمِينَ على الأَرض عربيّاً أَمنعَ مِنِّي ذِمّةً ؟ فسكتت ثم أَعاد عليها الثانية فسكتَتْ ثم أَعاد عليها الثالثة ، فقالت : نعم أَخي جسَّاسٌ ونَدْمانُهُ ابن عمِّه عمرو المُزْدَلِفُ بنُ أَبي رَبيعة بن ذُهْل بن شَيْبان . وزعم مقاتِل : أن امرأَتَه كانت أُختَ جَسَّاسٍ ، فبينا هي تَغسِلُ رأسَ كليب وتُسَرِّحُه ذاتَ يوم إذ قال : مَنْ أَعزُّ وائل ؟ فصمَتَتْ ، فأَعاد عليها ؛ فلمّا أَكثر عليها قالت : أَخَوايَ جَسَّاسٌ وهَمَّامٌ ؛ فنزَع رأسَه من يدها وأَخذ القوسَ فرمى فصيلَ ناقةِ البَسُوس خالةِ جَسَّاس وجارةِ بني مُرّة فقتله ؛ فأَغمضُوا على ما فيه وسكتوا على ذلك . ثم لَقِيَ كُليبٌ ابنَ البَسُوس فقال : ما فعل فصيلُ ناقتِكم ؟ قال : قتلتَه وأَخليتَ لنا لبنَ أُمّه ؛ فأَغمضوا على هذه أَيضاً . ثم إنّ كليباً أَعاد على امرأَته فقال : مَنْ أَعزّ وائل ؟ فقالت : أَخواي ؛ فأَضمرَها وأَسرّها في نفسه وسكت ، حتى مَرَّتْ به إبلُ جَسَّاس ، فرأَى الناقةَ فأَنكرها ، فقال : ما هذه الناقةُ ؟ قالوا : لخالة جَسَّاسٍ ؛ قال : أَوَ قد بلغ من أَمر ابنَ السَّعْديّة أَن يُجيرَ عليّ بغير إذني ! ارْمِ ضَرْعَها يا غلامُ . قال فِراسٌ : فأَخذ القوسَ فرمى ضرعَ الناقة فاختلط دمُها بلبنها ؛ وراحت الرُّعاةُ على جَسَّاس فأَخبروه بالأَمر ؛ فقال : احلُبوا لها مِكيالَيْ لبنٍ بمِحلَبها ولا تَذكُروا لها من هذا شيئاً ؛ ثم أَغمضوا عليها أَيضاً . قال مُقاتِلٌ : حتى أَصابتهم سَماءٌ ، فغدا في غِبِّها يَتمطّر[3] ، وركِب جَسَّاسُ بن مُرّةَ وابنُ عمّه عمرُو بن الحارث بن ذُهْل ، وقال أبو بَرْزَةَ : بل عمرو بن أَبي رَبيعة ، وطعن عمرٌو كليباً فحطّم صُلبَه ؛ وقال أَبو بَرْزَةَ : فسكت جَسَّاسٌ ، حتى ظعَن ابنا وائل ؛ فمرَّتْ بَكْرُ بن وائل على نِهْيٍ[4] يقال له شُبَيثٌ فنفاهم كُليبٌ عنه وقال : لا يذوقون منه قطرةً ، ثم مرُّوا على نِهْيٍ آخر يُقال له الأَحَصُّ فنفاهم عنه وقال : لا يذوقون منه قطرةً ؛ ثم مرّوا على بطن الجَريب[5] فمنعهم إيّاه ؛ فمضَوْا حتى نزلوا الذَّنائب[6] ، واتّبعهم كليبٌ وحَيُّه حتى نزلوا عليه ؛ ثم

---

1 مجمع الميداني 1 : 374 وفصل المقال : 504 ومستقصى الزمخشريّ 1 : 176 وجمهرة العسكري 1 : 556 .

2 ناقة خوارة : رقيقة حسنة .

3 يتمطّر : يتنزّه .

4 نهي : غدير .

5 الجريب : اسم لواد كبير في نجد .

6 الذنائب : موضع بنجد .

مرَّ عليه جَسَّاس وهو واقفٌ على غدير الذنائب فقال . طردتَ أهلَنا عن المياه حتى كِدتَ تقتلُهم عطشاً ؛ فقال كليبٌ : ما منعناهم من ماءٍ إلاّ ونحن له شاغلون ؛ فمضى جَسَّاسٌ ومعه ابنُ عمّه المزدلِفُ . وقال بعضُهم : بل جَسَّاسٌ ناداه فقال : هذا كفِعلكَ بناقة خالتي ؛ فقال له : أوَ قد ذكرتَها ؟ أما إنّي لو وجدتُها في غير إبل مُرّة لاستحللتُ تلك الإبلَ بها . فعطف عليه جَسَّاسٌ فرسَه فطعنه برمح فأنفذَ حِضْنَيه[1] ؛ فلمّا تَداءمَه[2] الموتُ قال : يا جَسَّاس اسقِني من الماء ؛ قال : ما عَقَلْتَ استسقاءكَ الماءَ منذُ ولَدتْكَ أمُّكَ إلاّ ساعتَك هذه ! . قال أبو بَرْزة : فعطَف عليه المُزدلف عمرو بن أبي ربيعةَ فاحْتزّ رأسَه . وأمّا مقاتلٌ فزعم أنّ عمرو بن الحارث بن ذُهل الذي طعنه فقصَم صُلبَه . قال : وفيه يقول مُهلهِلٌ : [من الوافر]

قتيـلٌ مـا قتيلُ المـرءِ عمرٍو وجَسَّاسِ بنِ مُـرّة ذو ضَريرِ[3]

وقال العبّاسُ بن مِرْداسٍ السُّلَميّ يُحَذّرُ كُلَيبَ بن عَهْمةَ السُّلَميّ ثم الظَّفَريّ لّما مات حربُ بنُ أميّةَ وخَنَقتِ الجنُّ مِرداساً وكانوا شركاءَ في القرية فجحَدهم كُليبٌ حظَّهم منها ، وسنذكر خبرَ ذلك في آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى ، فحذَّره غِبَّ الظلم فقال[4] : [من الكامل]

أكليبُ ما لكَ كلَّ يـوم ظالماً والظلمُ أنكـدُ وجهُـه مَلعونُ
فافعَلْ بقومك مـا أرادَ بوائلٍ يـومَ الغَديـرِ سَمِيُّكَ المطعونُ

وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تُنحَلُ للأعشى : [من الطويل]

ونحن قهَرنـا تَغلِبَ ابنـةَ وائلٍ بقتـل كُلَيبٍ إذ طغـى وتَخيّلا
أبأْناه بالنابِ التي شَقَّ ضَرْعَها فأصبح مَوْطُوءَ الحِمى مُتذلّلا[5]

قال : ومَقتلُ كُلَيب بالذّنائب عن يسار فَلْجَةَ[6] مُصعِداً إلى مكّة ، وقبرُه بالذنائب . وفيه يقول المهلهلُ : [من الوافر]

ولـو نُبِشَ المقابـرُ عن كُلَيبٍ فَيُخبَرَ بالذنائـب أيُّ زِيـرِ

قال أبو بَرْزةَ : فلمّا قتله أمال يَدَه بالفرس حتى انتهى إلى أهله . قال : وتقول أخته

---

1 الحضن : ما دون الإبط إلى الكشح .
2 تداءمه الموت : تزاحم عليه .
3 الضرير : الشدّة ، وذو ضرير : ذو صبر على الشرّ .
4 في النقائض أربعة أبيات . وسيورد أبو الفرج خبر القرية وموتّ حرب بن أميّة والعبّاس بن مرداس السلمي والشعر في ترجمة أبي سفيان فيما بعد .
5 أباء بالقتيل : قتل قتيلاً به .
6 فلجة : منزل على طريق مكّة .

حين رأته لأبيها : إنَّ ذا لجَسَّاسٌ أتى خارجاً ركبتاه ؛ قال : والله ما خرجت ركبتاه إلاّ لأمرٍ عظيم ! . قال : فلمّا جاء قال : ما وراءكَ يا بُنَيَّ ؟ قال : ورائي أنّي قد طعنتُ طعنةً لتُشغلَنَّ بها شيوخُ وائل زمناً ؛ قال : أَقتلتَ كليباً ؟ قال نعم ؛ قال : وَدِدتُ أنّكَ وإخوتَكَ كنتم مُتّم قبل هذا ، ما بي إلاّ أن تتشاءمَ بي أبناءُ وائل . وزعم مُقاتلٌ أنّ جَسّاساً قال لأخيه نَضْلَة بن مرّة ، وكان يُقال له عَضُدُ الحمار : [من الوافر]

وإنّي قد جَنيتُ عليكَ حرباً تُغِصُّ الشيخَ بالماءِ القَراحِ
مُذَكَّرةً متى ما يَصْحُ عنها فتىً نَشِبَتْ بآخرَ غيرِ صاحِ[1]
تُنَكِّلُ عن ذُبابِ الغيّ قوماً وتدعُو آخرينَ إلى الصَّلاحِ[2]

فأجابه نَضْلَةُ : [من الوافر]

فإن تَكُ قد جَنَيتَ عليَّ حرباً فلا وَانٍ ولا رَثُّ السِّلاحِ

قال أبو بَرْزَةَ : وكان همّامُ بن مُرّة آخى مُهَلْهِلاً وعاقدَه ألاّ يَكْتُمَه شيئاً ؛ فجاءت إليه أَمَةٌ له فأَسرّت إليه قتلَ جَسَّاس كليباً ؛ فقال له مُهلهلٌ : ما قالت ؟ فلم يُخبره ؛ فذكّره العهدَ بينهما ؛ فقال : أُخبرَتْ أنّ جَسّاساً قتلَ كليباً ؛ فقال : استُ أَخيكَ أَضيق من ذلك[3] . وزعم مُقاتلٌ : أنّ همّاماً كان آخى مُهَلْهِلاً وكان عاقده ألاّ يكتمَه شيئاً ؛ فكانا جالسَيْن ، فمرَّ جَسَّاسٌ يَركُضُ به فرسُه مُخرِجاً فَخذيهِ ؛ فقال همّام : إنّ له لأَمراً ، والله ما رأَيته كاشفاً فخذيه قطُّ في رَكْضٍ ؛ فلم يلبَثْ إلاّ قليلاً حتّى جاءته الخادم فسارّته أنّ جَسَّاساً قتلَ كليباً ؛ فقال له مُهلهلٌ : ما أخبرَتْكَ ؟ قال : أَخبرتْني أنّ أخي قتلَ أخاك ؛ قال : هو أَضيقُ استاً من ذلك[4] . وتحمّل القومُ ، وغدا مُهلهلٌ بالخيل .

وقال المفضَّلُ في خبره[5] : فلمّا قُتِلَ كليبٌ قالت بنو تَغلِبَ بعضُهم لبعض : لا تَعجَلُوا على إخوتكم حتّى تُعْذِرُوا بينكم وبينهم ؛ فانطلق رهطٌ من أَشرافهم وذوي أسنانهم حتى أَتَوْا مُرّةَ بنَ ذُهْل ، فعظَّمُوا ما بينهم وبينه ، وقالوا له : اختَرْ منّا خِصالاً : إمّا أَن تَدْفَعَ إلينا جَسَّاساً فنقتلَه بصاحبنا فلم يَظْلِمْ مَنْ قَتل قاتلَه ، وإمّا أَن تدفعَ إلينا همّاماً ، وإمّا أَن تُقِيدَنا من نفسك ؛ فسكتَ ، وقد حضرتْه وجُوه بني بكر بن وائل فقالوا : تكلَّمْ غيرَ مخذول ؛ فقال : أَمّا جَسَّاسٌ فغلامٌ حديثُ

1 مذكرة : شديدة .
2 ذباب الغي : الجنون أو الشرّ .
3 المثل رقم 1781 عند الميداني .
4 المثل رقم 1781 عند الميداني .
5 انظر أمثال العرب للمفضل الضبي (تقديم وتعليق إحسان عبّاس ، دار الرائد العربي ، 1981 : 129–137) .

السنّ ركب رأسَه فهرَب حين خاف فلا عِلمَ لي به ، وأمّا همّامٌ فأَبُو عَشَرةٍ وأَخو عشرة[1] ، ولو دفعتُه إليكم لصَيَّحَ بنوه في وجهي وقالوا : دفعتَ أَبانا للقتل بجَريرة غيره ؛ وأمّا أَنا فلا أَتعَجَّلُ الموتَ ، وهل تَزيدُ الخيلُ على أَن تجولَ جولَةً فأَكونَ أَوّلَ قتيل ! ولكن هل لكم في غير ذلك ؟ هؤلاء بنيّ ، فدُونكم أَحدَهم فاقتلُوه بـه ، وإن شئتمُ فلكـم أَلفُ ناقةٍ تَضمَنُها لكم بكرُ بنُ وائل ؛ فغَضِبوا وقالوا : إنّا لم نأتك لتُرذِلَ[2] لنا بنيكَ ولا لِتَسُومَنـا اللبن ؛ فتفرَّقوا ووقعت الحربُ . وتُكُلِّمَ في ذلك عند الحارث بن عُبَادٍ ، فقال : «لا ناقة لي في هذا ولا جمل»[3] ، وهو أَوَّل مَن قالها وأَرسلها مثلاً . قالوا جميعاً : كانت حربهم أَربعين سنة ، فيهنَّ خمسُ وقَعاتٍ مُزاحَفات ، وكانت تكون بينهم مُغاورات ، وكان الرجلُ يلقى الرجلَ والرجلانِ الرجلين ونحو هذا .

[يوم عنيزة]

وكان أَوّلُ تلك الأَيّام يوم عُنَيزةَ ، وهي عند فلجةَ ، فتكافؤوا فيه لا لبكر ولا لِتَغْلِبَ ؛ وتصديق ذلك قولُ مُهَلْهِلٍ : [من الوافر]

كأنّا غُـدوةً وبَنـي أَبينـا بجَنْـب عُنَيزةٍ رَحَيـا مُدِيـرِ
ولـولا الريحُ أُسمِع مَـنْ بحَجْرٍ صليلَ البَيض تُقـرَع بالذُّكورِ

[يوم واردات]

فتفرَّقوا ، ثم غبروا زماناً . ثم التقَوْا يوم وارِدات[4] ، وكان لتغلِبَ على بكر ، وقتلوا بكراً أَشدَّ القتل ، وقتلوا بُجيراً ؛ وذلك قولُ مُهلهِلٍ : [من الوافر]

فإنّي قـد تركـتُ بِوارِداتٍ بُجيـراً في دَمٍ مثـلِ العَبيرِ
هتكتُ بـه بيوتَ بني عُبادٍ وبعضُ الغَشْم أَشفى للصدورِ[5]

قال مُقاتلٌ : إنّه إنّما التُقِطَ تَوّاً . وسيجيء حديثُه أَسفلَ من هذا . التوّ : الفرد ، يُقال : وجدته تَوّاً ، أَي وحده .

قال أَبو بَرْزَةَ : ثم انصرفوا بعد يوم واردات غيرَ بني ثَعْلبة بن عُكابةَ ورَأَسُوا على أَنفسهم الحارثَ بن عُبَادٍ ، فاتّبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة ، حتى التقوْا بالحِنْوِ ، فظهرت بنو ثعلبة على تَغْلِب .

1 أُضاف المفضل : وعم عشرة .
2 ل : لتؤدي . وترذل بنيك . تعطينا رذال بنيك (المفضل) .
3 جمهرة العسكري 2 : 391 وأَمثال العرب 1 : 131 .
4 واردات : موضع عن يسار طريق مكّة .
5 الغشم : الظلم .

[يوم القصيبات]

قال مقاتل : ثم التقَوْا يومَ بطن السِّرْو ، وهو يوم القُصَيبات ، وربّما قيل يوم القُصَيبة ، وكان لبني تَغْلِب على بَكْر ، حتى ظنّت بكرٌ أن سيقتلونها قال مقاتل :

[يوم قضة]

وقتلوا يومئذٍ همّامَ بن مرّة . ثم التقَوْا يومَ قِضَةَ وهو يومُ التحالُقِ ويومُ الثَّنِيّة . ويومُ قِضَة ويومُ الفَصيل لبَكْر على تَغلِب . قال أبو برزة : اتَّبعتْ تغلب بكراً فقطعوا رِمَلاتِ خَزازى والرَّغامَ ثم مالوا لبطنِ الحِمارة ؛ فوردت بكرٌ قِضَةَ فسقتْ وأسقتْ ثم صدَرتْ وحلأوا[1] تغلِبَ ، ونهضوا في نُجْعةٍ يُقال لها مُوَيبة لا يجوز فيها إلاّ بعير بعير ، فلحِق رجل من الأَوْس بن تغلب بغُلَيِّم من بني تَيْم اللاّت بن ثَعْلبة يطردُ ذَوْداً له ، فطعَن في بطنه بالرمح ثم رفَعه فقال : تَحَدَّبي أُمَّ البَوِّ على بوِّك . فرآه عَوْف بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، فقال : أَنفِذوا جملَ أسماءَ (ابنته) فإنّه أمضى جِمالِكم وأجودُها منفذاً ، فإذا نَفِذ تبعتْه النَّعَمُ ؛ فوثب الجمل في المُوَيبة ، حتى إذا نهض على يديه وارتفعت رجلاه ضرب عُرْقوبيه وقطع بِطانَ الظَّعِينة فوقع فسَدَّ الثنيةَ ، ثم قال عوف : أنا البُرَكُ أَبرُكُ حيث أُدرِك ، فسُمِّي البُرَك ، ووقع الناس إلى الأرض لا يرون مَجازاً ، وتحالقوا لتعرفهم النساء ؛ فقال جَحْدر بن ضُبيعة بن قيس أبو المَسامِعة ، واسمه رَبيعة ؛ قال : وإنّما سُمّي جحدراً لقِصَرِه : لا تحلقوا رأسي فإنّي رجلٌ قصير ، لا تَشِينوني ، ولكنّي أشتريه منكم بأَوّلِ فارس يطلعُ عليكم من القوم ؛ فطلع ابنُ عَناق فشَدّ عليه فقتله . فقال رجلٌ من بكر بن وائل يمدحُ مِسْمَع بن مالك بذلك : [من الرجز]

يا ابنَ الذي لمّا حلقنا اللِّمَمَا ابتاع منّا رأسَه تكرُّما[2]

بفارسٍ أوّلِ مَنْ تقدّما

وقال البكريّ : [من الطويل]

ومنّا الذي فادى من القوم رأسَه بمستلئمٍ من جَمْعهم غيرِ أعزلا[3]

فأدّى إلينا بَزَّه وسِلاحَه ومُنْفصِلاً من عُنْقه قد تَزَيَّلا

قال : وكان جَحْدَرٌ يرتجز يومئذٍ ويقول : [من الرجز]

رُدّوا عليَّ الخيلَ إن أَلَمّتِ إن لَم أُقاتلْهم فجُزُّوا لِمَّتي

وزعم عامر بن عبد الملك المِسْمَعيّ أنّه لم يقلها ، وأن صخر بن عمرو السُّلَميّ قائلُها ؛ فقال

---

1 حلأوا تغلب : منعوها الماء .

2 لمّا في ل : يوم .

3 مستلئم : لابس السلاح كلّه .

مِسْمَع : كَرْدِين (كذب) عامر . وقال البكريّ : [من الطويل]

ومِنّــا الذي سَدَّ الثنيةَ غُدْوَةً على حَلْفَةٍ لَم يُبقِ فيها تَحَلُّلا
بجَهْدِ يمينِ الله لا يطلُعونهــا ولَمّا نُقاتِلْ جَمْعَهم حين أَسْهَلا

وأَمّا مقاتل فزعم أَنّهم قالوا : اتّخِذوا عَلَماً يعرِف به بعضُكم بعضاً ، فتحالقوا . وفيه يقول طَرفة[1] : [من الرمل]

صوت

سائلــوا عنّــا الذي يَعرفنــا بقُوَانا يــومَ تَحْــلاَق اللِّمَمْ
يومَ تُبْدِي البِيضُ عن أَسْوُقِها وتَلُفُّ الخيــلُ أَعْراجَ النَّعَمْ[2]

غنّى في هذين البيتين ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أَوّل بالوسطى عن الهِشاميّ ، وذكر أَحمد بن المكّيّ أَنّه لمعبد .

[همام بن مرّة ومقتله]

وزعم مقاتل أَنّ هَمّام بن مُرّة بنِ ذُهْل بنِ شَيبان ، لم يزلْ قائدَ بكر حتّى قُتل يوم القُصَيبات ، وهو قبل يوم قِضَة ، ويوم قِضَة على أَثَره . وكان من حديث مقتل هَمّام أَنّه وجَد غلاماً مطروحاً ، فالتقطه وربّاه وسمّاه ناشِرةَ فكان عنده لَقِيطاً ؛ فلمّا شَبَّ تَبَيَّنَ أَنّه من بني تَغْلِب ؛ فلمّا التقَوْا يومَ القُصَيبات جعل هَمّام يقاتل ، فإذا عطِش رجع إلى قِرْبة فشرِب منها ثم وضع سلاحَه ؛ فوجد ناشرةُ من هَمّام غفلةً ، فشَدّ عليه بالعَنَزة[3] فأَقْصده فقتله ، ولحِق بقومه تغلِبَ . فقال باكي هَمّام : [من الطويل]

لقــد عَيّل الأَقوامَ طعنةُ ناشِرَهْ أَناشِرُ لا زالتْ يَمينُك آشِرَهْ[4]

[الحارث بن عباد أخذ بثأر ابنه بجير]

ثم قتل ناشِرةَ رجلٌ من بني يَشْكُر . فلمّا كان يومُ قِضَة وتجمّعتْ إليهم بكر ، جاء إليهم الفِنْد الزِّمَّانِيّ أَحد بني زِمّان بن مالك بن صَعْب بن عليّ بن بَكْر بن وائل من اليمامة ، قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعيّ : فرأسوه عليهم ؛ فقلت أَنا لِفراس بن خَنْدَق : إنّ عامراً يزعم أَنّ الفِنْد كان رئيس بكر يوم قِضَة ؛ فقال : رحِم الله أَبا عبد الله[5] ! كان أَقلَّ الناس حظّاً في عِلم

---

1 ديوان طرفة (صادر ، بيروت) : 90 وزعم الأصمعيّ أنّها مصنوعة .
2 أسؤق : جمع ساق . أعراج النعم : قطعان من الإبل .
3 العنزة : شبه العكازة ولها زج من أسفلها .
4 يروى : «الأيتام» بدل الأقوام . وعيّلهم : أفقرهم وجعلهم عالة على الآخرين .
5 ل : عبد الملك .

قومه . وقال فِراس : كان رئيسَ بكر بعد هَمّام الحارثُ بن عُباد . قال مقاتل : وكان الحارث بن عُباد قد اعتزل يوم قتل كُلَيب ، وقال : لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جملي ولا عِدْلي ، وربّما قال : لست من هذا ولا جملي ولا رَحْلي ، وخذل بكراً عن تَغلِبَ ، واستعظم قتلَ كُلَيب لسؤدده في ناقة . فقال سعد بن مالك يحضض الحارثَ بن عُباد : [من مجزوء الكامل]

يـا بـؤسَ للحرب التـي وضعتْ أَراهطَ فاستراحوا

والحربُ لا يَبْقى لصا حبها التَّخَيُّـلُ والمِـراحُ[1]

إلاّ الفتى الصبّارُ في النَّـ ـجَدات والفرسُ الوَقاحُ

فلمّا أُخذ بُجَيْر بن الحارث بن عُبّاد تَوّاً بواردات ، وإنّما سُلَّ ولَم يؤخذ في مُزاحَفة ، قال له مُهَلْهِل : مَن خالُك يا غلام ؟ قال امرؤ القيس بن أَبان التَّغْلَبيّ لمهلهل : إنّي أرى غلاماً لَيُقْتَلَنّ به رجل لا يُسأل عن خاله ، وربّما قال عن حاله ، قال : فكان والله امرؤ القيس هو المقتول به ، قتله الحارث بن عُباد يوم قِضَة بيده ، فقتله مهلهل . قال : فلمّا قتَل مهلهل بُجَيْراً قال : بؤ[2] بشِسْع نعل كُلَيب ؛ فقال له الغلام : إن رَضِيتْ بذلك بنو ضُبَيعة بن قيس رضيتُ . فلمّا بلغ الحارثَ قتلُ بُجَيْر ابنِ أَخيه ، وقال أَبو بَرْزة : بل بجير ابن الحارث بن عُباد نفسِه ، قال : نِعْمَ الغلامُ غلامٌ أَصلح بين ابنيْ وائلٍ وباء بكُلَيب . فلمّا سمعوا قول الحارث : قالوا له : إنّ مهلهلاً لَمّا قتله قال له : بُؤْ بشِسْع نعل كليب[3] ، وقال مهلهل : [من الرجز]

كُلُّ قتيلٍ في كُلَيْبٍ حُلاَّمْ[4] حتى ينالَ القتلُ آلَ هَمَّامْ

وقال أيضاً : [من الرجز]

كُلُّ قتيـلٍ في كُلَيبٍ غُـرَّهْ حتى ينـالَ القتـلُ آل مُرَّهْ

فغضِب الحارث عند ذلك فنادى بالرَّحيل . قال مقاتل : وقال الحارث بن عُبـاد : [من الخفيف]

قَرِّبـا مَرْبِـطَ النَّعامـةِ مِنِّي لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ[5]

---

1 لصاحبها في رواية : «لجاحمها» أي مثيرها .

2 باء بدمه : عادله وكافأه .

3 جمهرة العسكري 1 : 266 وأمثال العرب : 132 .

4 قتيل حُلام : ذهب باطلاً .

5 النعامة : فرس الحارث بن عباد . لقحت : حملت . حيال : انعدام الحمل . والمعنى أنّ الحرب هاجت بعد سكون .

لا بُجَيْرٌ أَغنى قتيلاً ولا رهـ ـطُ كُلَيبٍ تَزاجروا عن ضَلالِ
لم أَكُن من جُناتهـا علم اللـ ـهُ وإنّي بحَرّهـا اليومَ صالِ

قال : ولم يصحّح عامر ولا مِسْمَع غير هذه الثلاثة الأبيات . وزعم أَبو بَرْزة قال : كان أوّل فارس لقي مهلهلاً يوم واردات بُجَير بن الحارث بن عُباد ، فقال : مَنْ خالُك يا غلام ، وبوّأ[1] نحوه الرمحَ ؛ فقال له امرؤ القيس بن أَبان التَّغْلَبيّ ، وكان على مقدِّمتهم في حروبهم : مهلاً يا مهلهل ! فإنّ عمّ هذا وأَهلَ بيته قد اعتزلوا حربَنا ولم يدخلوا في شيء ممّا نَكرَه ، ووالله لئن قتلتَه ليُقتلنّ به رجلٌ لا يُسأل عن نسبه ؛ فلم يَلتفِتْ مهلهلٌ إلى قوله وشَدّ عليه فقتله ، وقال : بُؤْ بشِسْع نعل كليب ؛ فقال الغلام : إن رَضِيتْ بهذا بنو تَغْلبة فقد رضيتُه . قال : ثم غَبروا زماناً ، ثم لقي هَمّامَ بن مرّة فقتله أيضاً . فأُتي الحارثَ بن عُباد فقيل له : قتل مهلهل هماماً ؛ فغضِب وقال : رُدُّوا الجِمالَ على عكَرِها[2] «الأَمرُ مخلوجةٌ ليس بسُلْكَى»[3] ؛ وجَدّ في قتالهم . قال مقاتل : فكان حَكَمَ بكر بن وائل يومَ قِضَةَ الحارثُ بن عُبَاد ؛ وكان الرئيسَ الفِنْدُ ، وكان فارسَهم جَحْدَرٌ ، وكان شاعرَهم سعدُ بن مالك بن ضُبَيعة ، وكان الذي سَدّ الثنيَّةَ عوفُ بن مالك بن ضُبَيعة ؛ وكان عوفٌ أَنْبهَ من أَخيه سعد .

[أسر مهلهل ونجاته]

وقال فِراس بن خَنْدَق : بل كان رئيسَهم يوم قِضَةَ الحارثُ بن عُباد . قال مقاتل : فأَسَر الحارثُ بن عباد عَدِيّاً ، وهو مهلهل ، بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه ؛ فقال له : دُلّني على المهلهل ؛ قال : ولي دَمِي ؟ قال : ولك دَمُك ؛ قال : ولي ذِمّتُك وذمّةُ أَبيك ؟ قال : نعم ، ذلك لك ؛ قال : فأَنا مُهَلْهِل . قال : دُلّني على كُفْءٍ لبُجَيْر ؛ قال : لا أَعلمه إلاّ امرأَ القيس بن أَبان ، هذاك عَلَمُه ؛ فَجزَّ ناصيتَه[4] وقصَد قَصْدَ امرىء القيس فشَدّ عليه فقتله . فقال الحارث في ذلك : [من الخفيف]

لَهْفَ نفسي على عَدِيٍّ ولَمْ أَعـ ـرِفْ عَدِيّاً إذ أَمكنتني اليدانِ
طُلَّ مَنْ طُلَّ في الحروب ولَمْ أُو تِـرْ بُجَيراً أَبَأْتُـه ابنَ أَبانِ[5]

---

1 بوّأ الرمح : سدده .

2 العكر : جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل أي ردوا الإبل إلى بعضها .

3 انظر المثل رقم 139 عند الميداني وص 305 في فصل المقال . والمخلوجة : الطعنة المعوجة ، والسلكى : الطعنة المستقيمة .

4 كانوا يجزون ناصية الأسير قبل إطلاق سراحه للافتخار بفعلهم .

5 طُل : دم القتيل لم يؤخذ بثأره .

فارسٌ يَضرِب الكتيبةَ بالسيـ ـف وتسمو أَمامَــه العِنْبانِ

وزعم حُجْر[1] أنّ مُهَلْهِلا قال : لا والله أَوْ يَعْهَدَ لي غيرُك ؛ قال الحارث : اخترْ مَنْ شئت ؛ قال : أَختار الشيخَ القاعد عَـوْفَ بن مُحَلِّم ؛ قال الحارث : يا عـوفُ أَجِرْه ؛ قال : لا حتى يقعدَ خَلْفي ؛ فأَمره فقعد خلفه ؛ فقال : أَنا مُهَلهِل . وأَمّا مقاتل فقال : إنّما أَخذه في دَوْرِ الرَّحى وحَوْمة القتال ولَمْ يقعد أَحدٌ بعدُ ، فكيف يقول الشيخَ القاعدَ ! . قال مقاتل : وشدّ عليهم جَحْدَرٌ ، فاعتوره عمرو وعامر ، فطعن عمراً بعالية الرمح وطعن عامـراً بسافِلته فقتلهما عِـداءً[2] وجاء ببَزّهما . قـال عامـر بن عبد الملك المِسْمعي : فحدّثني رجلٌ عالِم قال : سأَلني الوليدُ بن يزيد : مَنْ قتلَ عمراً وأَخاه عامراً ؟ قلت : جَحْدَر ؛ قال : صدقتَ ، فهل تدري كيف قتلهما ؟ قلت : نعم ، قتل عمراً بسِنان[3] الرمح ، وقتل عامراً بزُجّهِ . قال : وقتل جحدرٌ أيضاً أَبا مِكْنَفٍ . قال مقاتل : فلمّا رجع مُهلهِل بعد الوَقْعَة والأَسْرِ إلى أَهله ، جعل النساء والولدانُ يستخبرونه : تسأل المرأَة عن زوجها وابنها وأَخيها ، والغلامُ عن أَبيه وأَخيه ؛ فقال : [من الخفيف]

ليس مثلي يُخبِّر النّاسَ عــن آ بائهــم قُتِّلــوا ويَنْسى القِتالاَ

لَم أَرِمْ عَرْصةَ الكتيبةِ حتّى انـ ـتعل الوَرْدُ من دمـاءٍ نِعالا[4]

عَرَفَتْه رمـــاحُ بكــرٍ فما يأ خُــذن إلاّ لَبانَـــه والقَذالا

غلبونـــا ، ولا محالـــةَ يومـــاً يَقلِبُ الدَّهرُ ذاك حالاً فحالا

ثم خرج حتّى لحِق بأَرض اليمن ، فكان في جَنْبٍ[5] ، فخطب إليه أَحدُهم ابنتَه فأَبى أَن يفعل ، فأَكرهوه فأَنكحها إيّاه ؛ فقال في ذلك مهلهِل : [من المنسرح]

أَنكحَها فقدُهـــا الأَراقِمَ في جَنْبٍ وكان الحَباءُ مــن أَدَمِ[6]

لــو بأبانَيْنِ جـــاءَ يخطبُها ضُرِّج مـا أَنفُ خاطبٍ بدَمِ[7]

أَصبحتُ لا مُنْفِساً أصبتُ ولا أُبْتُ كريماً حـــُرّاً من النَّدَمِ[8]

---

1 ل : جحدر .

2 عالية الرمح : سنانه . وسافلته : زجه . وقتلهما عداء : قتلهما بطعنتين متواليتين .

3 ل : بعالية .

4 لم أرم : لم أبرح . الورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة .

5 جنب : حمى باليمن .

6 الأراقم : حي بن تغلب . الحباء : المهر .

7 أبانان : جبلان يقال لأحدهما أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود .

8 المنفس : الكثير من المال .

هان على تَغْلِبٍ بما لَقِيتْ أختُ بني المالِكِين من جُشَمِ
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يُغْنُون من عَيْلةٍ ولا عَدَمِ

ثمّ إنّ مهلهلاً انحدر ، فأخذه عمرو بن مالك بن ضُبيعة ، فطلب إليه أخوالُه بنو يَشْكُر ، وأُمّ مهلهلٍ المرادة[1] بنت ثَعْلبة بن جُشَم بن غُبَر اليَشْكُرِيّة ، وأُختها مَنَّة بنت ثَعْلبة أمّ حُيَيّ بن وائلٍ ، وكان المُحَلّل بن ثعلبة خالَهما ، فطلب إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكونَ عنده ففعل ؛ فسقاه خمراً ، فلمّا طابت نفسُه تَغَنَّى : [من الخفيف]

طَفْلَةٌ ما ابنةُ المُحلّل بيضا ءُ لَعُوبٌ لذيذةٌ في العِناقِ

حتى فرغ من القصيدة ، فأدّى ذلك مَنْ سَمِعه من المُهلهِل إلى عمرٍو ، فحوّله إليه وأقسم ألاّ يذوق عنده خمراً ولا ماء ولا لبناً حتى يَرِدَ رَبِيبٌ الهِضابَ (جمل له كان أقلَّ ورودِهِ في الصيف الخِمْسَ) ؛ فقالوا له : يا خير الفتيان ، أرسِلْ إلى ربيبٍ فلْتُوَتَ به قبلَ وروده ، ففعل فأوْجره ذَنُوباً[2] من ماء ؛ فلمّا تَحَلَّل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة ، وهو أوبأ ماءٍ رأيته قطّ ، فمات . فتلك الهِضاب التي كان يرعاها ربيبٌ يُقال لها هِضاب ربيب ، طالما رعيتُهنّ ورأيتهنّ .

[القبائل التي انضمّت إلى بكر]

قال مقاتل : ولم يُقاتل معنا من بني يَشْكُرَ ولا من بني لُجَيْم ولا ذُهْل بنِ ثَعْلبة غيرُ ناس من بني يَشْكر وذُهْلٍ قاتلتْ بأخَرَةٍ ، ثم جاء ناس من بني لُجَيم يوم قِضَةَ مع الفِنْدِ . وفي ذلك يقول سَعْد بن مالك : [من السريع]

إنّ لُجَيماً قد أبتْ كلُّها أن يُرْفِدونا رجلاً واحدَا
ويَشْكُرٌ أضْحتْ على نأيها لم تَسْمَعِ الآن لها حامدا
ولا بنو ذُهْلٍ وقد أصبحوا بها حُلولا خَلَفاً ماجدا
القائِدي الخيلِ لأرض العِدَا والضاربين الكوكبَ الوافِدا[3]

وقال البَكْريّ : [من الطويل]

وصَدّتْ لُجَيمٌ للبراءة إذ رأتْ أهاضيبَ موتٍ تُمطِرُ الموتَ مُعْضِلاَ[4]

1 ل : المرتادة .
2 أوجره ذنوباً : جعل في فيه دلواً من الماء .
3 الكوكب الوافد : سيد القوم القادم .
4 أهاضيب : جمع أهضوبة وهي الدفعة من المطر . ل : يوم بدلاً من موت .

وَيَشْكُرُ قـد مالـتْ قديماً وأرْتعتْ ومَنّتْ بقُرْباهـا إليهـم لِتُوصَلا

وقالوا جميعاً : مات جَسَّاسٌ حَتْفَ أَنفه ولَم يُقْتَل .

[عدد القتلى من بكر وتغلب]

قال عامر بن عبد الملك : لم يكن بينهم مِن قَتْلى تُعَدُّ ولا تذكر إلاّ ثمانيةَ نفرٍ من تَغْلِب وأربعةً من بَكْر عدّدهم مُهلهلُ في شِعرَيْهِ ، يعني قصيدتَيْهِ : [من الوافر]

أليلَتَنا بـذي حُسُمٍ أَنيـري إذا أَنتِ انْقضَيتِ فلا تَحُوري[1]

فإن يَكُ بالذَّنائب طال ليلي فقـد أَبكي مـن الليلِ القِصيرِ

فلـو نُبِش المقابـرُ عن كُلَيب فيَعْلَـمَ بالذنائـب أَيُّ زيرِ

بيـوم الشَّعْثَمَـينِ أُقِـرّ عيناً وكيف لِقاءُ من تحت القُبورِ[2]

وإنّي قـد تركـتُ بِوارِداتٍ بُجَيـراً في دمٍ مثـلِ العَبيرِ

هتكتُ بـه بيوتَ بنـي عُبَادٍ وبعضُ الغَشْمِ أَشفى للصّدورِ

على أَنْ ليس يُوفِي من كُلَيْبٍ إذا بـرزتْ مخبّأَةُ الخُدورِ[3]

وهمّامَ بـن مُـرَّةَ قـد تركنا عليه القَشْعمانِ مـن النسورِ

يَنُـوء بصدره والرمحُ فيـه ويَخْلِجُـه خِـدَبٌ كالبعيرِ[4]

فلولا الريحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحَجْرٍ صليلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذكور

فِدىً لبني شَقيقَةَ يوم جاؤوا كأُسْدِ الغابِ لَجّتْ في الزَّئيرِ

كأنّ رماحَهـم أَشطـانُ بئرٍ بعيـدٍ بـين جَالَيْهـا جَرُورِ[5]

غـداةَ كأنّنـا وبنـي أَبينا بجَنْـب عُنَيْزةٍ رَحَيـا مُديرِ

تَظَلّ الخيـلُ عاكفـةً عليهم كأنّ الخيلَ تُرْحَضُ في غديرِ[6]

فهؤلاء أَربعة من بني بكر بن وائل . وقال أيضاً : [من الخفيف]

طَفْلَةٌ مـا ابنـةُ المحَلّلِ بَيضا ءُ لَعُـوبٌ لذيـذةٌ في العِناقِ

1 ذو حسم : موضع بالبادية . لا تحوري : لا ترجعي .

2 يوم الشعثمين : يوم واردات . وفي شعر الأخطل ما يشير إلى أنّه يوم الذنائب .

3 يُوفي في ل : يشفي .

4 يخلجه : يجذبه . والخدب : الضخم .

5 أشطان : حبال شديدة الفتل . جال البئر : ناحيتها .

6 ترحض : تغسل .

فاذْهَبي مــا إليكِ غيرَ بعيدٍ لا يُؤاتي العِناقُ مَنْ في الوَثاقِ
ضربــتْ نحرَهــا إليّ وقالتْ يا عَدِيّــاً لقد وَقَتْك الأَواقي
ما أُرَجِّي في العيش بعد نَداما يَ أَراهم سُقُوا بكأسِ حَلاَقِ[1]
بعــد عمــرٍو وعامرٍ وحُبَيٍّ ورَبيعِ الصَّدُوفِ وابْني عَناقِ
وامرىء القيس مَيِّت يوم أَوْدى ثم خَلّى عليّ ذاتَ العَراقي[2]
وكليبٍ سُمّ الفوارس إذ حُمَّ رمــاه الكمــاةُ بالإيفاقِ[3]
إنّ تحت الأَحجار حَدّاً ولِيناً وخَصيماً ألــدَّ ذا مِعْلاقِ[4]
حيّةٌ في الوِجــار أَربــدُ لا تنـ ـفَعُ منــه السليمَ نَفْثَةُ راقِ

فهؤلاء ثمانية من تغلب . قال عامر : والدليل على أنّ القَتْلى كانوا قليلاً أنّ آباء القبائل هم الذين شهِدوا تلك الحروبَ ، فعُدُّوهم وعُدُّوا بنيهم وبني بنيهم ، فإن كانوا خمسمائةٍ فقد صدَقوا ، فكم عسى أن يبلغ عددُ القتلى والقبائل . قال مِسْمَع : إنّ أخي مجنون ، وكيف يحتجّ بشعْر المُهَلهِل ، وقد قتل جَحْدرٌ أَبا مِكْنَف يوم قِضَة فلم يذكره في شعره ، وقَتل اليشكريُّ ناشِرةَ فلم يذكره في الشعر ، وقُتِل حَبيبٌ يومَ وارِدات ، وقَتل سعدُ بن مالك يوم قِضَةَ ابنَ القَبيحة فلم يُذْكر ، فهؤلاء أَربعة . وقال البَكْريّ : [من الطويل]

تركنا حَبيباً يوم أَرْجفَ جمعُه صريعاً بأَعلى واردات مُجَدَّلا

وقال مُهَلهِل أَيضاً : [من الخفيف]

لستُ أَرجو لَــذَّةَ العيش مــا أَزِمَتْ أَجــلادُ قِــدٍّ بساقِي
جَلَّلوني جلــدَ حَــوْبٍ فقــد جعلــوا نَفْسيَ عنــد التَّراقي[5]

وقال آخر يَفْخَر بيوم واردات : [من الوافر]

ومُهْــراقُ الدمــاء بــواردات تَبيــد المُخْزِيــاتُ ومــا تَبيدُ

فقلتُ لعامر : ما بالُ مسْمَع وما احتجّ به من هؤلاء الأَربعة ؟ فقال عامر : وما أَربعةٌ إن كنتُ أُغفلتهم فيما يقولون ؟ إنّهم قتلوا يوم كذا ثلاثةَ آلاف ، ويوم كذا أَربعةَ آلاف ، والله ما

---

1 كأس حلاق : كأس المنية .
2 ذات العراقي : الداهية .
3 الإيفاق : توتير القوس للرمي .
4 حد : حدّة . ذو معلاق : لسان بليغ يسدّ الحجّة على خصمه . ويروى «مغلاق» أي يغلقها على خصمه .
5 الحوب : الضخم من الجمال .

أظنّ جميع القوم كانوا يومئذٍ ألفاً ! فهاتوا فعُدُّوا أسماءَ القبائل وأبناءهم وانْزِلوا معهم إلى أبناء أبنائهم ، فكم عسى أن يكونوا ؟

نسبة ما في هذه الأَخبار من الأَغاني

صوت

[من الخفيف]

أزْجُـرِ العـين أنْ تُبكِّي الطُّلولا — إنّ في الصَّدرِ مـن كُلَيبٍ غليلاَ

إنّ في الصدرِ حاجـةً لن تَقَضَّى — ما دعا في الغصون داعٍ هَدِيلا

كيـف أنساكَ يـا كُلَيبُ ولّمـا — أَقضِ حزنـاً يَنُوبُنـي وغَليلا

أيّها القلبُ أَنْجِزِ اليـومَ نَحْباً — من بني الحِصْنِ إذ غَدَوْا وذُحولا[1]

كيف يَبكي الطلولَ مَنْ هو رهنٌ — بطِعـانِ الأَنـامِ جيـلاً فجيـلاَ

أَنبَضُوا مَعْجِسَ القِسِيِّ وأَبرقْـ — ـنا كما تُوعِدُ الفحولُ الفحولا[2]

وصبَرْنـا تحـت البَوارِقِ حتّـى — رَكَدتْ فيهـمُ السيوفُ طويلا

لَـمْ يُطيقـوا أَن يَنزِلـوا ونزلنـا — وأَخو الحربِ مَـنْ أَطاق النّزولا

الشعر لُمهلِهلٍ[3] ، قال أبو عُبَيدة : اسمه عَدِيّ ، وقال يعقوب بن السِّكِّيت : اسمه امرؤ القيس ، وهو ابن رَبيعة بن الحارث بن زُهير بن جُشَم بن بَكْر بن حَبيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب ؛ وإنّما لُقِّب مُهَلهِلاً لِطيب شعره[4] ورِقّته ، وكان أَحدَ مَن غُنِّيَ من العرب في شعره . وقيل : إنّه أَوّلُ مَن قَصَّد القصائدَ وقال الغزلَ ؛ فقيل : قد هَلْهَلَ الشعرَ ، أي أَرَقّه . وهو أَوّلُ مَنْ كذَب في شعره[5] . وهو خال امرىء القيس بن حُجْر الكِنْديّ . وكان فيه خُنْثٌ ولِين ، وكان كثيرَ المحادثة للنّساء ، فكان كُلَيب يسمّيه «زِيرَ النِّساء» ؛ فذلك قوله : [من الوافر]

ولـو نُبِش المقابرُ عن كُلَيبٍ — فيَعلَمَ بالذنائـب أَيُّ زيرِ

الغناء لابن مُحْرِزٍ في الأَوّل والثاني من الأَبيات ثقيلٌ أَوّلُ بالسبَّابة في مجرى الوسطى .

---

1 النحب : النذر . بنو الحصن : ثعلبة بن عكابة . الذحول : جمع ذحل وهو الثأر .

2 أَنبض القوس : جذب وترها لتصوّت . معجس : مقبض .

3 ترجمة مهلهل في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 215–217 والخزانة 2 : 164–174 ومعجم المرزباني : 79 .

4 ل : صوت .

5 لقوله : «ولولا الريح أسمع من بحجر . . .» نظراً لبُعد المسافة بين مكان الموقعة وحجر . وقد حمل ذلك عليه القالي وأبو الفرج وابن قتيبة ، على أنّها من أيسر المبالغات في الشعر العربي .

وللغَريض فيهما لحنٌ في هذه الطريقة والإصبع والمجرى ، والذي فيه سَجْحَةٌ منها لابن مُحرز . ولَمْعَبَد لحنان أحدهما في الأوّل والسادس ثقيل أوّل مُطلق في مجرى البنصر ، والآخر خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . ولإبراهيم في الأوّل والرابع ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى . ولإسحاق في الأوّل والثالث ماخُوريّ . ولعَلُّويه في الأوّل والثاني خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر ، ولمالك فيهما خفيف رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى . ولابن سُرَيج في السادس والسابع خفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى البنصر . ولابن سُرَيج أيضاً في الأوّل والثامن خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر . وللغَريض في الأوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . وللهُذَليّ في الأوّل والثاني والسابع خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه . ولمالك في الأوّل والثاني والخامس خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو بن بانة .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

ثَكِلتْنـي عنـد الثَّنِيَّـة أُمِّـي وأَتاهـا نَعـيُّ عمِّي وخالِـي

إنْ لَمَ آشْفِ النفوسَ من حَيٍّ بكرٍ وعَـدِيّ تَطـاهُ بُـزْلُ الجِمالِ[1]

الشعر مجهول[2] ؛ غنّاه ابن سُرَيجٍ ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من رواية إسحاق ، وغنّاه الغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

قَرِّبـا مَرْبِـطَ النَّعامـة مِنّي لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ

قَرِّباهـا في مُقْرَبـاتٍ عِجَـالٍ عابساتٍ يَثِبْنَ وَثْبَ السَّعالي[3]

لَم أكن من جُناتهـا علم اللّهُ وإنّـي بحَرِّهـا اليـوم صالِ

الشعر للحارث بن عُباد . والغناء للغَريض ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه لحن آخر يُقال إنّه لابن سُرَيج .

---

1 لهذا البيت رواية أُخرى :

إن لم اشف النفوس من تغلب الغد ر بيوم تـذلّ فيـه بزل الجمـال

2 إضافة من ل ، ولعلّ البيتين ملحقان بشعر الحارث بن عباد .

3 مقربات : خيل يقرب مربطها لكرامتها .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

يـــا لَبَكْـرٍ أَنْشِروا لي كُلَيبـاً ... يا لَبَكْـــرٍ أَيـنَ أَيـــنَ الفِرارُ
يالَبَكْـرٍ فاظعَنـوا أَو فحُلُّـوا ... صَرَّح الشرُّ وبـــان السِّرارُ

الشعر لمُهَلهِل . والغناء لابن سُرَيج ، ولحنه من القدر الأَوسط من الثقيل الأَوّل بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق . وغنّاه الأَبجر خفيف رملٍ بالوسطى من رواية عمرو .

ومنها : [من الوافر]

صوت

أَليلَتنـــا بـــذي حُسُمٍ أَنيري ... إذا أَنتِ انقضيتِ فلا تَحُوري
فإن يَـكُ بالذَّنائب طال ليلي ... فقد أَبكي من الليـــل القصيرِ
كأَنّ الجَدْيَ جَدْيَ بناتِ نَعْشٍ ... يُكِبّ على اليديـن بمستديرِ[1]
وتَحْبُو الشِّعْرَيـــانِ إلى سُهَيلٍ ... يَلُوح كقِمَّةِ الجمـل الكبيرِ[2]
فلولا الريحُ أُسمِعَ أَهـلُ حَجْرٍ ... صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ

الشعر لمُهَلْهِل . والغناء لابن مُحْرِز في الأَوّل والثاني ثقيلٌ أَوّل بالبنصر ، وله في الأَبيات كلّها خفيفُ ثقيلٍ أَوّل مطلقٌ في مجرى الوسطى ، عن إسحاق جميعاً . وفي الأَبيات كلِّها على الوِلاء للأَبْجر ثاني ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو . ويُقال : إنّ فيها لحناً للغَريض أَيضاً .

[مقتل جَسّاس]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال أَخبرنا الحسن بن الحسين السُّكَّريّ قال حدّثنا محمد بن حَبيبَ عن ابن الأَعرابيّ عن المُفَضَّل عن أَبي عُبَيدة : أَنّ آخِرَ مَنْ قُتِل في حرب بكر وتغلِب جَسَّاسُ بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان ، وهو قاتلُ كُلَيب بن رَبيعة ، وكانت أُخته تحت كُلَيب ، فقتله جَسّاس وهي حامل ، فرجعتْ إلى أَهلها ووقعت الحربُ ، فكان من الفريقين ما كان ؛ ثم صاروا إلى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان ؛ فولدت أُختُ جَسّاس غلاماً فسمّته الهِجْرِسَ وربّاه جسّاس ، فكان لا يعرف أَباً غيره ، وزوّجه ابنتَه . فوقع بين الهِجْرِس

1 الجدي : نجم يدور مع بنات نعش أَو أَحد البروج . يكب : ينكس .

2 تحبو : تدنو . الشعريان : الشعرى اليمانية أَو العبور والشعرى : الغميصاء . وهما اللتان تبكيان لأخيهما سهيل في شعر المعرّي .

وبين رجل من بني بكر بن وائل كلامٌ ؛ فقال له البكريّ : ما أَنت بمنتهٍ حتى نُلْحقك بأَبيك ؛ فأَمسك عنه ودخل إلى أُمّه كئيباً ، فسأَلَتْه عمّا به فأَخبرها الخبر ؛ فلمّا أَوى إلى فراشِهِ ونام إلى جنب امرأته وضع أَنفَه بين ثدييها ، فتنفّس تَنفُّسةً تَنَفَّط ما بين ثدييها من حرارتها ؛ فقامت الجارية فَزِعةً قد أَقلّتها رِعدةٌ حتّى دخلتْ على أَبيها ، فقصّت عليه قصّةَ الهِجْرِس ؛ فقال جَسَّاس : ثائرٌ وربِّ الكَعْبة ! وبات جَسّاسٍ على مثل الرَّضْف حتى أَصبح ؛ فأَرسل إلى الهِجْرِس فأَتاه ، فقال له : إنّما أَنتَ ولدي ومني بالمكان الذي قد علمتَ ، وقد زوّجتك ابنتي وأَنتَ معي ، وقد كانت الحرب في أَبيك زماناً طويلاً حتّى كِدْنا نتفانى ، وقد اصطلحْنا وتحاجزْنا ، وقد رأَيتُ أَن تدخل فيما دخل فيه الناسُ من الصّلح ، وأَن تنطلقَ حتّى نأخذَ عليك مثلَ ما أُخذ علينا وعلى قومنا ؛ فقال الهِجْرِس : أَنا فاعل ، ولكنّ مثلِي لا يأتِي قومَه إلاّ بلأْمته وفرسه ؛ فحمله جَسّاس على فرس وأَعطاه لأْمةً ودِرْعاً ؛ فخرجا حتى أَتَيا جماعةً من قومهما ، فقَصّ عليهم جَسّاس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ، ثم قال : وهذا الفتى ابن أُختي قد جاء ليدخلَ فيما دخلتم فيه ويَعْقِد ما عَقَدتم ؛ فلمّا قَرّبوا[1] الدمَ وقاموا إلى العَقْد أَخذ الهِجْرِس بوَسَط رُمحه ، ثم قال : وفَرَسي وأُذُنَيْه ، ورُمْحي ونَصْلَيْه ، وسيفي وغِرارَيْه ، لا يترك الرجل قاتلَ أَبيه وهو ينظر إليه ؛ ثم طعن جَسَّاساً فقتله ، ثم لحِقَ بقومه ؛ فكان آخرَ قتيلٍ في بكر بن وائل .

[ترحيل امرأة كليب عن مأتم زوجها]

قال أَبو الفرج : أَخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمِّي عن العبّاس بن هشام عن أَبيه عن الشَّرْقِيّ بن القُطاميّ قال : لمّا قَتل جَسَّاس بن مُرّة كُلَيبَ بنَ ربيعة ، وكانت جليلةُ بنت مُرّة أُختُ جَسَّاس تحت كليب ، اجتمع نساء الحيّ للمأتم ، فقلن لأُخت كُليب : رَحِّلي جَليلةَ عن مأتمك ، فإنّ قيامها فيه شماتةٌ وعارٌ علينا عند العرب ؛ فقالت لها : يا هذه اخرُجي عن مأتمنا ، فأَنتِ أُختُ واترِنا وشقيقةُ قاتِلنا ؛ فخرجت وهي تَجُرّ أَعطافَها ؛ فلقيها أَبوها مُرّة ، فقال لها : ما وراءكِ يا جليلة ؟ فقالت : ثُكْلُ العَدَد ، وحزنُ الأَبد ؛ وفَقْدُ حليل ، وقتلُ أَخٍ عن قليل ؛ وبين ذين غرسُ الأَحقاد ، وتَفتُّتُ الأَكباد ؛ فقال لها : أَوَ يَكُفُّ ذلك كرمُ الصَّفْح وإغلاءُ الدِّيات ؟ فقالت جليلة . أُمْنِيَّةُ مخدوعٍ وربِّ الكعبة ! أَبِالبُدْنِ تَدَعُ لك تَغْلِب دمَ ربِّها ؟ . قال : ولّما رَحَلت جليلةُ قالت أُخت كُلَيب : رِحلةُ المعتدي وفِراقُ الشامت ، ويلٌ غداً لآل مُرّة ، من الكَرّة بعد الكرّة ! . فبلغ قولُها جليلةَ ، فقالت : وكيف تَشْمَتُ الحُرّة بهَتْك سِترِها وتَرَقُّبِ وِتْرِها ! أَسعد اللهُ جَدَّ أُختي ، أَفلا قالت : نَفْرة الحياء ، وخوف الاعتداء ! .

1 كان من عادة العرب أَن يغمسوا عند التحالف أَيديهم في طيب أَو دم أَو رماد .

[رثاء جليلة لكليب]

ثم أَنشأَتْ تقول[1] : [من الرمل]

يـــا ابنةَ الأَقوامِ إِنْ شئتِ فلا … تَعْجَـلي باللَّـوْم حتّـى تسأَلي

فــإذا أَنــتِ تَبَيَّنْتِ الذي … يُوجِبُ اللَّـومَ فلُومي واعذُلي

إن تكن أُختُ امرىء لِيمتْ على … شَفَــقٍ منهـا عليــه فافعلي

جَلَّ عندي فعــلُ جَسّاسٍ فيا … حَسْرتي عمّا انجلتْ أَو تنجلي

فعلُ جَسّاسٍ على وَجْدي به … قاطعٌ ظَهْـرِي ومُـدْنٍ أَجَلي

لَـوْ بِعَينٍ فُقِئتْ عيني سوى … أُختِهـــا فانفقأَتْ لَـــم أَحْفِلِ

تَحمِلُ العينُ قَـذى العينِ كما … تَحمِـلُ الأُمّ أَذى مـــا تَفْتَلي

يــا قتيــلاً قَــوّض الدَّهرُ به … سَقفَ بيتـيّ جميعاً مــن عَلِ

هــدمَ البيتَ الذي استحدثتُه … وانثنى في هــدمِ بيتي الأَوّلِ

ورمــاني قتلــهُ مــن كَثَبٍ … رميةَ المُصْمي بــه المُستأصِلِ

يا نِسائي دونكنّ اليومَ قــد … خَصَّني الدَّهــرُ برُزْءٍ مُعْضِلِ

خَصَّني قتــلُ كُلَيب بلَظـىً … مِن ورائـي ولَظـىً مُسْتقبلي

ليس مَـن يَبكي ليومين كمن … إنّمـــا يبكـــي ليــومٍ ينجلي

يشتفِي المــدركُ بــالثأرِ وفي … دَرَكي ثــأريَ ثُكْلُ المُثكِلِ

ليتـــه كان دَمـي فاحتلبوا … بَدَلاً منــه دَمــاً من أَكْحلي[2]

إنّنـــي قاتلــــةٌ مقتولــــةٌ … ولعــلّ اللّٰه أَن يرتـــاحَ لِي

1 ذكر المرزباني في أشعار النساء عن الحرمي بن أُبي العلاء نسبة هذه الأبيات عن محمّد بن خلف المرزبان إلى فاطمة أخت كليب ومهلهل ترثي بها أخاها . على أن في الأُبيات ما لا يتّفق منطقيّاً مع هذه النسبة .

2 بدلاً في ل : درراً .

[64] ــ ذكر الهذلي وأخباره

[نسب الهذلي وصناعته]

أخبرني محمَّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : الهُذَليان أخَوانِ يُقال لهما سعيد وعبد آل ابنا مسعود ؛ فالأكبر منهما يُقال له سَعيد ، ويُكنى أبا مسعود ، وأُمّه امرأة يُقال لها أُمّ فَيْعل ، وكان كثيراً ما يُنسب إليها ، وكان ينقش الحجارة بأبي قُبَيسٍ ، وكان فتيانٌ من قريش يَرُوحون إليه كلَّ عشيّة فيأتون بَطْحاء يُقال لها بطحاء قريشٍ فيجلسون عليها ، ويأتيهم فيُغنّي لهم ويكون معهم . وقد قيل : إنّ الأكبر هو عبد آل ، والأصغر سعيد .

[يغنّي وهو يزاول نقش الحجارة]

قال هارون وحدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني حمزة بن عُتْبة اللهبيّ : أنّ الهذليّ كان نَقّاشاً يعمل البُرَمَ من حجارة الجبل ، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن ، وكان إذا أَمْسى[1] راح فأشْرف على المسجد ثم غنّى ، فلا يلبث أن يُرى الجبل كقُرْص الخَبيص صُفْرةً وحُمرة من أرْدِية قريش ؛ فيقولون : يا أبا عبد الرحمن ، أعِد ؛ فيقول : أمّا والله وهاهنا حجر أحتاج إليه لم يَرِد الأبطحَ فلا ؛ فيضعون أيديهم في الحجارة حتى يقطعوها له ويَحْدُروها إلى الأبطح ، وينزل معهم حتّى يجلس على أعظمها حجراً ويغنّي لهم .

قال هارون وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبي مسعود بن أبي جَناح قال أخبرني أبو لَطِيف وعُمارة قالا : تغنّى الهذليُّ الأكبرُ ، وكان من أنفسِهم ، وكان فِتيانُ قريش يَرُوحون كلَّ عشيّةٍ حتّى يأتوا بَطْحاءَ يُقال لها بطحاءُ قريش قريباً من داره ، فيجلِسون عليها ويأتيهم فيُغنّيهم .

[أجازه الحارث بن خالد لمّا سمع غناءه]

قال : وأخبرني ابن أبي طَرَفة عن الحسن بن عَبَّاد الكاتِب مولى آل الزُّبَير قال : هجم الحارثُ بن خالد ، وهو يومئذٍ أمير مكّة ، على الهذليّ وهو مع فتيان قريش بالمفجَر[2] يغنّيهم وعليه جُبّةُ صوف ، فطرح عليه مُقطَّعاتِ خَزّ ، فكانت هذه أوّلَ ما تحرّك لها .

[تزوّج بنت ابن سريج وأخذ عنها غناء أبيها]

قال هارون : وحدّثني حماد عن أبيه قال : ذكر ابن جامع عن ابن عَبّاد أنّ ابن سُرَيج لمّا

---

1 ل : مشى .

2 المفجر : موضع بمكّة . وفي ل : المفخر .

حضَرته الوفاةُ نظر إلى ابنته فبكى ، فقالت له : ما يُبكيك ؟ قال : أَخشى عليكِ الضيعةَ بعدي ؛ فقالت له : لا تخف فما من غنائك شيء إلاّ وقد أَخذتُه ؛ قال : فغنّيني فغنّته ، فقال : قد طابت نفسي ، ثم دعا بالهذليّ فزوّجها منه ؛ فأَخذ الهذليّ غناء أَبيها كلّه عنها فانتحل أَكثَره ؛ فعامّة غناء الهذليّ لابن سُرَيج ممّا أَخذه عن ابنته وهي زوجتُه .

[حدره الحارث بن خالد من منى]

أُخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني محمّد بن يحيى أَبو غَسَّان قال : كان الهذليّ منزلُه بمِنىً ، وكان فِتيان قريش يأتونه فيُغنّيهم هناك ، ثم أَقبل مرّة حتى جلس على جمرة العقبة فغنّى هناك ، فحدَره الحارثُ من مِنىً ، وكان عاملاً على مكّة ، ثم أُذِن له فرجع إلى منى[1] .

[غنّى لفتية من قريش]

قال هارون : وحدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال حدّثني أَبي قال : كان الهذليّ النقّاشُ يغدو إليه فتيان قريش وقد عَمِل عملَه بالليل ، ومعهم الطعامُ والشراب والدراهم . فيقولون له : غنّنا ؛ فيقول لهم : الوظيفةَ ، فيقولون : قد جئنا بها ؛ فيقول : الوظيفةَ الأُخرى ، أَنزلُوا أَحجاري ، فيُلقون ثيابهم ويأتزرون بأُزُرهم وينقلُون الحجارة ويُنزِلونها ، ثم يجلِس[2] على شُنْخُوبٍ[3] من شَناخيب الجبل فيجلسون تحته في السَّهْل فيشربون وهو يُغنّيهم حتّى المساء ، وكانوا كذلك مدّة ؛ فقال له يوماً ثلاثةُ فتيةٍ من قريش : قد جاءَك كلّ واحد منّا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أَن تُنقَص وظيفتُك عليهم ، وقد اختار كلّ واحد منّا صوتاً من غنائك ليجعلَه حظَّه اليومَ ، فإن وافقتِ الجماعةُ هوانَا كان ذلك مشتركاً بيننا ، وإن أَبَوْا غنّيتَ لهم ما أَرادوا وجعلتَ هذه الثلاثةَ الأَصواتِ لنا بقيةَ يومنا ؛ قال : هاتوا فاختار أَحدُهم : [من الطويل]

عَفَتْ عَرَفاتٌ فالمصايفُ من هندِ

واختار الآخرُ : [من الطويل]

أَلمَّ بنا طيفُ الخيال المهجِّدُ[4]

واختار الآخر : [من المنسرح]

هجَرَتْ سُعدى فزادني كَلَفا

1 ل : مكّة .

2 ل : ينزلون .

3 الشنخوب : رأس الجبل .

4 المهجّد : الموقظ .

فغنّاهم إيّاها ، فما سمِع السامعون شيئاً كان أَحسنَ من ذلك ؛ فلمّا أَرادوا الانصراف قال لهم : إنّي قد صنعت صوتاً البارحة ما سمعه أَحد ، فهل لكم فيه ؟ قالوا : هاتِه مُنْعِماً بذلك ؛ فاندفع فغنّاهم : [من الطويل]

أَإِنْ هتَفتْ وَرْقاءُ ظَلْتَ سفاهةً ... تُبكِّي على جُمْلٍ لِوَرْقاءَ تَهْتِفُ

فقالوا : أَحسنتَ والله ، لا جرمَ لا يكون صَبُوحُنا في غدٍ إلاّ عليه ، فعادوا وغنّاهم إيّاه وأَعطَوْه وظيفتَه ؛ ولم يزالوا يستعيدونه إيّاه باقيَ يومهم .

نسبة ما في هذا الخبر من الأَصوات

من ذلك[1] : [من الطويل]

صوت

عَفَتْ عَرَفاتٌ فالَمصايف من هندِ ... فَأَوْحشَ ما بين الجَرِيبين فالنَّهْدِ[2]

وغَيَّرها طولُ التقادُمِ والبِلى ... فليستْ كما كانتْ تكونُ على العَهْدِ

الشعر للأَحْوص ، وقيل : إنّه لعمر . والغناء للهذليّ ، ولحنه من القدر الأَوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر .

ومنها : [من الطويل]

صوت

من المائة المختارة

أَلَمّ بنا طَيْفُ الخيال المهجِّدُ ... وقد كادت الجوزاءُ في الجوِّ تَصْعَدُ

أَلَمّ يُحيّينا ومِن دون أَهلها ... فَيافٍ تَغُورُ الريحُ فيها وتُنجِدُ

عروضه من الطويل . لم يقع لنا اسم شاعره ونسبه . والغناء للهُذَليّ ثقيل أَوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وهو اللحن المختار ، وفيه ليحيى المَكّيّ هَزَجٌ . ولحنُ الهذليّ هذا ممّا اختير للرشيد والواثقِ بعده من المائة الصوت المذكورة .

ومنها : [من المنسرح]

---

1 البيتان في ديوان الأحوص : 75 وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة (صادر) : 116 .

2 الجريبان والنهد : أسماء مواضع .

صوت

هجرتُ سُعْدى فزادني كَلَفَا هِجرانُ سُعْدى وأَزمعتْ خُلُفَا
وقَـدْ على حُبّهـا حلفتُ لهـا لـو أَنَّ سُعْدَى تُصدِّق الحِلَفا
مـا عَلِقَ القلبُ غيرَهـا بَشَراً ولا سواهـا مِـن مَعْلَقٍ عَرَفا
فلَم تُجبنـي وأَعرضتْ صَلَفاً وغادرتْنـي بحبّهـا كَلِفـا

الغناء للهذليّ ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى .

[ابن مزامير داود]

أَخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعي قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : زوّج ابنُ سريج لما حضرتْه الوفاةُ الهذليّ الأَكبر بابنته ، فأَخذ عنها أَكثرَ غناء أَبيها ، وادّعاه فغلَب عليه . قال : وولدتْ منه ابناً ؛ فلمّا أَيْفع جاز يوماً بأَشعبَ وهو جالس في فِتْيةٍ من قريش ، فوثَب فحمله على كتفه وجعل يرقِّصه ويقول : هذا ابن دفَّتي المصحف وهذا ابنُ مزامير داود ؛ فقيل له : ويلك ؛ ما تقول ومَن هذا الصبيّ ؟ فقال : أَوَ ما تعرفونه ! هذا ابن الهذليّ من ابنة ابن سُريج ، وُلِد على عُود ، واستهلّ[1] بغناء ، وحُنّك بملوي[2] ، وقُطعت سرّته بوتر ، وخُتِن بمِضْراب .

[إسحاق الموصلي يأخذ بغنائه مطرفاً من إبراهيم بن المهدي]

وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أَبيه عن عبد الله بن عيسى الماهانيّ قال : دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة ، فرأَيت عليه مُطْرَفَ خَزّ أَسود ما رأَيت قطّ أَحسن منه ؛ فتحدّثنا إلى أَن أَخذْنا في أَمر المِطرف ، فقال : لقد كان لكم أَيَّامٌ حسنة ودولة عجيبة ؛ فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : ما رأَيتُ مثلَه ؛ فقال : إنّ قيمته مائة أَلف درهم ، وله حديث عجيب ؛ فقلت : ما أَقوّمه إلاّ بنحو مائة دينار ؛ فقال إسحاق : شَرِبنا يوماً من الأَيّام فبِتُّ وأَنا مُثْخَن[3] ، فانتبهت لرسول محمّد الأَمين ، فدخل عليّ فقال : يقول لك أَمير المؤمنين : عجِّل ؛ وكان بخيلاً على الطعام ، فكنتُ آكل قبل أَن أَذهب إليه ؛ فقمت فتسوّكت وأَصلحت شأني ، وأَعجلني الرسولُ عن الغداء فقمت معه فدخلت عليه ، وإبراهيم بن المهديّ قاعد عن يمينه وعليه هذا المِطرف وجُبَّة خَزٍّ دَكْناء ؛ فقال لي محمّد :

---

1 استهلّ : رفع صوته بالبكاء عند الولادة .
2 حنّك : دلك حنكاه . والملوي : من أجزاء العود .
3 مثخن : أوهنه السكر ، كما تقول أثخنته الجراح .

يا إسحاق ، أتغدّيت ؟ قلت : نعم يا سيِّدي ؛ قال : إنّك لنَهِم ، أهذا وقتُ غداء ! فقلت : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبي خُمار فكان ذلك ممّا حداني على الأكل ؛ فقال له : كَم شربنا ؟ فقالوا : ثلاثةَ أرطال ، فقال : اسقُوه إيّاها ؛ فقلت : إن رأيتَ أن تُفرّق عليّ ! فقال : يُسقَى رِطلين ورِطلاً ؛ فدُفِع إليّ رِطلان فجعلت أشربهما وأنا أتوهّم أنّ نفسي تسيل معهما ، ثم دُفِع إليَّ رِطل آخر فشربته ، فكأنَّ شيئاً انجلى عنّي ؛ فقال غنِّني : [من الطويل]

كُليبٌ لعمْرِي كان أكثرَ ناصراً

فغنّيته ، فقال : أحسنتَ وطرِب ، ثم قام فدخل ، وكان كثيراً ما يدخل إلى النساء ويَدَعُنا ، فقمت في إثْر قيامه ، فدعوت غلاماً لي ، فقلت : اذهب إلى بيتي وجئني ببِزْماوَرْدَتَيْن[1] ولُفَّهما في مِنديل واذهب رَكْضاً وعجِّل ، فمضى الغلام وجاءني بهما ، فلمّا وافى البابَ ونزل عن دابّته انقطع فنفَق[2] من شدّة ما ركض عليه ، وأدخل إليَّ البِزْماوَرْدَتَيْن ، فأكلتُهما ورجَعتْ نفسي إليَّ وعدتُ إلى مجلسي ؛ فقال لي إبراهيم : لي إليك حاجة أُحِبّ أن تقضيَها لي ؛ فقلت : إنّما أنا عبدك وابن عبدك[3] ، فقل ما شئت ؛ قال : تُردّد عليّ : «كليب لعمري» وهذا المِطْرَف لك ؛ فقلت : أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا ، ولكنّني أصير إلى منزلك فألقيه على الجواري وأردّده عليك مِراراً ؛ فقال : أُحبّ أن تردّده عليّ الساعةَ وأن تأخذَ هذا فإنّه من لُبسك وهو من حاله كذا وكذا ؛ فردّدت عليه الصوت مراراً حتّى أخذه ، ثم سمعنا حركة محمّد فقمنا حتّى جاء وجلس ، ثم قعدنا فشرب وتحدّثنا ؛ فغنّاه إبراهيم : «كليب لعمري» ، فكأنّي والله لم أسمعه قبلَ ذلك حُسْناً ؛ وطرِب محمّد طرَباً شديداً وقال : أحسنتَ والله يا غلام ، عَشْرَ بِدَر لعَمّي الساعةَ ! فجاؤوا بها ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لي فيها شريكاً ؛ قال : مَن هو ؟ قال : إسحاق ؛ قال : وكيف ؟ فقال : إنّما أخذتُه منه لمّا قمتَ ؛ فقلت أنا : ولِمَ أضاقت الأموالُ على أمير المؤمنين حتى تُريد أن تُشْرِك فيما يُعطي ؛ قال : أمّا أنا فأُشْرِكك وأمير المؤمنين أعلم ؛ فلمّا انصرفنا من المجلس أعطاني ثمانين ألفاً ، وأعطاني هذا المِطْرَف ، فهذا أُخِذ به مائةُ ألف درهم ، وهي قيمتُه .

---

1 البزماورد : طعام يصنع من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

2 نفق : مات والضمير يعود إلى الدابة .

3 ل : عبد من عبيدك .

صوت
من المائة المختارة

من رواية جَحْظَةَ عن أَصحابه[1] : [من مجزوء الخفيف]

عَلِّلِ القــومَ يشربُوا كــي يَلَـذُّوا ويَطْرَبُوا
إنّمـــا ضلَّــل الفــؤا دَ غـــزالٌ مُرَبَّـــبُ[2]
فرشْتُــه عــلى النَّمـــا رِقِ سُعْـدَى وزينبُ
حالَ دون الهوى ودو ن سُرى الليلِ مُصعَبُ[3]
وسِياطٌ عــلى أَكــفٍّ رجـــــالٍ تقلَّـــبُ

الشِّعر لعُبَيد الله بن قيس الرُّقيّات . والغناء في اللحن المختار لمالك بن أَبي السَّمْح ، ولحنه من الثقيل الأَوّل بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لإسحاقَ ثقيلٌ أَوّل مطلق في مجرى البنصر . ولابن سُرَيج في الرابع والخامس والأَوّل ثاني ثقيل في مجرى الوسطى . ولمعبد في الثاني وما بعده خفيفُ ثقيل أَوّل بالسبابة في مجرى الوسطى .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 177 .

2 مربّب في الديوان : مربرب .

3 هو مصعب بن عبد الرحمن بن عوف كما سيأتي في الترجمة ويروى : «منع اللهو والهوى وسرى الليل مصعب» .

[65] ـ ذكر عبيد الله بن قيس الرقيّات
ونسبه وأخباره[1]

[نسب عبيد الله بن قيس الرقيّات]

هو عُبَيد الله بن قيس بن شُرَيح بن مالك بن رَبيعة بن أُهَيب بن ضِباب بن حُجير بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لؤيّ بن غالب . وأمّه قتيلة بنت وَهْب بن عبد الله بن ربيعة بن طَرِيف بن عَدِيّ بن سَعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة بن كِنانة .

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمّد بن محمّد بن أبي قُلامة[2] العُمَريّ قال حدّثني محمّد بن طَلْحة ، قال الزبير وحدّثنيه أيضاً محمّد بن الحسن المخزوميّ ، قالا جميعاً : كان يُقال لبني مَعِيص بن عامر بن لؤيّ وبني مُحارِب بن فِهْر : الأَجْرَبان من أهل تِهامة ، وكانا متحالفين ، وإنّما قيل لهما الأجربان من شدّة بأسِهما وعَرِّهما[3] مَن ناوأهما كما يُعرّ الجرب .

[سبب لقبه بالرقيات]

وإنّما لُقّب عبيدُ الله بنُ قيسِ الرُّقَيّاتِ لأنّه شَبّب بثلاث نسوة سُمِّين جميعاً رُقَيَّةَ ، منهنّ رقيّة بنت عبد الواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن أُهْبان بن ضِباب بن حُجَير بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ ، وابنة عمّ لها يقال لها رُقَيّة ، وامرأة من بني أُميّة يُقال لها رقيّة . وكان هواه في رقيّة بنت عبد الواحد ؛ وكان عبد الواحد ، فيما أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير ، ينزل الرَّقّة . وإيّاه عَنى ابنُ قيس بقوله : [من الكامل]

ما خيرُ عيش بالجزيرة بعد ما ... عثَر الزمانُ ومات عبدُ الواحِدِ

وله في الرقيّات عدّة أشعار يُغنّى فيها تُذكر بعقب هذا الخبر . والأبيات الثانية التي فيها اللحن المختار يقولها في مُصْعَب بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهْريّ ، وكان صاحبَ شُرْطة مروانَ بنِ الحَكَم بالمدينة .

---

1 ترجمة عبيد الله بن قيس الرقيات في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 450–452 وشرح شواهد المغني : 47 والموشّح : 187 والخزانة 7 : 281–289 وطبقات ابن سلام : 648–655 والسمط : 294 وحقّق ديوانه الدكتور محمد يوسف نجم (بيروت) وعلى هذه الطبعة نعتمد .

2 ل : قُدامة .

3 عرّه بمكروه : أصابه به .

[مصعب بن عبد الرحمن على شرطة المدينة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال[1] : لمّا وَلِي مروانُ بن الحكم المدينة وَلَّى مصعبَ بنَ عبد الرحمن بن عوف شُرْطتَه ؛ فقال : إنّي لا أضبط المدينةَ بحَرَس المدينة ، فابْغِني رجالاً من غيرها ، فأعانه[2] بمائتي رجل من أهل أَيْلَةَ[3] ، فضبطها ضبطاً شديداً . فدخل المِسْوَرُ بنُ مَخْرمةَ على مروانَ فقال : أما ترى ما يشكوه الناسُ من مصعَب ! فقال : [من الرجز]

ليس بهـذا مـن سِياقٍ عَتْبُ يمشي القَطُوفُ وينامُ الركبُ[4]

وقال غيرُ مصعَب في هذا الخبر وليس من رواية الحِرْميّ : إنّه بقي إلى أن وَلِي عمرُو بن سعيد المدينةَ وخرج الحسينُ رضي الله تعالى عنه وعبد الله بن الزبير ؛ فقال له عمرو : اهـدِمْ دورَ بني هاشم وآلِ الزبير ؛ فقـال : لا أفعل ؛ فقال : انتفَخَ سَحْرُك[5] يا ابنَ أمّ حُرَيْثٍ ! أَلْقِ سيفَنا ! فألقاه ولحِق بابن الزبير . وولّى عمرُو بن سعيد شُرْطتَه عمرَو بن الزبير بن العوّام وأمره بهدم دُور بني هاشم وآل الزبير ، ففعل وبلغ منهم كلَّ مبلغ ، وهدَم دار ابن مُطِيع التي يُقال لها العَنْقاءُ ، وضرَب محمّد بن المنذر بن الزبير مائةَ سوط ؛ ثم دعا بعُروة بنِ الزبير ليضربَه ؛ فقال له محمّد : أتضرِب عُروة ؟ فقال : نعم يا سَبَلان إلاّ أن تحتمِل ذلك عنه ؛ فقال : أنا أحتمِله ، فضربه مائةَ سوط أخرى ، ولحِق عُرْوةُ بأخيه . وضرب عمـرٌو الناسَ ضرباً شديداً ، فهَربوا منه إلى ابن الزبير ، وكان المِسْور بنُ مَخْرَمة أحدَ مَن هرَب منه ؛ ولمّا أفْضى الأمرُ إلى ابن الزُبَير أقاد منه وضرَبه بالسوط[6] ضرباً مُبرِّحاً فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين ، وقال للناس ، فيما ذُكر عنه ، إنّ عمراً مات مرتدّاً عن الإسلام .

[شاعر قريش]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُبَيْر قال : سألتُ عمّي مُصعباً ومحمّد بن الضحّاك ومحمّد بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام ، فكلّهم قالوا : ابنُ قيس الرقيّات ؛ وحُكِي ذلك عن عديّ وعن الضحّاك بن عثمان ؛ وحكاه محمّد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليَرْبوعيّ . قال

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 79 .
2 ل : فدعا له .
3 أيلة : هي اليوم مدينة العقبة .
4 السياق : السوق . القطوف من الدواب : البطيء .
5 انتفخ سحره : تجاوز قدره . والسحر : الرئة .
6 ل : مائة سوط .

الزبير : وحدّثني بمثله غَمامةُ بن عمرو السَّهْميّ عن مِسْوَر بن عبد الملك اليَرْبوعيّ .

[ثناء طلحة الزهريّ على شعره]

أُخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ والحِرْميّ بن أَبي العلاء وغيرهما قالوا حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ عن عمِّه محمّد بن عبد العزيز : أنّ ابن قيس الرقيّات أَتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ فقال له : يا عمِّي ، إنّي قد قلتُ شعراً فاسمعه فإنّك ناصحٌ لقومك ، فإن كان جيِّداً قلتُ ، وإن كان رديئاً كففتُ ؛ فقال له : أَنشِد ، فأَنشده قصيدته التي يقول فيها : [من مجزوء الخفيف]

منَع اللهــوَ والهــوى وسُرى الليلِ مُصْعَبُ
وسِيــاطٌ عــلى أكــ ــفٍّ رجــالٍ تقلَّبُ

فقال : قل يا ابنَ أَخي فإنّك شاعر .

[خرج مع مصعب على عبد الملك ثم شفع له ابن جعفر]

وكان عُبيد الله بن قيس الرقيّات زُبيريَّ الهوى ، وخرج مع مُصعَب بن الزبير على عبد الملك ؛ فلمّا قُتِل مصعب وقُتِل عبدُ الله هرَب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أَبي طالب ، فسأَل[1] عبدَ الملك في أَمره فأمّنه .

وأَخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ والحِرْميّ بن أَبي العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزُّبيريّ قال حدّثني عبد الله بن البصير البربريّ[2] مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أَبيه قال : قال عبيدُ الله بن قيس الرقيّات : خرجتُ مع مصعب بن الزبير حين بلغه شُخوصُ عبد الملك بن مروان إليه ، فلمّا نزل مصعب بن الزبير بمَسكِنٍ[3] ، ورأَى معالمَ الغَدْر ممّن معه ، دعاني ودعا بمالٍ ومناطقَ ، فملأَ المناطقَ من ذلك المال وأَلبسني منها ، وقال لي : انطلِق حيثُ شئت فإنّي مقتولٌ ؛ فقلت له : لا والله لا أَرِيمُ حتّى أَرى سبيلَك ؛ فأَقمتُ معه حتى قُتل ؛ ثم مضيتُ إلى الكوفة ، فأَوّلُ بيتٍ صِرتُ إليه دخلته ، فإذا فيه امرأَةٌ لها ابنتانِ كأَنّهما ظَبيتانِ ، فَرِقيتُ في درجةٍ لها إلى مَشربة فقعدتُ فيها ، فأَمرتْ لي المرأَةُ بما أَحتاجُ إليه من الطعام والشراب والفَرْش والماءِ للوُضوء ، فأَقمتُ كذلك عندها أَكثرَ من حولٍ ، تقيم لي ما يُصلحني وتغدو عليّ في كلّ صباح فتسأَلني بالصباح والحاجة[4] ، ولا تسأَلني مَنْ أَنا ولا أَسأَلُها مَن هي ، وأَنا في

---

1 ل : فكلم .
2 ل : النضر اليزيدي .
3 مسكن : موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير .
4 أي كيف أصبحت وما حاجتك ؟

ذلك أَسمَع الصِّياحَ فيّ والجُعْلَ ؛ فلمّا طال بي المُقام وفقدتُ الصياح فيّ وغَرِضتُ[1] بمكاني غدتْ عليّ تسألني بالصباح والحاجة ، فعرّفتها أنّي قد غَرِضت وأحببت الشُّخوصَ إلى أهلي ؛ فقالت لي : نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى ؛ فلمّا أمسيتُ وضرَب الليل بأرواقِه رَقِيتْ إليّ وقالت : إذا شئتَ ! فنزلتُ وقد أَعدّتْ راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ومعهما عبد ، وأعطتِ العبدَ نفقةَ الطريق ، وقالت : العبدُ والراحلتان لك ؛ فركِبتُ وركب العبدُ معي حتى طَرَقتُ أهلَ مكّة ، فدقَقتُ منزلي ؛ فقالوا لي : مَن هذا ؟ فقلت : عُبيد الله بن قيس الرقيّات ؛ فَوَلْوَلوا وبَكَوْا ، وقالوا : ما فارقَنا طلبُك إلاّ في هذا الوقت ؛ فأقمتُ عندهم حتّى أَسْحَرتُ ، ثم نهضتُ ومعي العبدُ حتى قَدِمتُ المدينةَ ، فجئتُ عبدَ الله بن جعفر بن أبي طالب عند المساء وهو يُعشّي أصحابَه ، فجلستُ معهم وجعلتُ أتعاجَمُ وأقول : يار[2] يار ابن طيّار ؛ فلمّا خرج أصحابُهُ كشفتُ له عن وجهي ، فقال : ابنُ قيس ؟ فقلت : ابنُ قيس ، جئتك عائذاً بك ؛ قال : وَيْحَك ؛ ما أجدَّهم في طلبك وأحرصَهم على الظَّفَر بك ! ولكنّي سأكتب إلى أمّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان ، فهي زوجةُ الوليد بنِ عبد الملك ، وعبدُ الملك أرقُّ شيءٍ عليها . فكتب إليها يَسألُها أن تشفع له إلى عمّها ، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتاباً يسألها الشفاعةَ ؛ فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها : هل من حاجة ؟ فقالت : نعم لي حاجةٌ ؛ فقال : قد قضيتُ كلَّ حاجةٍ لك إلاّ ابنَ قيس الرقيّات ؛ فقالت : لا تَسْتَثْنِ عليّ شيئاً ! فنفَح بيده فأصاب خدّها[3] ، فوضعتْ يدَها على خدّها ؛ فقال لها : يابنتي ارفعي يدَكِ ، فقد قضيتُ كلّ حاجة لكِ وإن كانت ابنَ قيس الرقيّات ؛ فقالت : إنّ حاجتي ابنُ قيس الرقيات تُؤمّنه ، فقد كتب إليّ أبي يسألني أن أسألك ذلك ؛ قال : فهو آمِن ، فمُرِيهِ يحضُر مجلسي العَشِيّة ؛ فحضر ابنُ قيس وحضر الناسُ حين بلغهم مجلسُ عبد الملك ، فأخّر الإذنَ ، ثم أَذِن للناس ، وأخّر إذنَ ابن قيس الرقيّات حتى أخذوا مجالسهم ، ثم أَذِن له ؛ فلمّا دخل عليه قال عبد الملك : يا أهلَ الشام ، أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا ؛ فقال : هذا عُبَيدُ الله بنُ قيس الرقيّات الذي يقول[4] : [من الخفيف]

كيف نومي على الفِراش ولمّا   تَشْمَلِ الشأمَ غارةٌ شَعْواءُ

1 غرض : ضجر .
2 يار : كلمة فارسية معناها الصاحب والمعين .
3 ل : وجهها .
4 ديوان ابن قيس الرقيات : 95– 96 .

تُذهِل الشيخَ عن بَنيه وتُبدي عــن خِـدام العقيلةُ العذراءِ[1]

[مدح عبد الملك فلم يرض مدحه]

فقالوا : يا أُمير المؤمنين اسقِنا دَمَ هذا المنافق ؛ قال : الآن وقد أَمّنتُه وصار في منزلي وعلى بِساطي ! قد أَخّرتُ الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه ابنُ قيس الرقيّات أَن يُنشده مديحَه فأَذِن له ، فأَنشده قصيدتَه التي يقول فيها[2] : [من المنسرح]

عـاد لـه مـن كَثِيرةَ الطربُ فعينُــه بالدّمــوع تنسكِبُ
كُوفيَّــةٌ نــازحٌ مَحَلَّتُهــا لا أَمَمٌ دارُهــا ولا صَقَبُ
والله مــا إن صَبَتْ إليّ ولا إن كان بيني وبينهـا سببُ[3]
إلاّ الذي أَورثتْ كثيرةُ في الـ ـقلب وللحـبّ سَوْرةٌ عجبُ

حتى قال فيها :

إنّ الأَغرَّ الذي أَبـوه أَبو الــ ـعاصي عليه الوقارُ والحُجُبُ[4]
يعتـدِل التّاجُ فـوق مَفْرِقِـه عـلى جَبـينٍ كأَنّــه الذهبُ

فقـال لـه عبد الملك : يـا ابن قيس تمدحنـي بالتّـاج كأَنّي مـن العجم وتقول في مُصعَب : [من الخفيف]

إنّما مُصعَبٌ شِهابٌ مـن الله تجلّت عــن وجهــه الظلماءُ
ملكُــه ملك عِــزّةٍ ليس فيــه جبـروتٌ منــه ولا كِبرياءُ

أَمّا الأَمان فقد سبَق لك ، ولكن والله لا تأخذُ مع المسلمين عطاء أَبداً ! .

قال : وقال ابن قيس الرقيّات لعبد الله بن جعفر : ما نفعني أَماني ، تُرِكت حيّاً كميتٍ لا آخذُ مع الناس عطاءً أَبداً ؛ فقال له عبد الله بن جعفر : كم بلغت من السنّ ؟ قال : ستّين سنة ؛ قال : فعَمِّر نفسَك ؛ قال : عشرين سنة من ذي قَبَلٍ[5] ؛ فذلك ثمانون سنة ؛ قال : كم عطاؤك ؟ قال : أَلفا درهم ؛ فأَمر لـه بأَربعين أَلف درهم ، وقال : ذلك لك عليّ إلى أَن تموت على تعميرك نفسَك ؛ فعند ذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيّات يمدح عبد الله بن جعفر[6] : [من الطويل]

---

1 العذراء في ل : الحسناء ؛ الخدام : الخلخال . وفي الديوان : براها وهي أيضاً الخلاخيل واحدتها برة .

2 ديوان ابن قيس الرقيات : 1–6 .

3 الديوان : «يعلم بيني وبينها سببُ» .

4 الديوان : «إن الفنيق الذي . . .» .

5 يقال أفعل ذلك من ذي قبل أي في المستقبل .

6 ديوان ابن قيس الرّقيات : 82–83 مع بعض اختلاف في الترتيب .

تَقَدّتْ بِيَ الشَّهْباءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها
تزُور امرأً قد يعلمُ الله أنّه تَجُودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها
أَتيناكَ نُثْنِي بالذي أَنْتَ أهلُه عليك كما يُثْني على الروض جارُها
فوالله لولا أَن تزورَ ابنَ جعفر لكان قليلاً في دِمَشقَ قَرارُها
إذا مُتَّ لم يُوصَلْ صديقٌ ولَم تُقَمْ طريقٌ من المعروف أَنتَ مَنارُها
ذكرتُكَ أَن فاض الفراتُ بأَرضنا وفاض بأَعلى الرَّقَّتَيْن بِحارُها
وعنديَ ممّا خوَّل اللهُ هَجْمَةٌ عَطاؤُكَ منها شَوْلُها وعِشارُها
مباركةٌ كانت عطاءَ مُباركٍ تُمانِحُ كُبراها وتَنْمي صِغارُها

أُخبرنا الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الملك قال : قال عبد الملك بن مروان لعُبيد الله بن قيس الرقيّات : وَيْحَك يا ابنَ قيس : أَما اتّقيتَ اللهَ حين تقول لابن جعفر : [من الطويل]

تزورُ امرأً قد يعلم اللهُ أَنّه تَجودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها

أَلا قلتَ : قد يعلم الناسُ ولَم تقل : قد يعلم الله ؛ فقال ابن قيس : قد والله علمه اللهُ وعلمته أَنت وعلمتُه أَنا وعلمه الناسُ .

[رواية أُخرى في شفاعة ابن جعفر له]

أُخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حَمّاد بن إسحاق : قرأْتُ على أَبي أَنّ عُبيدَ الله بن قيس الرقيّات منعه عبدُ الملك بن مروانَ عطاءَه من بيت المال وطلبه ليقتلَه ، فاستجار بعبد الله بن جعفر ، وقصده فأَلفاه نائماً ، وكان صديقاً لسائب خاثر ، فطلب الإذنَ على ابن جعفر فتعذّر ، فجاء سائب خاثر ليستأذنَ له عليه ؛ قال سائبٌ : فجئت من قِبَلِ رِجْلِ عبدِ الله بن جعفر فنَبحتُ نُباحَ الجِرْوِ الصغير ، فانتبه ولم يَفتَح عينيه ، وركَلني برِجْله ، فدُرتُ إلى عند رأسه ، فنبَحتُ نُباح الكلب الهَرِم ، فانتبه وفتح عينيه فرآني ؛ فقال : ما لكَ ؟ ويحكَ ! فقلت : ابنُ قيس الرقيّات بالباب ؛ قال : آئذن له ، فأَذنتُ له ، فدخل إليه فرحّب ابنُ جعفر به وقرّبه ؛ فعرّفه ابن قيس خبرَه ، فدعا بظَبْيَةٍ[1] فيها دنانيرُ ، وقال : عُدَّ له منها ؛ فجعلتُ أَعُدُّ وأَترنَّمُ[2] وأُحَسِّنُ صوتي بجُهدي حتى عددتُ ثلثمائةِ دينار ، فسكتُّ ؛ فقال لي عبد الله : ما لكَ ويلكَ سكتّ ! ما هذا وقتُ قطع الصوت الحسنِ ، فجعلتُ أَعُدّ حتى نَفِدَ ما

1 ظبية : جراب .
2 ل : وأطَرب .

كان في الظّبية ، وفيها ثمانمائة دينار ، فدفعتُها إليه ؛ فلمّا قبضها قال لابن جعفر : اسأل أميرَ المؤمنين في أمري ؛ قال : نعم ، فإذا دخلتَ إليه معي ودعا بالطعام ، فكُلْ أكلاً فاحشاً . فركب ابنُ جعفر ، فدخل معه إلى عبد الملك ؛ فلمّا قُدّم الطعامُ جعل يُسيِيء الأكلَ ؛ فقال عبدُ الملك لابن جعفر : مَنْ هذا ؟ فقال : هذا إنسان لا يجوز إلاّ أن يكون صادقاً إن استُبقي ، وإن قُتل كان أكذبَ الناس ؛ قال : وكيف ذلك ! قال : لأنّه يقول : [من المنسرح]

ما نَقموا من بني أُميّةَ إلاّ ... أنّهم يَحلُمُون إن غَضِبُوا

فإن قتلتَه لغضبك عليه أكذبتَه فيما مدحكم به ؛ قال : فهو آمنٌ ، ولكن لا أعطِيه عطاءً من بيت المال ؛ قال : ولِمَ وقد وهبته لي ؟ فأُحِبّ أن تَهَب لي عطاءه أيضاً كما وهبتَ لي دَمَه وعفوتَ لي عن ذنبه ؛ قال : قد فعلتُ ، قال : وتُعطِيه ما فاته من العطاء ؛ قال : قد فعلتُ ، وأمرتُ له بذلك .

[عطاء عبد الله بن جعفر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال : كان ابن قيس الرقيّات منقطعاً إلى ابن جعفر ، وكان يَصِلُه ويَقضِي عنه دَينَه ، ثم استأمن له عبدَ الملك فأمّنه ، وحرَمه عطاءه ؛ فأمره عبدُ الله أن يُقدِّرَ لنفسه ما يَكفيهِ أيّامَ حياته ففعل ذلك ، فأعطاه عبدُ الله ما سأل وعوّضه من عطائه أكثرَ منه ؛ ثم جاءت عبدَ الله صِلةٌ من عبد الملك وابنُ قيسٍ غائبٌ ، فأمر عبدُ الله خازنَه فخبأ له صِلتَه ، فلمّا قدِم دفعَها إليه ؛ وأعطاه جاريةً حسناءَ ؛ فقال ابنُ قيس[1] : [من الطويل]

إذا زرتُ عبدَ الله نفسي فداؤه ... رجعتُ بفضلٍ من نَداهُ ونائِلِ

وإن غِبتُ عنه كان للوُدّ حافظاً ... ولم يَكُ عنّي في المَغيبِ بغافِلِ

تداركَني عبدُ الإله وقد بَدَتْ ... لذي الحِقدِ والشَّنآنَ منّي مَقاتِلِي

فأنقذني من غَمرة الموت بعد ما ... رأيتُ حِياضَ الموت جَمَّ المَناهِلِ

حَباني لمّا جئتُه بعطيّةٍ ... وجاريةٍ حسناءَ ذاتِ خَلاخِلِ

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

منها : [من المنسرح]

صوت

عادَ لَه من كَثِيرةَ الطَّربُ ... فعينُه بالدّموعِ تنسكبُ

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 189 .

كُوفيّةٌ نازحٌ مَحَلّتُها لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ
والله ما إن صَبَتْ إليَّ ولا يُعرَفُ بيني وبينها سَبَبُ[1]
إلاّ الذي أورثَتْ كثيرةُ في الـ ـقلب وللحبّ سَوْرةٌ عَجَبُ

عروضه من المنسرح ، غنّاه معبدٌ ثقيلاً أوّلَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . قوله : «لا أَمَمٌ دارُها» يعني أنّها ليست بقريبة . ويُقال : ما كلَّفْتَني أَمَماً من الأَمر فأَفعلَه : أي قريباً من الإمكان ؛ ويُقال : إنّ فلاناً لأَمَمٌ من أن يكون فعل كذا وكذا . قال الشاعر : [من المنسرح]

طَرَقَتْه أَسماءُ أم حَلَما بل لَم تكن من رِحالنا أَمَما

أي قريبةً . وقال الراجز : [من الرجز]

كلّفها عمرٌو نِقال الضِّبْعان ما كُلِّفَتْ من أَمَمٍ ولا دانْ[2]

وقال آخر : [من الرجز]

إنّكَ إن سأَلتَ شيئاً أَمَما جاء به الكَرِيّ أو تَجشَّما[3]

والصَّقَبُ : الملاصقة . تقول : والله ما صاقبتُ فلاناً ولا صاقبني ، ودارُ فلانٍ مصاقبةٌ لدار فلان ؛ وفي الحديث : «الجارُ أَحقُّ بصَقَبِه» أي بما لاصقه ، أي إنّه أَحقُّ بشفعته . والسَّورَةُ : شِدّة الأَمر ، ومنه يُقال : ساور فلان فلاناً ، وتَساوَرَ الرجلان إذا تَغالبا وتَشادّا ؛ وقيل إنّ السَّوْرة : البقيَّةُ أيضاً .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

ما نَقَمُوا من بني أُميَّة إلاّ أنّهم يَحلُمُونَ إن غَضِبوا
وأنّهمُ سادةُ الملوك فما تَصلُح إلاّ عليهمُ العرَبُ

غنّت في هذين البيتين حَبابةُ ، وهما من القصيدة التي أوّلُها : [من المنسرح]

عاد لـه من كَثِيرةَ الطّربُ

قال الأَصمعيّ : كَثِيرةُ هذه امرأة نزل بها بالكوفة فآوتْه . قال ابنُ قيس : فأَقمتُ عندها سنةً تَرُوحُ وتَغْدُو عليّ بما أَحتاج إليه ، ولا تسأَلني عن حالي ولا نسَبي ؛ فبينا أنا بعد سنةٍ مُشْرِفٌ من

1 مرّ هذا البيت برواية أُخرى .
2 الضبعان : ذكر الضبع .
3 الكري : الذي يكري الدواب .

جَناح[1] إلى الطريق ، إذا أنا بمُنادِي عبدِ الملك يُنادي ببراءة الذمّة ممّن أُصِبتُ عنده ؛ فأعلمتُ المرأةَ أنّي راحلٌ ؛ فقالت : لا يَرُوعَنَّك ما سَمِعتَ ، فإنّ هذا نداءٌ شائعٌ منذُ نزلتَ بنا ، فإن أردتَ المُقام ففي الرُّحْب والسَّعَة ، وإن أردتَ الانصرافَ أعلمتَني ؛ فقلتُ لها : لا بدَّ لي من الانصراف ؛ فلمّا كان الليلُ ، قَدَّمتْ إليَّ راحلةً عليها جميعُ ما أحتاجُ إليه في سفري ؛ فقلتُ لها : مَن أنتِ جُعِلْتُ فِداءَكِ لأُكافِئَكِ ؟ قالت : ما فعلتُ هذا لتُكافِئَني ؛ فانصرفتُ ولا والله ما عرفتُها إلاّ أنّي سمعتُها تُدعى باسمها «كَثِيرة» ، فذكرتُها في شِعري .

[فتك عبد الله بن علي ببني أُميّة]

وذكر الزبيرُ بن بكّار عن عمِّه مصعب أنّ عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس صاحِبَ بني أُميَّة بنهر أَبي فُطْرُس ، إنّما بعثه على قتلهم أنّه أنشده بعضُ الشعراء ذاتَ يوم مديحاً مدَح به بني هاشم ؛ فقال لبعضهم : أين هذا ممّا كنتم تُمدَحُون به ؛ فقال : هيهات أن يُمدَح أحدٌ بمثل قول ابن قيس فينا : [من المنسرح]

ما نقَمُوا من بني أُميّــة إلاّ … أنّـهم يَحلُمُونَ إن غَضِبُوا

البيتين ؛ فقال له عبدُ الله بن عليّ : ألا أرى المطمعَ في المُلك في نفسك بعدُ يا ماصَّ كذا من أمه ! ثم أوْقع بهم .

[غنّت قينة الرشيد بشعره فحرّفته]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهَير قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي عن جدّي عبد الله بن مُصعَب قال : اعترض هارونُ الرشيد قَيْنةً فغنَّتْ : [من المنسرح]

ما نَقَمُـوا مـن بنـي أُميّة إلاّ … أنّـهم يحلُمون إن غَضِبُوا

فلمّا ابتدأتْ به تغيَّر وجهُ الرشيد ، وعلِمتْ أنّها قد غَلِطتْ وأنّها إن مرَّت فيه قُتِلتْ ، فغنَّت : [من المنسرح]

ما نَقَمُوا من بني أُميّة إلاّ … أنّـهم يَجهَلُون إن غَضِبوا
وأنّـهم مَعدِنُ النّفـاق فما … تَفسُدُ إلاّ عليهـم العـربُ

فقال الرشيد ليحيى بن خالد : أسمعتَ يا أبا عليّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تُبتاعُ وتُسْنَى لها الجائزةُ ويُعجَّلُ لها الإذنُ لِيَسكُن قلبُها ؛ قال : ذلك جزاؤها ، قُومي فأنتِ منّي بحيث تُحِبّين . قال : فأُغْمِيَ على الجارية . فقال يحيى بن خالد : [من الطويل]

---

1 جناح : كوّة .

جُزِيتَ أميرَ المؤمنين بأَمْنها ... مِن الله جناتٍ تفوز بِعَدْنها

ومنها : [من الطويل]

صوت

تَقَدَّتْ بيَ الشَّهْباءُ نحوَ ابن جعفرٍ ... سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

تَزُور آمرءاً قد يَعلمُ اللهُ أَنّه ... تَجودُ له كَفٌّ بطيءٌ غِرارُها

ووالله لولا أَن تزورَ ابنَ جعفرٍ ... لكان قليلاً في دِمَشقَ قرارُها

عَروضُه من الطويل . غنّاه مَعْبدٌ ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر . قوله : «تَقدَّتْ» أَي سارت سيراً ليس بِعَجِلٍ ولا مُبطِيء ، فيُقال : تَقدَّى فلانٌ إذا سار سيرَ مَنْ لا يخاف فوتَ مَقْصِده فلَم يَعْجَل . وقوله : «بطيء غِرارُها» يعني أَن منعَها المعروفَ بطيءٌ . وأَصل الغِرار : أَن تمنعَ الناقةُ دِرّتَها ، ثم يُستعار في كلّ ما أَشبه ذلك ؛ ومنه قول الراجز : [من الرجز]

إنّ لكلّ نَهَلاتٍ شِرَّهْ ... ثم غِراراً كغِرار الدِّرَّهْ

وقال جَميلٌ في مثل ذلك : [من الكامل]

لاحتْ لعينك من بُثينةَ نارُ ... فدموعُ عينكَ دِرَّةٌ وغرارُ

[ما عيب عليه في شعره]

قال الزّبيرُ : وهذا البيتُ ممّا عِيبَ على ابن قيسٍ ، لأَنّه نَقَضَ صدرَه بعَجزِه ، فقال في أَوّله : انّه سار سيراً بغير عَجَل ، ثم قال : [من الطويل]

سَواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

وهذا غايةُ الدَّأْب في السَّير ، فناقض معناه في بيت واحد .

وممّا عِيبَ على ابن قيس الرّقيّات قولُه وفي هذين البيتين غناء[1] : [من المنسرح]

صوت

تُرضِعُ شِبْلَيْنِ وَسْطَ غِيلِهما ... قد ناهزا للفِطام أَو فُطِما[2]

ما مرَّ يومٌ إلاّ وعندهما ... لحمُ رجالٍ أَو يَوْلَغانِ دَما[3]

غنّاه الغريضُ خفيفَ ثقيلٍ أَوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاقَ من رواية عمرو بن بانةَ وهي قصيدة مدح بها عبدَ العزيز بن مروانَ ، وفيها يقول : [من المنسرح]

---

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 151–155 .

2 الديوان : «يقوت شبلين عند مطرقة . . .» .

3 الديوان : «لم يأت يوم . . .» .

أَعْنى ابنَ ليلى عبدَ العزيز بِبا بِلْيُـونَ تَغـدُو جِفانُـه رُذُما[1]
الواهبَ النُّجْبَ والولائدَ كالـ ـغِزلانِ والخيلَ تَعْلُك اللُّجُما[2]

وكان قال في قصيدته هذه : «أَو يالغان دما» بالألف ، وكذلك رُوِي عنه ، ثم غيّرتْه الرواة .

[يونس يصفه بأنه غير فصيح ولا ثقة]

أَخبرني أَحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا أَحمد بن الحارث الخَرّاز قال : سمعتُ ابن الأَعرابيّ يقول : سئل يونس عن قول ابن قيس الرقيّات : [من المنسرح]

مـا مـرَّ يوم إلاّ وعندهمـا لحم رجال أَو يَوْلغان دمَا

فقال يونس : يجوز يولغانِ ولا يجوز يالغان ؛ فقيل له : فقد قال ذلك ابن قيس الرقيّات وهو حِجازيّ فصيح ؛ فقال : ليس بفصيح ولا ثقةٍ ، شَغَل نفسَه بالشرب بتكريتَ .

[انتقد ابن أبي عتيق شعراً له]

أَخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أَبي : أَوَ بلغك أَنّ ابن أَبي عتيق أُنشد قولَ ابن قيس : [من الطويل]

سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

فقال : كانت هذه يا ابنَ أُمّ فيما أَرى عَمْياءَ .

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني عمِّي مصعب عن جدّي عن هشام بن سليمان المخزوميّ قال : قال ابن أَبي عتيق لعُبَيد الله بن قيس وقد مرَّ به فسلَّم عليه فقال : وعليك السلام يا فارسَ العمياء ؛ فقال له : ما هذا الاسم الحادث يا أَبا محمد ! بأَبي أَنتَ ! قال : أَنت سَمَّيتَ نفسَك حيث تقول : [من الطويل]

سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

فما يستوي الليلُ والنهارُ إلاّ على عَمْياء ؛ قال : إنّما عنيتُ التعبَ ، قال : فبيتك هذا يحتاج إلى تَرْجُمان يترجم عنه .

ومنها : [من الطويل]

صوت

ذكرتُكَ أَنْ فاض الفراتُ بأَرضنا وفاضت بأَعـلى الرَّقَّتَيْنِ بِحارُها

1 رذم : ممتلئة .

2 الديوان : «مَنْ يهب البخت . . .» .

وحَوْلِيَ ممّا خوّل اللهُ هَجْمَةٌ عطاؤكَ منها شَوْلُها وعِشارُها
فجئناك نُثْني بالذي أنتَ أَهلُه عليك كما أَثنى على الروض جارُها
إذا مِتَّ لم يُوصَل صديقٌ ولم تُقَمْ طَريقٌ من المعروف أنت منارُها

الشولُ : النُّوق التي شالت بأذنابها وكرِهت الفحل ، وذلك حين تلقح ، واحدتها شائل ، غنّاه حَكَم الوادِي ثقيلاً أَوَّل بالوسطى .

[حكم الوادي ودنانير]

أَخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال قال لي أَبي : قال حكم الوادي : دخلت يوماً على يحيى بن خالد فقال لي : يا أَبا يحيى ، ما رأيُك في خمسمائة دينار قد حضرتْ ؟ قلت : ومَنْ لي بها ؟ قال : تلقي لحنك في : [من الطويل]

ذكرتُكَ أَن فاض الفراتُ بأَرضنا

على دنانَير فها هي ذِه ، وهذا سَلامٌ واقف معك ومُخرِجها إليك ، وأَنا راكب إلى أَمير المؤمنين ، ولست أَنصرف من مجلس المظالم إلى وقت الظهر ، فكُدَّها فيه ، فإذا أَحكمتْه فلك خمسُمائة ؛ فقالت دنانير : يا سيِّدي ، أَبو يحيى يأخذ خمسَمائة دينار وينصرف وأَنا أَبقى معك أُقاسِيكَ عُمري كلَّه ! فقال لها : إن حِفظتِيهِ فلكِ أَلف دينار ، وقام فمضى ؛ فقلت لها : يا سيِّدتي اشغَلي نفسكِ بذا ، فإنّك أَنتِ تهبين لي الخمسَمائة الدينار بحفظِك إيّاه وتفوزين بالألف الدينار ، وإلاّ بطَل هذا ، فلم أَزَلْ معها أَكُدُّها ونفسي وتُغَنّيني حتى انصرف يحيى ، فدعا بماء وطَسْتٍ ، ثم قال : يا أَبا يحيى ، غَنّ الصوتَ كما كنتَ تُغنّيه ، فقلتُ : هلكتُ ؛ يسمعُه منّي ، وليس هو بمن يَخْفى عليه ، ثم يَسمعُه منها فلا يرضاه ، فلَم أَجِدْ بُدّاً من الغناء ؛ ثم قال : غَنّيه أَنتِ الآن ؛ فغنّتْ ؛ فقال : والله ما أَرى إلاّ خيراً ؛ فقلتُ : جُعِلتُ فداءَك ؛ أَنا أَمضُغ هذا منذ أَكثرَ من خمسين سنةً كما أَمضُغ الخبز ، وهذه أَخذتْه الساعةَ وهو يَذِلُّ لها بعدي وتَجترىء عليه ويزدادُ حسناً في صوتها ؛ فقال : صدقتَ ، هاتِ يا سَلامُ خمسمائةِ دينار ولها أَلفَ دينار ، ففعل ؛ فقالت له : وحياتِكَ يا سيِّدي لأُشاطِرَنّ أُستاذي الألف الدينار ؛ قال : ذلك إليكِ ، ففعلَتْ ؛ فانصرفتُ وقد أَخذتُ بهذا الصوتِ أَلف دينار .

رجع الحديث إلى عُبيد الله بن قيس الرقيّات

[شعر ابن قيس الرقيّات في كثيرة]

قال الزبير بن بكّار حدَّثني عبد الله بن النَّضير عن أَبيه : أَنّ ابن قيس الرقيّات قال في

الكوفيّة التي نزل عليها[1] : [من مجزوء الكامل]

بانَــتْ لِتَحْزُنَنَـا كَثِيرَهْ ولقـد تكون لنا أميرَهْ
حَلَّتْ فَلالِيـجَ السَّوا د وحَلَّ أهلي بالجزيرهْ[2]

قال : ولقد رحَل من عندها وما يتعارفان .

قال : وقال فيها أيضاً ، وفيه لحنٌ من خفيف الثقيل لابن المكّيّ : [من المتقارب]

صوت[3]

لَجِجْتَ بحبِّكَ أهـلَ العِراق ولـولا كَثِيرةُ لم تَـلْجَـجِ
فليـتَ كثيـرةَ لم تَلْقَنـي كثيرةَ أُخـتَ بني الخَزْرَجِ

[سعيد بن المسيّب وابن قيس الرقيّات]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الله بن عاصم القَحْطانيّ قال حدّثني أبي عن عبد الرحيم بن حَرْمَلَةَ قال : كنتُ عند سعيد بن المسيّب ، فجاء ابنُ قيس الرقيّات ، فهَشَّ وقال : مَرْحباً بظُفُر من أظفار العَشِيرة ، ما أَحدَثْتَ بعدي ؟ قال : قد قلتُ أبياتاً وأَستَفتيكَ في بيت منها فاسمعها ؛ قال : هات ؛ فأنشده[4] : [من الكامل]

هـل للديار بأهلهـا عِلْمُ أم هـل تُبِينُ فينطقَ الرسمُ
قالت رُقيّـةُ فِيـمَ تَصرِمُنا أرُقَـيّ ليس لوجهكِ الصَّرْمُ[5]
تَخطُـو بخَلْخَالَينْ حَشْوُهما ساقـانِ مار عليهما اللحمُ
يا صاحِ هل أبكاكَ موقفُنا أم هـل علينا في البُكا إِثمُ

فقال سعيد : لا والله ما أبكاني ؛ قال ابنُ قيس الرقيّات : [من الكامل]

بـل مـا بكاؤك منزلاً خَلَقاً قَفْـراً يَلُـوح كأنّه الوَشْمُ

فقال سعيد : اعتذر الرجل . ثم أنشد[6] : [من الطويل]

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 43–44 .
2 فلاليج السواد : قرى سواد العراق .
3 ديوانه : 61 .
4 ديوانه : 55 .
5 الديوان «قالت سكينة . . . أسكين . . .» .
6 ديوان ابن قيس الرقيات : 69 .

أتلبَثُ في تَكْريتَ لا في عَشيرةٍ شهودٍ ولا السلطانُ منكَ قريبُ
وأَنتَ امرؤٌ للحزم عندك منزلٌ وللدِّين والإسلام منك نصيبُ

فقال سعيدٌ : لا مُقامَ على ذلك ، فاخرُجْ منها ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال قد أُصبتَ أَصاب اللهُ بكَ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الكامل]

قامَتْ بخَلْخالينِ حَشْوُهما ساقان مـارَ عليهما اللحمُ
يا صاحِ هل أَبكاك موقفُنا أَم هـل علينا في البكا إثمُ

غنّى فيهما ابنُ سُرَيج رملاً بالبنصر .

[ابن قيس الرقيّات وعمر بن أبي ربيعة]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن عبد الله البَكْريّ وهارونُ بن أَبي بكر عن عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ عن أَبيه عن سعيد بنْ مُسْلِم بن وَهْب مولى بني عامر بن لؤيّ عن أَبيه قال[1] : دخلتُ مسجدَ رسول الله ﷺ مع نَوْفَل بن مُساحِقٍ وإنّه لَمُعتَمِدٌ على يدي إذ مررنا بسعيد بن المسيِّب في مجلسه فسلّمنا عليه فردّ سلامَنا ؛ ثم قال لنوفل : يا أَبا سعيد مَنْ أَشعرُ ، أَصاحبُنا أَم صاحبُكم ؟ يعني : عبيدُ الله بن قيس الرقيّات أو عمرُ بن أبي ربيعة ؛ فقال نوفل : حين يقولان ماذا ؟ فقال : حين يقول صاحبنا : [من الطويل]

خليليَّ مـا بـالُ المَطِـيّ كأنّما نَراها على الأدبـارِ بالقومِ تنكُصُ
وقد أَبْعدَ الحادِي سُرَاهنّ وٱنتحَى بهنَّ فما يأْلُـو عَجُـولٌ مُقلِّصُ
وقـد قُطِّعَـتْ أَعناقُهُنّ صَبابةً فأنفُسنا ممّـا تُكلّـفُ شُخَّصُ
يَزِدْنَ بنـا قُرْبـاً فيزدادُ شوقُنا إذا زاد طولُ العهد والبعـدُ يَنقُصُ

ويقول صاحبُكم ما شئتَ ؛ قال : فقال له نوفلٌ : صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع اللهُ بك ، وصاحبُنا أكثرُ أفانينَ شعرٍ ؛ قال : صدقتَ ؛ فلما ٱنقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيدٌ يستغفرُ اللهَ ويَعْقِد بيده ويَعُدُّه بالخمس كلِّها حتى وفّى مائةٌ .

قال البكريّ في حديثه عن عبد الجبّار : فقال مُسْلِمُ بن وَهْب : فلما فارقناه قلتُ لنوفل : أَتُراه ٱستغفرَ الله من إنشادِه الشعرَ في مسجد رسول الله ﷺ ؟ قال : كلاّ ؛ هو كثيرُ الإنشاد

1 تقدّم هذا الخبر في الجزء الأوّل ، ص 91 .

والاستنشاد للشعر ، ولكنّي أحسبُه للفخر بصاحبه .

[وفوده على حمزة بن الزُّبير]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال : استأذن عُبيدُ الله بن قيسِ الرقيّات على حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ؛ فقالت لـه الجاريـةُ : ليس عليه إذنٌ الآنَ ؛ فقال : أمَا إنه لو علم بمكاني ما احتجب عنّي ! قال : فدخلتِ الجاريةُ على حمزةَ فأخبرتْه ، فقال : ينبغي أن يكونَ هذا ابنَ قيس الرقيّات ، إئذَني له ، فأذِنتْ له ؛ فقال : مَرْحباً بك يا ابنَ قيس ، هل من حاجةٍ نزَعتْ بك ؟ قال : نعم ، زوَّجتُ بنينَ لي ثلاثةً ببناتِ أخ لي ثلاثٍ ، وزوّجتُ ثلاثة من بني أخ لي بثلاثِ بناتٍ لي ؛ قال : فلبنيكَ الثلاثةِ أربعُمائةِ دينارٍ أربعُمائةِ دينارٍ ، ولبني أخيك الثلاثةِ أربعُمائةِ دينارٍ أربعُمائةِ دينارٍ ، ولبناتك الثلاثِ ثلثُمائةِ دينارٍ ثلثُمائةِ دينارٍ ، ولبنات أخيك الثلاثِ ثلثُمائةِ دينارٍ ثلثُمائةِ دينارٍ ، هل بقيَتْ لك من حاجة يا ابنَ قيس ؟ قال : لا والله إلاّ مؤونة السفر ؛ فأمر له بما يُصلِحُه لسفره حتى رِقاعِ أخْفافِ الإبل .

ذكر ما قاله ابن قيس الرقيات وغُنّي فيه

صوت

[من الكامل]

أَمسَتْ رُقيّـة دونهـا البِشْرُ فالرَّقّـةُ السَّوْداء فالغَمْرُ[1]

غنّاه يونس ثقيلاً أوّلَ بالوسطى ، وفيه لعَزّةَ المَيْلاء ثاني ثقيلٍ .

ومنها : [من الوافر]

صوت[2]

رُقَـيّ بعَيْشكم لا تَهْجُرينا ومَنّينا المُنـى ثـم امطُلينا
عِدِينا في غَدٍ مـا شئتِ إنّا نُحِبُّ وإن مَطَلْتِ الواعدِينا
أغرَّكِ أنّنـي لا صبرَ عندي على هَجْـرٍ وأنَّكِ تَصْبِرينا
ويومَ تَبِعتُكم وتركتُ أهلي حَنِينَ العَـوْدِ يَتَّبعُ القَرِينا[3]

1 السَّوداء في ل : البيضاء . والبشر : جبل . الرقّة السوداء : قرية ذات بساتين كثيرة ، والرقة البيضاء : مدينة على الفرات . الغمر : علم على مواضع متعدّدة والبيت في ديوان ابن قيس الرقيات : 182 .

2 ديوانه : 137 .

3 العود : الجمل المسنّ .

عَروضه من الوافر . غنّاه ابنُ مُحرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى . ومنها[1] :

صوت

[من مجزوء الوافر]

رُقيَّـةُ تَيَّمَـتْ قلبِـي فواكَبِـدِي مـن الحبِّ
نهـاني إخوتـي عنهـا وما بالقلـبِ من عَتْبِ[2]

غنّاه مالكٌ ثاني ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وقد ذكرتْ بَذْلُ أَنّ فيه لابن المكّي لحناً .

[فضّل ابنُ أبي عتيق شعره على شعر كثير]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سعيد بن عمرو بن الزبير قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله قال : أَنْشد كُثيِّرٌ ابنَ أبي عَتيق كلمَته التي يقول فيها : [من الطويل]

ولستُ بِراضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليـلٍ ولا أُرضى لـه بقليلِ

فقال له : هذا كلامُ مكافىءٍ ليس بعاشقٍ ، القُرشيان أَقنعُ وأَصدقُ منك : ابنُ أَبي ربيعة حيث يقول : [من الخفيف]

ليتَ حَظِّي كَلَحْظَةِ العَينِ منها وكثِيرٌ منهـا القليـلُ المُهَنّـا

وقولُه أَيضاً[3] : [من الخفيف]

فعِـدِي نائـلاً وإن لم تُنيلي إنّه يُقنِـعُ المحبَّ الرجـاءُ

وابنُ قيس الرقيّات حيث يقول : [من الوافر]

رُقَـيَّ بعيشكـم لا تَهجُرِينا ومَنِّينـا المُنَـى ثـم امطُلِينا
عِدِينا في غَـدٍ مـا شئتِ إنّا نُحِـبّ وإن مَطلتِ الواعِدينا
فإمّا تُنجِـزِي عِدَتِـي وإمّا نَعيشُ بما نُؤمّـل منك حِينا

قال : فذكرتُ ذلك لأَبي السائب المخزوميّ ومعه ابنُ المولى ، فقال : صدق ابن أَبي عتيق وفّقه الله ، أَلا قال المديون كثيّر كما قال هذا حيث يقول : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 169 .
2 الديوان : «وما للقلب من ذنب» .
3 ديوان عمر : 15 .

وأبكي فلا ليلى بَكَتْ من صبابةٍ لِباكٍ ولا ليلى لِذي الودّ تَبذُلُ
وأخنَعُ بالعُتْبى إذا كنتُ مذنباً وإن أذنبَتْ كنتُ الذي أتنصَّلُ

[يشبب برقيّة بنت عبد الواحد في الطواف]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال سمعت عبيدةَ بنَ أشْعب بن جُبَير قال حدَّثني أبي قال حدّثني فِنْدٌ مولى عائشةَ بنت سعد بن أبي وَقّاص قال : حجَّتْ رُقيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبي سعد العامريّةُ ، فكنتُ آتيها وأُحدِّثُها فتَسْتظرِف حديثي وتَضحكُ منّي ؛ فطافتْ ليلةً بالبيت ثم أهوَتْ لِتستلمَ الركنَ الأسودَ وقبّلته ، وقد طفتُ مع عُبَيد الله بن قيس الرقيّات ، فصادف فراغُنا فراغَها ولم أشعرُ بها ، فأهوى ابنُ قيس يستلمُ الركنَ الأسودَ ويُقبّله ، فصادفها قد سبقتْ إليه ، فنفَحَتْه برُدْنِها فارتدَعَ[1] ؛ وقال لي : مَن هذه ؟ فقلتُ : أوَ لا تعرفُها ! هذه رقيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبي سعد ؛ فعند ذلك قال[2] : [من الخفيف]

مَن عذِيري ممّن يَضِنُّ بمبذو لٍ لغيري علَيّ عنـد الطّوافِ

يريد أنّها تُقبِّل الحجرَ الأسودَ وتَضِنّ عنه بقبلتها . وقال في ذلك[3] : [من المديد]

حدِّثوني هـل على رجلٍ عاشقٍ في قُبْلـةٍ حَـرَجُ

وفيه غِناءٌ يُنسب بعد هذا الخبر . قال : ولمّا نفَحتْه برُدْنها فاحت منه رائحةُ المسك حتى عَجِب مَنْ في المسجد ، وكأنّما فُتِحتْ بين أهل المسجد لَطِيمةُ عَطّارٍ ، فسبَّح مَنْ حولَ البيت . قال : وقال فِنْدٌ : فقلتُ بعد انصرافها لابن قيسٍ : هل وجدْتَ رائحةَ رُدْنها لشيءٍ طيباً ؟ فعند ذلك قال أبياتَه التي يقول فيها[4] : [من مجزوء الرمل]

صوت

سائـلاً فِنْـداً خليـلي كيـف أرْدانُ رُقَيّـهْ[5]
إنّـي عُلِّقت خَـوْداً ذاتَ دَلٍّ بَخْتَرِيّـهْ[6]

غنّاه فِندٌ ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش .

1 نفحته : أصابته . وارتدع : أصبح به أثر الطيب .
2 ديوان ابن قيس الرقيات : 36 .
3 ديوانه : 163 .
4 ديوانه : 170 .
5 أردان في الديوان : أرواح .
6 عُلّقت في الديوان : بُدلت . بخترية : متبخترة في مشيها .

نسبة هذا الصوت الذي في الخبر المتقدّم وخبره
وهو أيضاً ممّا قاله ابن قيس في رقيّة

صوت

[من المديد]

حَبَّ ذاكَ الدَّلُّ والغُنُجُ والتي في عينهـا دَعَجُ
والتي إن حَدّثتْ كذبتْ والتي في وعدها خَلَجُ[1]
وتَرى في البيت صورتَها مِثْلَما في البِيعَة السُّرُجُ[2]
خبِّروني هـل على رجلٍ عاشقٍ في قُبلـةٍ حَرَجُ

الشعر لابن قيس الرقيّات يقوله في رقيّة بنت عبد الواحد . والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر . وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخر لابن مُحْرِز من رواية عمرو بن بانة ، وقيل : بل هو هذا .

[ابن أبي عتيق يفضله على كثير مرّة أُخرى]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني سليمان ابن عَيّاش السَّعْديّ قال حدّثني سائبٌ راويةُ كثيّر قال : كان كثيِّر مديوناً ، فقال لي يوماً ونحن بالمدينة : اذهب بنا إلى ابن أبي عَتيق نتحدّث عنده ؛ قال : فذهبت إليه معه ؛ فاستنشده ابنُ أبي عَتيق ، فأنشده قولَه : [من الطويل]

أبائنةٌ سُعْدَى نعم ستَبينُ

حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

وأخلفنَ ميعادي وخُنَّ أمانتي وليس لمـن خان الأمانةَ دِينُ

فقال له ابن أبي عَتيق : أَعَلى الأمانة تَبِعتَها ! فانكفّ واستغضب نفسَه وصاح وقال : [من الطويل]

كذبْنَ صفاءَ الودّ يـوم مَحِلّه وأنكدْنَني من وعدهنّ ديونُ[3]

فقال له ابن أبي عَتيق : وَيْلَك ! هذا أملح لهنّ وأدعى للقلوب إليهنّ ، سيِّدُك ابن قيس الرقيّات كان أعلمَ منك وأوضعَ للصواب موضعَه فيهنّ ؛ أما سمعتَ قوله : [من المديد]

---

1 وعدها في الديوان : وصلها . والخلج : عدم الثبات .

2 صورتها في الديوان : سنتها .

3 وأنكدنني في ل : وأدركني .

حَبَّ ذاكَ الدلُّ والغُنُجُ والتي في عينهــا دَعجُ
والتي إن حَدّثتْ كذبتْ والتي في وعدها خَلَجُ
وتَرى في البيت صورتَها مثلما في البيعَـة السُّرُجُ
خبِّروني هل على رجلٍ عاشقٍ في قُبلــةٍ حَرَجُ

قال : فسكن كُثَيِّر واستحلى ذلك ، وقال : لا ! إن شاء الله ؛ فضحك ابن أبي عَتيق حتى ذُهِبَ به .

[ثناء أبي السائب على شعره]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الرحمن بن غُرَير الزُّهْريّ قال : أنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قولَ ابن قيس الرقيّات[1] : [من الخفيف]

صوت

قــد أتانا من آل سُعْدَى رسولُ حَبَّذا مــا يقــول لي وأقولُ
مِــنْ فتاةٍ كأنّها قَرْنُ شمسٍ ضاق عنها دَمالــجٌ وحُجُولُ
حَبَّــذا ليلتي بِمــزَّة كلــبٍ غال عنّي بها الكَوانينَ غُولُ[2]

فقال لي : يا ابنَ الأمير ما تُراه كان يقول وتقول ؟ فقلت : [من الطويل]

حديثاً كما يسري النَّدى لو سمعتَه شفاك مِــنَ ادواءٍ كثيرٍ وأسْقَما

فطرِب وقال : بأبي أنت وأُمِّي ! ما زلتُ أُحبّك ، ولقد أُضعِف حبِّي إيّاك حين تفهم عنّي هذا الفهم .

غنّى في هذه الأبيات ابن سُرَيج ثقيلاً أوّلَ بالوسطى . ولمالكٍ فيها ثاني ثقيلٍ ، كلاهما عن الهِشاميّ .

[علم أشعب بالشعر]

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدَلانيّ النحويّ صهرُ المبرّد قال حدَّثني طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطَّلْحيّ قال حدَّثنا الزبير بن بَكّار قال حدَّثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان قال : أنشَد أشْعبُ بن جُبَير أبي أبياتَ عُبيد الله بن قيس الرقيّات التي يقول فيها : [من الخفيف]

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 144 .

2 المزة : في غوطة دمشق .

قد أَتانا من آل سُعْدَى رسولُ حَبّـذا مـا يقـول لي وأَقولُ

فقال أَبي : وَيْحَكَ يا أَشعب ؛ ما تُراه قال وقالت له ؟ فقال : [من الطويل]

حديثاً لَوَ آنَّ اللحمَ يَصْلى بحَرّه غَريضاً أَتى أَصحابَه وهو مُنْضَجُ

ذكَر شوقاً ووصف تَوْقاً ، ووعَد ووفى ، والتقيا بمِزَّة كَلْب فشفى واشتفى ، فذلك قوله : [من الخفيف]

حَبّـذا ليلتـي بمِـزّة كلبٍ غال عنّي بها الكَوانينَ غُولُ

فقال له : إنّك لعلاّمة بهذه الأَحوال ؛ قال أَجلْ ؛ بأَبي أَنت ! فاسأَل عالِماً عن علمه .

ومّما في المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيّات[1]

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يا قلبُ وَيْحَكَ لا تذهبْ بك الحُرَقُ إنّ الأُلَى كنـتَ تهواهم قـد انطلقُوا

وذُكر أنّه لوَضّاح ، وقد أُخرج في موضع آخر .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 187 وديوان وضاح اليمن (صادر) : 65 .

[66] ـ ذكر مالك بن أَبي السَّمْح
وأَخباره ونسبه

[نسبه]

هو مالك بن أَبي السَّمْح . واسم أَبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي أَحد بني ثُعَل ثم أَحدُ بني عمرو بن دَرْماء . ويكنى أَبا الوليد . وأُمّه قرشيّة من بني مخزوم ، وقيل : بل أُمّ أَبيه منهم ، وهو الصحيح .

وقال ابن الكلبيّ : هو مالك بن أَبي السَّمْح بن سليمان بن أَوْس بن سِمَاك بن سعد بن أَوس بن عمرو بن دَرْماء أَحد بني ثُعَل . وأُمّ أَبيه بنت مُدْرِك بن عوف بن عُبَيد بن عمرو بن مخزوم . وكان أَبوه منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أَبي طالب ويتيماً في حِجْره أَوصى به أَبوه إليه ، فكان ابن جعفر يكفُله ويَمُونه ، وأَدخله وسائرَ إخوته في دعوة بني هاشم ، فهم معهم إلى اليوم . وكان أَحولَ طويلاً أَحْنى . قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسينَ بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب في قوله فيه : [من المنسرح]

أَبيضُ كالبدر أَو كما يَلْمَع الـ ـبارقُ في حالـكٍ مـن الظُّلَمِ

فقال له الوليد : بل أَنت . [من المنسرح]

أَحولُ كالقردِ أَو كما يَرْقُب الـ ـسارقُ في حالـكٍ مـن الظُّلَمِ

[أساتذته في الغناء]

وأَخذ الغناءَ عن جَميلة ومَعْبد وعُمَر حتى أَدرك الدولة العبّاسيَة ، وكان منقطعاً إلى بني سليمان بن عليّ ، ومات في خلافة أَبي جعفر المنصور .

[كان أَبوه منقطعاً إلى ابن جعفر]

أَخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حَمّاد : قرأت على أَبي : أَنّ السبب في انقطاع أَبي السَّمْح إلى ابن جعفر أَنّ السَّنَةَ أَقْحَمَتْ طيِّئاً ، فكان ثَعْلبة جدُّ مالك أَحدَهم ، فوُلد أبو السَّمْح بالمدينة ؛ وكان صديقاً للحسين بن عبد الله الهاشميّ ، وكان سببُ ذلك مودّةً كانت بينه وبين آل شُعَيب السَّهْميين ؛ فلمّا تزوّج حسين عابِدة بنت شُعَيب السَّهْميّة خاصمهم بسببها ؛ وكان جدّ مالك معه وعوناً له مع من عاونه ، فنَشِبتْ بذلك حالٌ بينه وبين بني هاشم ، حتى وُلد مالك في دُورهم ، فصارت دعْوَته فيهم .

[أدرك الدولة العبّاسية]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبي : وعُمِّر مالك حتى أُدرك دولةَ بني العبّاس ، وقَدِم على سليمان بن عليّ بالبصرة ، فمَتّ إليه بخُؤولته في قريش ، ودِعْوته لبني هاشم ، وانقطاعِه إلى ابن جعفر ، فعجّل له سليمانُ صلتَه وكساه وكتب له بأوْساقٍ من تمر .

[لازم باب حمزة بن الزبير وأخذ الغناء عن معبد]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني مَيْمون بن هارون قال حدّثني القاسم بن يوسف قال أخبرني الوَرْدانيّ قال : كان مالك بن أبي السَّمْح المغنّي من طيىء ، فأصابتهم حَطْمةٌ[1] في بلادهم بالجبلين ، فقَدِمتْ به أُمّه وبإخوةٍ له وأخَواتٍ أيتامٍ لا شيء لهم ؛ فكان يسأل الناسَ على باب حمزة بن عبد الله بن الزُّبَير ، وكان معبدٌ منقطعاً إلى حمزة يكون عنده في كلّ يوم يغنّيه ؛ فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه ، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل ، فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يَرِيمُ موضعَه ، فينصرف إلى أُمّه ولم يكتسب شيئاً ، فتضربه ، وهو مع ذلك يترنّم بألحان معبد ويؤدّيها دَوْراً دوراً في مواضع صَيْحاته وإسجاحاته ونَبَراته نَغَماً بغير لفظ ولا روايةِ[2] شيء من الشعر ؛ وجعل حمزةُ كلّما غدا وراح رآه ملازماً لبابه ؛ فقال لغلامه يوماً : أدخِل هذا الغلامَ الأعرابيّ إليّ ؛ فأدخله ؛ فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا غلام من طيىء أصابتْنا حَطْمةٌ بالجبلين فحطّتْنا إليكم ومعي أُمٌّ لي وإخوةٌ ، وإنّي لزمت بابَك فسمعت من دارك صوتاً أعجبني ، فلزمتُ بابَك من أجله ؛ قال : فهل تعرف منه شيئاً ؟ قال : أعرف لحنَه كلَّه ولا أعرف الشعرَ ؛ فقال : إن كنتَ صادقاً إنّك لفَهِمٌ . ودعا بمَعْبَد فأمره أن يغنّي صوتاً فغنّاه ، ثم قال لمالك . هل تستطيع أن تقوله ؟ قال نعم ؛ قال : هاته ؛ فاندفع فغنّاه فأدّى نَغَمَه بغير شعر ، يؤدّي مَدّاتِه ولَيّاته وعَطَفاته ونَبَراته وتعليقاتِه لا يَخرِم حرفاً ؛ فقال لمعبد : خذ هذا الغلام إليك وخرِّجه ، فَلَيكوننّ له شأن ؛ قال معبد : ولِمَ أفعل ذلك ؟ قال : لتكونَ محاسنُه منسوبة إليك ، وإلاّ عدَل إلى غيرك فكانت محاسنُه منسوبة إليه ؛ فقال : صدق الأمير ، وأنا أفعل ما أمرتَني به . ثم قال حمزة لمالكٍ : كيف وجدتَ ملازمتَك لبابنا ؟ قال : أرأيتَ لو قلتُ فيك غيرَ الذي أنت له مستحقٌّ من الباطل أكنتَ ترضى بذلك ؟ قال لا ؛ قال : وكذلك لا يسرُّك أن تُحمدَ بما لم تفعل ؛ قال نعم ؛ قال : فوالله ما شَبِعتُ على بابك شَبْعةً قطُّ ، ولا انقلبتُ منه إلى أهلي بخير ؛ فأمر له ولأُمّه ولإخوته بمنزل ، وأجْرى لهم رزقاً وكسوة ، وأمر لهم بخادم يخدُمهم وعبدٍ يسقيهم الماء ، وأجلس مالكاً معه في مجالسه ، وأمر معبداً أن يطارحه ، فلم

1 الحطمة : السنة المجدبة .

2 ل : ولا روى شيئاً .

يَنْشَبْ أن مهَر وحذَق ، وكان ذلك بعقب مقتل هُدْبَةَ بن خَشْرَم ؛ فخرج مالك يوماً فسمع امرأة تنوح على زِيادةَ الذي قتله هُدْبةُ بن خَشْرَم بشعر أَخي زِيادة : [من الطويل]

أَبعد الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ ... رهينةَ رَمْسٍ ذي تراب وجَنْدلِ[1]

أُذَكَّـرُ بالبُقيـا على مـن أَصابني ... وبُقْياي أَنِّي جاهـدٌ غيرُ مؤْتَلي

فلا يَدْعُني قومي لزيد بن مالكٍ ... لئـن لم أُعجِّلْ ضربةً أَو أَعجِّلِ

وإلاّ أَنلْ ثأْرِي مـن اليوم أَو غدٍ ... بنـي عمِّنا فالدهـرُ ذو مُتطوَّلِ

أَنَخْتُمْ علينا كَلْكَلَ الحـرب مرّةً ... فنحن مُنِيخُوهـا عليكـم بكَلْكَلِ

فغنّى في هذا الشعر لَحْنَيْن ؛ أَحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورقّقه وأَصلحه وزاد فيه ، والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه ؛ ثم دخل على حمزة فقال له : أَيّها الأَمير ، إنّي قد صنعت غناء في شعر سمعتُ بعضَ أَهل المدينة يُنشده وقد أَعجبني ، فإن أَذِن الأَميرُ غنّيته فيه ؛ قال : هاته ، فغنّاه اللحنَ الذي نحا فيه نحو معبد ؛ فطَرِب حمزة وقال له : أحسنتَ يا غلام ، هذا الغناء غناء معبد وطريقتُه ؛ فقال : لا تَعْجَل أَيّها الأَمير واسمع منّي شيئاً ليس من غناء معبد ولا طريقتِه ؛ قال : هاتِ ، فغنّاه اللحنَ الذي تشبَّه فيه بنوح المرأة ، فطرِب حمزة حتى أَلقى عليه حُلَّة كانت عليه قيمتها مائتا دينار ؛ ودخل معبد فرأى حُلّة حَمْزة عليه فأَنكرها ؛ وعلم حمزةُ بذلك فأَخبر معبداً بالسبب ، وأَمر مالكاً فغنّاه الصوتين ؛ فغضِب معبد لمّا سمع الصوت الأوّل وقال : قد كرهتُ أَن آخذ هذا الغلامَ فيتعلّمَ غنائي فيدّعيَه لنفسه ؛ فقال له حمزة : لا تَعْجَل واسمع غناء صَنَعه ليس من شأنك ولا غنائك ، وأَمره أَن يغنّي الصوت الآخر فغنّاه ؛ فأَطرق معبد ؛ فقال له حمزة : والله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الأَيّام ، وكلّما كبِر وزاد شِخْتَ أنت ونقصتَ ، فلأن يكون منسوباً إليك أَجملُ ؛ فقال له معبد وهو منكسر : صدق الأَميرُ . فأَمر حمزةُ لمعبدٍ بخِلْعةٍ من ثيابه وجائزةٍ حتى سكَن وطابت نفسُه ؛ فقام مالك على رجله فقبَّل رأس معبد ، وقال له : يا أَبا عَبَّاد أَساءك ما سمعتَ منّي ؟ والله لا أُغنّي لنفسي شيئاً أَبداً ما دمتَ حيّاً ، وإن غلبتْني نفسي فغنّيتُ في شعر استحسنتُه لا نسبتُه إلاّ إليك ، فطِبْ نفساً وارضَ عنّي ؛ فقال له معبد : أَوَ تفعل هذا وتَفي به ؟ قال : إي والله وأَزيد ؛ فكان مالك بعد ذلك إذا غنّى صوتاً وسئل عنه قال : هذا لمعبد ، ما غنّيت لنفسي شيئاً قطّ ، وإنّما آخُذُ غناء معبد فأَنقله إلى الأَشعار وأُحسِّنه وأَزيد فيه وأَنقُص منه .

---

1 النعف : ما انحدَر عن غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل .

[كان يغنّي ليلة الجمعة]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثنا الحسن بن عُتْبة اللهبيّ عن عبد الرحمن بن محمد بن عُبيد الله أحدِ بني الحارث بن عبد المطّلب قال : خرجتُ من مكّة أريد العراق ، فحملتُ معي مالكَ بن أبي السَّمْح من المدينة ، وذلك في أيّام أبي العبّاس السّفاح ، فكان إذا كانت عَشيّةُ الخميس قال لنا : يا معشر الرُّفْقة إنّ الليلة ليلةُ الجمعة وأنا أعلم أنّكم تسألوني الغناءَ ، وعليّ وعليّ إن غنّيتُ ليلة الجمعة ، فإن أردتم شيئاً فالساعةَ اقترحوا ما أحببتم ؛ فنسأله فيغنّينا ، حتى إذا كادت الشمس أن تغيب[1] طرِب ثم صاح : الحريق في دار شَلْمَغان ، ثم يمرّ في الغناء فما يكون في ليلة أكثر غناءً منه في تلك الليلة بعد الأيمان المغلَّظة .

[مالك بن أبي السَّمْح وسليمان بن علي]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان سليمان بن عليّ يسمع من مالك بن أبي السَّمْح بالسَّراةِ ، لأنّه كان إذا قدِم الشام على الوليد بن يزيد ، عدَل إليهم في بَدْأته وعَوْدته لانقطاعه إليهم ، فيَبَرُّونه ويَصِلُونه ؛ فلمّا أفْضى إليهم الأمرُ رأى سليمانُ مالكاً على باب ابنه جعفر ؛ فقال له : يا بنيّ ، لقد رأيتُ ببابكَ أشبَه الناس بمالكٍ ؛ فقال له جعفر : ومَنْ مالكٌ ؟ ، يُوهمه أنّه لا يعرفه ، فتغافل عنه سليمانُ لئلاّ ينبهه عليه فيطلبه ، وتوهّم أنّه لم يعرفه ولا سمع غناءه .

قال حمّاد : وحدَّثني أبي عن جدّي إبراهيم أنّه أخبره أنّه رأى مالكاً بالبصرة على باب جعفر بن سليمان ، أوْ أخيه محمد ، ولم يعرفه ، فسأل عنه بعد ذلك فعرفه وقد كان خرج عن البصرة ؛ قال : فمالي حسرةٌ مثل حسرتي بأنّي ما سمعتُ غناءه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال : كان مالك بن أبي السَّمْح يتيماً في حِجْر عبد الله بن جعفر ، وكان أبوه أبو السَّمْح صار إلى عبد الله بن جعفر وانقطع إليه ، فلمّا احتُضر أوْصى بمالكٍ إليه ، فكفَله وعاله وربّاه ، وأدخله في دِعْوة بني هاشم ، فهو فيهم إلى اليوم . ثم خطب حسينُ بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس العابدةَ بنت شُعَيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، فمنعه بعضُ أهلها منها وخطبَها لنفسه ، فعاون مالكٌ حُسَيناً ، وكانت العابدةُ تستنصحه ، وكانت بين أبيها شعيب وبينه مودّةٌ ، فأجابت حُسَيناً وتزوّجته ، فانقطع مالكٌ إلى حسين ؛ فلمّا أفضى الأمرُ إلى بني هاشم قدِم البصرةَ على سليمان بن عليّ ، فلمّا دخل إليه مَتَّ بصحبته عبدَ الله بن جعفر ودعْوتِه في بني هاشم

1 ل : تغرب .

وانقطاعِهِ إلى حسين ؛ فقال له سليمان : أنا عارفٌ بكلّ ما قلته يا مالك ، ولكنّك كما تعلم ، وأخاف أن تُفسد عليّ أولادي ، وأنا واصلُك ومُعطيك ما تريد وجاعلٌ لك شيئاً أبعث به إليك ما دمتَ حيّاً في كلّ عام ، على أن تخرج عن البصرة وترجع إلى بلدك ؛ قال : أفعلُ جعلني الله فِداك ؛ فأمر له بجائزة وكُسْوة وحمله وزوّده إلى المدينة .

[مالك بن أبي السَّمح في كبره]

أخبرني عمّي الحسن بن محمّد قال حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون بن جَناح قال أخبرني يعقوب بن إبراهيم الكُوفيّ عمّن أخبره قال : دخلتُ المدينةَ حاجّاً فدخلت الحمّام ، فبينا أنا فيه إذ دخل صاحبُ الحمام فغسله ونظّفه ، ثم دخل شيخ أعمى له هيئةٌ ، مؤتزرٌ بمنديل أبيض ؛ فلمّا جلس خرجتُ إلى صاحب الحمّام فقلت له : من هذا الشيخ ؟ قال : هذا مالك بن أبي السمح المغنّى ، فدخلتُ عليه فقلت له : يا عَمّاه ، مَنْ أحسنُ الناسِ غِناءً ؟ فقال : يا ابن أخي ، «على الخَبير سَقَطْتَ»[1] ، أحسنُ الناسِ غناءً أحسنُهم صوتاً .

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوبَ المَدينيّ قال حدّثني أبو يحيى العِبادِيّ عن إسحاق قال : كان فتيةٌ من قريش جلوساً في مجلس ، فمرّ بهم مالك بن أبي السَّمْح ، فقال بعضهم لبعض : لو سألْنا مالكاً فغنّانا صوتاً ! فقام إليه بعضهم فسأله النزولَ عندهم ، فعدَل إليهم ؛ فسألوه أن يغنّيهم ؛ فقال : نعمْ واللهِ بالحُبِّ والكرامةِ ، ثم اندفع يغنّي ، وأوقع بالمِقْرَعة على قَرَبُوس سَرْجه ، فرفع صوتَه فلم يقدِر ، ثم خفَضه فلم يقدر ، فجعل يبكي ويقول : واشباباه .

أخبرني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه عن جدّه أنّه كان في هؤلاء الفِتْية الذين كانوا سألوه الغناءَ ؛ وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره إسحاق .

[مالك بن أبي السَّمْح وعجاجة المخنث]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوبَ المَدِينيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال حدّثني صالح بن أبي الصَّقْر قال : قدِم مالك بن أبي السَّمْح المغنّي البصرةَ ، فلقيه عَجاجةُ المخنَّثُ ، وكان أشهرَ مَنْ بها من المخنّثين ، وقال له : فَدَيْتُكَ يا أبا الوليد ، إنّي كنتُ أُحبّ أن ألقاك وأنْ أعرض عليك صوتاً من غنائك أخذتُه عن بعض المخنّثين ، فإن رأيتَ أن تنزلَ عندي فعلتَ ؛ فنزل مالك عنده فبسط له المخنّثُ جَرْدَ[2] قطيفةٍ كانت عنده فجلس ، ثم أخذ عَجاجةُ الدفَّ فغنّى : [من الخفيف]

---

1 مجمع الأمثال للميداني 2 : 24 وجمهرة العسكري 2 : 32 والمستقصى للزمخشري 2 : 164 .

2 الجرد : الخلق .

حَسْبُ إنّ الخمارَ كان عليها شاهداً يوم زارتِ الجَوْشَنِيَّه[1]
قد سَبَتْه بِدَلّها حين جاءت تَتَهادَى في مِشْيَةٍ بَخْتَرِيَّه

فجعل مالك يقول له : وَيْلَك ! مَنْ قال هذا ؟ لعنه اللهُ ؛ وَيْحَكَ مَن غنّى هذا ؟ قبّحه الله ، وَيْحَكَ مَنْ روى عنّي هذا ؟ أخزاه اللهُ ، ثم قام فركب وهو يضحك عجباً من عَجاجةَ .

[مالك ومعبد وابن عائشة عند يزيد بن عبد الملك]

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن جَناح قال حدَّثني مصعب بن عثمان قال حدَّثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عُرْوة بن الزُّبير قال حدّثني مالك بن أبي السَّمْح قال : قَدِمنا على يزيدَ بن عبد الملك أوّلَ قُدومنا عليه مع معبد وابنِ عائشةَ ، فغنّيناه ليلةً فأطربْناه ، فأمر لكلّ واحد منّا بألف دينار وكتب لنا بها إلى كاتبه ، فغدوْنا عليه بالكتاب ؛ فلمّا رآه أنكره وقال : أيُؤمر لمثلكم بألف دينار بألف دينار ؟ لا والله ولا حُبّاً ولا كرامةَ ! . فرجعنا إلى يزيدَ فأخبرناه بمقالته وكررنا عليه ؛ فقال : كأنّه استنكر[2] ذلك ؟ فقلنا : نعم ؛ فقال : مثله والله يستنكره[3] ودعاه ؛ فلمّا حضر ورآنا عنده استأمره فيها ، فأطرق مُسْتَحيياً ؛ وقال له : إنّي قد قلتها لهم ولا يَجمُلُ أن أرجع عمّا قلت ، ولكن قطِّعها عليهم . قال مالك : فمات والله يزيد ، وقد بقي لكلّ واحد منّا أربعُمائة دينار .

[سليمان بن علي يلوم ولديه على استماعهما للغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال قرأت على أبي ، وحدَّثنا الحسن بن محمد قال : لمّا انهزم عبد الله بن عليّ من أبي مسلم قَدِم البصرةَ ، وكان عند سليمان بن عليّ ، وكان مالك بن أبي السمح يومئذ بها ، فاستزاره جعفر ومحمّد فزارهما ، وغنّاهما مالك في جَوْف الليل في دار سليمانَ بن عليّ ، وبلغ الخبرُ سليمانَ ، فدخل عليهم فعذَل جعفراً ومحمداً ، وقال : نحن نتوقّعُ الطامّةَ الكبرى وأنتم تسمعون الغناء ! فقالا : ألا تجلس وتسمع ! ففعل ، فغنّاهم مالك : [من البسيط]

صوت

ما كنتُ أوّلَ مَنْ خاسَ الزمانُ به قد كنتُ ذا نَجْدةٍ أخْشى وذا باسِ
أبْلِغْ أبا معبدٍ عنّي وإخوتَه شوقي إليهم وأحزاني ووَسْواسي

فخرج وتركهم ولم يُنكِر عليهم شيئاً .

---

1 الجوشنية : نسبة إلى جوشن بطن من غطفان .
2 ل : استكثر .
3 ل : يستكثره .

[مدحه الحسين بن عبد الله]

وفي مالك بن أَبي السمح يقول الحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس : [من المنسرح]

صوت

لا عيشَ إلاّ بمالكِ بن أَبي السَّـ ـمح فـلا تَلْحَنـي ولا تَلُـمِ
أَبيضُ كالبدرِ أَو كما يَلْمَع الـ ـبارقُ في حالـكٍ من الظُّلَمِ
مَنْ ليس يَعصيكَ إن رَشَدتَ ولا يَهتِكُ حـقَّ الإسلام والحُرَم
يُصيبُ مِن لَـذّة الكريم ولا يَجهَلُ آيَ الترخيص في اللَّمَم
يـا رُبَّ ليلٍ لنا كحاشية الـ ـبُردِ ويـومٍ كـذاكَ لم يَدُم
نَعمتُ فيه ومالكَ بنَ أَبي السـ ـمح الكريمَ الأَخلاقِ والشِّيَم

غنّاه مالكٌ في الأوّل والثاني والثالث رملاً بالبنصر في مجراها ، فيقال : إنّ مالكاً قال له : لا والله ولا إن غَوَيتَ أَيضاً أَعصيك ؛ ذكر ذلك الزبير عن عمّه مصعب . ويقال : إنّه قال هذه المقالةَ للوليد بن يزيدَ ، فُسّر بذلك وأَجزل صلتَه .

[غنّى الوليد بن يزيد حتى طرب]

أَخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال حدَّثني أَبي قال قال ابن الكلبيّ : قال الوليد بن يزيد لَمعْبد قد آذَتني وَلْوَلَتُكَ هذه ، وقال لابن عائشة : قد آذاني استهلالُـك هذا ، فانظُرا لي رجلاً يكون مذهبه متوسّطاً بين مذهَبيْكما ؛ فقـالا لـه : مالكُ بن أَبي السّمح ؛ فكتب في إشخاصه إليه وسائر مُغَنّي الحجاز المذكورين ؛ فلمّا قَدِم مالكٌ على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنّين نزل على الغَمْر بن يزيد ، فأَدخله على الوليد فغنّاه فلم يُعجبه ؛ فلمّا انصرف الغَمْر قال لـه : إنّ أَمير المؤمنين لم يُعجِبه شيءٌ من غنائك ؛ فقال له : جعلني الله فداك ! اطلُب لي الإذنَ عليه مرّةً واحدة ، فإن أَعجبه شيء ممّا أُغنّيه وإلاّ انصرفتُ إلى بلادي . فلمّا جلس الوليدُ في مجلس اللهو ذكره الغَمْر وطلب له الإذنَ ، وقال له : إنّه هابك فَحصر ؛ قال : فأْذَنْ له ، فبعث إليه ؛ فأَمر مالكٌ الغلامَ فسقاه ثلاثَ صُراحِيّات صِرْفا ؛ فخرج حتى دخل عليه يَخْطِرُ في مِشْيته . وقال غير ابن الكلْبيّ : إنّه قال لفرّاش للوليد : اسْقِني عُسّاً من شراب ولك دينار ، فسقاه إيّاه وأَعطاه الدينار ؛ ثم قال له : زِدْني آخرَ فأَزيدَكَ آخرَ ، ففعل حتى شرِب ثلاثة ، ثم دخل على الوليد يخطِر في مِشيته ؛ فلمّا بلغ بابَ المجلس وقف ولم يسلم ، وأَخذ بحَلْقةِ الباب فقَعْقَعَها ، ثم رفع صوتَه فغنّى : [من المنسرح]

لا عَيْشَ إلاّ بمالكِ بن أَبي السـ ـمْح فـلا تَلْحَنِـي ولا تَلُـمِ

فطَرِب الوليد ، ورفع يديه ، حتى بدا إبطاه إليه مادّاً لهما ، وقام فاعتنقه قائماً ، وقال له : ادنُ يا ابن أَخي ، فدنا حتى اعتنقه ؛ ثم أَخذ في صوته ذلك ، فلم يزالوا فيه أَيّاماً ، وأَجزل صلته حين أَراد الانصرافَ . قال : ولمّا أَتى مالكٌ على قوله : [من المنسرح]

أَبْيضُ كالسيف أَو كما يَلْمَعُ الـ ـبارقُ في حالـكٍ مـن الظُّلَمِ

قال له الوليد : [من المنسرح]

أَحْولُ كالقِرْد أَو كما يَرْقُبُ السـ ـارقُ في حالـكٍ مـن الظُّلَمِ

[كان يأخذ أغاني غيره ويغيرها]

وكان مالك طويلاً أَجْنى[1] فيه حَوَلٌ . وقد قال قومٌ : إنّ مالكاً لم يصنع لحناً قطُّ غيرَ هذا ، أَعني : «لا عيشَ إلاّ بمالك بن أَبي السَّمْح» ، وإنّه كان يأخذ غناءَ الناسِ فيزيدُ فيه وينقُصُ منه وينسُبه الناس إليه ، وكان إسحاق يُنكر ذلك غايةَ الإنكار ، ويقول : غناءُ مالكٍ كلّه مَذْهبٌ واحد لا تَبايُن فيه ، ولو كان كما يقول الناسِ لاختلف غِناؤه ، وإنّما كان إذا غَنّى أَلحانَ مَعْبَدٍ الطِّوالَ خففَّها وحَذَف بعض نَغَمها ، وقال : أَطاله مَعْبَد ومطّطَه ، وحذفتُه أَنا وحسّنتُه ، فأَمّا أَلاّ يكونَ صنع شيئاً فلا .

أَخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حَماد : قرأتُ على أَبي وذكر بكّار بن النبال : أَنّ الوليد قال لمالك : هل تصنع الغناء ؟ قال : لا ، ولكنّي أَزيدُ فيه وأَنقُص منه ؛ فقال له : فأَنت المُحَلّي إذاً .

قال إسحاق وذكر الحسن بن عُتبة اللّهبيّ عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشميّ الحارثي الذي يقال له سَنابِل ، وفيه يقول الشاعر : [من الطويل]

فإن هي ضَنَّتْ عنكَ أَو حِيل دونَها فدَعْها وقُلْ في ابن الكرامِ سَنابِلِ

قال : خرجتُ من مكّة أُريد أَبا العبّاس أَميرَ المؤمنين ، فمررت على المدينة فحملت معي مالكَ بن أَبي السَّمْح ، فسأَلته يوماً عن بعض ما يُنْسَب إليه من الغناء ؛ فقال : يا أَبا الفضل ، عليه وعليه إن كان غنّى صوتاً قطّ ، ولكنّي آخذُه وأحسِّنه وأُهيّئه وأُطيّبه ، فأُصيب ويخطئون فيُنسَبُ إليّ . قال إسحاق : وليس الأَمرُ هكذا ، لمالكٍ صنعةٌ كثيرة حسنة ، وصنعته تَجْري في أسلوب واحد ، ويُشبِه بعضُها بعضاً ، ولو كان كما قيل لاختَلَف غناؤه . وقد قيل : إنّ مالكاً كان يَنتفِي من الصنعة لأن أَكثر الأَشراف هناك كانوا يُنكرون عليه ، فكان يَتَبَذَّل به عند مَن يراه ، ويُنكره عند مَن يذُمّه ، لمحلّه في بني هاشم .

1 الأجنى : الأجنأ وهو الذي أشرف كاهله على صدره . والأحنى : الأحدب .

وأخبرني بخبر سَنابِل هذا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني حمزة بن عُتبة اللّهبيّ عن سَنابل ، فذكر الخبر وخالف ما رواه إسحاق أنّ الحسن بن عتبة حدّثه وحكاه عن حمزةَ بن عُتْبة أخيه .

[أخذ صوتاً من حمّار]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن هشام بن الكلبيّ ؛ عن أبيه عن محمد بن يَزيد اللّيْثيّ قال : سُئل مالك بن أبي السَّمْح عن صنعته في : [من الخفيف]

لاحَ بالدَّيْر مِـن أُمامةَ نارُ

فقال : أخذتُه والله من خَرْبَنْده[1] بالشام يَسُوق أَحْمِرَةً ، فكان يترنَّم بهذا اللَّحن بلا كلام ، فأخذتُه فكسوتُه هذا الشعر .

[أخذ صوتاً من حائك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : نزل مالكُ بن أبي السَّمْح عند رجل بمكّةَ مخزوميٍّ ، وكان له غلامٌ حائك ، فأتاه آتٍ فقال : أما سَمِعتَ غناء غلامك الحائك ؟ قال : لا ! أَوَ يُغَنّي ؟ قال : نعم بشعر لأبي دَهْبَل الجُمَحِيّ ؛ فبعث إليه فأتاه ، فقال : تَغَنَّه ؛ فقال : ما أُحسِنُ ذاك إلاّ على حَفِّي ؛ فخرج مولاه ومعه مالكٌ إلى بيته ، فلمّا جلس على حَفِّه تغنّى : [من الطويل]

تطاولَ هذا الليلُ مـا يَتبلَّجُ

فأخذه مالكٌ عنه وغنّاه فنسَبه الناسُ إليه ؛ وكان يقول : والله ما غنّيته قطّ ولا غنّاه إلاّ الحائك .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الخفيف]

لاحَ بالدَّيْـر مـن أُمامةَ نـارُ لمحـبٍّ لـه بيَثْـرِبَ دارُ
قـد تَراها ولو تشاءُ من القُرْ ب لأَغناكَ عن نَداها السِّرارُ

الشعر للأحوص[2] ، ويقال : إنّه لعبد الرحمن بن حسّان بن ثابت . والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ثقيل أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق .

1 خربنده : كلمة فارسية تعني المكاري .
2 شعر الأحوص : 96 عن الأغاني .

صوت

[من الطويل]

تَطــاوَلَ هــذا الليــلُ مــا يَتَبَلَّجُ ... وأَعيتْ غَواشي سَكْرَتي ما تَفَرّجُ
أَبيــتُ بِهَــمٍّ مــا أَنــامُ كأنّما ... خِـلالَ ضُلوعـي جمرةٌ تَتوهّجُ
فَطَوْراً أُمّني النفسَ من تُكْتَمَ المُنى ... وطوراً إذا ما لجّ بي الحبُّ أَنْشِجُ[1]

عروضه من الطويل ، الشعر لأبي دَهْبَل ، والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ثقيل أوّلُ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

[هرب يوم مقتل الوليد]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال : قال ابن عائشة : حضرتُ الوليدَ بن يزيد يوم قُتل ، وكان معنا مالك بن أبي السَّمْح وكان من أحمقِ الناس ، فلمّا قُتل الوليد قال : اهرُب بنا ؛ فقلت : وما يريدون منّا ؟ قال : وما يؤمّنك أن يأخذوا رأسَيْنا فيجعلوا رأسه بينهما ليُحسِّنوا أمرَهم بذلك ! قال ابن عائشة : فما رأيت منه عقلاً قطّ قبل ذلك اليوم .

[علّم ابنه الغناء]

أخبرني محمّد بن خلَف وَكيع قال قال الزبير بن بكّار حدَّثتني ظَبْيَةُ قالت : رأيتُ مالكَ بن أبي السَّمح وهو على مَنامته يُلقي على ابنه وقد كَبِرَ وانقطَع[2] : [من السريع]

صوت

اعتــادَ هـذا القلبَ بَلْبالُـهُ ... إذ قُرِّبــتْ للبيْنِ أجمــالُهُ
خَوْدٌ إذا قامتْ إلى خِدْرها ... قامت قَطُوفُ المَشْيِ مِكْسالُهُ
تَفْتَرُّ عــن ذي أُشُرٍ بــاردٍ ... عَذْبٍ إذا ما ذِيــقَ سَلْسالُهُ

الشعرُ لعمرَ بن أبي رَبيعة ، ولمالك بن أبي السَّمْح فيه ثلاثة ألحان : خفيفُ ثقيل مطلق في مجرى الوسطى ، وثقيل أوّل بالوسطى في مجراها جميعاً عن إسحاق ، وخفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وقيل : إنّه لابن سُرَيج . وفيه رَمَلٌ يُنسب إلى ابن جامع وابن سريج .

[شعر في رثائه]

أخبرني وَكيع قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عُبَيدة : سمعتُ مُنشِداً يُنشد لنفسه يَرثي مالكاً بهذه القصيدة : [من البسيط]

---

1 تكتم : اسم المرأة التي يشبب بها .

2 ديوان عمر : 338 .

يا مالُ إنّي قَضَتْ نفسي عليكَ وما بيني وبَينَكَ من قُرْبى ولا رَحِمِ
إلاّ الذي لك في قَلْبي خُصِصْتَ به من المودّة في سِتْرٍ وفي كَرَمِ

قال إسحاق قال أبو عُبَيدة : هو مالك بن أبي السمح . انقضت أخباره .

صوت

من المائة المختارة

من رواية هارون بن الحسن بن سَهْل وابن المَكّيّ وأبي العَنبس ومَن روى جَحظةُ عنه : [من الطويل]

فإلاّ تَجَلّلْها يُعالُوكَ فوقَها وكيف تَوَقّى ظهرَ ما أنتَ راكبُهْ
هـمُ قتلوه كي يكونوا مكانَه كما غدَرتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ
بني هاشمٍ رُدُّوا سِلاحَ ابنِ أُختِكم ولا تَنْهَبُوه لا تَحِلُّ مَناهِبُهْ

عروضه من الطويل . البيت الأوّل من الشعر لرجلٍ من بني نَهْد جاهليّ ، وباقي الأبيات للوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط . والغناء لابن مُحرِز ، ولحنه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن يونس وإسحاق ، وهو اللحن المختار . وفيه للغَرِيض ثقيل أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمَعْبد ثقيل أوّلُ آخرُ مطلق في مجرى الوسطى عن عمرو وعن الهشاميّ . وفيه لسَلْسَل في الثاني والثالث ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش . وفيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل .

[67] ـ النَّهْديّ في هذا الشعر
وخبر الوليد بن عُقبة وقد مضى نسبه في أوّل الكتاب

[الحارث بن مارية وزهير بن جناب]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرني عمِّي عن ابن الكَلْبيّ عن أبيه عن عبد الرحمن المَدائنيّ ، وكان عالِماً بأخبار قومه ، قال وحدّثنيه أبو مِسْكِين أيضاً ، قالا : كان الحارث بن مارِية الغسّاني الجِفْنيّ مُكرِماً لزُهير بن جَناب الكَلْبيّ يُنادمه ويحادثه . فقَدِم على المِلِك رجلان من بني نَهْد بنِ زيد يقال لهما حَزْنٌ وسَهْلٌ ابنا رِزاح ، وكان عندهما حديثٌ من أحاديث العرب ، فاجتباهما الملكُ ونزلا بالمكان الأثير منه ، فحسدهما زُهير بن جَناب ، فقال : أيّها الملك ، هما والله عَيْنٌ لذي القَرْنين عليك (يعني المُنذِرَ الأكبر جدَّ النعمان بن المنذر) ، وهما يكتبان إليه بعَوْرتك وخَلَلِ ما يريان منك ؛ قال : كلاّ ! فلم يزل به زهير حتى أوْغَر صدرَه ، وكان إذا رِكب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه ، فبعَث إليهما بناقة واحدة ؛ فعرَفا الشرّ فلم يركب أحدهما وتوقّف ؛ فقال له الآخر : [من الطويل]

فإلاّ تَجَلَّلْهـا يُعالُـوكَ فَوْقَهـا   وكيف تَوَقَّى ظهرَ ما أنتَ راكِبُهْ

فركبها مع أخيه ، ومَضى بهما فقُتِلا ، ثم بَحَث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلاً فشتَم زُهيراً وطرده ، فانصرف إلى بلاد قومه ؛ وقدِم رِزاحٌ أبو الغلامين إلى الملك ، وكان شيخاً عالِماً مُجرِّباً ، فأكرمه الملك وأعطاه دِيةَ ابنيه ؛ وبلغ زهيراً مكانُه ، فدعا ابناً له يقال له عامر ، وكان من فِتيان العرب لساناً وبياناً ، فقال له : إنّ رِزاحاً قد قدِم على الملك ، فالحَقْ به واحتَلْ في أن تكفِيَنِيه ، وقال له : اذْمُمْني عند الملك ونَلْ منّي ، وأثّر به آثاراً ؛ فخرج الغلام حتى قدِم الشام . فتلطّف للدخول على الملك حتى وصل إليه ؛ فأعجبه ما رأى منه ؛ فقال له : مَن أنت ؟ قال : أنا عامرُ بنُ زُهَير بن جَناب ؛ قال : فلا حيّاك الله ولا حيّا أباك الغادرَ الكذوبَ السّاعيَ ! فقال الغلام : نعم ، فلا حيّاه الله ؛ أُنظُر أيّها الملك ما صنَع بظهري ! وأراه آثارَ الضرب ؛ فقَبِل ذلك منه وأدخله في نُدمائه ؛ فبَيْنا هو يحدّثه يوماً إذ قال له : أيّها الملك ، إنّ أبي وإن كان مُسيئاً فلستُ أَدَعُ أن أقولَ الحقّ ، قد والله نصحك أبي ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

فيالكِ نَصْحةً لَمّـا نَذُقْها   أراها نصحةً ذهبتْ ضَلالا

ثم تركه أيّاماً ، وقال له بعد ذلك : أيّها الملك ، ما تقول في حيّة قد قُطِع ذَنَبُها وبقيَ رأسُها ؟ قال : ذاك أبوك وصَنِيعُه بالرجُلين ما صَنَع ؛ قال : أَبيتَ اللّعنَ ! واللهِ ما قَدِم رِزاحٌ إلاّ ليثأَرَ بهما ؛ فقال له : وما آيةُ ذلك ؟ قال : اسقِهِ الخمر ثم ابعَثْ إليه عَيْناً يأتِك بخبره ؛ فلمّا انتشى صرفَه إلى قُبّته ومعه بنتٌ له ، وبعث عليه عيوناً ؛ فلمّا دخل قُبّته قامت إليه ابنته تُسانده فقال : [من الوافر]

دَعِيني من سِنادِكِ إنّ حَزْناً ... وسَهْلاً ليس بعدهما رُقودُ
أَلا تَسَلين عن شِبْلَيّ ماذا ... أصابهما إذا اهْتَرش الأُسُودُ[1]
فإنّي لو ثأرتُ المرءَ حَزْناً ... وسَهْلاً قد بدا لكِ ما أُريدُ

فرجع القومُ إلى الملك فأخبروه بما سمعوا ، فأَمر بقتل النَّهْديّ رِزاحٍ ، وردّ زُهيراً إلى موضعه .

[شعر الوليد بن عقبة]

وقد أَنشدني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال : أَنشدنا محمد بن حَبيبَ أَبياتَ الوليد هذه على الوِلاء ، وهي : [من الطويل]

أَلا مَن لِلَيْلٍ لا تَغُورُ كواكبُهْ ... إذا لاح نجمٌ لاحَ نجم يراقبُهْ[2]
بني هاشم رُدّوا سلاحَ ابن أختكم ... ولا تَنْهبوه لا تَحِلُّ مناهِبُهْ
بني هاشم لا تَعْجَلوا بإقادةٍ ... سواءٌ علينا قاتِلوه وسالِبُهْ[3]
فقد يُجْبَرَ العظمُ الكسير ويَنْبري ... لذي الحقّ يوماً حقُّه فيطالبُهْ
وإنّا وإيّاكم وما كان منكم ... كصَدْعِ الصَّفا لا يَرْأَبُ الصَّدْعَ شاعبُه
بني هاشم كيف التعاقُد بيننا ... وعند عليٍّ سيفُه وحَرائِبُهْ[4]
لعَمْرُكَ لا أُنسى ابنَ أَرْوى وقتلَه ... وهل ينسيَنّ الماءَ ما عاش شاربُهْ
همُ قتلوه كي يكونوا مكانَه ... كما غَدَرتْ يوماً بكسْرى مَرازِبُهْ
وإنّي لمجتابٌ إليكم بجحفلٍ ... يُصِمُّ السَّميعَ جَرْسُه وجَلائبُهْ

---

1 شبلي في ل : شبليك .
2 كلمة لاحَ الثانية في ل : غار .
3 المثل : سواء علينا قاتلاه وسالبه في مجمع الميداني 1 : 335 والمستقصى 2 : 123 والجمهرة 1 : 515 .
4 الحرائب : المال أو ما يسلب منه .

وقد أجاب الفضلُ بن عبّاس بن عُتْبة بن أبي لَهَب الوليدَ عن هذه الأبيات ، وقيل : بل أبوه العبّاس بن عُتبة المجيبُ له أيضاً . والجواب : [من الطويل]

صوت

فــلا تسألونــا بالسلاح فإنّــه أُضيع وأُلقاه لَدى الرَّوْع صاحبُهْ[1]
وشبَّهْتَه كسرى وقــد كان مثلَه شبيهاً بكسرى هَدْيُــه وعصائبُهْ

ذكر أحمد بن المكّيّ أنّ لابن مِسْجَح فيه لحناً وأنّ لحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى ، وقال غيره : إنّه من منحول أبيه يحيى إلى ابن مسجح .

1 تسألونا في ل : تسألوني .

[68] ـ ذكر باقي خبر الوليد بن عُقْبة ونسبه

[نسب الوليد بن عقبة وولايته الكوفة]

الوليدُ بنُ عقبة بن أَبي مُعَيط ، وقد مضى نسبه مع أَخبار ابنه أَبي قَطِيفة . ويكنى الوليدُ أَبا وَهْب . وهو أَخو عثمان بن عفّان لأُمّه . أُمّهما أَرْوى بنت كُرَيز ، وأُمّها البيضاء بنت عبد المطّلب . وكان من فِتيان قريش وشعرائهم وشُجعانهم وأَجوادِهم ، وكان فاسقاً ؛ ووَلِيَ لعثمان رضي الله عنه الكوفةَ بعد سعد بن أَبي وَقّاص ، فشرِب الخمرَ وشُهِد عليه بذلك ، فحدّه وعزلَه .

[تحريضه معاوية على الأخذ بثأر عثمان]

وهو الذي يقول يَرثي عثمانَ رضي الله عنه ويُحرِّض معاوية : [من الطويل]

والله ما هندٌ بأُمِّك إن مضى النهـ ـــارُ ولم يَثْـأر بعثمان ثائرُ
أيقتَل عبـدُ القـوم سيِّدَ أَهلِـه ولم تقتلوه ليت أُمَّـكَ عاقرُ
وإنّا متى نقتلْهمُ لا يُقِـدْ بهم مُقِيدٌ فقد دارت عليك الدوائرُ

[كان يجالس عثمان على سريره]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أَبيه قال : لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلاّ العباسُ بن عبد المطّلب وأَبو سفيان بن حَرْب والحَكَم بن أَبي العاصي والوليد بن عُقْبة ، فأَقبل الوليدُ يوماً فجلس ، ثم أَقبل الحكم ، فلمّا رآه عثمان زَحَل له عن مجلسه ، فلمّا قام الحكم قال له الوليد : والله يا أَمير المؤمنين ، لقد تَلَجْلج في صدري بيتان قلتُهما حين رأيتك أثرت عمّك على ابنِ أُمّك ؛ فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه : إنّه شيخ قريش ، فما البيتان اللذان قلتَهما ؟ قال قلت : [من الطويل]

رأَيتُ لعـمِّ المـرء زُلْفى قرابةٍ دُوَيْن أَخيه حادثاً لَم يكن قِدْمَا
فأَمّلتُ عَمْراً أَن يَشِبّ وخالداً لكي يدعُواني يوم مَزْحمةٍ عمّا

يعني عمراً وخالداً ابنَي عثمان . قال : فرَقّ له عثمان ، وقال له : قد ولّيتك العراق (يعني الكوفة) .

[ولايته على الكوفة وخبره مع سعد بن أبي وقاص]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني بعضُ أصحابنا عن ابن دَأْب قال : لمّا ولّى عثمان رضي الله عنه الوليدَ بن عقبة الكوفةَ قدِمها وعليها سعد بن أبي وَقّاص ، فأُخبِر بقدومه ؛ فقال : وما صنع ؟ قال : وقف في السوق فهو يحدّث الناسَ هناك ولسنا نُنكر شيئاً من شأنه ؛ فلم يلبث أن جاءه نصفَ النهار ، فاستأذن على سعد فأذِن له ، فسلّم عليه بالإمرة وجلس معه ؛ فقال له سعد : ما أقدمك أبا وهب ؟ قال : أحببتُ زيارتك ؛ قال : وعلى ذلك أجئتَ بريداً ؟ قال : أنا أرْزَنُ من ذلك ، ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرّحوني إليه ، وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة ؛ فمكث طويلاً ثم قال : لا والله ما أدري أصلَحتَ بعدنا أم فسَدنا بعدك ؟ ثم قال : [من الطويل]

خُذيني فجُرِّيني ضِبـاعُ وأبْشِري بلحم امرىءٍ لم يَشهد اليوم ناصِرُهْ

فقال : أما والله لأنا أقْوَلُ للشعر وأرْوى له منك ، ولو شئتُ لأجبتُك ، ولكنّي أدَعُ ذلك لما تعلم ؛ نعم والله قد أُمِرتُ بمحاسبتك والنظرِ في أمر عُمّالك ؛ ثم بعث إلى عمّاله فحبَسهم وضيَّق عليهم ؛ فكتبوا إلى سعد يستغيثون ، فكلّمه فيهم ؛ فقال له : أوَ للمعروف عندك موضع ؟ قال : نعم والله ؛ فخلّى سبيلَهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر قال حدّثنا جَنّاد بن بِشْر قال : حدّثني جَرير عن مُغيرة بنحوه . قال أبو زيد عمر بن شبّة أخبرنا أبو بكر الباهليّ قال حدّثنا هُشَيم عن العَوّام بن حَوْشَب : أنّه لمّا قدِم على سعد قال له سعد : ما أدري أكِسْتَ بعدنا أم حَمُقْنا بعدك ؟ فقال : لا تَجْزَعنَّ أبا إسحاق ، فإنّما هو المُلْك يتغدّاه قومٌ ويتعشّاه آخرون ؛ فقال له سعد : أراكم والله ستجعلونه مُلْكاً .

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثني المدائنيّ عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شَقِيق بن سَلَمة قال : قدِم الوليد بن عقبة عاملاً لعثمان على الكوفة وعبد الله بن مسعود على بيت المال ، وكان سعد قد أخذ مالاً ، فقال الوليد لعبد الله : خُذْه بالمال ، فكلّمه عبد الله بمحضر من الوليد في ذلك ؛ فقال سعد : آتي أميرَ المؤمنين ، فإن أخذني به أدّيتُه . فغمزَ الوليدُ عبدَ الله ، ونظر إليهما سعد فنهض وقال : فعلتماها ؛ ودعا اللهَ أن يُغرِيَ بينهما وأدّى المال .

[صلّى بالناس الصبح أربع ركعات]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثنا هارون بن مَعروف قال حدّثنا ضَمْرة بن رَبيعة عن ابن شَوْذب قال : صلّى الوليد بن عُقْبة بأهل الكوفة الغداةَ أربعَ ركعات ، ثم التفت إليهم فقال : أأزيدكم ؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما زلنا معك في زيادة منذُ اليوم .

[شعر الحطيئة فيه]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا جَرير عن الأَجْلح عن الشَّعْبيّ في حديث الوَليد بن عُقْبة حين شهدوا عليه قال : قال الحطيئة[1] : [من الكامل]

شهِد الحطيئةُ يوم يلقى ربَّه ... أنّ الوليدَ أحقُّ بالعُذرِ
نادى وقد تمّت صلاتُهم ... أأزيدكم سُكراً وما يدري
فأبَوْا أبا وَهْب ولو أذِنوا ... لقَرَنْتَ بين الشفع والوِتْرِ
كَفُّوا عِنانَك إذ جريتَ ولو ... تركوا عِنانك لم تزل تجري

وقال الحطيئة أيضاً[2] : [من الوافر]

تكلّم في الصلاة وزاد فيها ... عَلانِيَةً وجاهر بالنِّفاقِ
ومجّ الخمرَ في سَنَن المُصلّى ... ونادى والجميعُ إلى افتراقِ
أزيدكُم على أن تحمَدُوني ... وما لكمُ وما لي من خَلاقِ

[شرب الخمر فضرب الحدّ]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال قال حمّاد بن إسحاق حدّثني أبي قال ذكر أبو عُبَيدة وهشام بن الكلبيّ والأصمعيّ قالوا : كان الوليد بن عقبة زانياً شِرِّيب خمر ، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلّي بهم الصبحَ في المسجد الجامع ، فصلّى بهم أربع رَكَعات ، ثم التفت إليهم وقال لهم : أزِيدكم ؟ وتقيّأ في المحراب ، وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته : [من مجزوء الرمل]

عَلِق القلبُ الرَّبابا ... بعد ما شابَتْ وشابا

فشخَص أهلُ الكوفة إلى عثمان ، فأخبروه خبرَه وشهِدوا عليه بشُربه الخمرَ ، فأُتِي به ، فأمر رجلاً بضربه الحدَّ ؛ فلمّا دنا منه قال له : نَشَدْتُك اللهَ وقَرابتي من أمير المؤمنين فتركه ؛ فخاف عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يُعطِّل الحدُّ ، فقام إليه فحده فقال له الوليد نشدتُك بالله وبالقرابة فقال له عليّ : اسكت أبا وَهْب فإنّما هلكتْ بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدودَ ، فضربه وقال : لَتدعُوَنّي قريشٌ بعد هذا جلاّدَها . قال إسحاق : فأخبرني مُصْعَب الزُّبيريّ قال : قال الوليد بن عُقْبة بعد ما جُلد : اللهمّ إنّهم شهِدوا عليّ بزور ، فلا تُرْضِهم عن أمير ولا تُرْضِ عنهم أميراً . فقال الحطيئة يكذّب عنه : [من الكامل]

---

1 ديوان الحطيئة (صادر) : 180 .

2 ديوان الحطيئة : 181 .

شهِد الحُطَيئةُ يومَ يلقى ربَّه   أنّ الوليد أحقُّ بالعُذْرِ
خَلعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو   تركوا عِنانَك لم تَزَل تَجْرِي
ورأَوْا شمائلَ ماجدٍ أَنِفٍ   يُعْطِي على الميسور والعُسْرِ
فنُزِعتَ مكذوباً عليك ولم   تَنْزِعْ إلى طمع ولا فقرِ[1]

فقال رجل من بني عِجْل يردّ على الحطيئة : [من الكامل]

نادى وقد تَمَّتْ صَلاتُهمُ   أأزيدكم ثَمِلاً وما يَدْرِي
لِيزيدَهم خَيْراً ولو قَبِلوا   لقَرَنْتَ بين الشَّفْع والوِتَرِ
فأَبَوْا أَبا وَهْب ولو فعلوا   وصلتْ صَلاتُهُم إلى العَشْرِ

وروى العبّاس بن مَيْمون طائع عن ابن عائشةَ قال حدّثني أبي قال : لمّا أحضر عثمانُ رضي الله عنه الوليدَ لأهل الكوفة في شُرْب الخمر ، حضَر الحُطَيئةُ فاستأذن على عثمان وعنده بنو أُميّة متوافِرون ، فطَمِعوا أن يأتيَ الوليدَ بعذر ، فقال : [من الكامل]

شَهِد الحُطَيئةُ يوم يلقى ربَّه   أنّ الوليد أحقُّ بالعذرِ
خلعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو   تركوا عِنانك لم تزل تجري
ورأَوْا شمائل ماجدٍ أَنِفٍ   يُعطي على الميسورِ والعُسرِ
فنُزعتَ مكذوباً عليك ولم   تَنزِع إلى طمع ولا فقرِ

قال : فسُرُّوا بذلك وظنّوا أنّ قد قام بعذره ؛ فقال رجل من بني عِجْل يردّ على الحُطيئَة : [من الكامل]

نادى وقد تَمّتْ صَلاتُهمُ   أأزيدكم ثَمِلاً وما يَدْرِي
فأَبَوْا أَبا وَهْبٍ ولو فعلوا   وصلتْ صلاتُهمُ إلى العَشْرِ

فوجَم القومُ وأَطرقوا ، فأَمر به عثمانُ رضي الله تعالى عنه فحُدّ .

[قصّة رجل معيطيّ شهد عليه عند الأمير]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ[2] قال حدّثني محمّد بن الفَضْل مِنْ حِفْظه قال حدّثنا عمر بن شَبّة من حفظه ، ونسختُ من كتاب لهارون ابنِ الزيّات بخطّه عن عمر بن شبّة ، وروايتُه أتمّ ، فحكيتُ لفظه ، قال : شهِد رجل عند أَبي العَجّاج ، وكان على البصرة ، على رجل من المُعَيْطيّين

1 طمع في ل : طبع .
2 ل : المكّيّ .

شهادة ، وكان الرجل الشاهد سكرانَ ؛ فقال المشهود عليه وهو المُعَيْطيّ : أعزّك الله إنّه لا يُحسنُ أَن يقرأ من السكر ؛ فقال الشاهد : بلى إنّي لأُحسن ؛ فقال : اقرأْ ؛ فقال : [من مجزوء الرمل]

عَلِق القلبُ الرَّبابـا بعد مـا شابت وشابا

قال : وإنّما تَماجَنَ بذلك على المُعَيْطِيّ ، ليَحكي به ما صنع الوليدُ بن عُقْبة في مِحْراب الكوفة وقد تقدّم للصلاة وهو سكرانُ ، فأنشد في صلاته هذا الشّعر ؛ وكان أَبو العجّاج مُحمَّقاً فظنَّ أَنّ هذا قرآن ، فقال : صدق الله ورسوله ، وَيْلَكم ؛ فلم تعلمون ولا تعملون ؟ ولقد رُوي أَيضاً في الشهادة على الوليد في السُّكر غيرُ ما ذُكِر من زيادته في الصلاة .

[رواية أُخرى لحكاية سكره]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال عرضت على المَدائنيّ عن مبارك بن سَلاّم عن فِطْر بن خَلِيفة عن أَبي الضُّحى قال : كان أَبو زَيْنب الأَزْدِيّ وأَبو مُوَرِّع يطلبان عَثْرة الوليد بن عُقْبة ، فجاءا يوماً فلم يحضُر الصلاة ، فسأَلا عنه وتلطّفا حتى عِلما أَنّه يشرب ، فاقتحما عليه الدارَ فوجداه يَقيء ، فاحتملاه وهو سكرانُ فوضعاه على سريره وأَخذا خاتَمَه من يده ، فأَفاق فافتقد خاتَمَه فسأَل عنه ؛ فقالوا : لا ندري وقد رأَينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك ؛ فقال : صِفُوهما لي ؛ فقالوا : أَحدهما آدَمُ طويلٌ[1] حسنُ الوجه ، والآخرُ عريض مربوع عليه خَمِيصة[2] ؛ فقال : هذا أَبو زَينب وأَبو مُوَرِّع . ولقي أَبو زينب وصاحبُه عبدَ الله بن حُبَيش[3] الأَسديّ وعَلقمة بن يَزيد البَكْريّ وغيرَهما فأَخبراهم ، فقالوا : اشخَصوا إلى أَمير المؤمنين فأَعْلِموه ؛ فقال بعضهم : لا يَقبل قولَنا في أَخيه ؛ فشخَصوا إليه وقالوا : إنّا جئناك في أَمرٍ ونحن مُخرِجوه إليك من أَعناقنا ، وقد قلنا : إنّك لا تقبلُه ، قال : وما هو ؟ قالوا : رأَينا الوليدَ وهو سكرانُ من خمر قد شرِبها وهذا خاتمُه أَخذناه وهو لا يَعقِلُ ؛ فأَرسل إلى عليّ رضي الله تعالى عنه فشاوره ؛ فقال : أَرى أَنْ تُشخِصه ، فإن شهدوا عليه بمَحْضَرٍ منه حدَدْتَه ؛ فكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الوليد بن عُقبة فقدِم عليه ، فشهد عليه أَبو زينبَ وأَبو مُوَرِّع وجُنْدَب الأَسْديّ وسعد بن مالك الأَشْعريّ ، ولم يَشْهَد عليه إلاّ يمانٍ ؛ فقال عثمان لعليّ : قم فاضربه ؛ فقال عليّ للحسن : قم فاضربه ؛ فقال الحسن : ما لك ولهذا ؛ يكفيك غيرُك ؛ فقال عليّ لعبد الله بن جعفر : قم فاضربه ، فضربه بمِخْصَرة فيها سيرٌ له رأسان ، فلمّا بلغ أَربعين قال له عليٌّ : حَسْبُك .

---

1 ل : طوال .

2 الخميصة : كساء أَسود مربّع .

3 ل : خنيس .

[عائشة تتدخّل لإقامة الحد على الوليد]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدائنيّ عن الوَقّاصيّ عن الزُّهريّ قال : خرج رهطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد ، فقال : أكلّما غضِب رجلٌ منكم على أميره رماه بالباطل ! لئن أصبحتُ لكم لأنكِّلنّ بكم ؛ فاستجاروا بعائشة ؛ وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعضُ الغِلْظة ، فقال : أما يَجِد مُرّاق أهلِ العراق وفُسّاقهم ملجأً إلاّ بيتَ عائشة ؟ فسمعتْ فرفعتْ نعل رسول الله ﷺ وقالت : تركتَ سنّةَ رسول الله ﷺ صاحبِ هذه النعل ؛ فتسامَع الناسُ فجاءوا حتى ملؤوا المسجدَ ، فمن قائل : أحسنْت ، ومن قائل : ما للنساء ولهذا ! حتى تحاصبوا وتَضاربوا بالنّعال ؛ ودخل رهطٌ من أصحاب رسول الله ﷺ على عثمان ؛ فقالوا له : اتّق الله ولا تُعطِّل الحدَّ ؛ واعزِلْ أخاك عنهم ؛ فعزَله عنهم .

[ضرب عثمان رجلاً شهد عليه]

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدائنيّ عن أبي محمد النّاجِيّ عن مَطَر الورّاق قال : قدِم رجل المدينةَ فقال لعثمان رضي الله عنه : إنّي صلّيتُ الغداةَ خَلْف الوليد بن عُقْبة ، فالتفتَ إلينا فقال : أأَزيدكم ؟ إنّي أجِد اليومَ نشاطاً ، وأنا أشَمّ منه رائحةَ الخمر ؛ فضرب عثمانُ الرجل ؛ فقال الناس : عُطّلتِ الحدود وضُربت الشهود .

[الوليد بن عقبة وعديّ بن حاتم]

أخبرني أحمد قال حدّثني عُمر قال حدّثنا أبو بكر الباهِليّ عن بعض مَن حدّثه قال : لمّا شُهِد على الوليد عند عثمان بشُرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص ، فخرج وخرج معه قومٌ يَعْذِرونه ، فيهم عدِيّ بن حاتم ، فنزل الوليدُ يوماً يَسُوق بهم ، فقال يرتجز : [من الرجز]

لا تحسَبنّا قد نَسِينا الإيجافْ والنَّشَوات من عَتيق أو صافْ[1]
وعَزْفَ قَيْناتٍ علينا عُزَّافْ

فقال عَدِيّ : إلى أين تذهب بنا ؟ أقِمْ . . . .

[أخبار تتعلّق بجلد الوليد]

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال عَرَضْتُ على المَدائنيّ عن قَيْس بن الرَّبيع عن الأجْلَح عن الشَّعْبيّ عن جُنْدَب قال : كنتُ فيمن شهِد على الوليد ، فلمّا استَتْمَمْنا عليه الشهادةَ حبسه عثمان ، ثم ذكر باقيَ خبره وضَرْبَ عليّ عليه السلام إيّاه ، وقولَ الحسن : «ما لَكَ ولهذا !» ، فزاد فيه : فقال له عليّ : لست إذاً مسلماً ، أو من المسلمين .

---

1 الإيجاف : ضرب من سير الإبل .

حدّثنا إبراهيم بن عبد الله المخزوميّ قال حدّثنا سعيد بن محمد المخزوميّ قال حدّثنا ابنُ عُلَيّة قال حدّثنا سَعيد بن أبي عَرُوبة عن عبد الله الدّاناج قال سمعت الحُضَين بن المُنْذِر أبا ساسانَ يحدِّث ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمّد بن حاتم قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُليّة قال حدّثنا سعيد بن أبي عَرُوبة قال حدّثنا عبد الله الدّاناج عن حُضَين أبي ساسانَ قال : لمّا جيء بالوليد بن عُقْبة إلى عثمان بن عَفّان وقد شَهِدوا عليه بشرب الخمر ، قال لعليّ : دونَك ابنَ عمّك فأَقِمْ عليه الحدَّ ؛ فأمَر به فجُلِد أربعين . ثم ذكر نحوَ هذا الحديث وقال فيه : فقال عليّ للحسن : بل ضَعُفْتَ ووَهَنْتَ وعَجَزْتَ ، قُمْ يا عبدَ الله بنَ جعفر ، فقام فَجَلده وعليّ يَعُدّ حتى بلَغ أربعين ، فقال عليّ : أمسِكْ ، جلَد رسولُ الله ﷺ أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وأتمّها عمرُ ثمانين ، وكُلٌّ سُنّة .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد قال : لمّا ضرب عثمانُ الوليدَ الحدَّ قال : إنّك لتضربني اليومَ بشهادة قوم لَيَقتُلُنَّكَ عاماً قابلاً .

[أبو زبيد من ندمائه]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ عن عمّه عبيد الله قال أخبرني محمّد بن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ قال ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد ، وأخبرني إبراهيم ابن محمّد بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم ، قالوا جميعاً : كان أبو زُبَيد الطائي نديماً للوليد بن عُقْبة أيّامَ ولايته الكوفةَ ، فلمّا شُهِد عليه بالسكر من الخمر وخرج من الكوفة قال أبو زُبَيد[1] واللفظ في القصيدة لليَزيديّ لأنّها في روايته أتمّ : [من الخفيف]

مَن يرى العِيرَ لابن أَرْوى على ظهـ ـــر المَـرَوْرَى حُداتُهـنَّ عِجالُ
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْـ ـب خَـلاءٌ تَحِـنُّ فيـه الشَّمالُ
يعرف الجاهلُ المُضَلّل أنّ الدهـ ـــر فيــه النَّكْــراء والـزِّلْزالُ
ليت شعري كذاكم العهدِ أم كا نــوا أُناساً كمــن يـزول فزالوا
بعـد مـا تَعْلَمين يـا أُمَّ زيـــدٍ كان فيهـم عِـزٌّ لنـا وجَمالُ
ووجــوهٌ بوُدِّنـا مشرقـــاتٌ ونَـــوالٌ إذا أُريـــد النَّــوالُ

---

1 ستَرِد ترجمة لأبي زبيد الطائي فيما بعد . وهذه الأبيات في مجموع شعره (بغداد) : 127–131 .

أَصبح البيتُ قد تبدّل بالحيّ ... وجوهاً كأنّها الأقْتالُ
كلُّ شيء يَحتال فيه الرجالُ ... غير أَنْ ليس للمنايا احتيالُ
ولَعَمْرُ الإلهِ لو كان للسيـ ... ـف مَصالٌ أَو للّسان مَقالُ
ما تناسيتُك الصفاءَ ولا الوُدَّ ... ولا حال دونك الأَشغالُ
ولحرَّمتُ لَحْمَك المُتَعَضّى ... ضَلَّةً ضَلّ حِلْمُهم ما اغتالوا[1]
قولُهم شُرْبُك الحرامَ وقد كا ... ن شرابٌ سوى الحرامِ حَلالُ
وأَبى الظّاهرُ العداوةِ إلاّ ... شَنآناً وقولَ ما لا يُقالُ
من رجالٍ تَقارضوا مُنْكَراتٍ ... لِيَنالوا الذي أَرادوا فنالوا
غيرَ ما طالِبين ذَحْلاً ولكن ... مال دهرٌ على أُناس فمالوا
مَن يَخُنْك الصّفاءَ أَو يتبدّلْ ... أَو يَزُلْ مثلَ ما تَزُولُ الظِّلالُ
فاعلمَنْ أَنّني أَخوك أَخو الودّ ... حياتي حتى تزولَ الجبالُ
ليس بخلاً عليك عندي بمالٍ ... أَبداً ما أَقَلّ نعلاً قِبالُ[2]
ولك النّصر باللسان وبالكفّ ... إذا كان لليدين مَصالُ

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

صوت

[من الخفيف]

مَن يرى العِيرَ لابن أَرْوى على ظهـ ... ـر المَرَوْرى حُداتُهنّ عِجالُ
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أَبي وَهْـ ... ـبٍ خلاءٌ تَحِنّ فيه الشَّمالُ

عروضه من الخفيف. المَرَوْرَى: جمع مَرَوْراة وهي الصحراء. غنّى الدّلال فيه خفيفَ ثقيل بإطلاق الوتر في مَجرى البِنْصر عن إسحاق وغيرِه.

[لوم الوليد لانزاله أبا زبيد بدار على باب المسجد]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: لمّا قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ قَدم عليه أَبو زُبَيد، فأَنزله دارَ عَقِيل بن أَبي طالب على باب المسجد وهي دارُ القِبْطِي، فكان ممّا احْتَجَّ به عليه أَهلُ الكوفة أَنّ أَبا زُبَيد كان يخرج إليه من داره يخترق المسجدَ وهو نصرانيّ

1 المتعضى: المتقطّع والمتفرق.
2 أقل: حمل. القبال: سير النعل بين الأصبعين.

فيجعلُه طريقاً .

أخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي عُبيد الله عن أبي حَبِيب بن جَبَلة عن ابن الأعرابيّ : أنّ أبا زُبَيد وفَد على الوليد حين استعمله عثمانُ على الكوفة ، فأنزله الوليد داراً لعَقِيلِ بن أبي طالب على باب المسجد ، فاستَوْهبها منه فوَهَبها له ، فكان ذلك أوّلَ الطَّعْن عليه من أهل الكوفة ؛ لأنّ أبا زُبيد كان يخرج من منزله حتى يَشُقّ الجامعَ إلى الوليد ، فيَسْمُرُ عنده ويشرب معه ويخرج فيَشُقّ المسجدَ وهو سكران ، فذلك نبّههم عليه .

[ولاه عمر صدقات بني تغلب]

قال : وقد كان عمرُ بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ولّى الوليدَ بن عُقْبة صَدَقاتِ بني تَغْلِب ، فبَلَغه عنه بيتٌ قاله وهو : [من الطويل]

إذا ما شَدَدْتُ الرأسَ مِنّي بمِشْوَذٍ فغَيَّكِ مِنّي تَغْلِبَ ابنةَ وائلِ[1]

فعزَله .

[مدح أبي زبيد للوليد]

وكان أبو زُبَيد قد استودع بَني كنانةَ بن تَيْم بن أُسامة بنِ مالك بن بَكْر بن حَبيب بن غَنْم بن تَغْلب إبلاً فلم يردّوها عليه حين طلبها ، وكانت بنو تغلب أخوالَ أبي زُبَيد ، فوجد الوليدُ بني تغلبَ ظالمين لأبي زُبَيد ، فأخذ له الوليدُ بحَقّه ؛ فقال يمدح الوليد[2] : [من البسيط]

يا ليت شِعري بأَنْباءٍ أُنَبَّؤُها قد كان يَعْيا بها صَدْري وتَقْديري

عن امرِىءٍ ما يَزِدْه اللهُ من شَرَفٍ أَفرَحْ به ومُرَيٌّ غيرُ مسرورِ

(يعني مُرَيّ بن أَوْس بن حارِثة بن لأْم) . وهي طويلة يقول فيها : [من البسيط]

إنّ الوليدَ له عندي وحُقَّ له وُدُّ الخليلِ ونُصْحٌ غيرُ مَذْخورِ

لقد رعاني وأدناني وأَظهَرني على الأَعادي بنصرٍ غيرِ تَعْذيرِ[3]

فشَذَّب القومَ عنّي غيرَ مكترثٍ حتى تناهَوْا على رغم وتَصْغيرِ[4]

نفسي فداءُ أَبي وَهْبٍ وقَلَّ له يا أُمَّ عمرٍو فَحُلّي اليومَ أَو سِيري

وفي رواية ابن حَبيب : «يا أمّ زيد» ، يعني : يا أمّ أبي زُبَيْد .

---

1 المشوذ : العمامة .

2 شعر أبي زبيد (بغداد) : 78–79 .

3 وأظهَرني في ل : وآثرني .

4 شذب : طرد ودفع .

[أقطع أبا زبيد أرضاً واسعة]

أخبرني محمّد بن العبّاس عن عمّه عن محمّد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ قال : كان الوليد بن عُقْبة قد استعمل الرَّبيع بن مُرَيّ بن أَوْس بن حارثة بن لأْم الطائيّ على الحِمى فيما بين الجزيرة وظَهْر الحِيرة ، فأجْدبتِ الجزيرةُ ، وكان أبو زبيد في تَغْلِب ، فخرج بهم لِيُرعِيَهم ؛ فأبى عليه الأَوْسيّ وقال : إن شئتَ أن أُرعيَك وحدَك فعلتُ وإلاّ فلا ؛ فأتى أبو زُبَيد الوليدَ بن عُقْبة ، فأعطاه ما بين القصور الحُمْر من الشام إلى القصور الحُمْر من الحِيرة وجعله له حِمىً ، وأخذها من الآخر . هكذا روى ابن حبيب . وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال : كانت الجُنَيْنة في يد مُرَيّ بن أَوْس ، فلمّا قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ انتزعها منه ودفَعها إلى أبي زُبَيْد . والقولُ الأوّل أصحّ ، وشِعْر أبي زُبَيد يدلّ عليه في قوله في الوليد بن عُقْبة يمدحه[1] : [من الوافر]

لَعَمْرُ أبيك يا ابنَ أبي مُرَيٍّ لَغَيْرُك مَن أباح لها الدّيارا
أباح لها أبارِقَ ذات نَوْر تَرَعَّى القَفَّ منها والعَرارا[2]
بحمد الله ثم فتى قريشٍ أبي وهبٍ غدتْ بُطُناً غِزارا[3]
أباح لها ولا يُحْمى عليها إذا ما كنتمُ سَنَةً جزارا

يريد جزرا من الجدب والشدّة .

فتىً طالت يداه إلى المعالي وطَحْطَحَتا المُقطَّعةِ القِصارا

وهي أبيات .

[شعر أبي زبيد عندما نزع منه سعيد بن العاص هذه الأرض]

قال عمر بن شَبَّة في خبره خاصّة : فلمّا عُزِل الوليدُ ووَلِيَها سعيد انتزعها منه وأخرجها من يده ؛ فقال : [من الخفيف]

ولقد مُتّ غير أنّيَ حيٌّ يوم بانت بودّها خنساءُ[4]
من بني عامرٍ لها شِقُّ نفسي قسمةً مثلَ ما يُشقّ الرداءُ

---

1 شعر أبي زبيد 76–77 .
2 الأبارق : جمع الأبرق وهو الأرض الغليظة الواسعة تنبت البقل والشجر . القف : ما يبس من البقول . العرار : نبت أصفر طيب الرائحة .
3 غزار : إبل كثيرة اللبن .
4 شعر أبي زبيد : 23–26 .

أُشْرِبَتْ لونَ صُفرةٍ في بياضٍ وهي في ذاك لَدْنَةٌ غَيْداءُ
كلُّ عينٍ ممّن يراها من النّا س إليها مُديمةٌ حَوْلاءُ
فانتهُوا إن للشدائد أهلاً وذَرُوا ما تُزَيِّن الأهواءُ
ليتَ شعري وأين مِنِّيَ ليتٌ إنّ ليتاً وإنّ لَوّاً عَناءُ
أيُّ ساعٍ سعى ليقطع شِربي حين لاحت للصابح الجَوْزاءُ
واستظلَّ العصفور كَرْهاً مع الضبِّ وَأوفى في عُوده الحِرْباءُ
ونفى الجُنْدُبُ الحصى بكُراعَيـ ـهِ وأذْكَت نيرانَها المَعْزاءُ[1]
من سَمُوم كأنّها حَرُّ نارٍ سَفَعَتْها ظَهيرةٌ غَرّاءُ
وإذا أهلُ بلدةٍ أنكروني عَرَفتْني الدَّوِّيَّةُ المَلْساءُ[2]
عرفتْ ناقتي الشمائلَ منّي فهي إلاّ بُغامَها خَرْساءُ[3]
عَرَفَتْ ليلَها الطويلَ وليلي إنّ ذا الليل للعيون غِطاءُ

نسبة ما يغنّى فيه من هذا الشعر

صوت

[من الخفيف]

أيُّ ساعٍ سعى ليقطع شِرْبي حين لاحت للصابح الجَوْزاءُ
واستكنّ العصفورُ كَرْهاً مع الضـ ـبّ وأوفى في عوده الحِرْباءُ
وإذا الدّارُ أهلُها أنكَروني عَرفتني الدَّوِّيَّة المَلْساءُ
عُرفتْ ناقتي الشمائلَ منّي فهي إلاّ بُغامَها خَرْساءُ
عرفتْ ليلَها الطويلَ وليلي إنّ ذا الليلَ للعيون غِطاءُ

عروضه من الخفيف. غنّاه ابنُ سُرَيج خفيفَ رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وغنّى داود بن العبّاس الهاشميّ في الخامس ثم الثالث خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو.

[تشوّق أبي زبيد للكوفة]

قال ابن حبيب في خبره: وقال أبو زُبَيْد يتشوّق إلى الوليد لمّا خرج عن الكوفة[4]: [من الطويل]

1 المعزاء: الأرض الغليظة ذات الحجارة.
2 الدوية: الفلاة.
3 بغام الناقة: صوتها دون مدّ.
4 شعر أبي زبيد: 72–73.

لعَمْري لئن أَمْسى الوليدُ ببلدةٍ سواي لقد أمسيتُ للدَّهرِ مُعْوَرا[1]

[قال ابن حبيب : «ويروى سويّ لقد . . .» وهي لغة طيّىء] .

خــلا أَنَّ رزقَ الله غــادٍ ورائحٌ وأنِّي لــه راجٍ وإن سِرتُ أشهرا
وكان هو الحصنَ الذي ليس مُسلِمي إذا أنــا بالنَّكْراء هيّجتُ معشرا
إذا صادَفــوا دوني الوليدَ كأنَّما يرون بوادي ذي حَماسٍ مُزَعْفَرا[2]
خضيبَ بنــان مــا يزال براكب يَخُبُّ وضاحي جلدِه قد تقشَّرا[3]

وهي طويلة .

[الوليد يفاخر عليّ بن أبي طالب]

حدَّثني إسحاق بن بَنان الأَنماطيّ قال حدّثنا حُبَيْش بن مُبَشِّر قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدّثنا ابن أَبي لَيْلى عن الحَكَم عن سَعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس قال : قال الوليد بن عُقْبة لعليّ بن أَبي طالـبٍ رضي الله عنه : أَنا أَحَدُّ منك سِناناً ، وأَبسطُ منك لساناً ، وأَملأُ للكتيبة طِعاناً ؛ فقال له عليّ رضي الله تعالى عنه : اسكتْ ! فإنّما أَنت فاسق ؛ فنزَل القرآنُ : ﴿أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَن كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾ 18/32 .

[أرسله النبيّ ﷺ ، على صدقات بني المصطلق فاتهمهم بالردة]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شَبّة قال حدّثني محمد بن حاتم قال حدّثنا يونس بن محمد قال حدّثنا شَيْبانُ عن قَتادة في قوله تعالى : ﴿إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ قال : هذا ابنُ أَبي مُعَيْط الوليدُ بن عُقْبة ، بعثه النبيّ ﷺ إلى بني المُصْطَلِق مُصَدِّقاً ، فلمّا رأوه أَقبلوا نحوَه فهابَهم ؛ فرجَع إلى النبيّ ﷺ فأَخبره أَنّهم قد ارتدّوا عن الإسلام ؛ فبعث النبيّ ﷺ خالد بن الوليد وأَمَره أَن يتثبَّت ولا يعجَل ؛ فانطلق حتّى أَتاهم ليلاً فبعث عيونَه ؛ فلمّا جاؤوه أَخبروه بأَنّـهم متمسّكون بالإسلام وسمعوا أَذانَهم وصَلاتَهم ؛ فلمّا أَصبحوا أَتاهم خالد فرأَى ما يُعْجِبه ، فرجع إلى النبيّ ﷺ فأَخبره .

[شكته زوجه إلى النبيّ]

أَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدّثنا نُعَيْم بن حَكيم عن أَبي مَرْيَم عن عليّ : أَنّ امرأَة الوليد بن عُقْبة جاءَت إلى النبيّ ﷺ ، تَشْتكـي الوليـدَ وقالت : إنّه يضربها ؛ فقال لها : «ارجعي وقولي إنّ رسول ﷺ ، قد

---

1 المعور : الذي لا حافظ له . والمعور في ل : مثاراً : أي محلاً للثأر .
2 ذو حماس : موضع وقيل مأسدة . المزعفر : الأسد الورد .
3 ل : خصيب لبان .

أجارني» ، فانطلقتْ فمكثتْ ساعةً ، ثم رجعتْ فقالت : ما أَقْلَع عنّي ؛ فقطَع رسول الله ﷺ هُدْبَةً من ثوبه ثم قال : «امضي بهذا ثم قولي إنّ رسول الله ﷺ ، أجارني» ؛ فانطلقتْ فمكثتْ ساعة ثم رجعتْ فقالت : يا رسول الله ما زادني إلاّ ضَرْباً ؛ فرفع يديْه وقال : «اللهمّ عليكَ الوليدَ» مرّتين أو ثلاثاً .

[لم يمسح النبيّ على رأسه يوم الفتح]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة ، وحدّثني أبو عُبيد الصَّيْرفيّ قال حدّثني الفضلُ بن الحسن البصريّ قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا أيّوب بن عمر قال حدّثنا عمرُ بن أيّوب قال حدّثنا جعفر بن بُرْقان عن ثابت بن الحَجّاج عن أبي موسى عبد الله الهَمْداني : أنّ الوليد بن عُقْبة قال : لمّا فتح رسولُ الله ﷺ ، مكّة ، جعل أهلُ مكّة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسَحُ على رؤوسهم ، فجيء بي إليه وأنا مُخَلَّق[1] فلم يَمْسَسْني ، وما منعه إلاّ أنّ أُمّي خلّقتني بخَلُوق فلم يمسسني منْ أجل الخلوق .

[قتل جندب بن كعب ساحره خشية الفتنة]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمَر قال حدّثنا خَلَف بن الوليد قال حدّثنا المُبارك بن فَضالة عن الحسن : أنّ الوليد بن عُقْبة كان عنده ساحرٌ يُريه كَتِيبتَيْن تَقْتتِلان ، فتحمِل إحداهما على الأُخرى فتهزِمها ؛ فقال له الساحر : أيَسُرُّكَ أن أُرِيَك هذه المنهزمةَ تغلِب الغالبةَ فتهزمها ؟ قال : نعم ؛ وأُخبِر جُنْدَبٌ بذلك ، فاشتمل على السيف ثم جاء فقال : أفرِجوا ، فضربه حتى قتله ، ففزِع الناسُ وخرجوا ؛ فقال : يا أيّها الناس لا عليكم ، إنّما قتلت هذا الساحر لئلاّ يَفْتِنكم في دينكم ؛ فحبسه قليلاً ثم تركه .

[قتل دينار بن دينار لإطلاقه رجلاً أمر بحبسه]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عمر بن سَعيد الدِّمَشْقيّ ، وحدّثنا سَعيد بن عبد العزيز عن الزُّهْرِيّ : أنّ رجلاً من الأنصار نظر إلى رجل يَسْتعلِن بالسِّحْر ، فقال : أوَ إنّ السِّحْر لَيُعْلَن به في دِين محمّد ؟ فقتله ؛ فأُتِيَ به الوليدَ بن عُقْبة فحبَسه ؛ فقال له دينار بن دينار : فيم حُبِستَ ؟ فأخبره فخلَّى سبيلَه ؛ فأرسل الوليد إلى دينار فقتله .

[سيرة جندب بن كعب الأسديّ]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا موسى بن إسماعيل قال حدّثنا حَمّاد بن سَلَمة قال حدّثنا أبو عِمْران الجَوْنِيّ : أنّ ساحراً كان عند الوليد بن عقبة ، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج منه ؛ فرآه جُنْدَبٌ ، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف ، فلمّا دخل الساحرُ في جوف

1 مخلق : مطيّب بالخلوق .

البقرة ، قال : أَتَأْتُونَ السِّحْرَ وأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ، ثم ضرب وَسَطَ البقرة فقطعها وقطع الساحرَ في البقرة فانذعر الناسُ ، فسجنه الوليدُ وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه ؛ وكان السجّان يفتح له البابَ بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجنَ .

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا حَجّاج بن نُصَيْر قال حدّثنا قُرّة عن محمّد بن سيرينَ قال : انْطُلِق بجُنْدَب بن كَعْب إلى سجنٍ خارج الكوفة وعلى السجن رجلٌ نصرانيٌّ ، فلمّا رأى جندبَ بن كعب يصوم النهارَ ويقوم الليلَ ، قال النّصرانيّ : والله إنّ قوماً هذا شرُّهم لقومُ صِدْقٍ ؛ فوكّل بالسجن رجلاً ودخل الكوفةَ فسأل عن أفضل أهل الكوفة ، فقالوا : الأشعث بن قيس ؛ فاستضافه ، فجعل يَرى أبا محمد ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغَدائه ؛ فخرج من عنده فسأل : أيّ أهل الكوفة أفضل ؟ فقالوا : جرير بن عبد الله ؛ فوجده ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغدائه ، فاستقبل القبلةَ ثم قال : ربّي ربُّ جُنْدَب ودِيني على دين جندب ، وأسلم .

حدّثني عمِّي الحسن بن محمد قال حدّثنا الخَزّاز عن المَدائنيّ عن عليّ بن مُجاهِد عن محمّد بن إسحاق عن يزيد بن رُومانَ عن الزُّهْريّ وغيره ، قالوا : لمّا انصرف رسولُ الله ﷺ من غزوة بني المُصْطَلِق ، نزل رجلٌ فساق بالقوم ورجَز ، ثم نزل آخرُ فساق بالقوم ورجَز ، ثم بدا لرسول الله ﷺ أن يُواسيَ أصحابَه ، فنزل فجعل يقول : «جُنْدَبٌ وما جُنْدَب والأَقْطَعُ الخير زيد» ؛ فدنا منه أصحابُه وقالوا : يا رسولَ الله ما يَنفعنا مَشْيُك مخافةَ أن تَلْسَعَك دابّةُ الأرض أو تُصيبك نكبةٌ ؛ فركب ودنَوْا منه فقالوا : لقد قلتَ قولاً ما ندري ما هو ؟ قال : «وما ذاك» ؟ : قالوا : قولك «جُنْدَب وما جُنْدَب والأقطع الخير زيد» ؛ فقال : «رجلان يكونان في هذه الأمّة يضرب أحدُهما ضربةً يفرُق بين الحقّ والباطل وتُقطع يدُ الآخر في سبيل الله فيُتبع اللهُ آخرَ جسده بأوّله» ؛ فكان زَيْدَ بن صُوحان ، قُطِعت يدُه يوم جَلُولاء وقُتل يومَ الجَمَل مع عليّ . وأمّا جُنْدَب فإنّه رجل دخل على الوليد بن عُقْبة وعنده ساحرٌ يكنى أبا شَيْبان يأخذ أَعْيُنَ الناس فيُخرج مَصارينَ بطنه ثم يُعيدها فيه ؛ فجاء من خلفه فقتَله ، وقال : [من الرجز]

الْعَنْ وليداً وأبا شَيْبانِ وابنَ حُبَيْش راكبَ الشَّيطانِ
رسولَ فِرْعونَ إلى هامانِ

[سعيد بن العاص يخلف الوليد على الكوفة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذر الحِزاميّ قال حدّثني ابن وَهْب عن يونس عن الزُّهْريّ قال : نزَع عثمانُ بن عفّان الوليدَ بن عقبة عن الكوفة وأمّر عليها سَعِيد بن العاص . قال أبو زيد : فحدّثني عبد الله بن عبد الرحمن قال حدّثنا سَعيد بن جامِع الهُجَيْميّ قال : لمّا أقبل سعيد من المدينة عامداً للكوفة بعد ما خرج والياً لعثمان جعل

يرتجز في طريقه : [من الرجز]

وَيْــلَ نُسَيّاتِ العِــراق منّي كأنّنــي سَمَعْمَعٌ مـن جِـنٍّ[1]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثني المَدائنيّ عن أبي عَلْقَمة عن سعيد بن أَشْوع قال قال عديّ بن حاتم : قدِم سعيدُ بن العاص الكوفةَ فقال : اغسِلوا هذا المنبر ، فإنّ الوليد كان رَجِساً نَجِساً ؛ فلم يَصْعَده حتّى غُسِل ، عيباً على الوليد . وكان الوليدُ أسنَّ منه وأَسْخى نفساً وأَلينَ جانباً وأَرضى عندهم ، فقال بعضُ شعرائهم : [من الرجز]

يــا وَيْلَنا قــد ذهــب الوليدُ وجاءنــا مــن بعــده سعيدُ
ينقُص في الصّاع ولا يَزيــدُ

وقال آخر : [من الوافر]

فَرَرتُ مــن الوليد إلى سَعيدٍ كأَهل الحِجْر إذ جزِعوا فبارُوا
يَلِينــا مــن قريش كلَّ عــامٍ أميــرٌ مُحْـدَثٌ أو مستشــارُ
لنــا نــارٌ تُحرِّقنــا فَنَخْشى وليس لهـم فـلا يَخْشَوْن نارُ

[زيارة الوليد الكوفة بعد عزله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدائنيّ قال : قدِم الوليدُ بن عُقبة الكوفةَ زائراً للمُغِيرة بن شُعْبة ، فأتاه أشرافُ أهل الكوفة يسلِّمون عليه ، فقالوا : والله ما رأينا بَعْدَك مثلَك ؛ فقال أَخَيراً أم شَرّاً ؟ فقالوا : بل خَيراً ؛ قال : ولكنّي والله ما رأيتُ بعدكم شرّاً منكم ؛ فأعادوا الثناء عليه ؛ فقال : بعضَ ما تُثْنون به ، فوالله إنّ بُغْضَكم لتَلَف ، وإنّ حبّكم لصَلَف .

[قبيصة بن جابر يثني عليه بحضرة معاوية]

قال أبو زيد : وذكروا أنّ قَبِيصة بن جابر كان ممّن كثّر على الوليد ؛ فقال معاوية يوماً والوليدُ وقبيصةُ عنده : يا قَبِيصة ، ما كان شأنُك وشأنُ الوليد ؟ فقال : خيراً يا أمير المؤمنين ، في أوّلٍ وَصَل الرَّحِمَ وأَحسن الكلامَ فلا تسأَلَنّ عن الشكر وحُسْن الثناء ، ثم غضِب على الناس وغضِبوا عليه وكنّا منهم ، فإمّا ظالمون فنستغفر الله ، وإمّا مظلومون فغفر الله له ، وخُذْ في غير هذا يا أمير المؤمنين ، فإنّ الحديثَ يُنْسي القديم ؛ قال : ولِمَ ؟ فوالله لقد أحسن السِّيرةَ وبَسَط الخيرَ وكفَّ الشرّ ؛ قال : فأنت أقدرُ على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل ؛ قال :

---

1 نسيات في ل : ويل لشبّان . سمعمع : سريع أو خبيث لبق .

اسكُت لا سَكَتَّ ، فسكَتَ وسكَتَ القومُ ؛ فقال له : مالك لا تتحدّث ؟ قال : نهيتَني عمّا كنتُ أُحِبّ فسكتُّ عمّا أُكره .

[دفن هو وأبو زبيد في موضع واحد]

أخبرني أحمد قال حدّثني عُمَر قال حدّثني المَدائنيّ قال : مات الوليد بن عُقْبة فُوَيق الرَّقّة ، ومات أبو زُبَيد ، فدُفِنا جميعاً في موضع واحد . فقال في ذلك أَشْجع السُّلَميّ[1] وقد مرّ بقبريْهما : [من الوافر]

مـررتُ عـلى عظامِ أبي زُبَيْـدٍ وقـد لاحـتْ ببَلْقَعَـةٍ صَلُودِ

وكان لـه الوليدُ نَديمَ صِدْقٍ فنـادَمَ قبـرُه قبـرَ الوليدِ

ومـا أدْري بمَـن تَبْدا المنايا بأحمـدَ أو بأشجـعَ أو يزيدِ

[خرج غازياً للروم وقال شعراً]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : خرج الوليد بن عُقْبة غازياً للرُّوم وعلى مقدّمته عُتْبة بن فَرْقَد ، فلَقِيه الروم فقاتلوه ؛ فقال له رجلٌ من العرب نصرانيٌّ : لستُ على دِينكم ولكنّي أنصحكم للنَّسَب ، فالقومُ مقاتلوكم إلى نصف النهار ، فإن رَأَوْكم ضعفاءَ أفنَوْكم وإن صَبَرتم هَرَبوا وتركوكم ؛ فقال سَلْمان بن رَبيعة : يا معشرَ المسلمين ، ما عذرُكم عند الله غداً إن أُصيب عُتْبةُ بن فَرْقَد وأصحابُه ولم يُعِنْهم أحدٌ منكم ! ؛ فركب معه ثلاثةُ آلاف رجل على البغال يَجْنُبون[2] الخيلَ ، فلَحِقوا عُتْبةَ وأصحابَه ، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً حتى هزم اللهُ الرومَ . فقال الوليد بن عُقْبة : [من الطويل]

أتاني من الفَجّ الذي كنتُ آمناً بقيَّةُ شُذّاذٍ مـن الخيلِ ظُلَّعِ[3]

عليها العبيدُ يضربون جُنُوبَها ونازَلَ منّا كُلُّ خِرْقٍ سَمَيْذَعِ

فإنّي زعيـمٌ أن تَصيحَ نساؤهم صياحَ دَجاجِ القرية المتوزِّعِ[4]

[مدحه الحطيئة وكذبه الحليس النهديّ]

وقال الحطيئة يمدح الوليدَ بذلك ، وكان قد وصله وكان الوليد جَواداً[5] : [من الطويل]

1 سيترجم أبو الفرج لأشجع السلميّ فيما بعد .

2 جنب الدابة : قادها إلى جنبه .

3 الفجّ : الطريق الواسع بين جبلين . الشذاذ : القلال المتفرقون . ظلّع : جمع ظالع وهو الذي في مشيته عرج خفيف .

4 المتوزّع : المتفرّق .

5 ديوان الحطيئة (صادر) : 77–80 .

أرى لابن أَرْوى خلّتين اصطفاهما ... قِتالٌ إذا يَلْقى العدوَّ ونائلُهْ
فتىً يملأ الشِّيزى ويروى بكفّه ... سِنانُ الرُّدَيْنيّ الأَصمِّ وعامِلُهْ[1]
يَؤُمُّ العدوَّ حيث كان بجَحْفَلٍ ... يُصِمُّ السميعَ جَرْسُه وصواهلُهْ
إذا حان منه مَنزِلُ الليل أُوقِدَتْ ... لأُخْراه في أعلى اليَفاع أَوائلُهْ
نَفَيْتَ الجِعادَ البِيضَ عن حُرِّ دارهم ... فلم يَبْقَ إلاّ حيّةٌ أنت قاتلُهْ

فقال الحُلَيس بنُ نُعَيم النَّهديّ يكذّب الحُطَيئة : [من الطويل]

وأبلغْ أبا وهبٍ إذا ما لَقيتَه ... فقد حاربتك الرومُ فيمن تُحارِبُ
وفي الأَرضِ حَيّاتٌ وأُسْدٌ كثيرةٌ ... عدوٌّ ولكنّ الحطيئةَ كاذبُ

[شعره في مقتل عثمان]

أَخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عليّ بن محمّد عن أبي مِخْنَف عن خالد بن قَطَن عن أَبيه قال : لمّا قُتل عثمان أَرسل عليّ فأَخذ كلّ ما كان في داره من السلاح وإبلاً من إبل الصدقة ، فلذلك قال الوليد بن عُقْبة[2] : [من الطويل]

بني هاشم رُدُّوا سلاحَ ابنِ أُختكم ... ولا تَنْهَبوه لا تَحِلُّ مَناهِبُهْ
ويُروى : ولا تَهَبُوه لا تَحِلُّ مواهبُهْ
بني هاشمٍ كيف الهَوادةُ بيننا ... وعند عليٍّ سيفُه ونجائبُهْ
قتلتم أَخي كيما تكونوا مكانَه ... كما فعلتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ
هكذا في الخبر : ولا تهبوه لا تَحِلُّ مواهبُهْ

أَخبرني الطُّوسيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عبد الله بن إسحاق الجَعْفَريّ : أَنّ الوليد بن عُقْبة بن أَبي مُعَيط لقي بِجاداً مولى عثمان ، فأَخبره أَنّ عثمان قد قُتل ؛ فقال : [من الخفيف]

ليتَ أنّي هَلَكتُ قبلَ حديثٍ ... سَلَّ جسمي ورِيعَ منه فؤادي
يوم لاقيتُ بالبَلاط بِجاداً ... ليت أنّي هلكتُ قبل بِجادِ[3]

وقد زيد في هذا الشعر بيتٌ ونُقِص منه آخرُ مكانَه وغُنّيَ فيه ، وهو : [من الخفيف]

---

1 الشيزى : الجفان . الأصم : الصلب . عامل الرمح : صدره .
2 تقدّمت هذه الأبيات بروايات مختلفة ، ص 78 .
3 البلاط : موضع بالمدينة .

صوت

طال ليلي وملّني عُوّادي ... وتَجافى عن الضلوع مِهادي
من حديثٍ نُمِي إليّ فما يَرْ ... قَأُ دمعي ولا أُحِسّ رُقادي
يوم لاقيتُ بالبَلاط بِجاداً ... ليت أنّي هلكتُ قبل بِجادِ
وبنفسي التي أُحِبّ وأهلي ... وبمالي وطارفي وتِلادي
قلتُ لا تَغْضبي فذلك قولي ... بلساني وما يُجِنُّ فؤادي

غنّى فيه ابن عَبّاد ثانيَ ثقيل مُطْلَق في مجرى البنصر في الأوّل والرابع من الأبيات ، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن مُحْرِز ، ومن الناس من يَنْسُبه إلى ابن سُرَيج في هذه الطريقة في الأوّل والثاني ، وذكر ابن المَكّيّ أنّه للغَريض ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر ، ووافقه يونس . وذكر أنّ في هذا الشعر لابن سُرَيج والغريض لَحْنين في الخمسة الأبيات . وذكر حَبَش أنّ فيها لَمَعْبد ثقيلاً أوّل بالوُسطى ، ولعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وللغَريض خفيف رَمَلٍ بالوسطى ، ولسُلَيم ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وذكر أحمد بن عُبَيد أنّ فيه رَمَلاً لابن جامِع في البيت الأوّل وحده ، وأنّ فيه هَزَجاً لا يُعرَف صانعه .

[تطير الأمين من الغناء بشعره]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني أبي قال : أرسل إليّ محمّد بن زُبَيدة في ليلةٍ من ليالي الصيف مُقْمِرة : يا عمّ إنّ الحرب بيني وبين طاهر بن الحسين قد سكنتْ ، فصرْ إليّ ، فإنّي إليك مشتاقٌ ، فجئتُه وقد بُسِط له على سطح زُبَيدة ، وعنده سليمان بن جعفر عليه كِساءٌ رُوذَبارِيّ[1] وقَلَنْسُوَةٌ طويلة ، وجَواريه بين يديه ، «وضَعْفُ» جاريتُه عنده ، فقال لها : غَنّيني فقد سُرِرتُ بعمومتي ؛ فاندفعتْ تغنّيه : [من الطويل]

هُمُ قَتَلوه كي يكونوا مكانه ... كما فَعَلَتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ
بني هاشمٍ كيف التواصُلُ بيننا ... وعند أخيه سيفُه ونجائبُهْ

هكذا غنّت ؛ وإنّما هو :

وعند عليّ سيفُه ونجائبُهْ

فغضِب وتطيَّر وقال لها : ما قِصّتك وَيْحَك ! انْثَني وانتهِي وغَنّيني ما يسُرّني !

فاندفعتْ وغنّت : [من مجزوء الكامل]

---

1 نسبة إلى روذبار وهو علم على مواضع مختلفة .

هـذا مَقـامُ مُطَرَّدٍ هُدِمتْ منازلُه ودورُهْ

فازداد تَطَيُّراً ، ثم قال لها : وَيْحَكِ ! انتهي ، غنّيني غير هذا ؛ فغنّت : [من الطويل]

كُلَيبٌ لَعَمْرِي كان أكثرَ ناصراً وأيسرَ جُرْماً منك ضُرِّج بالدّمِ

فقال لها : قومي إلى لعنة الله ؛ فوثبتْ وكان بين يديه قَدَحُ بَلُّور وكان لحبّه إيّاه سمّاه باسمه محمّداً ، فأصابه طَرَفُ ذيلها[1] فسقط على بعض الصواني فانكسر وتفتّت ؛ فأقبل عليّ وقال : أرى والله يا عمّ أنّ هذا آخرُ أيّامنا ؛ فقلت : كلاّ ، بل يُبْقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرّك ؛ قال : ودِجْلةُ والله يا بنيّ هادئة ما فيها صوتُ مجداف ولا أحدٌ يتحرّك وهي كالطَّسْت هادئة ، فسمِعتُ هاتفاً يهتف : «قُضِيَ الأَمْرُ الذي فيهِ تَسْتَفْتِيانِ» . قال : فقال لي : أسمعتَ ما سمعتُ يا عمّ ؟ فقلتُ : وما هو ؟ وقد والله سمعتُه فقال : الصوتُ الذي جاء الساعة من دِجْلة ؛ فقلتُ : ما سمعتُ شيئاً ، وما هذا إلاّ تَوَهُّم ؛ فإذا الصوت قد عاد يقول : «قُضِيَ الأَمرُ الذي فيه تَسْتَفْتِيانِ» . فقال : انصرفْ يا عمّ بيّتك الله بخير ، فمحالٌ ألاّ تكون الآن قد سَمِعتَ ما سمعتُ ؛ فانصرفتُ ، وكان آخر العهدِ به .

[معاوية يأخذ ماله ويوبخه على الطلب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ومحمّد بن يحيى الصُّوليّ واللفظ له ، قالا حدّثنا محمد بن زكريا الغَلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضَّحّاك عن هشام بن محمد عن أبيه ، قال محمد : وحدّثنا عبد الله بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن جميعاً عن مُطَرِّف بن عبد الله بن عيسى بن يزيد ، قال : وفَد الوليدُ بن عُقْبة ، وكان جَواداً ، على معاوية ؛ فقيل له : هذا الوليد بن عُقْبة بالباب ؛ فقال : والله لَيَرْجِعَنّ مُعْطِياً[2] غيرَ مُعْطىً ، فإنّه الآن قد أتانا يقول : عليّ دَيْن وعليّ كذا وكذا ؛ يا غلام ائذَن له ، فأذِنَ له ؛ فسأله وتحدّث معه ، ثم قال : أما والله إن كنّا لَنُحِبّ إيثارَ[3] مالك بالوادي وقد أعجب أميرَ المؤمنين ، فإن رأيتَ أن تَهَبه ليزيد فعلتَ ؛ فقال الوليد : هو لِيَزيدَ ، ثم خرج وجعل يختلفُ إلى معاوية أيّاماً ، فقال له يوماً : أُنظُر يا أمير المؤمنين في شأني ، فإنّ عليّ مؤونةً وقد أرهقني دَيْن ؛ فقال له معاوية : ألا تستحيي لحَسَبك ونَسَبك ! تأخذ ما تأخذ فتبذِّره ثم لا تَنْفكّ تشكو دَيْناً ؟ ؛ فقال له الوليد : أفعل ، ثم انطلق مكانَه فصار إلى الجزيرة ، فقال : [من مجزوء الكامل]

---

1 ل : ردائها .

2 ل : مغيظاً .

3 ل : إتيان .

فـإذا سُئلـتَ تقــول لا وإذا سألــتَ تقــول هاتِ
تأبــى فِعــالَ الخيرِ لا تَرْوى وأنت على الفُراتِ
أفَلا تَميـل إلى نَعَــمْ أو تَرْكِ لا حتى المماتِ

قال : فبلغ معاويةَ مَقْدَمُه الجزيرةَ ، فخافه وكتب إليه : أن أَقبِلْ إليّ ؛ فكتب إليه : [من الطويل]

أعِفُّ وأستحْيي كما قـد أَمرتَني فأَعْطِ سوايَ مـا بدا لك وانْحَلِ[1]
سأَحْدُو ركابي عنك إنّ عزيمتي إذا نابَنــي أَمــر كسَلّة مُنْصُلِ
وإنّي امــرؤ للرأي منّــي تَطرّفٌ وليس شَبا قُفْـلٍ عــليَّ بمُقْفَلِ

ورحَل إلى الحجاز ، فبعث إليه معاوية بجائزة .

[انقضت أخبار الوليد بن عُقبة]

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الرمل]

ربّمــا نبّهنــي الإخــ ــوانُ والليــلُ بَهيمُ
حين غــارتْ وتدلّتْ في مَهاويهــا النجــومُ
ونُعاسُ الليلِ في عيـ ـنيّ كالثّـاوي مُقِيمُ
للتــي تُعْصَــر لمّــا أيْنعــتْ منهــا الكُرُومُ
أنــا بــالرَّيِّ مقيــمٌ في قُــرى الرَّيِّ أَهيمُ
ما أُراني عن قُرى الرَّيِّ مَـدى دهـري أَريـمُ

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصليّ . ولحنُه المختار ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . ولإبراهيم أيضاً فيه خفيفُ ثقيل ، وقيل : إنّه لابنه إسحاقَ . وفيه لأحمد بن يحيى المكّيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن عُبَيد .

1 أستحيي في ل : وأستغني .

[69] ـ نسب إبراهيم الموصليّ وأخباره[1]

[نسب إبراهيم الموصليّ ونشأته]

هو فيما أُخبرنا به يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرني به عبدُ الله ابن الرَّبيع عن وَسْواسةَ ، وهو أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ عن أبيه عن جدّه وعن حمّاد عن أبيه ، إبراهيمُ بن ميمون أو ابن ماهان بن بَهْمَن بن نسك ، وكان سبب نسبه إلى ميمون أنّه كتب إلى صديق له فعَنْوَن كتابَه : من إبراهيم بن ماهان ؛ فقال له بعضُ فتيان الكوفة : أما تَستحيي من هذا الاسم ! فقال : هو اسم أبي ؛ فقال : غيِّره ؛ فقال : وكيف أغيِّره ! فأخذ الكتابَ فمحا ماهان وكتب ميمونَ ، فبَقي إبراهيمَ بنَ ميمون .

قال إسحاق عن أبيه : وأصلُنا من فارس ، ولنا بيت شريفٌ في العجم ، وكان جدُّنا ميمون هرَب من جَوْر بعض عُمّال بني أُميّة ، فنزل بالكوفة في بني عبد الله بن دارم ، فكان بين إبراهيم وبين وَلَدِ نَضْلَة بن نُعَيْم رَضاع . وأُمُّ إبراهيم امرأةٌ من بنات الدّهاقِين الذين هربوا من فارسَ لما هرب ميمون أبو إبراهيم ، فنزلوا جميعاً بالكوفة في بني عبد الله بن دارِم ، فتزوّجها ماهانُ بالكوفة فولَدتْ إبراهيمَ ومات في الطاعون الجارف[2] ، وخلّف إبراهيمَ طفلاً . وكان مولدُ إبراهيمَ سنةَ خمس وعشرين ومائة بالكوفة ، وتوفِّي ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة ، وله ثلاثٌ وستّون سنة .

[كفله بعد موت أبيه آل خزيمة بن خازم]

قال أحمد[3] بن أحمد بن إسماعيل وَسْواسة في خبره : ومات ماهان وخلّف إبراهيمَ طفلاً ، فكفَلَه آلُ خُزَيمة بن خازِم .

وقال يحيى بن عليّ في خبره : إنّه كان لإبراهيم لمّا مات أبوه سنتان أو ثلاث ، وخلّف معه أخوين له من غير أمّه أكبرَ منه ، فأقام إبراهيم مع أُمِّه وأخواله حتى تَرَعْرَع ، فكان مع ولد خُزَيمة بن خازم في الكُتّاب ، فبهذا السبب صار ولاؤه لبني تَميم . وسأله الرشيدُ فقال : ما السببُ بينك وبين بني تَميم ؟ فاقتصَّ عليهِ قِصَّتَه ، وقال : ربَّوْنا يا أمير المؤمنين فأحسنوا

1 لإبراهيم الموصلي النديم ترجمة موجزة في وفيات الأعيان 1 : 42–43 وتاريخ بغداد 6 : 175 وفي الجزء التاسع من التذكرة الحمدونية طائفة من أخباره نقلاً عن الأغاني .
2 في وفيات الأعيان 1 : 43 أنّه مات بداء القولنج .
3 ورد فيما تقدّم أنّه أحمد بن محمد بن إسماعيل .

تربيتنا ، ونشأتُ فيهم وكان بيننا رَضاعٌ ، فتولَّوْنا بهذا السبب ؛ فقال له الرشيد : وَيْحَكَ فما أُراك إذن إلاّ مولاي ؛ فقال : فهذه والله قصّتي يا أمير المؤمنين .

[سبب نسبته إلى الموصل]

قال يحيى بن عليّ في خبره : وكان سببُ قولهم إبراهيمَ الموصليّ أنّه لمّا نشأَ واشتدّ وأدرك ، صَحِبَ الفتيانَ واشتهى الغناءَ فطلبه ، واشتدّ أخوالُه عليه في ذلك وبلغوا منه ، فهرَب منهم إلى المَوْصِل ، فأقام بها نحواً من سنة ، فلمّا رجع إلى الكوفة قال له إخوانُه من الفتيان : مرحباً بالفتى المَوْصِلّي ، فلُقّب به . وقال أحمدُ في خبره : إنّ سبب طلبه الغناءَ أنّه خرج إلى الموصل ، فصَحِب جماعةً من الصعاليك كانوا يُصيبون الطريق ويُصيبه معهم ، ويَجمعون ما يُفيدونه فيَقْصِفون ويشربون ويغنّون ، فتعلّم منهم شيئاً من الغناء وشَدا ، فكان أطيبَهم وأحذقَهم ، فلمّا أحسّ بذلك من نفسه اشتهى الغناءَ وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه . وذكر ابنُ خُرْدَاذْبه ، وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمِّنه كتُبَه[1] ، أنّ سببَ نسْبَتِه إلى الموصل أنه كان إذا سكِر ، كثيراً ما يغنّي على سبيل الوَلَع[2] :

أنا جِتُ مِنْ طُرقِ مَوْصل أحمـــلُ قِلــلَ خَمْرِيـــا[3]
مَنْ شاربَ الملـوك فـــلا بـــدّ مِـــنْ سُكْرِيـــا

قال الأصفهاني : وما سمعتُ بهذه الحكاية إلاّ عنه ؛ وإنّما ذكرتُها على غثاثتها لشهرتها عند الناس ، وأنّها عندهم كالصحيح من الرواية في نِسْبَة إبراهيم إلى الموصل ، فذكرتُه دالاًّ على عَواره .

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ وابنُ أبي الأزهر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أُسْلِم أبـي إلى الكُتّاب فكان لا يتعلّـم شيئاً ، ولا يزال يُضرب ويُحبَس ولا يَنْجَع ذلك فيـه ، فهرب إلى المَوْصل وهناك تعلَّم الغناءَ ، ثم صار إلى الرّي وتعلّم بها أيضاً ، ومهَر وتزوّج هناك امرأتَه دُوشار وتفسير هذا الاسم أسَدان ، وطال مُقامُه هناك ، وأخذ الغناءَ الفارسيَّ والعربيّ ، وتزوّج بها أيضاً شاهَك أمّ إسحاقَ ابنِه وسائرِ ولده . قال : وفي دُوشار هذه يقول إبراهيمُ ، وله فيه غِناءٌ من الهَزَج ، : [من الرجز]

---

1 ربّما كان في طعن أبي الفرج على ابن خرداذبه شيء من الافتئات . فقد اعتمد ياقوت على كتابه «المسالك والممالك» في النقل في «معجم البلدان» وقرظه المسعودي في «التنبيه والاشراف» . وانظر «معجم الأدباء» (تحقيق إحسان عبّاس) : 1575 .

2 ل : الولوع .

3 هذا شعر عامي ينبغي أن يقرأ كذلك .

دُوشارُ يــا سيّدتــي يــا غايتــي ومُنْيتي
ويا سروري من جميـ ـع الناس رُدِّي سِنَتي

[أنفق أوّل مال وصله في تعلّم صنعة الغناء]

قال إسحاقُ وحدّثني أبي قال : أوّلُ شيء أُعْطِيتُه بالغناء أنّي كنتُ بالرّيّ أُنادم أهلَها بالسَّوِيَّة لا أَرْزَؤُهم شيئاً ، ولا أُنْفِقُ إلاّ من بقيّة مالٍ كان معي انصرفتُ به من الموصل ؛ فمرّ بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عمّاله برسالة ، فسمِعَني عند رجل من أهل الرّيّ ، فشُغِف بي وخلَع عليَّ دُوَّاجَ سَمّور[1] ، له قيمة ، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصَله العاملُ بسبعة آلاف درهم وكساه كُسوةً كثيرة ، فجاءني إلى منزلي الذي كنتُ أسكنه فأقام عندي ثلاثةَ أيّام ، ووهَب لي نصف الكُسوة التي معه وألْفَيْ درهم ، فكان ذلك أوّل ما اكتسبتُه بالغناء . فقلتُ : والله لا أُنفق هذه الدراهم إلاّ على الصناعة التي أفادَتْنِيها ، ووُصف لي رجل بالأُبُلّة يقال له جُوانُويه[2] كان حاذقاً ، فخرجتُ إليه وصحِبتُ فتيانَها ، فأخذتُ عنهم وغنّيتهم فشُغِفوا بي .

[اتّصاله بالمهديّ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال : لمّا أتيتُ جُوانُويَه لم أُصادفه في منزله ، فانتظرتُه حتّى جاء ، فلمّا رآني احتَشَمَني وكان مَجُوسيّاً ، فأخبرتُه بصناعتي والحالِ التي قصدتُه فيها ؛ فرحَّب بي وأفرد لي جَناحاً في داره ، ووكّل بي أُختَه ، فقدّمتْ إليّ ما أحتاج إليه ؛ فلمّا كان العَشيُّ عاد إلى منزله ومعه جماعةٌ من الفُرْس ممّن يُغنّي ، فنزلتُ إليه ، فجلسنا في مجلس قد صُفّي لنا فيه نبيذٌ وأُعِدّتْ لنا فاكهة ورَياحِينُ ، فجلسنا وأخذوا في شأنهم وضربوا وغنّوْا ، فلم أجد عند أحدٍ منهم فائدةً ؛ وبَلَغتِ النَّوْبَةُ إليّ ، فضربتُ وغنّيتُ ، فقاموا كلُّهم إليّ وقبّلوا رأسي ، وقالوا : سَخِرتَ منّا ، نحن إلى تعليمك لنا أحوجُ منك إلينا ؛ فأقمتُ على تلك الحال أيّاماً ، حتى بلَغ محمّدَ بن سليمان بن عليّ خبري ، فوجّه إليّ فأحضرني وأَمَرني بملازمته ؛ فقلتُ له : أيّها الأمير ، إنّي لستُ أتكسّب بالغناء وإنّما أتلذّه فلذلك تعلّمتُه ، وأُريد العَوْدَ إلى الكوفة ، فلم أنتفع بذلك عنده وأخذَني بملازمته ، وسألني : من أين أنا ؟ فانتسبتُ إلى الموصل ، فلَزِمتني وعُرِفتُ بها ؛ ولم أزلْ عنده أثيراً مكرّماً حتى قدِم عليه خادمٌ من خدَم المهديّ ، فلمّا رآني عنده قال له : أميرُ المؤمنين أحوجُ إلى هذا منك ، فدافعه عنّي ؛ فلمّا قدِم الرسولُ على المهديّ سأله عمّا رأى في طريقه ومَقْصِده ، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذكري فوصَفَني له ؛ فأمره المهديّ بالرجوع إلى محمّد وإشخاصي إليه ، ففعل ذلك

---

1 دواج سمور : نوع من الفراء الثمين .

2 ل : خوالويه .

وجاء فأشخصني إلى المهديّ ، فحَظِيتُ عنده وقدّمني .

[أوّل هاشميّ صحبه وأوّل خليفة سمعه]

قال وَسْواسة في خبره عن إسحاق فحدّثني أبي قال : كان أوّلَ هاشميّ صَحِبته عليُّ بن سليمان بن عليّ أخو جعفر ومحمّد ، وكان فتاهم ظَرْفاً [1] ولهواً وسماحةً ، ووصَفني له جُوانُويَه ومضى بي إليه ، فوقعتُ من قلبه كلَّ مَوْقِع . وأوّلُ خليفة سمِعني المهديّ ، وُصِفتُ له فأخذني من عليّ بن سليمان ، وما سمِع قبلي من المغنّين أحداً سوى فُلَيْح بن أبي العَوْراء وسِياط ، فإنّ الفضل بن الرّبيع وصلهما به .

[نهاه المهديّ عن الشرب ومصاحبة ابنيه موسى وهارون]

قال إسحاقُ : فحدّثني أبي قال : كان المهديّ [2] لا يَشرب فأرادني على مُلازمتِه وترك الشرب فأبيتُ عليه ، وكنتُ أغيبُ عنه الأيّامَ ، فإذا جئتُه جئتُه مُنتَشِياً ، فغاظَه ذلك مني فضرَبني وحبَسني ، فحَذِقتُ الكتابةَ والقراءةَ في الحبس ، ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس والتّبذُّل معهم ؛ فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنّما تعلّمتُ هذه الصناعةَ للذّتي وعِشرتي لإخواني ، ولو أمكنني تركُها لتركتُها وجميعَ ما أنا فيه لله جلّ وعزّ ؛ فغضِب غضباً شديداً وقال : لا تَدْخل على موسى وهارون ألبتّةَ ، فوالله لئن دخلتَ عليهما لأفعلنّ ولأصنعنّ ؛ فقلتُ : نعم ؛ ثم بلغه أنّي دخلتُ عليهما وشرِبتُ معهما ، وكانا مُستهترَيْن بالنبيذ ، فضربني ثلثَمائةِ سوط ، وقيّدني وحبَسني .

قال أحمدُ بن إسماعيل في خبره قال عمّي إسحاق فحدّثني أبي : أنّه كان معهما في نزهة لهما ومعهم أبانُ الخادمُ ، فسَعى بهما وبي إلى المهديّ وحدّثه بما كنّا فيه ، فدعاني فسألني فأنكرتُ ، فأمر بي فجُرّدتُ فضُربتُ ثلثَمائة وستّين سوطاً ؛ فقلتُ له وهو يضربني : إنّ جُرْمي ليس من الأجرام التي يحلّ لك بها سَفْكُ دمي ، والله لو كان سرُّ ابنيك تحت قدميّ ما رفعتُهما عنه ولو قُطِعتا ، ولو فعلتُ ذلك لكنتُ في حالة أبانَ السّاعي العبدِ ؛ فلمّا قلتُ له هذا ضرَبني بالسيف في جَفْنه [3] فشجّني به ، وسقطتُ مغشيّاً عليّ ساعةً ، ثم فتحتُ عينيَّ فوقَعتا على عينَي المهديّ ، فرأيتُهما عَيْنَيْ نادمٍ ؛ وقال لعبد الله بن مالك : خُذْه إليك . قال : وقَبْل ذلك ما تناول عبد الله بن مالك السوطَ من يد سَلاّم الأبرش فضَربني ، فكان ضربُ عبد الله عندي بعد ضرب سَلاّم عافيةً ، ثم أخرجني عبدُ الله إلى داره وأنا أرى الدنيا في عيني صفراءَ

---

1 ل : أكثرهم طرباً .

2 قارن بالتذكرة الحمدونية 9 : 32-33 (رقم 52أ) ونهاية الأرب 4 : 330-331 .

3 جفن السيف : غمده .

وخضراء وحمراء من حَرِّ السَّوْط ، وأَمَره أَن يتّخذ لي شبيهاً بالقبر فيصيِّرني فيه ؛ فدعا عبدُ الله بكَبْشٍ فذُبح وسُلخ وأُلبسني جلدَه ليسكن الضربُ ، ودفَعني إلى خادم له يقال له أَبو عثمان سَعيد التركيّ فصيَّرني في ذلك القبر ، ووكّل بي جاريةً له يقال لها جَشّة ؛ فتأَذّيتُ بنَزٍّ كان في ذلك القبر وبالبقّ ، وكان فيه حَليٌّ[1] أستريح إليه ، فقلتُ لجشّة : اطلُبي لي آجُرّة عليها فحم وكُنْدُر[2] يذهب عنّي هذا البقّ ، فأتتني بذلك ، فلمّا دخّنْتُ أُظلم القبرُ عليّ وكادت نفسي تخرُج من الغمّ ، فاسترحتُ من أَذاه إلى النَّزّ فأَلصقتُ به أَنْفِي حتى خَفّ الدُّخان ، فلمّا ظننتُ أَنّي قد استرحتُ ممّا كنتُ فيه ، إذا حيّتان مُقْبلتان نحوي من شقّ القبر تَدُوران حولي بحفيفٍ شديدٍ ، فهَمَمْتُ أن آخذ واحدةً بيدي اليمنى والأُخرى بيدي اليسرى فإمّا عليّ وإمّا لي ، ثم كُفِيتُهما ، فدخلَتا من الثَّقْب الذي خرجَتا منه ، فمكثتُ في ذلك القبر ما شاء الله ، ثم أُخرجتُ منه ؛ ووجَّهتُ إلى أَبي عثمان الخادمِ أَسأله أَن يبيعني جَشّةَ لأُكافئها عمّا أَولَتْني[3] ففعَل ، فزوّجتُها من حاجبٍ لي ، ولم تزل عندنا . قال إسحاق : مكثتْ عندنا حتى ماتت ، وبقيتْ بنتٌ لها يقال لها جُمعة ، فزوّجتُها من مولىً لي في سنة أَربع وثلاثين ومائتين .

قال إبراهيم : وقلتُ في الحبس وأَنا مقيَّد : [من المتقارب]

أَلا طــال ليلي أُراعي النجوم أُعالــج في السّاق كَبْلاً ثقيلا
بــدارِ الهَــوانِ وشرِّ الديــار أُسامُ بها الخسفَ صبراً جميلا
كثيرَ الأَخــلاّء عنــد الرّخاء فلمّــا حُبستُ أَراهــم قليلا
لطولِ بلائــيَ مــلَّ الصديقُ فــلا يــأمَنَنَّ خليــلٌ خليلا

[صنع وهو في الحبس لحناً في شعر أَبي العتاهية]

قال : ثم أَخرجني المهديّ وأَحْلَفني بالطّلاق والعِتاق وكلّ يمين لا فُسْحَة لي فيها أَلاّ أَدخلَ على ابنيه موسى وهارون أَبداً ولا أُغنّيهما ، وخلَّى سبيلي . قال : وصنعتُ في الحبس لحناً في شِعر أَبي العتاهية لمّا حبسَه المهديّ بسبب عُتْبة ، وهو[4] : [من الطويل]

صوت

أَيا وَيْحَ قَلْبي مــن نَجِيِّ البَلابِلِ ويا ويحَ ساقي من قُرُوح السّلاسلِ

1 ل : خلاء . والحلي : كلأ يابس .
2 الكندر : اللبان الذكر .
3 ل : فعلت .
4 ديوان أبي العتاهية : 625–626 .

ويـا ويحَ نفسي وَيْحَها ثم ويحها ... أَلَمْ تَنْجُ يومـاً من شِباك الحبائلِ
ويا ويحَ عَيْني قـد أَضرّ بها البُكا ... فلم يُغْنِ عنها طِبٌّ ما في المَكاحِلِ
ذَرِينـي أُعَلِّلْ نفسيَ اليـوم إنّها ... رهينـةُ رَمْسٍ في ثَـرىً وجَنادلِ
ذَريني أُعَلِّل بالشّراب فقـد أرى ... بقيّـةَ عيشي هـذه غيرَ طائـلِ

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر حمّاد أنّه لجدّه إبراهيم . والغناء لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى في الثلاثة الأَبيات الأوَل ، وله في البيتين الأخيرين ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

[استتر من الهادي لمّا ولي الخلافة وكان للمهديّ]

قال حمّاد : فلمّا وَلِيَ موسى الهادي الخلافةَ استتر جَدّي منه ولم يَظهر لهُ بسبب الأيمان التي حلّفه بها المهديّ ، فكانت منازلُنا تُكبَس في كلّ وقت وأَهلُنا يُروَّعون بطلبه حتى أُصابوه فمضوْا به إليه ، فلمّا عاينه قال : يا سيّدي ، فارقتُ أُمَّ ولدي وأَعزَّ خلقِ الله عليّ ، ثم غنّاه لحنه في شعره : [من الخفيف]

صوت

يا ابنَ خيرِ الملوك لا تَترُكَنّي ... غَرَضاً للعدوّ يرمي حِيالي
فلقد في هواك فارقتُ أَهلي ... ثم عرَّضتُ مهجتي للزوالِ
ولقد عِفْتُ في هواك حياتي ... وتغرّبتُ بين أَهلي ومالي

الشّعرِ والغِناءُ لإبراهيم خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى . قال إسحاق : فموَّلَه والله الهادي وخوَّلَه ، وبحسْبك أنّه أَخذ منه في يوم واحد مائةً وخمسين ألفَ دينار ، ولو عاش لنا لبنيْنا حِيطانَ دُورِنا بالذهب والفضّة[1] .

[ما وصل إليه من الأموال وما تركه]

قال حَمَّاد قال لي أَبي[2] : نظرتُ إلى ما صار إلى جَدّك من الأَموال والغَلاّت[3] وثمن ما باع من جواريه ، فوجدتُه أربعةً وعشرين أَلفَ أَلفِ درهم سوى أَرزاقِه الجارية ، وهي عشرة آلاف درهم في كلّ شهر ، وسوى غَلاّت ضِياعه ، وسوى الصِّلات النَّزْرَة التي لم يحفظها ؛ ولا والله ما رأيتُ أَكملَ مروءةً منه ، كان له طعامٌ مُعَدّ في كلّ وقت ؛ فقلت لأبي : أَكان يُمكنه ذلك ؟ فقال : كان له في كلّ يوم ثلاثُ شِياه : واحدةٌ مقطّعةٌ في القدور ، وأُخرى مسلوخةٌ ومعلَّقة ، وأُخرى حيّة ، فإذا أَتاه قومٌ طَعِمُوا ما في القدور ، فإذا فرغتْ قُطّعت الشاة

1 ل : ذهباً وفضّة .
2 التذكرة الحمدونية 9 : 33 (رقم 52ب) ونهاية الأرب 4 : 331-332 .
3 ل : والصلات .

المعلَّقة ونُصبت القدور وذُبحت الحيّة فعلِّقت وأُتيَ بأُخرى فجُعلت وهي حيّة في المطبخ ؛ وكانت وظيفتُه لطعامه وطِيبِه وما يُتّخذ له في كلّ شهر ثلاثين أَلف درهم سوى ما كان يُجرِي وسوى كُسْوته ؛ ولقد اتّفق عندنا مرّةً من الجواري الودائع لإخوانه ثمانون جارية ، ما منهنّ واحدة إلاّ ويُجْرِي عليها من الطعام والكُسوة والطِّيب مثلَ ما يُجرِي لأَخصّ جواريه ، فإذا رُدّت الواحدة منهنّ إلى مولاها وصَلها وكساها ، ومات وما في ملكه إلاّ ثلاثة آلاف دينار ، وعليه من الدَّين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها .

[محاطة في ثمن جارية بينه وبين الرشيد]

أَخبرني محمد بن خَلَف وَكيعٌ ويحيى بن عليّ بن يحيى وابن المَرْزُبان قالوا أَخبرنا حَمّاد بن إسحاق قال : كان أَبي يحدِّث أنّ الرشيد اشترى من جَدّي جاريةً بستّة وثلاثين أَلفَ دينار ، فأَقامت عنده ليلةً ، ثم أَرسل إلى الفضلِ بن الربيع : إنّا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ، ونحن نحسب أَنّها من بابَتِنا[1] وليست كما ظننتها ، وما قَرِبتُها ، وقد ثقُل عليّ الثمنُ وبينك وبينه ما بينكما ، فاذهب إليه فسَلْه أَن يَحُطَّنا من ثمنها ستّةَ آلاف دينار ؛ قال : فصار الفضلُ إليه فاستأذن عليه فخرج جدّي فتلقّاه ؛ فقال : دَعْني من هذه الكرامة التي لا مُؤْنة بيننا فيها ، لستُ ممّن يُخدع ، وقد جئتُك في أَمرٍ أَصْدُقُك عنه ، ثم أَخبره الخبرَ كلّه ؛ فقال له إبراهيم : إنّه أَراد أَن يبلوَ قَدْرَك عندي ؛ قال : ذاك أَراد ! قال : فمالي كلُّه صدقةٌ في المساكين إن لم أُضعِّفه لك ، قد حَطَطْتُك اثني عشر أَلف دينار ؛ فرجع الفضلُ إليه بالخبر ؛ فقال : وَيْلَك ؛ ادفعْ إلى هذا مالَه ، فما رأَيتُ سُوقةً قطُّ أَنبلَ نفساً منه . قال أَبي : وكنتُ قد أُتيتُ جدَّك فقلتُ : ما كان لحطيطةِ هذا المال معنىً وما هو بقليل ، فتغافَل عنّي وقال : أَنت أَحمقُ ، أنا أَعرَفُ الناسِ به ، والله لو أَخذتُ المالَ منه كَمَلاً[2] ما أَخذتُه إلاّ وهو كاره ، ويحقِد ذلك عليّ وكنتُ أَكون عنده صغيرَ القَدْر ، وقد منَنْتُ عليه وعلى الفضل ، وانبسطتْ نفسُه ونَشِط وعظُم قَدْري عنده ، وإنّما اشتريتُ الجاريةَ بأَربعين أَلف درهم ، وقد أَخذتُ بها أَربعة وعشرين أَلف دينار ، فلمّا حُمل المالُ إليه بلا حَطيطة دعاني فقال لي : كيف رأيتَ يا إسحاقُ ! مَنِ البصيرُ أَنا أَم أَنت ؟ فقلتُ : بل أَنت جعلني الله فداءك .

[وفاؤه للفضل بن يحيى والفضل بن الربيع]

حدّثني وَكيع قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني أَبي قال[3] : لَقِي الفضل بن يحيى أَبي وهو خارج

---

1 من بابتنا : ممّن يصلح لنا .

2 كملاً : كاملاً .

3 التذكرة الحمدونية 3 : 21 .

من عند الفضل بن الرَّبيع ، وكانا متجاورَيْن في الشَّمَّاسيّة[1] ، فقال : من أَين يا أَبا إسحاق ؟ أَمِن عند الفضل بن الربيع ؟ قلت : نعم ، غيرَ معتذرٍ من ذلك ؛ فقال : خروجٌ من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى ؟ هذان والله أَمران لا يجتمعان لك ؛ فقال : والله لئن لم يكن فيّ ما يتَّسع لكما حتى يكونَ الوفاءُ لكما جميعاً واحداً ما فيّ خيرٌ ، والله لا أَترك واحداً منكما لصاحبه ، فمن قَبِلني على هذا قَبِلَني ، ومَن لم يقبلني فهو أَعلم ؛ فقال له الفضل بن يحيى : أَنت عندي غير متَّهم ، والأَمرُ كما قلتَ ، وقد قَبِلتُك على ذلك .

[من الحبس إلى مجلس الرشيد]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال حدّثني أَبي : أَنّ الرشيد غضِب عليه فقيّده وحبسه بالرَّقّة ، ثم جلس للشرب يوماً في مجلس قد زيّنه وحسّنه ، فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلسنا عيبٌ ؟ قال : نعم ، غَيْبةُ إبراهيمَ الموصليِّ عنه ؛ فأَمر بإحضاري فأُحضِرتُ في قيودي ، ففُكّتْ عنّي بين يديه ، وأَمرهم فناولوني عُودا وقال : غنّني يا إبراهيم ؛ فغنّيته : [من الطويل]

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمانَ أَنْ مشتْ ... بــه زينــبٌ في نِسْوةٍ خَفِراتِ[2]

فاستعاده وشرِب وطرِب ، وقال : هَنَأْتني يومي وسأَهْنِئُك بالصِّلة ، وقد وهبتُ لك الهنيءَ والمَرِيءَ ؛ فانصرفتُ ، فلمّا أَصبحتُ عُوِّضتُ منهما مائتي أَلف درهم .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

تَضَوَّع مِسكاً بطنُ نَعْمانَ أَنْ مشتْ ... بــه زينــبٌ في نِسْوةٍ خَفِراتِ
مَرَرْنَ بفَــخٍّ رائحــاتٍ عَشِيّةً ... يُلَبِّــين للرّحمــن مُعْتَمِراتِ
يُخَمِّرن أَطرافَ البَنان مــن التُّقى ... ويَقتُلْــنَ بالأَلحــاظ مُقْتَدِراتِ[3]
ولمّا رأَت ركبَ النُّمَيْريّ أَعرضتْ ... وكنَّ مِــنَ أن يَلْقَيْنَــه حَذِراتِ

الشعر للنُّمَيْريّ الثَّقَفيّ . والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن

1 الشماسيّة : محلّة ببغداد .
2 بطن نعمان : واد بين مكّة والطائف . ونسوةٍ خَفِرات في ل : نسوة عطرات .
3 رواية هذا البيت في الكامل للمبرد (الدالي) : 771

يخبئن أَطراف البنان مــن التقى ... ويخرجن شطر الليل مختمرات

إسحاق ويحيى المَكّيّ وعمرو بن بانة . وذكر حبشٌ أن فيه لعَزّةَ المَيْلاء لحناً من الثقيل الأوّل .

[أنشده يحيى بن خالد بيتاً فثناه وغنى فيه]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد وأحمد بن جعفر جَحْظة قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال ، وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمّد جميعاً عن إسحاق عن أبيه قال : رأيت يحيى بن خالد خارجاً من قصره الذي عند باب الشَّماسيّة يريد قصرَه الذي بباب البَرَدان[1] وهو يتمثّل : [من الوافر]

صوت

هَوىً بِتِهامةٍ وهَوىً بنجدٍ فأبلتْني التَّهائِمُ والنُّجودُ[2]

قال أبي : فزِدْتُه عليه : [من الوافر]

أُقِيم بذا وأذْكُر عهدَ هذا فَلِي ما بين ذَيْن هوىً جديدُ

قال : وصنعت فيه لحناً ، قال الصُّوليّ في خبره : وهو من خفيف الثَّقيل ، ثم صِرتُ إليه فغنّيته إيّاه ، فأمر لي بألف دينار وبدابّته التي كانت تحته يومئذٍ بسَرْجها ولجامها ؛ فقلت له : جزاك الله من سيِّد خيراً ، فإنّك تأتي الأنفُسَ وهي شواردُ فتُقِرّها ، والأهواءَ وهي سَقيمة فتُصحِّها ؛ فأمر لي بألف دينار أُخرى .

قال إبراهيم : ثم ضرَب الدهرُ من ضَرْبه ، فبينا أنا أسير معه إذ لقِيه العبّاس بن الأحنف ، وكان ساخِطاً عليه لشيء بلغه عنه ، فترجَّل له وأنشده[3] : [من السريع]

صوت

بالله يا غضبانُ إلاّ رَضِيتْ أذاكرٌ للعهدِ أم قد نسيتْ

فقال : بل ذاكرٌ يا أبا الفضل ؛ فأضفتُ إلى هذا البيت : [من السريع]

لو كنتُ أبغي غيرَ ما تشتهي دعوتُ أن تُبلى كما قد بُلِيتْ

وصنعت فيه لحناً ، قال الصُّولي في خبره : هو ثقيل أوّل ، قال : وغنّيتُه به ، فأمر لي بألفيْ دينار وضحِك ؛ فقلت : من أيِّ شيء تَضْحك يا سيّدي ؟ لا زلتَ ضاحكاً مسروراً ! فقال : ذكرتُ ما جرى في الصوت الأوّل وأنّه كان مع الجائزة دابّةٌ بسرجه ولجامه ، ولن تنصرف الليلةَ إلاّ على مثله ، فقمتُ فقبّلت يدَه ؛ فأمر لي بألفيْ دينار آخرين ، وقال : تلك الكرّة شكَرْتَ على الجائزة بكلام فزِدناك ، والآن شكرتَ بفعلٍ أوجب الزيادة ، ولولا أنّي مُضيقٌ

---

1 البردان : من قرى بغداد آنئذٍ .

2 فأبلتني في ل : فأبكتني .

3 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 87 .

في هذا الوقت لضاعفتُها ، ولكنّ الدهرَ بيننا مستأنَفٌ جديد .

[غنّى الرشيد بشعره]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال : لمّا نَزل الرشيدُ في طريقه إلى طُوس بشِبْداز[1] جلس يشرب عنده ، فكان إبراهيمُ الموصليّ أوّلَ مَن غنّاه ، فابتدأ بهذا الصوت ، والشعرُ له : [من الهزج]

صوت

رأيتُ الدِّينَ والدُّنيا مُقيمَيْنِ بشِبْدازِ
أقاما بين حَجّاجٍ وغازٍ أيِّما غازِ[2]

وهو من الثقيل الأول ، فأمر له بألف دينار ، ولم يَستحسن الشعرَ ، وقال له : يا إبراهيم صَنْعتُك فيه أحسن من شعرك ؛ فخجِل وقال : يا سيّدي شغَل خاطري الغناءُ فقلت لوقتي ما حضَرني ؛ فضحك الرشيد من قوله وقال له : صدقتَ .

[كثير الأصدقاء]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال : كان جدُّك محبّاً للأشراف كثيرَ الأصدقاء منه ، حتى إنْ كان الرشيدُ لَيَقولُ كثيراً : ما أعرف أحداً أكثَر أصدقاءً من إبراهيم .

[كاتب وشاعر وخطيب]

قال إسحاق : وما سمعتُ أحسنَ غناءً من أربعة : أبي ، وحَكَم الوادي ، وفُلَيْح بن أبي العَوْراء ، وسِيَاط ؛ فقلت له : وما بلغ من حِذْقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيُحسنون ، ويؤدّون غناءَ غيرِهم فيُحسنون ؛ فقلت : فأيّهم كان أحذق ؟ قال : كانوا بمنزلة خطيبٍ أو كاتبٍ أو شاعرٍ يُحسن صناعته ، فإذا انتقل عنها إلى غيرها لم يبلُغ منها ما يبلُغ من صناعته ، وكان جدُّك كرجل مفوّه ، إن خطب أجْزل ، وإن كتب رسالة أحْسن ، وإن قال شعراً أحْسن ، ولم يكن فيهم مثلُه .

[أوّل مَن علّم الجواري الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه ، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبه ، وأخبرني إسماعيل بن يونس عن عُمر بن شَبّة جميعاً عن إسحاق قال[3] : لم يكن الناس يعلّمون الجاريةَ الحسناء الغناءَ ، وإنّما كانوا يعلّمونه الصُّفْرَ والسُّودَ ؛ وأوّل مَن علّم

1 طوس وشبداز : مدينتان في خراسان ، وفي الأولى دفن الرشيد .
2 حجاج هنا : كثير الحجّ .
3 أورد ابن حمدون هذه الفقرة في التذكرة 9 : 27 (رقم 49) عن الأغاني .

الجواريَ المُثَمَّناتِ أَبي ، فإنّه بلغ بالقِيان كلَّ مَبلغ ، ورفَع من أَقدارهنّ . وفيه يقول أبو عُيَيْنة بن محمّد بن أَبي عُيَيْنة المهلَّبيّ وقد كان هَوِي جاريةً يقال لها أَمان فأَغلى بها مولاها السَّوْمَ ، وجعل يردّدها إلى إبراهيم وإسحاق ابنه فتأخذ عنهما ، فكلّما زادت في الغناء زاد في سَوْمِه ، فقال أَبو عُيَينة : [من الخفيف]

قلتُ لَمّا رأَيتُ مولى أَمانٍ قد طَغى سومُه بها طُغْيانا
لا جَزى اللهُ المَوْصليّ أَبا إسـ ـحاقَ عنّا خيراً ولا إحسانا
جاءنا مُرسَلاً بوَحْيٍ من الشيـ ـطانِ أَغلى به علينا القِيانا
من غِناءٍ كأَنّه سَكَرات الـ ـحبّ يُصْبي القُلوبَ والآذانا

[مديح ابن سيابة له]

وقال فيه ابن سيابةَ : [من مجزوء الرمل]

صوت

ما لإبراهيمَ في العِلْـ ـم بهذا الشأن ثاني
إنّما عُمْرُ أَبي إسـ ـحاق زَيْنٌ للزمانِ
جَنّة الدُّنيا أَبو إسـ ـحاق في كلّ مكانِ
فإذا غَنّى أَبو إسحا ق أجابَتْه المَثاني
منه يُجْنى ثَمَرُ اللهـ ـو وريحانُ الجِنانِ

لإبراهيم في هذا الشعر لحنان : خفيفُ ثقيل بالبنصر ، وخفيفُ رَمَل بالوسطى عن عمرو والهِشاميّ .

[شعر أبي العتاهية فيه وهو محبوس]

أَخبرني عمّي عن أَحمد بن أَبي طاهر عن أَبي دِعامةَ قال : كان سَلْم الخاسر عند أَبي العتاهية ، فأَخبره سلم أَنّ الرشيد حبَس إبراهيم الموصليّ في المُطْبِق ؛ فأَقبل عليه أَبو العتاهية فقال[1] : [من الخفيف]

سَلْمُ يا سَلْمُ ليس دونك سِترُ حُبِس المَوْصليُّ فالعيشُ مُرُّ
ما استطابَ اللذّاتِ مُذْ سَكَن المُطْـ ـبِقَ رأسُ اللذّات في الناس حُرُّ

1 ديوان أَبي العتاهية : 535 عن الأغاني .

تركَ الموصـــليُّ مَـــنْ خلَـــق الـ ـــلهُ جميعـــاً وعيشُهم مُقْشَعِرٌّ
حُبِس اللهوُ والسرور فمـا في الــ ـأرضِ شيءٌ يُلْهـي بــه أو يَسُرُّ

وأنشدني بعضُ أصحابنا عن ابن المَرزُبان عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن أبي فَنَن لأبي العتاهية يخاطب إبراهيم الموصليّ لمّا حُبس[1] : [من الوافر]

أيا غَمِّـــي لغَمِّك يـــا خليلي ويا وَيْـــلي عليك ويـــا عَوِيلي
يَعِـــزُّ عـــليّ أنّك لا تـــراني وأنّـــي لا أراكَ ولا رسولي
وأنّك في محـــلٍّ أذىً وضَنْكٍ وليس إلى لقائـك مـن سبيلِ
وأنّي لستُ أملِك عنك دفعاً وقد فُوجِئتَ بالخَطْبِ الجليلِ

[إبراهيم بن المهديّ يدّعي لحناً له]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنا عبد الله بن عمر قال حدّثني أبو تَوْبة صالحُ بن محمّد عن القَطرانيّ المغنّي عن محمّد بن جبر ، وكان المهديّ ربّاه ، قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال[2] : انصرفتُ ليلةً من الشَّمّاسيّة فمررتُ بدار إبراهيمَ الموصليّ ، وإذا هو في رَوْشَن له وقد صنَع لحنه : [من الطويل]

ألا رُبّ نَدمـــانٍ عـــليّ دموعُـــه تَفِيضُ على الخدَّين سَحّاً سُجُومُها

وهو يُعيده ويلعَب به بنَغَمه ويُكرِّره لتَسْتَوي له أجزاؤه ، وجواريه يضربْن عليه ، فوقفتُ تحت الرَّوْشَن حتى أخذتُه ثم انصرفت إلى منزلي ، فما زلتُ أعيده حتى بلغتُ فيه الغايةَ ، وأصبحتُ فغدوتُ إلى الشَّمّاسيّة واجتمعنا عند الرشيد ، فاندفع إبراهيم فغنّاه أوّلَ شيء غنّى ، فلمّا سمعه الرشيد طرِب واستحسنه وشرب عليه ، ثم قال له : لمن هذا يا إبراهيم ؟ قال : لي يا سيِّدي ، صنعتُه البارحة ؛ فقلت : كذَب يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت قديمٌ وأنا أغنِّيه ؛ فقال لي : غَنِّه يا حبيبي ، فغنَّيتُه كما غنّاه ؛ فبُهِت إبراهيمُ وغضِب الرشيد ، وقال له : يا ابن الفاجرة ! أتكذِبني وتدّعي ما ليس لك ؟ . قال : فظلَّ إبراهيمُ بأسوأ حال ؛ فلمّا صلّيتُ العصر قلت للرشيد : يا أمير المؤمنين ، الصوتُ وحياتِك له وما كذَب ، ولكنّي مررتُ به البارحةَ وهو يردّده على جارية له فوقفتُ حتى دار لي واستوى فأخذتُه منه ؛ فدعا به الرشيد ورضي عنه ، وأمر له بخمسة آلاف دينار .

---

1 ديوان أبي العتاهية : 626 عن الأغاني .
2 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 28 (رقم 50) .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

أَلا رُبّ نَدْمـانٍ عَـليّ دموعُــه تَفِيضُ على الخَدَّيْن سَحّاً سُجومُها

حَلِيمٌ إذا ما الكأسُ دارتْ وهَرَّها رجالٌ لديها قد تَخِفّ حُلومُها[1]

الغناء لإبراهيمَ رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

[بينه وبين إبراهيم بن المهديّ وابن جامع]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبي عن طيّاب بن إبراهيم الموصليّ قال : كان إبراهيم بن المهديّ يُقدِّم ابنَ جامع ولا يُفضِّل عليه أحداً ، فأخبرني إبراهيم بن المهديّ قال : كنّا في مجاس الرشيد وقد غلَب النبيذُ على ابن جامع ، فغنّى صوتاً فأخطأ في أقسامه ؛ فالتفتَ إليّ إبراهيمُ فقال : قد خزِي أُستاذك فيه ! وفهمتُ صدْقَه فيما قال ؛ قال : فقلت له : انتبه أيّها الشيخ وأعِدِ الصوتَ ، ففَطِن وأعاده وتحفّظ فيه وأصاب ؛ فغضب إبراهيم وأقبل عليّ فقال : [من الوافر]

أُعلِّمـهُ الرِّمايَةَ كلَّ يومٍ فلمّا استدّ ساعدُه رماني[2]

وتنكّر لي وحلَف ألاّ يكلِّمني ؛ فقلت للرشيد بعد أيّام : إن لي حاجةً ؛ قال : وما هي ؟ قلت : تأمر إبراهيمَ الموصليّ أن يرضى عنّي ويعودَ إلى ما كان عليه ؛ فقال : ومَن إبراهيم حتى يُطلبَ رضاه ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ الذي أُريده منه لا يُنال إلاّ برضاه ؛ فقال : قم إليه يا إبراهيم فقبِّلْ رأسه ؛ فقام إليّ ليقبِّل رأسي ، فلمّا أكبَّ عليّ قال : تَعُود ؟ قلت : لا ؛ قال : قد رضيتُ عنك رِضىً صحيحاً ، وعاد إلى ما كان عليه .

[غنّى الرشيد في الحيرة]

أخبرني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن عليّ بن يحيى قال : سمعتُ جدّي عليّاً يحدِّث عن إسحاق قال : قال أبي : خرجتُ مع الرشيد إلى الحيرة ، فساعةَ نَزل بها دعا بالغَداء فتغدّى ثم نام ، فاغتنمتُ قائلتَه فذهبتُ فركبت أَدُور في ظهر الحِيرة ، فنظرتُ إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌّ حسن الوجه ، فاستأذنته في الدخول فأَذِن لي ، فدخلت فإذا جَنّة من الجنان في أحسن تُرْبة وأغزرِها ماءً ، فخرجتُ فقلت له : لمن هذا البستان ؟ فقال : لبعض الأشاعِثة ؛ فقلت له : أيُباع ؟ فقال : نعم وهو على سَوْم ؛ فقلت : كم بلغ ؟ فقال : أربعةَ عشرَ ألفَ دينار ؛ قلت : وما يُسَمَّى هذا الموضع ؟ قال : شُمارى ؛ فقلت : [من الطويل]

---

1 هرّ الكأس : كرهها .

2 استدّ : استقام . ويُروى اشتدّ .

صوت

جِنانَ شُمارى ليس مثلَك مَنْظَرٌ لذِي رَمَدٍ أعيا عليه طبيبُ
تُرابُكِ كافور ونَوْرُكِ زهرةٌ لها أَرَجٌ بعد الهُدُوِّ يطيبُ[1]

قال : وحَضَرَتْني فيه صَنْعةٌ حسنة ؛ فلمّا جلس الرشيد وأمر بالغناء غنّيته إيّاه أوّلَ ما غنَّيتُ ؛ فقال : وَيْلَك ! وأين شُمارَى ؟ فأخبرته القصّة ؛ فأمر لي بأربعةَ عشرَ ألفَ دينار ؛ وغَمَزني جعفر بن يحيى فقال : خذ توقيعَه بها إليّ ؛ وتشاغل الرشيدُ عنّي ، فأعدتُ الصوتَ ، فقال : وَيْلَكم ! أعْطُوا هذا دنانيره ؛ فوثبتُ وقلت : يا سيّدي ، وَقِّع لي بها إلى جعفر بن يحيى ؛ فقال : أفعلُ ، ووقّع لي بها إليه ؛ فلمّا حصَلَ التوقيعُ عند جعفر أطلق لي المالَ وخمسةَ آلاف دينار من عنده ؛ فلمّا حصَلَ المالُ عندي كان أحبَّ إليّ وأحسنَ في عَيْني من شُمارَى .

[غنّى في أبيات طلب الرشيد إجازتها]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال أخبرني أبو العَيْناء قال : خرج الفضلُ بن الرَّبيع يوماً من حضرة الرشيد ومعه رقْعةٌ فيها أربعة أبيات ، فقال : إنّ أمير المؤمنين يأمر كلَّ مَن حضرَ ممّن يقول الشعر أن يُجيزها ، وهي : [من الكامل]

أَهْدى الحبيبُ مع الجَنُوب سلامَه فارْدُدْ إليه مع الشَّمال سلاما
واعرِفْ بقلبك ما تَضَمَّن قلبُه وتَداولاَ بهواكما الأيّاما
وإذا بكيتَ له فأَيْقِنْ أنّه ستجود أَدْمُعه عليك رِهَاما[2]
فاحبِس دموعَك رحمةً لدموعه إن كنتَ تحفظُ أو تَحُوط ذِماما

فلم يوجد مَن يُجيزها ، فأمر إبراهيمَ فغنّى فيها لحناً من خفيف الثقيل .

[تأخّر عن ركب الرشيد ليبقى عند خمّار]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني أبو العبّاس البصريّ قال حدّثني عبد الله بن الفَضْل بن الرَّبيع قال سمعت أبي يقول : لمّا خرج الرشيدُ إلى الرَّقّة أخْرَج معه إبراهيمَ الموصليّ ، وكان به مشغوفاً ، ففقده في بعض المنازل أيّاماً وطلبه فلم يُخبره أحد بقصّته ؛ ثم أتاه ، فقال له : وَيْحَك ؛ ما خبرُك وأين كانت غَيْبتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، حديثي عجيب ، نزلْنا بموضع كذا وكذا ، فوُصِف لي خَمّارٌ ، من ظَرْفه ومن نظافة منزله كيت وكيت ، فتقدّمتُ

1 ونَوْرُك في ل : ونبتك .
2 الرهام : المطر الضعيف .

أمام ثَقَلي[1] وأتيته مُخِفّاً ، فوافيتُ أطيب منزل وأوسعَ رَحْلٍ وأطيبَ طعام وأسخى نفسٍ ، من شابٍّ حسن الوجه ظريف العِشْرة ، فأقمت عنده ، فلمّا أردتُ اللِّحاق بأمير المؤمنين أقْسم عليّ وأخرجَ لي من الشراب ما هو أطيبُ وأجود ممّا رأيت ، فأقمت ثلاثاً ، ووهبتُ له دنانير كانت معي وكُسوةً ، وقلت فيه : [من البسيط]

صوت

سَقْياً لمنزل خَمّارٍ قَصَفْتُ به ... وَسْط الرُّصافة يوماً بعد يومين

ما زلتُ أرهَنُ أثوابي وأشْرَبُها ... صفراءَ قد عُتِّقتْ في الدَّنّ حَوْلين

حتى إذا نفِدَت منّي بأجمعها ... عاودتُه بالرِّبا دَنّاً بدَنَّين

فقال «إزَلْ بشِين» حين ودَّعني ... وقد لَعَمْرُك زُلْنا عنه بالشَّيْن

الشعر والغناء لإبراهيم خفيفُ رمل بالبنصر . قوله : «إزَلْ بشِين» كلمة سريانية ، تفسيرها : إمْضِ بسلام ، دعا له بها لما ودّعه ، قال إبراهيم : فقال لي الرشيد : غَنِّني هذا الصوتَ ، فغنّيتُه إيّاه وزمَر عليه بَرْصُوما ، فوهب لي الرشيد مائة ألف درهم وأقطعني ضَيْعة ، وبعث إليّ الخَمّارِ فأُحْضِر ، وأهْدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوصَله ؛ ووهَب له إبراهيمُ عشرةَ آلاف درهم .

[رؤيا ابن جامع]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمّد بن مَزْيَد ووكيع قالوا جميعاً حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال : قال ابن جامع يوماً لأبي : رأيتُ في منامي كأنّي وإيّاك راكبان في مَحْمِل ، فسَفُلْتَ حتى كِدتَ تَلْصَق بالأرض ، وعلا الشِّقُّ الذي أنا فيه ، فلأعْلُونّك في الغناء ؛ فقال إبراهيم : الرؤيا حقٌّ والتأويل باطل ، إنّي وإيّاك كنّا في ميزان ، فرجحتُ بك وشالتْ كِفّتك وعلوتَ فلَصِقتُ بالأرض ، فلأبْقَيْنّ بعدك ولتموتنّ قبلي : قال إسحاق : فكان كما قال أبي ، علا عليه وأفاد أكثر من فوائده ، ومات ابن جامع قبله وعاش أبي بعده .

[ابن جامع يأخذ لحناً له عن جارية]

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع الرَّبيعيّ قال حدّثتني خَديجة بنت هارون بن عبد الله بن الرَّبيع قالت حدّثتني خمار جارية أبي ، وكانت قُنْدُهارِيّة[2] ، اشتراها جدّي عبد الله وهي صَبِيّة رَيِّض[3] من آل يحيى بن مُعاذ بمائتي ألف درهم ، قالت : ألقى عليّ إبراهيمُ الموصليّ لحنَه في

---

1 ثقل المسافر : متاعه .

2 قندهارية : نسبة إلى قندهار مدينة في أفغانستان .

3 ريض : الدابة أوّل ما تراض ، يطلق على الذكر والأنثى .

هذين البيتين : [من الطويل]

صوت

إذا سَرّها أمرٌ وفيه مَساءتي قضيتُ لها فيما تريد على نفسي
وما مَـرّ يـومٌ أرتجي فيه راحةً فأذكُرَه إلاّ بكيـتُ على أمسِ

الشعر لأبي حَفْص الشِّطْرَنْجيّ[1] ، والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، فسمعني ابن جامع يوماً وأنا أغنّيه ، فسألني : ممّن أخذتِه ؟ فأخبرتُه ؛ فقال : أعِيديه ، فأعدتُه مِراراً ، وما زال ابن جامع يتنغّم به معي حتى ظننت أنّه قد أخذه ، ثم كان كلّما جاءنا قال لي : يا صَبِيّةُ ، غنّي ذلك الصوت ، فكان صوتَه عليّ .

[قصّته مع مخارق في أخذه دراهم من يحيى البرمكيّ وأولاده]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبَّة قال قال مخارق : أَذِن لنا أمير المؤمنين الرشيدُ أن نُقيم في منازلنا ثلاثةَ أيّام ، وأعلمنا أنّه مشتغل فيها مع الحُرَم ، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم ، وأخبرني وَسْواسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ[2] بهذا الخبر فقال حدّثني أبي عن أبيه عن مُخارق قال : اشتغل الرشيد يوماً واصطبح مع الحُرَم وقد أصبحتِ السماء مُتغيِّمة ، فانصرفنا إلى منازلنا . ولم يذكر في الخبر ما ذكره عمر بن شبّة ممّا قدمتُ ذكره ، واتّفقا هاهنا في أكثر الحكايات ، واللفظ فأكثره لرواية ابن الموصليّ ، قال مخارِق : وأصبحت السماء مُتغيِّمة تَطِشّ طَشّاً خفيفاً ، فقلت : والله لأذهبنّ إلى أستاذي إبراهيمَ فأعرف خبره ثم أعود ، فأمرتُ مَنْ عندي أن يُسَوُّوا مجلساً لنا إلى وقت رجوعي ؛ فجئت إلى إبراهيمَ الموصليّ فإذا البابُ مفتوح والدِّهليز قد كُنِس والبوّاب قاعد ؛ فقلت : ما خبر أستاذي ؟ فقال : ادخُل ، فدخلت فإذا هو جالس في رِواق له وبين يديه قُدورٌ تُغَرْغِر وأباريق تَزْهَر ، والستارة منصوبة والجواري خَلْفَها ، وإذا قُدّامَه طَسْتٌ فيه رِطْلِيّة وكوزٌ وكأس ، فدخلت أترنّم ببعض الأصوات ، وقلت له : ما بالُ الستارة لستُ أسمع من ورائها صوتاً ؟ فقال : اقعُد وَيْحَك ! إنّي أصبحت على الذي ظننتَ ؛ فأتاني خبرُ ضَيْعة تجاورني ، قد والله طلبتُها زماناً وتمنّيتها فلم أملكها ، وقد أُعْطِيَ بها مائةُ ألف درهم ؛ فقلت : وما يمنعك منها ؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعافَ هذا المال وأكثر ؛ قال : صدقتَ ، ولكن لستُ أطِيب نَفْساً أن أخرِج هذا المال ؛ فقلت : فمن يُعطيك الساعةَ مائةَ ألف درهم ؟ والله ما أطمع في ذلك من الرشيد ، فكيف بمن دونه ؟ فقال : اجلس ، خذ هذا الصوت ، ونَقَر بقضيب معه

---

1 سيترجم أبو الفرج لأبي حفص الشطرنجي في الأغاني فيما بعد .

2 تقدّم هذا الاسم على أنّه أحمد بن أحمد وأحمد بن محمّد وهذه صيغة ثالثة .

على الدواة وألقى عليّ : [من البسيط]

صوت

نام الخَلِيُّون مـن هَمٍّ ومن سَقَمٍ وبِتُّ مـن كَثْرة الأَحزان لم أَنَمِ
يا طالبَ الجود والمعروفِ مُجتهداً اعْمِدْ ليحيى حليفِ الجود والكرم

الشعر لأبي النضير[1] ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالبنصر . قال : فأَخذتُه فأَحكمتُه ؛ ثم قال لي : امضِ الساعةَ إلى باب الوزير يحيى بن خالد ، فإنّك تجد الناس عليه وتجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعدُ ، فاستأذِنْ عليه قبل أن يَصِلَ إليه أحد ، فإنّه سيُنكِر عليك مجيئك ويقول : من أين أقبلتَ في هذا الوقت ؟ فحدِّثْه بقصدك إيّاي وما أَلقيتُ إليك من خبر الضَّيْعة ، وأَعْلِمْه أنّي صنعتُ هذا الصوت وأَعجبني ، ولَم أَرَ أحداً يستحقّه إلاّ فلانةَ جاريتَه ، وأنّي أَلقيتُه عليك حتى أَحكمْتَه لتطرحَه عليها ؛ فسيدعو بها ويأمر بالسِّتارة أن تُنْصَب ويُوضع له كرسيّ ويقول لك : اطْرَحْه عليها بحضرتي ، فافعل وأْتِني بالخبر بعد ذلك . قال : فجئتُ بابَ يحيى فوجدتُه كما وَصف ، وسألني فأَعلمتُه ما أمرني به ، ففعل كلَّ شيء قاله لي إبراهيم ، واحضَر الجارية فأَلقيتُه عليها ؛ ثم قال لي : تُقيم عندنا يا أَبا المهنّأ أو تنصرف ؟ فقلت : أَنصرف أَطال الله بقاءَك فقد علمتَ ما أُذِن لنا فيه ، قال : يا غلام ، احمِلْ مع أَبي المهنّأ عشرة آلاف درهم ، واحمِلْ إلى أَبي إسحاق مائةَ أَلف درهم ثمنَ هذه الضَّيْعة ، فحُمِلَتِ العشرةُ الآلاف الدرهم إليّ ، وأَتيتُ منزلي فقلت : أُسَرّ يومي هذا وأُسَرُّ من عندي ، ومضى الرسول إليه بالمال ؛ فدخلتُ منزلي ونثَرتُ على من عندي من الجواري دراهمَ من تلك البَدْرة ، وتوسّدتُها وأَكلتُ وشربت وطربت وسُررت يومي كلَّه ؛ فلما أَصبحتُ قلتُ : والله لآتِينّ أُستاذي ولأَعرِفنّ خبره ، فأَتيتُه فوجدت البابَ كهيئته بالأَمس ، ودخلتُ فوجدته على مثل ما كان عليه ، فترنّمت وطَربت فلم يتلقَّ ذلك بما يجب ؛ فقلت له : ما الخبر ؟ أَلم يأتك المال ؟ قال : بلى ، فما كان خبرُكَ أنت بالأَمس ؟ فأَخبرته بما كان وُهب لي وقلت : ما ينتظر من خلف الستارة ، فقال : ارفع السَّجْف فرفعتُه فإذا عشر بِدَر ؛ فقلت : وأيّ شيء بقي عليك في أمر الضيعة ؟ قال : وَيْحَك ! ما هو والله إلاّ أن دخلتْ منزلي حتّى شَحَحْتُ عليها فصارت مثلَ ما حَويتُ قديماً ؛ فقلت : سبحان الله العظيم ؛ فتصنع ماذا ؟ قال : قم حتى أُلقِي عليك صوتاً صنعتُه يفوق ذلك الصوت ؛ فقمتُ وجلستُ بين يديه ، فأَلْقى عليّ : [من الطويل]

---

1 سيترجم أبو الفرج لأبي النضير فيما بعد .

صوت

بُغاةُ النَّدَى والسيفُ والرمحُ ذو النصلِ[1] ويَفْرَح بالمولـــودِ مـــن آلِ بَرْمَـكٍ
ولا سيّما إن كان مـن وَلَدِ الفَضْلِ وتَنْبسطُ الآمــالُ فيـــه لفضلــه

الشعرُ لأَبي النَّضير . والغناءُ لإبراهيمَ ثقيلٌ أَوّل بالبنصر عن الهِشاميّ ، وذكر عمرو بن بانة أنّه لإسحاق ، وهو الصحيح . وفيه خفيف ثقيلٍ ، أَظنّه لحنَ إبراهيم . أَخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شَبّة عن إسحاق أنّ أَباه صنع هذا الصوت في طريقة خفيف الثقيل وعَرَضه على الفَضْل ، فاستحسنه وأَمر مخارقاً بإلقائه على جواريه فأَلقاه على مراقش[2] وقَضِيبَ فأَخذتاه عنه . قال مُخارِق : فلمّا أُلقى عليّ الصوتَ سمعتُ ما لم أَسمع مثلَه قطُّ ، وصغُر عندي الأَوّل فأَحكمْتُه ؛ ثم قال : انهض الساعةَ إلى الفَضْل بن يحيى ، فإنّك تَجدُه لم يأذن لأَحد بعدُ ، وهو يريد الخَلْوة مع جواريه اليوم ، فاستأْذِنْ عليه وحدِّثه بحديثنا أَمس ، وما كان من أَبيه إلينا وإليك ، وأَعلمه أنّي قد صنعتُ هذا الصوتَ وكان عندي أَرفعَ منزلةً من الصوت الذي صنعتُه بالأَمس ، وأنّي أَلقيته عليك حتى أَحكمْتَه ووَجَّهْتُ بك قاصداً لتلقيه على فلانةَ جاريته ؛ فصِرتُ إلى باب الفَضْل فوجدتُ الأَمر على ما ذكرَ ، فاستأْذنتُ فوصلتُ ؛ وسأَلني : ما الخبر ؟ فأَعلمتُه بخَبَري في اليوم الماضي وما وصل إليّ واليه من المال ؛ فقال : أَخزى الله إبراهيمَ فما أَبخله على نفسه ! ؛ ثم دعا خادماً فقال : اضرب السِّتارة فضربها ، فقال لي : أَلْقِه ، فلمّا غَنّيتُه لم أُتِمّه حتى أَقبَل يَجُرّ مِطْرفَه ، ثم قعد على وِسادة دون السّتارة ، وقال : أَحْسَنَ والله أُستاذُك وأَحسنتَ أَنتَ يا مخارق ؛ فلم أَخرج حتى أَخذَتْه الجاريةُ وأَحكمَتْه ، فسُرّ بذلك سروراً شديداً ؛ وقال : أَقِم عندي اليوم ؛ فقلت : يا سيّدي إنّما بقي لنا يومٌ واحد ، ولولا أنّي أُحبّ سرورَك لم أَخرج من منزلي ؛ فقال : يا غلام احمِلْ مع أَبي المهنأ عشرين أَلف درهم واحمل إلى إبراهيم مائتي أَلف درهم ؛ فانصرفتُ إلى منزلي بالمال ، ففتحتُ بَدْرة فنثرت منها على الجواري وشربت وسُررت أَنا ومن عندي يومَنا ؛ فلمّا أَصبحتُ بكَّرتُ إلى إبراهيمَ أَتعَرَّف خبرَه وأُعرِّفه خَبَري ، فوجدتُه على الحال التي كان عليها أَوّلاً وآخِراً ، فدخلتُ أَترنَّم وأُصفِّق ؛ فقال لي : ادْنُ ؛ فقلت : ما بقي ؟ فقال : اجلس وارفع سَجْف هذا الباب فرفعته فإذا عشرون بَدْرة مع تلك العشر ؛ فقلت : ماذا تنتظر الآن ؟ فقال : وَيْحَك ، ما هو والله إلاّ أَن حصلتْ حتى جرتْ مجرى ما تقدّم ؛ فقلتُ : والله ما أَظنّ أَحداً نال في هذه الدولة ما نلتَه ، فلِمَ تَبْخل على نفسك بشيء تمنّيتَه دهراً وقد ملّكَكَ اللهُ أَضعافَه ؟ ثم قال : اجلس فخُذ هذا الصوتَ ؛

---

1 ل : والنصل وكذا ورد في نهاية الأرب 4 : 354 وشطر البيت الثاني فيه «ولا سيّما إن كان والده الفضل» .
2 ل : براقش .

وألْقى عليّ صوتاً أنساني واللهِ صوتَيَّ الأوّلَيْن : [من الطويل]

صوت

أفي كلّ يومٍ أنتَ صبٌّ وليلةٍ إلى أمّ بكـرٍ لا تُفيق فتُقْصِرُ
أُحِبّ على الهِجران أكنافَ بيتها فيا لَكَ من بيتٍ يُحَبُّ ويُهْجَرُ
إلى جعفرٍ سارت بنا كلُّ جَسْرةٍ طَواها سُراهـا نحـوَه والتهجُّرُ
إلى واسعٍ للمُجْتَدِيـن فِناؤه تَـروحُ عطايـاه عليهم وتَبْكُرُ

الشعر لمروانَ بن أبي حَفْصَة يمدح به جعفر بن يحيى . والغناءُ لإبراهيم ، ولم تقع إلينا طريقتُه . قال مُخارِق : ثم قال لي إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا ؟ فقلت : ما سمعتُ قطُّ مثلَه . فلم يَزَلْ يُرَدِّده عليّ حتّى أخذتُه ، ثم قال لي : امضِ إلى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأخيه وأبيه ؛ قال : فمضيتُ ففعلتُ مثل ذلك وخبّرته ما كان منهما وعرَضْتُ عليه الصوت ، فسُر به ودعا خادماً فأمره بضرب الستارة وأحضَر الجارية وقعد على كرسيّ ، ثم قال : هاتِ يا مُخارق ؛ فاندفعتُ فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذَتْه ؛ فقال : أحسنتَ والله يا مُخارق وأحسنَ أُستاذُك ، فهل لك في المُقام عندنا اليومَ ؟ فقلت : يا سيِّدي هذا آخر أيّامنا ، وإنّما جئتُ لموقع الصوت منّي حتّى ألقيته على الجارية ؛ فقال : يا غلام احمِل معه ثلاثين ألف درهم وإلى المَوصلّي ثلثمائة ألف درهم ؛ فصرتُ إلى منزلي بالمال ، فأقمتُ ومَن معي مسرورين نشرَبُ بقيّةَ يومنا ونطرَب ، ثم بكّرتُ إلى إبراهيم فتلقّاني قائماً وقال لي : أحسنتَ يا مُخارق ؛ فقلت : ما الخبر ؟ فقال : اجلس فجلستُ ، فقال لمَن خلف الستارة : خذوا فيما أنتم فيه ، ثم رفع السَّجْف فإذا المال ؛ فقلت : ما خبر الضّيعة ؟ فأدخل يده تحت مِسورة هو مُتّكيء عليها فقال : هذا صَكُّ الضيعة ، سئل عن صاحبها فوُجد ببغداد ، فاشتراها منه يحيى بن خالد ، وكتب إليّ : قد علمتُ أنّك لا تسخو نفساً بشراء الضيعة من مال يحصُل لك ولو حِيزتْ لك الدّنيا كلُّها ، وقد ابتعتُها لك من مالي ووجّهتُ لك بصَكّها ؛ ووجّه إليّ بصكّها وهذا المال كما ترى ؛ ثم بكى وقال لي : يا مخارِق إذا عاشرتَ فعاشر مثل هؤلاء ، وإذا خنكرت فخنكر[1] لمثلِ هؤلاء ؛ هذه ستُّمائة ألف وضَيْعةٌ بمائة ألف وستّون ألفَ درهم لك ، حصّلنا ذلك أجمعَ وأنا جالس في مجلسي لم أبرح منه ، فمتى يُدْرَك مثل هؤلاء ! .

[طلب إليه موسى الهادي أن يغنّيه وله حكمه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أبي عن إسحاق قال : كان موسى الهادي شَكِسَ

1 أي إذا غنَّيت فغنِّ لمثل هؤلاء (أصل الكلمة فارسي) ، المغني المضحك .

الأَخلاق صَعْبَ المِزاج ، مَن توقّاه وعرَف أَخلاقه أَعطاه ما أَمَّل ، ومن فَتح فاه فاتّفق له أَن يفتحه بغير ما يهواه أُقصاه واطّرَحَه ، فكان لا يحتجب عن نُدَمائه ولا عن المغنّين ، وكان يُكثر جوائزَهم وصِلاتِهم ويُواتِرها ؛ فتغنَّى أَبي عنده يوماً ؛ فقال له : يا إبراهيم غنِّني جِنْساً من الغناء أَلَذّهُ وأَطْرَب له ولك حُكمُك ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين ، إن لم يقابلني زُحَلُ ببَرْده رَجَوْتُ أَن أُصيب ما في نفسك . قال : وكنت لا أَراه يُصغي إلى شيء من الأَغاني إصغاءَه إلى النَّسيب والرَّقيق منه ، وكان مذهبُ ابن سُرَيْج عنده أَحمدَ من مذهب مَعْبَد ، فغنّيته : [من الطويل]

وإنّــي لتَعْروني لذِكــراكِ هِزّةٌ ... كما انتفضَ العصفورُ بلّله القَطْرُ[1]

فضرب بيده إلى جَيْب دُرَّاعته فحطَّها ذراعا ، ثم قال : أَحسنتَ والله ؛ زِدْني ، فغنّيتُ : [من الطويل]

فيا حُبَّها زدني جَوىً كلَّ ليلةٍ ... ويا سَلوةَ الأَيّام موعدُكِ الحشرُ

فضرب بيده إلى دُرّاعته فحطّها ذراعاً آخر أَو نحوَه ، وقال : زِدْني وَيْلَك ! أُحسنتَ والله ، ووجب حكمُك يا إبراهيم ؛ فغنّيت : [من الطويل]

هجرتُكِ حتى قِيل لا يعرِف الهَوى ... وزُرتُكِ حتى قيل ليس لـه صَبْرُ

فرفع صوتَه وقال : أُحسنتَ ، لله أَبوك ؛ هات ما تريد ؛ قلت : يا سيّدي ، عَيْن مرْوان بالمدينة ؛ فدارتْ عيناه في رأسه حتى صارتا كأَنّهما جمرتان ، وقال : يا ابن اللَّخْناء أَردتَ أَن تَشْهَرني بهذا المجلس فيقول الناس : أَطْرَبه فحكّمه ، فتجعلني سَمَراً وحديثاً ! يا إبراهيم الحَرّاني : خُذْ بيد هذا الجاهل إذا قمتُ ، فأَدْخِله في بيت مال الخاصّة ، فإن أَخذ كلَّ ما فيه فَخَلّه وإيّاه ؛ فدخلتُ فأَخذت خمسين أَلفَ دينار .

نسبة هذا الصوت

صوت[2]

[من الطويل]

عَجِبتُ لسعي الدَّهرِ بيني وبينها ... فلمّا انقضى ما بيننا سَكَن الدّهرُ
فيــا حُبَّها زِدْني جَــوىً كلَّ ليلــة ... ويــا سَلْوةَ الأَيّامِ موعــدُك الحَشْرُ
ويا هجَر ليلي قد بلغتَ بي المَدى ... وزِدْتَ على مـــا ليس يبلُغه الهجرُ

---

1 هزة في ل : فترة ، أي ضعف .

2 قارن بما جاء في شرح أشعار الهذليين ص 956-959 ، فهناك اختلاف شديد في الرواية والترتيب ، وبما جاء في أمالي القالي 1 : 148 والرواية فيها أقرب إلى ما في الأغاني . وانظر ديوان مجنون ليلى (فراج) : 130-132 .

وإنّي لتَعْروني لذكراكِ هِزّةٌ كما انتفض العصفورُ بلّلَه القَطرُ
هجرتُكِ حتى قيل لا يَعرف الهوى وزُرْتُكِ حتى قيل ليس له صبرُ
أما والذي أبْكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمْرُه أمْرُ
لقد تركتني أحسُد الوحشَ أنْ أرى أليفيْن منها لا يروعهما الذُّعرُ[1]

الشعر لأبي صَخْر الهُذَليّ . والغناء لمَعْبد ، وأوّل لحنه «ويا هجر ليلى» وبعده الثاني ثم الأوّلُ من الأبيات ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو . ولابن سُرَيْج في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ . ولعَرِيبَ في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أوّلُ أيضاً ، وللواثق فيها رَمَل ، وهو ممّا صنعه الواثق قبلها فعارضَتْه بلحنها . وقد نَسَب قومٌ لحنَ مَعْبد إلى ابن سُرَيج ولحنَ ابن سريج إلى معبد .

[استكثر جعفرُ بن يحيى ثمن جارية اشتراها له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : اشترى جدّك إبراهيمُ لجعفر بن يحيى جاريةً مغنيةً بمال عظيم ، فقال جعفر : أيَّ شيء تُحسنُ هذه الجاريةُ حتى بلغتَ بها هذا المالَ كلَّه ؟ قال : لو لم تُحسن شيئاً إلاّ أنّها تَحْكي قولي : [من الكامل]

لِمَنِ الدّيارُ ببُرْقَة الرَّوْحان[2]

لكانت تساويه وزيادةً ؛ فضحك جعفر وقال : أفرطتَ !

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

لمنِ الديارُ ببُرْقَة الرَّوْحانِ إذ لا نبيعُ زمانَنا بزمانِ
صدَع الغواني إذ رَمَيْن فؤادَه صَدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَدانِ
إن زرتُ أهلَكِ لم أُنوَّلْ حاجةً وإذا هجرتكِ شَفَّني هِجْراني

الغناء لمعْبد ، فيما ذكره الهشاميّ وأحمد بن المكّيّ ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، ونَسَبه غيرُهما إلى حُنَين ، وقال آخرون : إنّه للغَرِيض ، وذكر حَبَش أنّه ليَزيد حَوْراء . وفيه لإبراهيمَ خفيفُ رملٍ بالبنصر .

---

1 لا يروعهما الذعرُ في ل : لم يفزعهما ذعر .

2 برقة الروحان : روضة باليمامة .

[عدد أصواته]

أخبرني الحُسين عن حَمّاد قال قال لي أبي : صنَع جدُّك تِسعَمائةِ صوتٍ ، منها دِيناريّة ، ومنها دِرْهَميّة ، ومنهما فَلْسِيّة ، وما رأيت أكثرَ من صنعته ؛ فأمّا ثلثُمائةٍ منها فإنّه تقدّم الناسَ جميعاً فيها ، وأمّا ثلثُمائةٍ ، فشاركوه وشاركهم فيها ، وأمّا الثلثُمائة الباقية ، فلَعِبٌ وطَرَب ؛ قال : ثم أسقط أبي الثلثَمائةِ الآخرةَ بعد ذلك من غناء أبيه ، فكان إذا سُئل عن صنعة أبيه قال : هي ستّمائةِ صوت .

وقال أحمد بن حَمْدون قال لي إسحاق : من غناء أبي الذي أكرهه وأستزريه صوتُه في شعر العبّاس بن الأحنف : [من البسيط]

أبْكِي ومثلي بكى من حُـبِّ جاريةٍ

فما أعلم له فيه معنىً إلاّ استحسانَه للشعر ، فإنّ العبّاس أحسنَ فيه جدّاً .

نسبة هذا الصوت

صوت[1]

[من البسيط]

أبكي ومثلي بكى من حُبِّ جاريةٍ لم يَخلُقِ اللهُ لي في قلبها لِينَا
هل تذكرين وُقُوفي عند بابكمُ نصفَ النهار وأهلُ الدّار لاهُونا

الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

[تعرّضه لابن عائشة]

أخبرني جَحْظة قال أخبرني حَمّاد بن إسحاق قال : قال رجل لأبي : أخْبِرني عنك ، لِمَ طعنتَ على أبيك في صنعته : [من المديد]

قال لي فيها عَتِيقٌ مقالاً فجرتْ ممّا يقول الدموعُ

قال : لأنّه تعرّض لابن عائشةَ وله في هذا الشعر صنعةٌ ، وابن عائشة ممّن لا يُعارَض فلم يقاربه ، وعلى أنّ صنعة أبي من جَيّد الغناء لو كان صنعَها في غير هذا الشعر ، ولكنّها اقترنتْ بصنعة ابن عائشة فلم تقاربْها ، فسقط عندي لذلك .

1 ديوان العبّاس بن الأحنف (صادر) : 285–286 ورواية البيت الثاني فيه :
هل تنكرون وقوفي عند داركم نصف النهار وأهل البيت هادونا

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المديد]

قال لي فيهـا عَتِيقٌ مقـالاً   فجَرتْ مِمّا يقول الدموعُ
قال لي وَدِّعْ سُلَيمى ودَعْها   فأَجـاب القلبُ لا أُستطيعُ

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة. والغناءُ لَمعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو، وقيل: إنّه لابن عائشة. وفيه ثاني ثقيلٍ يُنْسَب إلى الهُذليّ. وفيه خفيفُ ثقيلٍ يُنسب إلى ابن عائشة وإلى إبراهيم.

[لقاؤه جارية من تلميذاته في الريّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق عن أبيه قال: دخلتُ الرَّيَّ فكنتُ آلَفُ فِتْياناً من أهل النِّعم بها وهم لا يعرفونني، فطال ذلك عليّ إلى أن دعاني أحدهم ليلةً إلى منزله فبِتُّ عنده، فأخرج جاريةً له ومدّ لها ستارةً فتغنّتْ خَلْفها، فرأيتُها صالحةَ الأداء كثيرةَ الرواية، فشوّقتْني إلى العراق وذكّرتْني أيّامي بها، فدعوتُ بعُود، فلمّا جيء به اندفعتُ فغنّيتُ صوتي في شعري: [من مجزوء الرمل]

أنـا بالـرَّيِّ مُقيـم   في قُـرى الرَّيّ أَهِيمُ

وقد كنتُ صنعتُ هذا اللحن قديماً بالرَّيّ؛ فخرجت الجارية من وراء السّتارة مُبادِرةً إليّ، فأكبّتْ على رأسي وقالت: أُستاذي والله؛ فقال لها مولاها: أيّ أُستاذِيك هذا؟ قالت: إبراهيم الموصليّ؛ فإذا هي إحدى الجواري اللاّتي أخذْن عنّي وطال العهدُ بها؛ فأكرمني مولاها وبَرّني وخلَع عليّ، فأقمت مدّة بعد ذلك بالرَّيّ وانتشر خبري بها، ثم كتب بحَمْلي إلى والي البلد فأشْخِصتُ.

[أطلقه المهديّ لمّا سمع شعره]

أخبرني الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو تَوْبة صالحُ بن محمّد قال حدّثني القَطِرانيّ عن محمّد بن جَبْر عن يحيى المكّيّ قال: كنّا يوماً بين يديّ المهديّ وقد حَبَس إبراهيمَ الموصليّ وضرَبه وأمر بأن يُلْبَسَ جُبّةَ صوفٍ، وكان يخرج على تلك الحال فيَطْرح على الجواري؛ فكتب إلينا ذاتَ يوم، ونحن مُصْطبِحون وقد جادت السماءُ بمطرٍ صَيِّف[1]، وبحضرتْنا شيء من ورد مُبكّر: [من الهزج]

ألا مَـن مُبْلغٌ قوماً   من اخواني وجيراني

1 المطر الصيف: الذي يجيء في الصيف.

هنيئاً لكـمُ الشُّربُ عـلى وَرْدٍ وتَهْتـانِ[1]
وأنّي مُفْـرَدٌ وحدي بـأَشجاني وأَحـزاني
فمَن جَفَّ لـه جفنٌ فجَفْنـاي يَسيـلانِ

قال : فوقف المهديُّ على رُقعته وقرأَها فرَقّ له وأَمر بطلبه في الوقت ، ثم أُطلقه بعدُ أَيّام .

[شغفه بجارية عليّ اليماني]

أَخبرني الحسن قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني ابن المكّيّ عن أَبيه قال : كانت لعليٍّ اليَمانيّ جاريةٌ مغنّية ، فهَوِيَها إبراهيمَ واستُهيم بها زماناً ، وقال فيها : [من الخفيف]

صوت

كنتُ حُرّاً فصرتُ عبدَ اليماني مـن هـوى شادنٍ هـواه بَراني
وهو نِصْفان من قضيبٍ ودِعْصٍ زانَ صدرَ القضيب رُمّانتانِ[2]

اللحنُ لإبراهيمَ في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو . وقد زعَم قوم أَنّ الشعر للحسين بن الضّحاك .

[أعجبه أُدب النهيكي فعلّمه الغناء]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق قال : كان بعض أَهل نَهيك قد تعاطى الغناء ، فلمّا ظنّ أَنّه قد أَحكمـه شاورني وأَبي حاضرٌ ، فقلتُ له : إن قَبِلتَ منّي فلا تُغنِّ فلستَ فيه كما أَرضى ؛ فصاح أَبي عليّ صيحةً شديدةً ثم قال لي : وما يُدريك يا صبيّ ! ثم أَقبل على الرجلِ فقال : أَنت يا حبيبي بضدّ ما قال ، وإن لَزمتَ الصِّناعةَ برعتَ فيها ؛ فلمّا خلا بي قال لي : يا أَحمق ! ما عليك أَن يُخْزي الله مائة أَلف مثل هذا ؟ هؤلاء أَغنياء ملوك ، وهم يُعيِّروننا بالغناء ، فدعهم يتهتّكوا به ويُعَيَّروا ويَفْتَضحُوا ويحتاجوا إلينا فنَنتفع بهم ، ويَبين فضلُنا لـدى الناس بأَمثالهـم . قـال : ولَزِمه النَّهيكيّ يأخذ عنه ويَبَرُّه فيُجزل ، فكان إذا غَنّى فأَحسن قال له : بارك الله فيك ، وإذا أَساء قال : بارك الله عليك ؛ وكثُر ذلك منه حتّى عرَف النَّهيكيّ معناه فيه ، فغنّى يوماً وأَبي ساهٍ عنه فسكتَ ولم يقل له شيئاً ؛ فقال له : جُعلت فداك ، يا أُستاذيّ ، أَهذا الصوت من أَصوات «فيك» أَم «عليك» ؟ فضحك أَبي ولم يكن علم أَنّه قـد فَطِن لقوله ، ثم قال له : والله لأُقْبِلنّ عليك حتّى تصيرَ كما تشتهي ، فإنّك ظريفٌ أَديب ؛ وعُني به حتى حَسُن غناؤه وتقدّم . وفيه يقول أَبي : [من مجزوء الرمل]

---

1 تهتان السماء : انصباب المطر .

2 الدِعص : كثيب الرمل .

أوجب اللهُ لك الحـــ ـــقَّ على مثلي بظَرْفِكْ
لن تراني بعـد هـذا ناطقـاً إلاّ بوصفكْ
وتـرى القـوّةَ فيما تَشتهيه بعـد ضعفكْ

[حكم لابنه إسحاق على مُخارق]

أخبرني إسماعيل قال حدّثني عُمر بن شَبّة عن إسحاق، أخبرني به الصُّوليّ عن عَوْن بن محمّد عن إسحاق قال: غنّى مُخارِقٌ بين يدَيّ الرشيد صوتاً فأخطأ في قِسْمته؛ فقلت له: أعِدْ فأعاده، وكان الخطأ خفيّاً، فقلت للرشيد: يا سيِّدي، قد أخطأ فيه؛ فقال لإبراهيم بن المهديّ: ما تقول فيما ذكره إسحاق؟ قال: ليس الأمرُ كما قال، ولا هاهنا خطأ؛ فقلتُ له: أترضى بأبي؟ قال: إي والله، وكان أبي في بقايا عِلّة؛ فأمر الرشيدُ بإحضاره ولو محمولاً، فجيء به في مِحَفّة؛ فقال لمُخارق: أعِدِ الصوتَ، فأعاده؛ فقال: ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت؟ فقال: قد أخطأ فيه؛ فقال له: هكذا قال ابنك إسحاق، وذكر أخي إبراهيم أنّه صحيح؛ فنظر إليّ ثم قال: هاتوا دواةً، فأُتي بها وكتب شيئاً لم يَقِف عليه أحد ثم قطعه ووَضعه بين يديّ الرشيد، وقال لي: اكتُب بذكر الموضع الفاسد من قِسْمة هذا الصوت، فكتبتَه وألقيتُه فقرأه وسُرّ، وقام فألقاه بين يديّ الرشيد، فإذا الذي قلناه جميعاً متّفق؛ فضحك وعجب، ولم يَبْق أحدٌ في المجلس إلاّ قَرّظ وأثْنى ووصَف، ولا أحدٌ خالَف إلاّ خَجِل وذَلّ وأذْعن. وقال أبي في ذلك: [من مجزوء الرمل]

ليتَ من لا يُحسن العـ ـــلمَ كفانـا شَرَّ عِلْمِهْ
فاخبُرِ الحـقَّ ابتـداءً وقِسِ العلـــمَ بفهمـهْ
طيِّبُ الرَّيْحان لا تعـ ـرفـــه إلاّ بشَمِّـــهْ

[بين إسحاق والرشيد]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني هِبَةُ الله، وحدّثني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: غنّى أبي يوماً بحضرة الرشيد: [من الطويل]

سَلي هل قَلاني من عَشيرٍ صَحِبتُه وهل ذمّ رَحْلي في الرِّفاق رفيقُ

فطرِب واستعاده وأمر له بعشرين ألفَ درهم، فلمّا كان بعد سنين، خطر ببالي ذلك الصوتُ وذكرتُ قصّته، فغنّيته إيّاه؛ فطرب وشرب، ثم قال لي: يا إسحاق، كأنّي في نفسك ذكرتَ حديثَ أبيك وأنّي أعطيتُه ألف دينار على هذا الصوت فطمِعتَ في الجائزة!؛ فضحكتُ ثم قلت: والله يا سيِّدي ما أخطأتَ؛ فقال: قد أخذ ثمنَه أبوك مرّةً فلا تطمع؛ فعجبتُ من

قوله ، ثم قلت : يا سيِّدي ، قد أخذ أبي منك أكثر من مائتيْ ألفِ دينار ما رأيتُك ذكرتَ منها غيرَ هذا الألف على بختي أنا ؛ فقال : وَيْحَكَ أكثر من مائتي ألف دينار ! قلت : إي والله ! ؛ فوجَم وقال : أستغفر الله من ذلك ، وَيْحَكَ ! فما الذي خلّف منها ؟ قلت : خلّف عليّ ديوناً مبلغها خمسةُ آلاف دينار قضيتُها عنه ؛ فقال : ما أدري أيّنا أشدُّ تضييعاً ! والله المستعان .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

سَلِي هل قلاني مِنْ عَشيرٍ صَحِبتُه ... وهل ذَمّ رَحْلي في الرِّفاق رفيقُ

وهل يَجْتوِي القومُ الكرامُ صَحابتي ... إذا اغبرّ مَخْشيٌّ الفجاج عميقُ [1]

ولو تَعلمين الغيبَ أيقنتِ أنّني ... لكمُ والهَدايا المُشْعَراتِ صديقُ [2]

الشعر يُنسب إلى مُضَرِّس بن قُرط [3] الهِلاليّ وإلى قيس بن ذَرِيح ، وفيه بيت يقال : إنّه لجَرير . والغناء مختلطٌ في أشعار الثلاثة المذكورين ، ونِسْبتُه تأتي في أخبار قيس بن ذَرِيح ، إلاّ أنّ الغناء في هذه الثلاثة الأبيات لمَعْبَد ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

[سنورتان تغنّيان]

أخبرني عمِّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثتني نَشْوة الأُشْنانية [4] قالت أخبرني أبو عثمان يحيى المكيّ قال : تشوّق يوماً إبراهيمُ الموصليّ إلى سرداب له ، وكانت فيه بِرْكة ماء تدخل من موضع إليه وتخرج إلى بستان ، فقال : أشتهي أن أشربَ يومي وأبيتَ ليلتي في هذا السرداب ففعل ذلك ، فبينا هو نائم في نصف الليل فإذا سِنَّوْرَتان قد نزلتا من درجة السِّرْداب ، بيضاء وسوداء ، فقالت إحداهما : أتراه نائماً ؟ فقالت السوداء : هو نائم ؛ فاندفعت السوداءُ فغنّت بأحسن صوت : [من مجزوء الوافر]

عَفا مُزْج إلى لَصَقٍ ... إلى الهَضَباتِ من هكرِ

إلى قاع النَّقِير إلى ... قرار حِلاَل ذي حَذَرِ [5]

---

1 عميقُ في ل : سحيق .

2 الهدايا : ما يُهدى إلى البيت الحرام للنحر . والمشعرات : المعلمات .

3 ل : قرظة .

4 ل : نشرة الأشناسية .

5 جميع هذه مواضع .

قال : فمات إبراهيم فرحاً[1] وقال : يا ليتهما أعاداه ! فأعاداه مراراً حتى أخذه ، ثم تحرّك فقامت السِّنَّوْرَتانِ ، وسمع إحداهما تقول للأخرى : والله لا طَرَحه على أحد إلاّ جُنّ ، فطرحه من غدٍ على جارية له فجُنَّتْ .

نسبة هذا الصوت

الغناء فيه لمالكٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن يحيى المَكّي وعَمْرو بن بانة .

[الفضل بن يحيى يحتال له للحصول على المال]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال : أتيتُ الفضلَ بن يحيى يوماً ، فقلت له : يا أبا العبّاس ، جُعِلتُ فداك ! هَبْ لي دراهمَ فإنّ الخليفة قد حبَس يدَه ؛ فقال : وَيْحَك يا أبا إسحاق ؛ ما عندي مال أرضاه لك ، ثم قال : هَاه ! إلاّ أنّ هاهنا خَصْلَةً أتانا رسولُ صاحب اليمن فقضينا حوائجَه ، ووجّه إلينا بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبَّتنا[2] ؛ فما فعلتْ ضِياءُ جاريتُك ؟ قلتُ : عندي ، جُعِلت فداك ؛ قال : فهو ذا ، أقول لهم يشترونها منك فلا تَنْقُصْها من خمسين ألف دينار ؛ فقبَّلتُ رأسه ثم انصرفتُ فبكّر عليّ رسول صاحب اليمن ومعه صديقٌ لي ، فقال : جاريتُك فلانةُ عندَك ؟ فقلت : عندي ؛ فقال : اعرِضْها عليّ ، فأخرجتُها ؛ قال : بكم ؟ قلت : بخمسين ألفَ دينار ولا أنقُص منها ديناراً واحداً ، وقد أعطاني بها الفضلُ بن يحيى أمس هذه العطيّة ؛ فقال لي : أُريدها له ؛ فقلت له : أنت أعلم ، إذا اشتريتَها فصيِّرها لمن شئت ؛ فقال لي : هل لك في ثلاثين ألفَ دينار مسلَّمةٍ لك ؟ قال : وكان شراء الجارية على أربعمائة دينار ، فلمّا وقع في أذني ذِكْرُ ثلاثين ألفاً أُرْتِج عليّ ولَحقني زَمَعٌ[3] ، وأشار عليّ صديقي الذي معه بالبيع ، وخِفْتُ والله أن يحدُث بالجارية حَدَثٌ أو بي أو بالفَضْل بن يحيى ، فسلّمتُها وأخذتُ المال ؛ ثم بكّرتُ على الفضل بن يحيى ، فإذا هو جالس وحدَه ؛ فلمّا نظر إليّ ضحِك ، ثم قال لي : يا ضَيِّق الحَوْصلة[4] ! حرَمتَ نفسك عشرين ألفَ دينار ؛ فقلت له : جُعِلتُ فداك ، دَعْ ذا عنك ، فوالله لقد دخَلني شيء أعجَز عن وصفه وخِفت أن تَحدُث بي حادثة أو بالجارية أو بالمشتري أو بك ، أعاذكَ الله من كلّ سوء ، فبادرتُ بقَبول الثلاثين ألف دينار ؛ فقال : لا ضَيْر ، يا

1 ل : فزعاً ، وهو أولى بمَن يسمع هرتين تغنّيان .

2 أي ما نحبّ .

3 زمع : رعدة .

4 ضيق الحوصلة : المتسرّع الحريص .

غلام جيء بالجارية ، فجاء بجاريتي بعينها ؛ فقال : خُذْها مباركاً لك فيها ، فإنّما أردنا منفعتك ولم نُرِدِ الجارية ؛ فلمّا نهضتُ ، قال لي : مكانَك ، إنّ صاحب إرْمِينِيَة قد جاءنا فقضيْنا حوائجه ونفّذْنا كُتُبَه ، وذكر أنّه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري لنا بها ما نُحِبّ ، فاعرض عليه جاريتَك هذه ولا تَنْقُصها من ثلاثين ألف دينار ؛ فانصرفتُ بالجارية ، وبكَّر إليّ رسول صاحب إرْمِينية ومعه صديقٌ لي آخر ، فقاوَلَني بالجارية ، فقلتُ : لستُ أَنقصها من ثلاثين ألف دينار ؛ فقال لي : معي على الباب عشرون ألفَ دينار تأخذها مُسلَّمة ، بارك الله لك فيها ؛ فدخلني والله مثلُ الذي دخلني في المرّة الأولى وخِفت مثلَ خوفي الأوّل ، فسلّمتُها وأخذتُ المال ؛ وبكّرت على الفضل بن يحيى فإذا هو وحدَه ؛ فلمّا رآني ضحك وضرب برجله الأرض وقال : ويحك ! حَرَمتَ نفسك عشرةَ آلاف دينار ؛ فقلت : أصلحك الله ، خِفتُ والله ما خفتُ في المرّة الأولى ؛ قال : لا ضَيْر ، أَخرجْ يا غلام جاريتَه ؛ فجاء بجاريتي بعينها ، فقال : خذها ، ما أردناها ولا أردنا إلاّ منفعتك ؛ فلمّا ولّتِ الجارية صِحْتُ بها : ارجعي فرجعتْ ؛ فقلت : أُشهدكَ ، جُعلت فِداك ، أنّها حُرَّة لوجه الله وأنّي قد تزوّجتها على عشرة آلاف درهم ، كَسَبتْ لي في يومين خمسين ألف دينار ، فما جزاؤها إلاّ هذا ؛ فقال : وُفّقتَ إن شاء الله .

[خمار يبهره الغناء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق قال قال لي أبي : كنت في شبابي ألازِم أصحابَ قُطْرُبُّل وبارِي وبِنَّى[1] وما أشبه هذه المنازل[2] ، فأتّخذ فيهم الخَمّارَ اللطيفَ ، يحسبوني بالشراب الجيّد ويَخْبَؤه لي ، فجئت إلى باري يوماً فلَقِيني خمَّاري ، فقال لي : يا أبا إسحاق عندي شيء من بابَتِك ، وقد كنت عملتُ لَحْني هذا : [من مجزوء الرمل]

صوت

اشرَبِ الرّاح وكُنْ في ... شُرْبِك الرّاحَ وَقُورا
فاشربِ الرّاح رَواحاً ... وظلاماً وبُكورا

الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لمنصور زَلْزَل الضاربِ خفيفُ رَمَلٍ عن حَبَش . قال : فدخلتُ بيته وبَزَلْتُ[3] دَنّه وجعلتُ أُرجّع الصوتَ ؛

1 قطربل وباري وبنّى : قرى كانت قريبة من بغداد .
2 ل : المواضع .
3 بزل الدن : ثقبه ليسيل منه الخمر .

فبُهِت ينظر إليّ والنبيذُ يجري حتى امتلأ الإناء وفاض ؛ فقلت له : وَيْحَكَ ! شرابُكَ قد فاض ؛ فقال : دَعْني من شرابي ، بالله مات لك إنسان في هذه الأيّام ؟ فقلت : لا ؛ قال : فما بالُ حَلْقِك هذا حزيناً ؟ .

[أخذ مخارق عنه صوتاً فبكى]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن عمّه طَيّاب بن إبراهيم قال : دخلتُ على أبي يوماً وعنده مُخارِق وأبي يُلْقِي عليه هذا الصوت[1] : [من الوافر]

طَرِبـتَ وأنت مَعْنِـيٌّ كئيبُ وقد يَشتاق ذو الحَزَنِ الغريبُ
وشاقَك بالمُوَقَّـر أهـلُ خاخٍ فـلا أَمَـمٌ هناكَ ولا قريبُ[2]
وكم لكَ دونها من عُرْضِ أرضٍ كأنّ سَرابَها الجـاري سَبيبُ
لَعَمْـرُك إنّنـي برَقيـم قَيْس وجارةِ أهلِهـا لأنا الحَريبُ[3]

الشعر للأحوص ، والغناء لإبراهيمَ ماخُوريٌّ بالبنصر عن عمرو ، قال : فلمّا أخذه مخارِق جعل أبي يبكي ، ثم قال له : يا مخارق ، نِعمَ وسيلة إبليس أنت في الأرض ، أنت والله بعدي صاحب اللّواء في هذا الشأن .

[تفاخر الأب وابنه في الغناء]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : لمّا صنع أبي لحنَه في : [من الرمل]

ليتَ هنداً أنجزتنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أنفُسَنا ممّا تَجِدْ

خاصَمتُه وعِبْتُه في صنعته ، وقلت له : أما بإزائك مَن ينتقد أنفاسك ويَعيب محاسنك وأنت لا تفكّر ؟ تجيء إلى صوت قد عمل فيه ابنُ سُرَيج لحناً فتُعارضه بلحن لا يقاربه والشعرُ أوسعُ من ذلك ! فدَعْ ما قد اعتَوَرَته[4] صناعة القدماء وخُذْ في غيره ؛ فغضِب ، وكنت لا أزال أفاخِره بصنعتي وأعيب ما يُعاب من صنعته ، فإن قَبِل منّي فذلك ، وإن غضِب داريتُه وترضّيتُه ؛ فقال لي : ما يعلم الله أنّي أدعك أو تفاخرني بخير صوتٍ صنعتَه في الثقيل الثاني في طريقة هذا الصوت ؛ فلمّا رأيتُ الجدّ منه اخترت صنعتي في هذا اللّحن : [من مجزوء الخفيف]

1 ديوان الأحوص : طبعة دار صادر ، ص 25 .
2 الموقر : في البلقاء بالأردن . وخاخ : موضع بالحجاز .
3 رقيم قيس : موضع قرب البلقاء .
4 اعتورته : تداولته .

قـل لِمَـنْ صَدّ عاتباً ونـأى عنـك جانِبا
قـد بلغتَ الذي أُردْ تَ وإن كنـتَ لاعبا

وكان ما تَجاريْناه ونحن نَتَساير خارجَيْن إلى الصحراء نقطع فَضْلَةَ خُمـارٍ كان بِنا ؛ فقال : مَن تُحِبّ أن يحكم بيني وبينك ؟ فقلت : مَن تُرى أن يحكم هاهنا ؟ قال : أوّلُ مَن يطلعُ علينا أغنّيه لحْني وتُغنّيه لحنَك ؛ فطمعتُ فيه وقلت نعم ؛ فأقبلَ شيخ نَبَطِيٌّ يحمل شوكاً على حمار له ، فأقبل عليه أبي فقال : إنّي وصاحبي هذا قد تراضيْنا بك في شيء ؛ قال : وأيّ شيء هو ؟ فقلنا : زعَم كلٌّ واحد منّا أنّه أحسنُ غناءً من صاحبه ، فتسمَع منّي ومنه وتحكُم ؛ فقال : على اسمِ الله ؛ فبدأ أبي فغنّى لحنَه ، وتبِعتُه فغنّيتُ لحني ، فلمّا فرَغتُ أقبل عليّ فقال لي : قد حكمتُ عليك عافاك الله ومضى ؛ فلَطَمني أبي لَطْمةً ما مرَّ بي مثلُها منه قطُّ ، وسكتُّ فما أعدتُ عليه حرفاً ولا راجعتُه بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقْنا .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الرمل]

ليت هنداً أنْجزتْنا مـا تَعِدْ وشَفَـتْ أنفُسَنـا ممّـا تَجدْ
واستبـدّتْ مـرّةً واحـدةً إنّما العاجـز مَـن لا يَسْتَبِدّ
زعموهـا سألـتْ جاراتهـا ذاتَ يـومٍ وتعـرّتْ تَبْترِدْ
أكَمـا يَنْعَتُنـي تُبْصِرْنَنـي عَمْرَكُـنّ اللهَ أم لا يقتصِدْ
فتضاحَكْن وقـد قُلْـن لهـا حسَنٌ في كلِّ عـينٍ مَـن تَوَدّ
حسداً حُمِّلْنَـه مـن أجْلِها وقَديماً كان في الناس الحَسدْ[1]

الشعر لعمر بن أبي رَبيعة . ولحنُ إبراهيم فيه ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه لابن سُرَيج رَمَلٌ بالخنصر في مجرى البنصر . وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بالخنصر والبنصر عن يحيى المكّي ، وذكره إسحاقُ في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد ، وقال الهشاميّ : أدَلُّ شيء على أنّه لمالكٍ شَبَهُه للحنه :

اسْلَمي يـا دارُ مِن هندِ

وفيه لمُتَيَّم ثقيلٌ أوّل . وأمّا لحن إسحاقَ الذي فاخر به صنعةَ أبيه ، فقد كُتب شعرُه والصنعةُ فيه ، وهما جميعاً لإسحاق ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، في أخبار إسحاق .

1 حمّلنه في ل : يحملنه .

[يخرج زلزل من الحبس]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ حمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه قال : كان الرشيد قد وَجَد على منصور زَلْزَل لشيء بلغه عنه ، فحبسه عشرَ سنين أو نحوَها ؛ فقام الرشيد يوماً لحاجته ، فجعل إبراهيمُ يغنّي صوتاً صنعه في شعر كان قاله في حبس زَلْزَل ، وهو : [من الكامل]

هل دهرُنا بك راجعٌ يا زَلْزَلُ أيّامَ يَبْغِينا العدوُّ المبطِلُ
أيّامَ أنتَ من المَكاره آمِنٌ والخيرُ مُتّسعٌ علينا مُقْبِلُ
يا بؤسَ مَنْ فقَد الإمامَ وقُرْبَه ماذا به من ذِلّة لو يَعْقِلُ
ما زلتُ بعدك في الهموم مُرَدَّداً أبكي بأربعةٍ كأنّي مُثْكِلُ

الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . قال : ودخل الرشيد وهو في ذلك فجلس في مجلسه ، ثم قال : يا إبراهيم ، أيّ شيء كنتَ تقول ؟ فقال : خيراً يا سيّدي ؛ فقال : هاته فتلكّأ ، فغضب الرشيد وقال : هاته فلا مكروهَ عليك ، فردّ الغناء ؛ فقال له : أتُحِبُّ أن تراه ؟ فقال : وهل يُنْشَر أهلُ القبور ؟ فقال : هاتوا زَلْزَلاً ، فجاءوا به وقد ابيضّ رأسُه ولحيته فسُرّ به إبراهيم ؛ وأمرَه فجلس ، وأمر إبراهيمَ فغنّى وضرب عليه فزَلْزَلا الدنيا ، وشرب الرشيدُ على ذلك رِطلاً ، وأمر بإطلاق زَلْزَل وأسْنى جائزتهما ورضي عنه وصرفه إلى منزله . قال : وزَلْزَلٌ أوّلُ مَن أحدث هذه العيدانَ الشَّبابِيط[1] ، وكانت قديماً على عمل عيدان الفُرْس ، فجاءت عَجَباً من العَجَب . قال : وكانت أُخْتُ زلزل تحت إبراهيمَ ، وقد وَلَدت منه .

[أوّل أستاذ له في الغناء]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أوّلُ مَن تعلّمتُ منه الغناءَ مجنونٌ ، كان إذا صِيح به : يا مُضَر ، يصيح ويهيج ويرجُم ؛ فبلغني أنّه يغنّي أصواتاً فيُجيدها ، أخذها عن قدماء أهل الحجاز ، فكنت أُدْخِله إليّ فأُطْعِمُه وأسقيه وأخدَعه حتى آخذَ عنه ، وكان حاذقاً ؛ فأوّلُ صوت أخذتُه عنه[2] : [من الخفيف]

أَرْسِلي بالسّلام يا سَلْم إنّي منذُ عُلِّقْتُكم غنيٌّ فقيرُ
فالغِنى إن ملكتُ أمرَكِ والفقـ ـرُ بأنّي أزورُ مَن لا يزورُ
وَيْحَ نفسي تسلو النفوسُ ونفسي في هَوى الرِّيم ذكرُها ما يَحُورُ

---

1 العيدان الشبابيط : العيدان الشبيهة بالشبوط وهو سمك يعيش في نهر دجلة .

2 شعر الوليد بن يزيد : 44 .

مَنْ لنفسٍ تَتُـوق أنتِ هواها وفـؤادٍ يكـاد فيـكِ يطيرُ

ثم مكثتُ زماناً آخذ عنه ، وكان إذا عاد إليه عقلُه من أحذقِ الناس وأقْوَمِهم على ما يؤدّيه ؛ ثم غاب عنّي فما أعرِف خبره .

وهذا الشعر للوليد بن يَزيد . والغناء ليونس خفيفُ رَمَلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر غيره أنّه لعمرَ الواديّ ، وفيه لوجه القرعة ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش .

[إحسان الرشيد إليه في الشام]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال : خرجتُ مع الرشيد إلى الشام لمّا غزا ، فدعاني يوماً فدخلت إليه إلى مجلس لَم أرَ أحسن منه مفروشٍ بأنواع الرُّخام ، فأكل وأمرني فأكلتُ معه ، وجعلتُ أتولّى خدمتَه إلى العصر ، ثم دعا بالنبيذ فشرِب وسقاني معه ، ثم خلع عليّ خِلعةَ وَشْيٍ من ثيابه وأمر لي بألف دينار ، ثم قال : انظر يا إبراهيم ، كم من يَدٍ أَوْليتُك إيّاها اليومَ ! نادمتَني مفرداً ، وآكلتَني ، وخلعتُ عليك ثيابي من بدني ، ووصلتُك ، وأجلستُك في إيوان مَسْلمة بن عبد الملك تشرب معي ؛ فقلت : يا سيِّدي ، ما ذهب عليّ شيء من تفضّلك ، وإنّ نِعَمَك عندي لأكثرُ من أن تُحصى ، وقبّلتُ رِجلَه والأرضَ بين يديه .

[أوّل مَن غنّى الرشيد في خلافته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال قال دِعْبِل بن عليّ : لمّا وَلي الرشيدُ الخلافةَ وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور ودخل عليه المغنّون ، كان أوّل مَنْ غنّاه إبراهيمُ الموصليّ بشعره فيه ، وهو : [من الوافر]

صوت

إذا ظُلَـمُ البـلادِ تَجَلَّلتْنـا فهـارونُ الإمـامُ لهـا ضِياءُ
بهـارونَ استقام العـدلُ فينا وغاض الجَوْر وانفسح الرجاءُ
رأيـتُ الناسَ قـد سكنوا إليه كما سكنتْ إلى الحَـرَمِ الظِّباءُ
تَبِعْتَ من الرسول سبيلَ حـقٍّ فشأنُك في الأمورِ بـه اقتداءُ

فقال له الخادم من خَلْفِ الستارة : أحسنتَ يا إبراهيم في شِعرك وغنائك ، وأمر له يومئذٍ بعشرين ألف درهم . لحنُ إبراهيمَ في هذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة والوسطى عن أحمد بن المكّي .

[دخل على قوم يقصفون في بستان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني يَزِيد بن محمّد المُهَلَّبيّ قال حدّثني أبي قال : كنتُ أنا وأبو

سَعيد النَّهْديّ وهاشم بن سليمان المغنّي يوماً مجتمعين في بُستان لنا ونحن نشرب وهاشم يغنّينا ؛ فلمّا توسّطْنا أُمرَنا إذا نحن برجلٍ قد دخل علينا البستانَ جميل الهيئة حسنِ الزِّيّ ، فلمّا بصُرنا به من بعيد ، وثَب هاشمٌ يعدو حتى لَقِيَه ، فقبّل يدَه وعانقه ، ولم يعرفه أَحدٌ منّا ، فجاء وسلَّم سلامَ الصّديق على صديقه ، ثم قال : خذوا في شأنكم ، فإنّي اجتزتُ بكم فسمعتُ غناء أَبي القاسم فاستخفّني وأَطربني ، فدخلت إليكم واثقاً بأنّه لا يُعاشر إلاّ فتىً ظريفاً يستحسن هذا الفعلَ ويسرّه ، ولي في هذا إمامٌ وهو عبد الله بن جعفر بن أَبي طالب عليه السلام ، فإنّه سمع غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال : إنّما أَدخلني عليكم مغنّيكم لمّا غنّى : [من المنسرح]

قُــلْ لكــرامٍ ببابِنــا يَلِجُوا ما في التَّصابي على الفتى حَرَجُ

وأَنا أَعلم أَنّ نفوسكم متعلّقة بمعرفتي ، فمَن عرفني فقد اكتفى ، ومن جَهِلَني فأَنا إبراهيم الموصليّ ؛ فقُمنا فقبّلنا رأسه وسُرِرنا به أَتمّ سرور ، وانعقدتْ بيننا وبينه يومئذٍ مودّة ، ثم غاب عنّا غيبةً طويلة ، وإذا هاشم قد أَنفذ إلينا منه رُقعةً فيها : [من الطويل]

أَهاشمُ هل لي مِنْ سبيلٍ إلى التي تُفرِّق همَّ النفس في كلّ مَذْهبِ
مُعَتَّقــةً صِرْفــاً كأَنّ شُعاعَها تَضَرُّم نــارٍ أَو تَوَقُّدُ كوكبِ
أَلا ربّ يــومٍ قــد لهوتُ وليلةٍ بها والفتى النَّهْدِيُّ وابن المُهَلَّبِ
نُديــر مُدامــاً بيننــا بِتَحِيَّة وتَفْدِيَــةٍ بالنفس والأُمّ والأَبِ

[عقعق يسرق خاتمه]

أَخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : كان لي وأَنا صبيّ عَقْعَقٌ قد ربّيته وكان يتكلّم بكلّ شيء سمعه ، فسرق خاتَمَ ياقوتٍ كان لأَبي قد وضعه على تُكَأَته[1] ودخل الخلاءَ ثم خرج ولم يجده ، فطلبه وضرب غلامه الذي كان واقفاً ، فلم يَقِف له على خبر ؛ فبينا أَنا ذاتَ يوم في دارنا إذ أَبصرتُ العقعقَ قد نَبش تراباً فأَخرج الخاتمَ منه ولعب به طويلاً ، ثم ردّه فيه ودفَنه ، فأَخذتُه وجئت به إلى أَبي ، فسُرّ بذلك وقال يهجو العقعق : [من المتقارب]

إذا بــارك اللهُ في طائــرٍ فلا بارك الله في العقعقِ
طويل الذُّنابى قصير الجناح متى مــا يجد غَفْلَةً يسرقِ
يُقلِّــب عينــين في رأسه كأَنّهمــا قَطْرتــا زِئبَــقِ

[بينه وبين ابن جامع بين يديّ الرشيد]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدّثني أَحمد بن المَكّيّ ، قال أَبو

1 ل : بركانه .

الفرج : وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جَحْظة بهذا الخبر فقال حدّثني به محمّد بن أحمد بن يحيى المكّيّ المرتجل عن أبيه عن جدّه ، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمّد بن نصر عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل فجمعت الرواياتِ كلّها[1] : أنّ الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيى : قد طال سماعنا هذه العصابةَ على اختلاط الأمر فيها فهلمّ أقاسِمْك إيّاها وأُخايرْك ، فاقتسما المغنِّين ، على أن جعلا بإزاء كلّ رجل نظيرَه ، وكان ابن جامع في حيِّز الرشيد وإبراهيم في حيِّز جعفر بن يحيى ، وحضر الندماءُ لمحنة المغنِّين ، وأمر الرشيدُ ابنَ جامع فغنّى صوتاً أحسن فيه كلّ الإحسان وطرِب الرشيد غايةَ الطرب ، فلمّا قطعه قال الرشيد لإبراهيم : هات يا إبراهيم هذا الصوتَ فغنِّه ؛ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه ، وظهر الانكسار فيه ؛ فقال الرشيد لجعفر : هذا واحد ، ثم قال لإسماعيل بن جامع : غنّ يا إسماعيل ، فغنّى صوتاً ثانياً أحسن من الأوّل وأرضى في كلّ حال ، فلمّا استوفاه قال الرشيد لإبراهيم : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا ؛ فقال : هذان اثنان ، غنّ يا إسماعيل ، فغنّى ثالثاً يتقدّم الصوتين الأوّلين ويفضُلُهما ، فلمّا أتى على آخره ، قال : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا أيضاً ؛ فقال له جعفر : أخزيتَنا أخزاك الله . قال : وأتمّ ابنُ جامع يومَه والرشيدُ مسرور به ، وأجازه بجوائزَ كثيرةٍ وخلعَ عليه خِلَعاً فاخرة ، ولم يزَل إبراهيمُ مُنخذِلاً مُنكسِراً حتى انصرف . قال : فمضى إلى منزله ، فلم يستقرّ فيه حتّى بعث إلى محمّد المعروف بالزّف ، وكان محمّد من المغنّين المحسنين ، وكان أسرعَ مَن عُرِف في أيّامه في أخْذ صوت يريد أخْذَه ، وكان الرشيد قد وجَد عليه في بعض ما يجده الملوك على أمثاله فألزمه بيتَه وتناساه ؛ فقال إبراهيم للزّف : إنّي اخترتك على مَن هو أحبّ إليّ منك ، لأمرٍ لا يصلحُ له غيرك ، فانظُر كيف تكون ! قال : أَبلُغ في ذلك محبَّتك إن شاء الله تعالى ؛ فأدّى إليه الخبر وقال : أُريد أن تمضي الساعة إلى ابن جامع ، فتُعلمه أنّك صِرت إليه مُهَنِّئاً بما تَهَيّأ له عليّ ، وتَتَنقَّصُني وتَثْلِبُني وتَشْتُمُني ، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه ، ولك ما تُحبُّه من جِهَتي من عَرَض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله . قال : فمضى من عنده واستأذن على ابن جامع فأذِن له ، فدخل وسلّم عليه وقال : جئتُك مهنِّئاً بما بلغني من خبرك ، والحمد لله الذي أخزى ابنَ الجُرْمُقانيّة[2] على يدك ، وكشف الفضل في محلّك من صناعتك ؛ قال : وهل بلغك خبرُنا ؟ قال : هو أشهر من أن يخفى على مثلي ؛ قال : وَيْحَكَ ! إنّه يقصرُ عن العِيان ؛ قال : أيّها الأُستاذ ، سرَّني بأن أسمعه من فِيك حتى أرْوِيَه عنك ، وأَسْقِطْ بيني وبينك الأَسانيدَ ؛ قال : أَقم عندي حتى أفعلَ ؛ قال : السمع والطّاعة ؛ فدعا له ابن جامع بالطعام

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 59 (رقم 51) .

2 الجرمقانية : نسبة إلى الجرامقة ، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام .

فأَكلا ودعا بالشراب ، ثم ابتـدأ فحدّثه بالخبر حتى انتهى إلى خبر الصوت الأَوّل ؛ فقال له الزّف : وما هو أَيّها الأُستاذ ؟ فغنّاه ابن جامع إيّاه ، فجعل محمّد يُصفّق وينعَر ويشرب وابن جامع مجتهدٌ في شأنه حتى أَخذه عنه . ثم سأله عن الصوت الثاني ، فغنّاه إيّاه ، وفعل مثلَ فعله في الصوت الأَوّل ، ثـم كذلك في الصوت الثالث ؛ فلمّا أَخذ الأَصوات الثلاثة كلَّها وأَحكمها قال له : يا أستاذ ، قد بلغتُ ما أُحبّ ، فتأذن لي في الانصراف ؟ قال : إذا شئتَ ؛ فانصرف محمّد من وجهه إلى إبراهيم ؛ فلمّا طلع من باب داره قال له : ما وراءك ؟ قال : كلّ ما تحبّ ، أُدع لي بعُود ، فدعا له به ، فضرب وغنّاه الأَصوات ؛ قال إبراهيم : وأَبيك هي بصُوَرها وأَعيانها ، رَدِّدها عليّ الآن ، فلم يزل يُردّدها حتى صحَّتْ لإبراهيم ، وانصرف الزّف إلى منزله ، وغدا إبراهيم إلى الرشيد ، فلمّا دعا بالمغنّين دخل فيهم ، فلمّا بُصر به قال له : أَوَقد حضرت ؟ أَما كان ينبغي لك أَن تجلس في منزلك شهراً بسبب ما لَقِيتَ من ابن جامع ؟ قال : ولِمَ ذلك يا أَمير المؤمنين ؟ جعلنـي الله فـداءك ! والله لئـن أَذِنتَ لي أَن أَقول لأَقولنّ ؛ قال : وما عساك أَن تقول ؟ قل ؛ فقال : إنّه ليس ينبغي لي ولا لغيري أَن يراك نشيطاً لشيء فيُعارِضَك ، ولا أَن تكونُ مُتعصّباً لحيِّزٍ وجَنْبَةٍ[1] فيغالبَك ، وإلاّ فما في الأَرض صوتٌ لا أَعرفه ، قال : دَعْ ذا عنك ، قد أَقررتَ أَمسِ بالجهالـة بما سمعتَ مـن صاحبنا ، فإن كنتَ أَمسكتَ عنه بالأَمس على معرفة كما تقول فهاته اليومَ ، فليس هاهنا عصبيّة ولا تمييز ، فاندفع فأَمَرّ الأَصوات كلّها ، وابن جامع مُصْغٍ يسمع منـه ، حتى أَتى على آخرها ؛ فاندفع ابن جامع فحلف بالأَيمان المُحْرِجة أَنّه ما عرفها قطّ ولا سمعها ولا هي إلاّ من صَنْعته ، ولم تخرج إلى أَحد غيره ؛ فقال له : وَيْحَك ؛ فما أَحدثتَ بعدي ؟ قال : ما أَحدثت حدَثاً ؛ فقال : يا إبراهيم بحياتي اصدُقني ! فقال : وحياتِك لأَصْدُقنّك ، رميته بحَجَره[2] ، فبعثت له بمحمّد الزّف وضمِنتُ له ضماناتٍ ، أَوّلها رضاك عنه ، فمضى فاحتال لي عليه حتى أَخذها عنه ونقلها إليّ ، وقد سقط الآن اللّوم عنّي بإقراره ، لأَنّه ليس عليّ أَن أَعرف ما صنعه هو ولم يُخرجه إلى الناس ، وهذا بابٌ من الغيب ، وإنّما يلزمني أَن يعرف هـو شيئاً من غناء الأَوائل وأَجهله أَنا ، وإلاّ فلو لزمني أَن أَرويَ صنعته للزمـه أَن يروي صنعتي ، ولزم كلَّ واحدٍ منّا لسائر طبقته ونظرائه مثلُ ذلك ، فمن قصّر عنه كان مذموماً ساقطاً ؛ فقال له الرشيد : صدقتَ يا إبراهيم ، ونَضَحتَ[3] عن نفسك ، وقمت بحجّتك ؛ ثم أَقبل على ابن جامع فقـال لـه : يا

---

1 جنبة : جانب .

2 المثل رمي فلان بحجره (أي بقرنه الذي هو مثله في الصلابة) مجمع الميداني 1 : 287 (رقم 1525) وجمهرة العسكري 1 : 480 ومستقصى الزمخشري 2 : 103 .

3 نضحت : دفعت بالحجّة .

إسماعيل ، أُتِيتَ أُتِيتَ ! دُهِيتَ دُهِيتَ ! أُبطل عليكَ الموصليّ ما فعلتَه به أَمسِ وانتصف اليومَ منك ؛ ثم دعا بالزَّفّ فرضي عنه .

[الأصوات التي غنّى بها ابن جامع]

قال عليّ بن محمّد : سألت خالي أبا عبد الله بن حَمْدون وقد تجارَيْنا هذا الخبَر : هل تعرف أُصوات ابن جامع هذه ؟ فأخبرني أنّه سمع إسحاقَ يحكي هذه القصّة ، وذكر أنّ الصوت الأوّل منها : [من الوافر]

صوت

بكيتُ نعمْ بكيتُ وكلّ إلْفٍ إذا بانـتْ قرينتُـه بكاهـا
ومـا فارقتُ لُبْنى عـن تَقالٍ ولكن شِقْوةٌ بلغـتْ مَداهـا[1]

الشعر لقَيْس بن ذَريح . والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه ليحيى المكّيّ ثاني ثقيلٍ آخرُ بالخنصر والبنصر من كتابه . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ .

قال : والثاني منها : [من المتقارب]

صوت

عفت دارَ سَلْمى بمُفْضى الرَّغام ريـاحٌ تَعاقَبُهـا كلَّ عـامِ
خِلافَ الحلولِ بتلك الطّلول وسَحْبِ الذُّيول بـذاك المقامِ[2]
وأُنس الديـار وقـرب الجِـوار وطيب المَـزار وردّ السلامِ[3]
ودهر غَرِيـر وعيش السّرور ونأي الغَيـور وحُسن الكلامِ

الشعر لحَمّاد الرّاوية . والغناء لابن جامع ثقيل أَوّل بالبنصر ؛ ذكر ذلك الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أَبي عمرو . قال ابن حَمْدون : وهذا الصوت عجيب الصنعة ، كثير النَّغَم ، مُحكَم العمل ، من صدور أَغاني ابن جامع ومتقدِّم صنعته ، وكان المعتصم مُعجباً به ، وكثيراً ما كان يُسْكِت المغنين إذا غُنّي بحضرته فلا يَسمع سائرَ يومه غيرَه .

قال : والثالث منها[4] : [من الكامل]

---

1 التقالي : التباغض .
2 خلاف في ل : أحب .
3 وأنس الديار وقرب الجوار في ل : وأنس الجوار وقرب الديار .
4 ديوان العبّاس بن الأحنف (صادر) : 138–139 .

صوت

نَزَف البكاءُ دموعَ عينك فاستَعِرْ عيناً لغيرك دمعُها مِدْرارُ
مَنْ ذا يُعيرك عينَه تبكي بها أرأيتَ عيناً للبكاء تُعارُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ؛ وقال ابن حمدون : وعارَضَه إبراهيم بعد ذلك في هذا الشعر ، فصنع فيه لحناً من الرَّمَل بالبنصر في مجراها ، فلَم يَلْحَقه ولا قاربه . قال : وقد صُنع أيضاً في هذا الشعر لحنٌ خفيف فاسد الصنعة مُحدَث ليس ينبغي أن يُذكر هاهنا .

حدّثني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني أبو عبد الله الحَزَنْبَلُ قال حدّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال : أنْشِد بشّارٌ قولَ العبّاس بن الأحنف : [من الكامل]

نَزف البكاءُ دموعَ عينك فاستعِرْ عيناً لغيرك دمعُها مِدْرارُ

فقال بشّار : لحِق والله هذا الفتى بالمحسنين ، وما زال يُدخل نفسَه معنا ونحن نُخرجه حتى قال هذا الشعر .

حدّثني محمّد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال : أُنشد الرشيدُ قولَ العبّاس : [من الكامل]

مَن ذا يُعيركَ عينَه تبكي بها أرأيتَ عيناً للبكاء تُعارُ

فقال : يُعيره مَنْ لا حَاطَه الله ولا حفِظه .

وممّا يُغَنّى فيه من قصيدة العبّاس بن الأحنف الرائيّة التي هذا الصوت الأخير منها قولُه : [من الكامل]

صوت

الحبُّ أوّلُ ما يكون لَجاجةً تأتي به وتسوقُه الأقدارُ
حتى إذا سلكَ الفتى لُجَجَ الهوى جاءت أُمورٌ لا تُطاق كِبارُ

غنّاه ابن جامع ثانيَ ثقيل بالبنصر . وفيه لِشاطرةَ امرأةِ منصورِ زَلْزَلٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ . وذكر ابن المكّيّ المرتجِلُ أنّ هذه الأصوات الثلاثة المسروقةُ من ابن جامع : [من الكامل]

يا قبرُ بين بيوت آل مُحَرِّقٍ[1]

---

1 آل محرق : هم ملوك الحيرة اللخميين . ومحرق لقب يطلق على امرىء القيس بن عمرو بن عدي (المحرق الأكبر) وعمرو بن هند (المحرق الثاني) من ملوكهم ويطلق أيضاً على الحارث بن عمرو بن أبي شمر من الغساسنة ـ اللسان (حرق) .

و : [من الوافر]

عفـا طَرَفُ القُرَيَّةِ فالكثيبُ[1]

وأسقط منها قوله : [من الكامل]

نزف البكاء دموع عينك فاستعر

و : [من الوافر]

بكيتُ نعـم بكيتُ وكلُّ إلفِ

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الكامل]

يا قبرُ بـين بيوتِ آل مُحرِّقٍ جادت عليك رَواعِـدٌ وبُروقُ
أمّا البكاء فقَـلَّ عنك كثيرُه ولئن بكيـتُ فالبكاء حقيقُ

الشعر لرجل من بني أسد يَرثي خالد بن نَضْلة[2] ورجلاً آخر[3] من بني أسد كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء ، فقتلهما في سُخْطه عليهما ؛ وخبرُ ذلك مشهور في أخبار ابن[4] جامع . والغناء لابن جامع ، وله فيه لحنان : ثقيل أوّل بالوسطى ، ورمل بالبنصر ، وقيل : إنّ الرَّمَل لابن سُرَيج . وذكر حَبَشٌ أنّ لمحمّد صاحب البِرام فيه لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى .

ومنها[5] : [من الوافر]

صوت

عفـا رَسْمُ القُرَيّـة فالكثيبُ إلى مَلْحاء ليس بهـا عَرِيبُ[6]
تأبّد رسمُهـا وجـرى عليها سَفِـيّ الريح والتُّربُ الغريبُ

---

1 القرية : تطلق على عدّة مواضع ، ولعلّ المقصودة هنا قرية اليمامة .

2 هكذا في الشعر والشعراء وسيرة ابن هشام ومعجم البلدان لياقوت : (الغريان) . وفي ديوان عبيد : خالد بن نضلة الفقعسي . وسيورد أبو الفرج في ترجمة عبيد بن الأبرص روايتين لمقتل عبيد ، وفيهما «خالد بن المضلل» .

3 هو عمرو بن مسعود . وفي سيرة ابن هشام أنّ التي رثتهما هي هند بنت معبد بن نضلة ، فيكون خالد بن نضلة عمّها ، ممّا يقوّي الرواية هنا .

4 هذا سهو من أبي الفرج . فقصة النديمين والمنذر بن ماء السماء سترد في ترجمة عبيد بن الأبرص ولم ترد في أخبار ابن جامع .

5 ديوان ابن هرمة : 58–59 .

6 ملحاء : واد في اليمامة . عريب : أحد .

فإنّكَ واطِّراحَكَ وصلَ سُعْدى ... لأُخرى في مودّتها نُكوبُ
كثاقبةٍ لِحَلْيٍ مستعارٍ ... بأُذنيْها فشانَهما الثُّقوبُ
فردّت حَلْيَ جارتها إليها ... وقد بَقيتْ بأُذنيْها نُدوبُ

الشعر لابن هَرْمة . والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . عن إسحاق . وفيه للغريض ثاني ثقيل آخر بالبنصر عن عمرو . وقال عمرو : فيه لحنٌ للهذليّ ، ولم يُجنِّسه .

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني عيسى بن أيّوب القُرَشيّ قال حدّثني غَيْث بن عبد الكريم عن فُلَيْح بن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حَرْب عن أبيه قال : مررتُ بابن هَرْمة وهو جالسٌ على دُكّان[1] في بني زُرَيق ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، ما يُجلسك[2] هاهنا ؟ قال : بيت كنت قلته ثم انقطع عليّ الرويّ فيه وتعذّر عليّ ما أشتهيه ، فأبغضته وتركته ؛ قلت : ما هو ؟ قال : [من الوافر]

فإنّك واطِّراحَكَ وصلَ سُعْدى ... لأُخرى في مودّتها نُكوبُ

قال : قلته ثم انقُطِع بي فيه ؛ فمرّت بي جُوَيْريّة صفراء مليحة كنتُ أستحسنها أبداً وأُكلّمها إذا مرّت بي ، فمرّت اليوم فرأيتُها وقد وَرِم وجهها وتغيّر خَلْقُها ، عمّا أعرِف ، فسألْتُها عن خبرها فقالت : كان في بني فلان عُرْسٌ أردت حضوره فاستعار لي أهلي حَلْياً وثَقبوا أُذني لألبسَه فورِم وجهي وأُذناي كما ترى ، فردّوه ولم أشهد العُرْس ؛ قال ابن هَرْمة : فاطَّرَد لي الشعرُ فقلت : [من الوافر]

كثاقبةٍ لِحَلْيٍ مستعارٍ ... بأُذنيها فشانَهما الثقوبُ
فردّت حَلْيَ جارتها إليها ... وقد بقيت بأُذنيها نُدوبُ

[سرق إبراهيم بن المهديّ شِعره ولحنه]

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدّثني العبّاس بن الفَضْل قال حدّثني أبي قال : قال الرشيد لإبراهيم بن المهديّ وإبراهيم الموصليّ وابنِ جامع وابنِ أبي الكَنّات : باكِروني غداً ، وليكن كلّ واحد قد قال شعراً إن كان يقدِر أن يقولَه ، وغنّى فيه لحناً ، وإن لم يكن شاعراً غنّى في شعر غيره . قال إبراهيم بن المهديّ : فقمتُ في السَّحَر وجَهَدت أن أقدِر على شيء أصنعه فلم يتّفق لي ، فلمّا خِفْتُ طلوع الفجر دعوتُ بغلماني وقلت لهم : إنّي أُريد أن أمضي

1 دكان : دكة تبنى للجلوس عليها .
2 ل : يحبسك .

إلى موضع ولا يَشعرُ بي أَحد حتى أَصير إليه ، وكانوا في زبيديات لي يَبيتون فيها على باب داري ، فقمت فركبت في إحداها وقصدتُ دارَ إبراهيمَ الموصليّ ، وكان قد حدّثني أنّه إذا أَراد الصنعة لم يَنَمْ حتى يُدبّر ما يحتاج إليه ، وإذا قام لحاجته في السَّحَر اعتمد على خشبة له في المُسْتَراح ، فلم يزل يَقرَع عليها حتى يَفْرُغَ من الصوت ويرسَخَ في قلبه ، فجئت حتى وقفت تحت مُستَراحه ، فإذا هو يُردّد هذا الصوت : [من الطويل]

صوت

إذا سُكِبتْ في الكأسِ قبل مِزاجها	تَرى لونَها في جِلدة الكأس مُذْهَبا
وإن مُزِجتْ راعت بلـون تخاله	إذا ضُمّنتْه الكأسُ في الكأسِ كوكبا
أَبوهـا نِجاء المُـزْن والكَرْمُ أُمّها	فلَم أَرَ زَوْجاً منـه أَشهى وأَطيَبا[1]
فجاءتك صَفْرا أشبهت غير جنسها	ومـا أَشبهت في اللون أُمّاً ولا أَبا

قال : فما زِلتُ واقفاً أَستمع منه الصوتَ حتى أَخذتُه ؛ ثم غدَوْنا إلى الرشيد ، فلمّا جلسنا للشّرب خرج الخادمُ إليّ فقال : يقول لك أَمير المؤمنين : يا ابنَ أُمّ غنّني ؛ فاندفعتُ فغنّيتُ هذا الصوت والموصليّ في الموت حتى فرَغتُ منه ، فشرب عليه وأَمر لي بثلثمائة أَلف درهم ؛ فوثب إبراهيم الموصليّ فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أَنّ الشِّعر له قاله البارحة وغنّى فيه ، ما سبقه إليه أَحدٌ ؛ فقال إبراهيم : يا سيِّدي ، فمن أَين هو لي أَنا لولا كذبُه وبُهْتُه ! وإبراهيم يضطرب ويضِجّ ؛ فلمّا قضيتُ أَرَباً من العبَث به قلتُ للرشيد : الحقُّ أَحقّ أَن يُتّبع ، وصَدَقتُه ؛ فقال للموصليّ : أمّا أخي فقد أَخذ المال ولا سبيل إلى ردّه ، وقد أَمرتُ لك بمائة أَلف درهم عوضاً ممّا جرى عليه ، فلو بدأتَ أنتَ بالصوت لكان هذا حظَّكَ ؛ فأَمر له بها فحُمِلَتْ إليه .

[عند محمد بن يحيى في يوم مهرجان]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن مُخارق قـال : أَتى إبراهيمُ الموصليّ محمّدَ بن يحيى بن خالد في يوم مِهْرجان ، فسأَله محمّدٌ أَن يقيمَ عنده ؛ فقال : ليس يمكنني لأَنّ رسول أَمير المؤمنين قد أَتاني ؛ قال : فتمرّ بنا إذا انصرفتَ ولك عندي كلُّ ما يُهْدى إليّ اليومَ ؟ فقال : نعم ، وترك في المجلس صديقاً له يُحصي ما يُبعث به إليه ؛ قال : فجاءت هدايا عجيبةٌ من كلّ ضَرْب ؛ قال : وأُهدِيَ إليه تِمْثالُ فيلٍ من ذهب عَيْناه ياقوتتان ؛ فقال محمّد للرجل : لا تخبره بهذا حتى نبعثَ به إلى فلانة ففعل ؛ وانصرف إبراهيم إليه فقال : أَحضِرني ما أُهدي لك ، فأَحضره ذلك كلَّه إلاّ التمثالَ ، وقال : لا بدّ من صِدْقك ، كان من الأَمر كذا وكذا ؛

1 النجاء : جمع نجو وهو السحاب الذي نزل ماؤه أو السحاب أَوّل ما ينشأ .

فقال : لا ! إلاّ على الشّريطة وكما ضَمِنْتَ ، فجيء بالتمثال ؛ فقال إبراهيم : أليس الهديّةَ لي فأعملَ فيها ما أُريد ؟ قال : بلى ، قال : فرُدَّ التمثال على الجارية ؛ وجعل يُفرِّق الهدايا على جلساء محمّد شيئاً شيئاً ، وعلى جميع مَن حضر من إخوانه وغلمانه ، وعلى مَن في دُور الحُرَم من جواريه حتى لم يبقَ منها شيء ، ثم أخذ من المجلس تُفّاحتين لمّا أراد الانصراف وقال : هذا لي ، وانصرفَ ؛ فجعل محمّد يَعْجَب من كِبَر نفسه ونُبْله .

[زاره الرشيد ليلاً وغنّته جواريه]

وقال أحمد بن المَرْزُبان حدّثني بعض كتّاب السلطان[1] : أنّ الرشيد هبَّ ليلةً من نومه ، فدعا بحمار كان يركبه في القَصْر أسودَ قريبٍ من الأرض فركبه ، وخرج في دُرّاعة وَشْيٍ مُتلثّماً بعمامة وشي ملتحفاً بإزارِ وَشْي ، بين يديه أربعُمائة خادم أبيضَ سوى الفرّاشين ، وكان مسرورٌ الفَرْغانيّ جريئاً عليه لمكانه عنده ، فلمّا خرج من باب القصر قال : أين يريد أميرُ المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزل الموصليّ . قال مسرورٌ : فمضى ونحن معه وبين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ؛ فخرج فتلقّاه وقبّل حافرَ حماره وقال له : يا أمير المؤمنين ، أفي مثل هذه الساعة تظهر ! قال : نعم ، شوقٌ طرَق لك بي ؛ ثم نزل فجلس في طَرَف الإيوان وأجلسَ إبراهيم ؛ فقال له إبراهيم : يا سيّدي أتنشَط لشيء تأكله ؟ فقال : نعم ، خامِيز[2] ظبي ، فأُتي به كأنّما كان مُعَدّاً له ، فأصاب منه شيئاً يسيراً ، ثم دعا بشراب حُمِل معه ؛ فقال الموصليّ : يا سيّدي ، أَوَأُغنّيك أم تغنّيك إماؤك ؟ فقال : بل الجواري ؛ فخرج جواري إبراهيمَ فأخذْنَ صدرَ الإيوان وجانبيه ؛ فقال : أيضرِبْن كلُّهنّ أم واحدة ؟ فقال : بل تَضرِب اثنتان اثنتان وتُغنّي واحدة فواحدة ، ففعلن ذلك حتى مرَّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرشيدُ يسمع ولا ينشَط لشيء من غِنائهنّ ، إلى أن غنّت صبيّةٌ من حاشيته : [من البسيط]

يا مُورِيَ الزَّند قـد أعيتْ قوادحُه ... اقْبِسْ إذا شئتَ من قلبي بمقباسِ
ما أقبحَ الناسَ في عيني وأسمجَهم ... إذا نظرتُ فلـم أُبصرك في الناس

قال : فطرِب لغنائها واستعاد الصوتَ مراراً وشرب أرطالاً ، ثم سأل الجاريةَ عن صانعه فأمسكتْ ، فاستدناها فتقاعَسَت ، فأمَر بها فأُقيمت حتى وُقِفتْ بين يديه ، فأخبرته بشيء أسرّتْه إليه ؛ فدعا بحماره فركبه وانصرف ، ثم التفت إلى إبراهيم فقال : ما ضَرّكَ ألاّ تكونَ خليفة ! ؛ فكادت نفسُه تخرج ، حتى دعا به وأدناه بعد ذلك . قال : وكان الذي خبّرتْه به أن

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 31–32 (رقم 52) .

2 خاميز : اسم أعجمي لطعام من اللحم بجلده .

الصنعة في الصوت لأُخته عُلَيّة بنت المهديّ ، وكانت الجارية لها وجّهتْ بها إلى إبراهيم يُطارحها فغار الرشيد . ولحنُ الصوت خفيفُ رَمَل .

[شعره في ابنة خمارة]

أُخبرني محمّد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان أبي يألف خَمَّارة بالرّقة يقال لها بِشرة تنزِل الهنيءَ والمَريء ، وكانت لها بنت من أحسنِ الناس وجهاً فكان أبي يتحلاّها ، ثم رحل الرشيد عن الرّقة إلى بلاد الروم في بعض غزواته ، فقال أبي فيها : [من المتقارب]

أيـا بنـتَ بِشْرَةَ مـا عاقَنِي ... عن العهـدِ بَعْـدَكِ من عائِـقِ
نَفـى النَّومَ عنّـي سنا بارق ... وأَشهقنـي في ذُرى شاهـقِ[1]

قال : وفيها يقول أيضاً من أبيات له ، وله فيها صنعة من الرَّمَل الأوّل : [من الكامل]

صوت

وزعمـتِ أنّي ظـالمٌ فهجرتِنـي ... ورَمَيـتِ في قلبـي بسهـمٍ نافـذِ
ونَعَمْ ظلمتُكِ فاغفري وتجاوَزي ... هـذا مَقـامُ المستجيـر العائـذِ

ذكر حمّاد في هذا الخبر أنّ لحن جدّه من الرَّمَل . ووجدتُ في كتاب أحمد بن المكّيّ أنّ له فيهما لحنين : أحدهما ثقيل أوّل والآخر ثاني ثقيل .

[أغانيه في السجن]

حدّثني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال : حبس الرشيدُ إبراهيمَ الموصليّ عند أبي العبّاس (يعني أباه عبد الله بن مالك) فسمعناه ليلةً وقد صنع هذا اللحن وهو يكرّره حتى يستوي له : [من الخفيف]

يا أخِلاّءِ قـد مَلِلْتُ مكاني ... وتذكّرتُ ما مضى من زماني
شُرْبـيَ الراحَ إذ تقـوم علينا ... ذاتُ دَلٍّ كأنّهـا غصنُ بانِ

قال : وغنّى في الحبس أيضاً : [من المتقارب]

ألا طـال ليـلي أُراعي النّجوم ... أُعالج في السّاق كَبْلاً ثَقيلا[2]

[يترنّم أثناء مرضه الذي مات به]

حدّثني عيسى قال حدّثني عبد الله قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني

1 أشهقني في ل : أسهدني .

2 الكبل : القيد .

علّويه الأعسر قال : دخلتُ على إبراهيم الموصليّ في عِلّته التي توفّي فيها وهو في الأَبْزَن[1] وبه القُولَنْج[2] الذي مات فيه ، وهو يترنّم بهذا الصوت : [من الطويل]

صوت

تغيّر منّـــي كلُّ حُسْنٍ وجِدّةٍ وعاد على ثَغْري فأصبح أَثْرَما
ومَحّلَ أُطرافي فزالتْ فصوصُها وحنّى عظامي عُوجَها والْمُقَوَّما

قال محمّد : فحدّثتُ بهذا الحديث إسحاقَ الموصليّ ، فقال : كذَب ابنُ الزانية ! واللّٰه ما كان يَجترىء أن يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس للناس إلاّ بعد جَهْد ، فكيف يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس في الأَبْزَن .

نسبة هذا الصوت

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان ماخُورِيّ بالوسطى عن عمرو ، وثاني ثقيلٍ عن ابن المكّيّ .

[غنّت المقتدر إحدى جواريه لحناً له]

حدَّثني جَحْظة قال : كان المقتدر يدعونا في الأَحايين ، فكان يحضُر من المغنّين إبراهيمُ بن أبي العَنْبَس وكُنَيْز وإبراهيم بن قاسم وأنا ووَصِيف الزّامر ، وكان أكثر ما نُدْعى له أنّ جواريَه كنّ يطالبْنه بإحضارنا ليأخذْن منّا أصواتاً قد عرفْنها ويسمَعْننا ، فنُغنّي فيأخذْنَ ما يستحسِنّه ، فإذا انصرفنا أمر لكلّ واحد من إبراهيم وكُنَيْز دُبّة وإبراهيمَ بثلاثمائة دينار ، ولي بمائتَي دينار ، ولوَصيف بمائتي دينار ، ولسائر مَن لعلّه أن يَحْضُر معنا بمائتين إلى المائة الدّينار إلى الألْف الدّرهم ، فيكون إذا حضرنا من وراء ستارة وهو جالس مع الجواري ، فإذا أراد اقتراح شيء جاءنا الخدم فأمرونا أن نغنّيه ، وبين يَدَيْ كلّ واحد منّا قِنِّينَةٌ فيها خمسة أرطال نبيذٍ وقدحٌ ومَغْسِلٌ وكوزُ ماءٍ ؛ فغنّتْ يوماً صَلِفَةُ جارية زِرْياب بصنعة إبراهيم الموصليّ : [من الطويل]

تغيَّر منّـــي كلُّ حُسن وجِــدّةٍ وعادَ على ثَغْري فأصبح أَثْرَما

فشَرِبتُ عليه ، فاستعاده المقتدر مراراً وأنا أشرب عليه ؛ فأخذ إبراهيم بن أبي العَنْبَس بكَتِفَيْ وقال : يا مجنون ! إنّما دُعيتَ لتُغنّيَ لا لتُغنَّى وتَطْرَب وتَشرَبَ ، فلعلّك تسْكَر ، حَسْبُك ! ؛ فأمسكتُ طمعاً أن تردّه بعد ذلك ، فما فعلتْ ولا اجتمعنا بعدها ، وما سمعتُ قبل ذلك ولا بعده أحداً غنّى هذا الصوتَ أحسنَ ممّا غنّته . قال : وكان المقتدر ابتاعها من زِرْياب .

---

1 الأبزن : حوض مستطيل يعالج فيه المريض بالماء الحار والأدوية الساخنة .

2 القولنج : التهاب القولون .

[ردّ زوجاً إلى زوجته]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن عليّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ عن أبيه قال : بينا أنا بمكّة أجول في سِكَكِها إذا أنا بسوداءَ قائمةٍ ساهيةٍ باكيةٍ ، فأنكرتُ حالها وأدْمَنْتُ النظر إليها ؛ فبكَتْ وقالت : [من المتقارب]

أعمرُو عَـلامَ تجنَّبتَنـي أخذتَ فـؤادي وعَذَّبْتَني
فلو كنتَ يا عمرُو خبّرتَني أخذتُ حِذاري فما نِلْتَني

فقلتُ لها : يا هذه ، مَن عمرٌو ؟ قالت : زوجي ؛ قلت : وما شأنه ؟ قالت : أخبرني أنّه يَهْواني وما زال يطلبني حتّى تزوّجته ، فلبث معي قليلاً ثم مضى إلى جُدَّةَ وتركني ؛ فقلتُ لها : صِفِيه لي ؛ قالت : أحسنُ مَن أنت رائيهِ سُمرةً وأحلاهم حلاوةً وقدّاً ؛ قال : فركِبتُ رواحلي مع غِلماني وصرتُ إلى جُدَّةَ ، فوقفتُ في موضع المَرْفأ أتبصَّرُ مَن يحمل مِن السفن ، وأمرتُ مَن يُصوِّت : يا عمرُو يا عمرُو ، وإذا أنا به خارجاً من سفينة على عنقه صَنٌّ[1] فيه طعامٌ ، فعرفتُه بصفتِها ونعتِها إيّاه ، فقلتُ : [من المتقارب]

أعمرُو عَـلامَ تجنَّبتَنـي أخذتَ فـؤادي وعذَّبتَني

فقال : هِيه ! أرأيتَها وسمعتَ منها ؟ فقلتُ : نعم ، فأطرق هُنَيهةً يبكي ، ثم اندفع فغنّى به أملحَ غناء سمعتُه ، وردّده عليّ حتى أخذتُه منه ، وإذا هو أحسنُ الناسِ غناءً ؛ فقلتُ له : ألا ترجع إليها ؟ فقال : طلبُ المعاش يمنعُني ؛ فقلت : كم يكفيكَ معها في كلّ سنةٍ ؟ فقال : ثلثُمائةِ درهم قال إسحاقُ : قال لي أبي : فوالله يا بُنيّ لو قال ثلثمائة دينارٍ لطابتْ نفسي بها فدعوتُ به فأعطيتُه ثلاثةَ آلافِ درهم ، وقلتُ له : هذا لعشر سنين على أن تُقيمَ معها ، فلا تَطلب المعاشَ إلاّ حيثُ هي مقيمةٌ معك ، ويكون ذلك فضلاً ؛ ورددتُه معي إليها .

[يغنّي الرشيد على انفراد]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عليّ بن محمّد النَّوْفليّ قال حدّثنا صالح بن عليّ (يعني الأَضْجَم) عن إبراهيم الموصليّ ، قال : وكان صالح جارَه ، قال : بينا أنا عَشيَّةً في منزلي إذ أتاني خادم من خدَم الرشيد فاستحثّني بالركوب إليه فخرجتُ شبيهاً بالراكِض ، فلمّا صرتُ إلى الدّار عُدِل بي عن المدخل إلى طرق لا أعرفها ، فانتُهِي بي إلى دارٍ حديثةِ البناء ، فدخلتُ صَحْناً واسعاً ، وكان الرشيد يشتهي الصّحونَ الواسعة ، فإذا هو جالسٌ على كرسيّ في وسط ذلك الصَّحْن ، ليس عنده أحد إلاّ خادمٌ يسقيه ، وإذا هو في لِبْسَتِه التي كان يلبَسُها في الصيف : غِلالةٌ

1 الصن : وعاء يشبه السلّة يوضع فيه الخبز والطعام .

رقيقة مُتوشِّح عليها بإزار رَشيديّ عريض العَلَم مُضرَّج ؛ فلمّا رآني هَشَّ لي وسُرّ ، وقال : يا مَوصِلِيّ ، إنّي اشتهيتُ أن أجلس في هذا الصَّحن فلم يتّفق لي إلاّ اليوم ، وأحببتُ ألاّ يكونَ معي ومعك أحدٌ ، ثم صاح بالخُدّام ، فوافاه مائةُ وَصِيفٍ ، وإذا هم بالأروقة مستترون بالأساطين حتّى لا يراهم ، فلمّا ناداهم جاءوا جميعاً ، فقال : مُقطَّعة لإبراهيم ، وكان هو أوّل مَن قطع المُصَلّيات ، فأُتِيتُ بمقعد فأُلقي لي تُجاه وجهه بالقرب منه ؛ ودعا بعود فقال : بحياتي أطرِبني بما قَدَرْتَ ؛ قال : ففعلتُ واجتهدتُ في ذلك ونشطتُ ورجوتُ الجائزةَ في عشيَّتي ؛ فبينا انا كذلك إذ جاءه مسرورٌ الكبيرُ ، فقام مَقامَه الذي كان إذا قامه علِم الرشيدُ أنّه يريد أن يُسارَّه بشيء ، فأومأ إليه بالدنوّ ، فدنا فألقى في أُذنه كلمةً خفيفةً ثم تنحَّى ، فاستشاط غضباً واحمرّتْ عيناه وانتفختْ أوداجُه ، ثم قال : حَتَّامَ أصبِرُ على آل بني أبي طالب ! والله لأقتلنّهم ولأقتلنَّ شِيعتَهم ولأفعلنّ ولأفعلنّ ! ؛ فقلتُ : إنّا لله ؛ ليس عند هذا أحدٌ يُخرِجُ غضبَه عليه ، أحسِبه والله سيُوقِعُ بي ، فاندفعتُ أُغنّي : [من الخفيف]

صوت

نِعـمَ عَوْناً على الهمومِ ثلاثٌ مُتْرَعاتٌ مـن بعدهنّ ثلاثُ
بعدهـا أربـعٌ تَتِمَّـةُ عشرٍ لا بِطـاءٌ لكنّهـنّ حِثـاثُ
فـإذا ناولَتْكَهُـنّ جَـوارٍ عَطِراتٌ بيضُ الوجوهِ خِناثُ
تمّ فيها لك السرورُ وما طَيَّـ ـبَ عَيْشاً إلاّ الخِناثُ الإناثُ

قال : وَيْلَك ! اسقِني ثلاثاً لا أَمُتْ همّاً ؛ فشرب ثلاثاً متتابعة ، ثم قال : غَنِّ فغنَّيتُ ، فلمّا قلتُ : [من الخفيف]

ثلاث * مُترعاتٌ مـن بعدهنّ ثلاثُ

قال : هاتِ وَيْلك ثلاثاً ! ، ثم قال لي : غنِّ ، فلمّا غنّيتُه قال : حُثَّ عليّ بأربع تتمةِ العشر ، ففعل ؛ فوالله ما استوفى آخرَهنّ حتى سَكِر ، فنهض ليدخل ، ثم قال : قم يا موصليّ فانصرِفْ ؛ يا مسرورُ ، أقسمتُ عليك بحياتي وبحقِّي إلاّ سَبقتَه إلى منزله بمائة ألف درهم ، لا أُستأمَر فيها ولا في شيء منها ؛ فخرجتُ والله وقد أمِنتُ خوفي وأدركتُ ما أمّلتُ ، ووافيتُ منزلي وقد سبَقتني المائةُ الألفِ الدّرهمِ إليه .

[يأخذ صوتاً عن ابن جامع]

أخبرني عمِّي قال حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدّثني عبدُ الله بن العبّاس بن الفضل بن الرّبيع قال : خرج رسول الرشيد ذاتَ ليلةٍ إلى

المغنّين فقال : غنّوا[1] : [من الخفيف]

يا خليلَيَّ قد مَلِلتُ ثَوائِي بالمُصَلَّى وقد سَئِمتُ البَقِيعا[2]
بلِّغاني ديارَ هندٍ وسُعْدَى وارجِعاني فقد هَوِيتُ الرجوعا[3]

قال : فغنّاه ابنُ جامع ، فلمّا فرَغ منه طرِب الرشيدُ وشرِب ؛ فقال له إبراهيم الموصليّ : يا سيِّدي ، فاسمعه من نُبَيْطِيِّك فغنّاه ، فجعل ابنُ جامع يزحَف من أوّل البيت إلى آخره ، وطَرِب هارونُ فقال : ارفعُوا الستارةَ ؛ فقال له ابن جامع : مِنّي واللّه أخذه يا أمير المؤمنين ؛ فأقبل على إبراهيمَ فقال : بحياتي صَدَق ؟ قال : صدق وحياتِك يا سيِّدي ؛ قال : وكيف أخذتَه وهو أبخل الناس إذا سُئِل شيئاً ؟ قال : تركتُه يغنّيه وكان إذا سكِرَ يَسترسلُ فيه فيغنّيه مستوياً ولا يتحرّز منّي ، فأخذتُه على هذا منه حتى وفَيتُ به .

[حدَّث الرشيد عن جارية زلزل فاشتراها وأعتقها]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال[4] : كان بَرْصُوما الزّامرُ وزَلزَلٌ الضاربُ من سواد أهل الكوفة من أهل الخُشْنَة والبَذاذَةِ[5] والدناءةِ ، فقدِم بهما أبي معه سنة حجٍّ ، ووقَفَهما على الغناء العربيّ وأراهما وجوهَ النَّغَم وثقَّفهما حتى بلغا المبلغَ الذي بلغاه من خدمة الخليفة ، وكانا أطبعَ أهلِ دهرهما في صناعتهما ؛ فحدّثني أبي قال : كان لِزَلزَل جاريةٌ قد ربَّاها وعلَّمها الضربَ وسألني مطارحتَها فطارحتُها ، وكانت مطبوعةً حاذقة ؛ قال : فكان يَصُونُها أن يسمعها أحدٌ ؛ فلمّا مات بلغني أنّها تُعْرَض في ميراثه للبيع ، فصرتُ إليها لأعتَرِضَها ؛ فغنَّتْ : [من السريع]

أقفرَ من أوتاره العودُ فالعودُ للأوتار معمودُ
وأوحش المزمارُ من صوته فما لَه بعدكَ تغريدُ
مَنْ للمزامير وعِيدانِها وعامرُ اللّذاتِ مفقودُ
الخمرُ تبكي في أباريقها والقَيْنةُ الخَمْصانةُ الرُّودُ

قال : وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرقّة[6] ؛ قال : فأبكت واللّه عيني وأوْجعت قلبي .

---

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 249 .

2 سئمتُ في ل : شنيت .

3 وارجعاني في الديوان : وارجعا بي .

4 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 3 : 31 (رقم 52) .

5 الخشنة : الخشونة . ورجل ذو خشنة : لا يطاق . البذاذة : رثاثة الهيئة .

6 ل : يألفه .

فدخلتُ على الرشيد فحدّثته بحديثها ، فأمر بإحضارها فحضرتْ ؛ فقال لها : غَنّي الصوتَ الذي حدّثني إبراهيم عنك أنّك غنّيته ، فغنّته وهي تبكي ؛ فرقّ الرشيدُ لها وتَغَرْغَرت عيناه ، وقال لها : أتحبّين أن أشتريَك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، لقد عرَضتَ عليّ ما يقصُر عنه الأملُ ، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيّدي فينتفعَ بي ؛ فازداد رِقّةً عليها ، وقال : غَنّي صوتاً آخر ، فغنّت : [من البسيط]

العينُ تُظهِر كتمـاني وتُبديـهِ والقلبُ يكتم مـا ضَمَّنْـه فيهِ
فكيـف ينكتم المكتـومُ بينهما والعينُ تُظهـره والقلبُ يُخفيهِ

فأمر بأن تُبتاعَ وتُعتَقَ ، ولم يزل يُجْرِي عليها إلى أن ماتت .

[غضب عليه الرشيد لتعريضه بجارية له]

أخبرنا محمّد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه عن جدّه قال : قال لي الرشيدُ يوماً : يا إبراهيم ، بَكِّرْ عليَّ غداً حتى نَصْطبحَ ؛ فقلتُ له : أنا والصبحُ كفَرَسَيْ رِهانٍ ؛ فبكَّرْتُ فإذا أنا به خالياً ، وبين يديه جاريةٌ كأنّها خُوطُ بان أو جَدْلُ عِنان ، حُلْوَةُ المنظَر ، دَمِثةُ الشمائل ، وفي يدها عودٌ ؛ فقال لها : غنّي ، فغنّتْ في شعر أبي نُواس وهو[1] : [من الطويل]

تَوَهّمَــه قلبـي فأصبح خـدُّه وفيه مكانَ الوَهْم من نظري أُثْرُ[2]
ومرَّ بفكري خاطـراً فجرحتُـه ولم أرَ جسماً قطُّ يَجرَحُه الفِكرُ
وصافَحــه قلبـي فآلَـم كفَّـه فمِنْ غَمْزِ قلبـي في أناملهِ عَقْرُ[3]

قال إبراهيم : فذهبتْ والله بعقلي حتى كِدتُ أن أفتضحَ ، فقلتُ : مَنْ هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه التي يقول فيها الشاعر : [من الوافر]

لهـا قلبـي الغداةَ وقلبُهـا لي فنحن كذاك في جَسَدَيْنِ رُوحُ

ثم قال لها : غنّي ، فغنَّتْ : [من الطويل]

صوت

تقول غـداةَ البَيْنِ إحدى نسائهم لِيَ الكَبِدُ الحرَّى فسِرْ ولكَ الصَّبْرُ
وقـد خنَقَتْهـا عَبْرةٌ فدموعُهـا على خدِّها بِيضٌ وفي نحرِها صُفرُ

---

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 730 عن الأغاني .
2 أثر : أُثر الجرح بعدما يبرأ .
3 قلبي في ل : كفي .

الشعرُ لأَبي الشِّيص . والغناء لعمرِو بن بانةَ ، خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى من كتابه . وفيه لُمتَيَّم ثاني ثقيلٍ وخفيفُ رَمَلٍ آخر قال : فشرِب وسقاني ثم سقاها ، ثم قال : غنِّ يا إبراهيم ؛ فغنَّيتُ حسبَ ما في قلبي غيرَ مُتحفِّظٍ من شيءٍ : [من الطويل]

تَشَرَّبَ قلبـي حبَّهـا ومشى به تَمَشِّي حُمَيّا الكأس في جسم شاربِ
ودبَّ هواهـا في عِظامي فشفَّهـا كما دبَّ في المَلْسوع سمُّ العقاربِ

قال : ففَطِن بتعريضي ، وكانت جهالةً منّي ؛ قال : فأَمرني بالانصراف ، ولم يدعُني شهراً ولا حضرتُ مجلسَه ؛ فلمّا كان بعد شهر[1] دَسَّ إليّ خادماً معه رُقعةٌ ، فيها مكتوب : [من الخفيف]

قد تخوّفتُ أَن أَموتَ من الوَجْـ ـد ولَم يَدْرِ مَنْ هَوِيتُ بما بِي
يا كتابي فاقرَ السَّلامَ على مَنْ لا أُسمِّي وقل لـه يا كتابي
إنَّ كفّـاً إليكَ قـد بعثتني في شَقاءٍ مُواصَـلٍ وعذابِ[2]

فأَتاني الخادمُ بالرقعة ؛ فقلت له : ما هذا ؟ قال : رقعة الجارية فلانة التي غنَّتك بين يدَي أَمير المؤمنين ؛ فأَحسستُ القصَّة فشتمتُ الخادمَ ووثبتُ عليه وضربتُه ضرباً شَفَيْتُ به نفسي وغَيظي ، وركِبتُ إلى الرشيد من فَوْري فأَخبرتُه القصَّةَ وأَعطيته الرقعةَ ؛ فضحك حتى كاد يستلقي ، ثم قال : على عَمْدٍ فعلتُ ذلك بك لأَمتحِنَ مذهبَك وطريقتَك ، ثم دعا بالخادم ؛ فلمّا خرج رآني فقال لي : قطع الله يديك ورجليك ، وَيْحَك ! قتلتَني ؛ فقلت : القتلُ والله كان بعضَ حقّك لِمَا وردت به عليّ ، ولكن رَحِمتُك فأَبقيتُ عليك ، وأَخبرتُ أَمير المؤمنين ليأتيَ في عقوبتك بما تستحقّه . فأَمر لي الرشيدُ بِصلةٍ سنيّةٍ ؛ واللهُ يعلم أَنّي ما فعلتُ الذي فعلتُ عَفافاً ولكن خوفاً .

[كيفيّة صنعه الأَلحان]

أَخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال : أَخبرني أَبي أَنّه سمع الرشيدَ وقد سأَل جَدِّي إبراهيم كيف يصنع إذا أَراد أَن يصوغَ الأَلحانَ ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، أُخرجُ الهمّ من فكري وأُمثِّل الطربَ بين عينيّ ، فتسوغ لي مسالكُ الأَلحان التي أُريد فأَسلكها بدليل الإيقاع ، فأَرجع مُصيباً ظافراً بما أُريد ؛ فقال : يَحِقُّ لك يا إبراهيم أَن تُصيبَ وتظفَر ، وإنّ حُسْن وصفك لَمُشاكِلٌ حُسْنَ صنعتك وغنائك .

---

1 ل : شهرين .

2 بعثتني في ل : كتبتني .

[فراسة يونس الكاتب فيه]

أخبرني ابن المَرْزُبان قال حدّثني حَمّاد عن أَبيه عن جدّه قال : أَدركتُ يونس الكاتبَ وهو شيخ كبير فعرَضت عليه غنائي ؛ فقال : إن عشتَ كنتَ مُغَنّيَ دهرِك .

[تصرّفه في مذاهب الغناء]

قال حَمّاد قال لي محمّد بن الحسن : كان لكلّ واحد من المغنّين مذهب في الخفيف والثقيل ، وكان مَعْبد ينفرد بالثقيل ، وابنُ سُرَيج بالرَّمَل ، وحَكَمٌ بالهَزَج ، ولم يكن في المُغنّين أَحد يتصرّف في كلّ مذهب من الأَغاني إلاّ ابنُ سريج وإبراهيمُ جدّك وأَبوك إسحاق .

[ثمامة بن أشرس يُعجب بغنائه مع يزيد حوراء]

حدّثني عمّي قال حدّثني أَحمد بن الطَّيِّب السَّرْخسيّ قال حدّثني أَحمد بن ثابت العَبْديّ عن أَبي الهُذَيل العَلاّف رأسِ المعتزلة عن ثُمامة بن أَشْرس قال : مررتُ بإبراهيم الموصليّ ويزيدِ حَوْراء وهما مُصطبِحان ، وقد أَخذا بينهما صوتاً يُغنّيانه : هذا بيتاً وهذا بيتاً ، وهو : [من الطويل]

صوت

أيا جَبَلَـيْ نَعْمان باللهِ خَلِّيـا ... سبيلَ الصَّبا يَخْلُص إليّ نسيمُها

فإنّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسّمتْ ... على نفس مهمومٍ تجلّت همومُها

قال ثُمامة : فوالله ما خِلْتُ أن شيئاً بقي من لذّات الدنيا بعدما كانا فيه .

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن جدّه إبراهيم قال : سألتُ الرشيد أَن يهَب لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إليّ بوجه ولا بسبب ، لأَخلوَ فيه بجَواريّ وإخواني ، فأَذن لي في يوم السبت ، وقال لي : هو يوم أَستثقله ، فالْهُ فيه بما شئتَ ؛ فأَقمتُ يوم السبت بمنزلي وتقدّمتُ في إصلاح طعامي وشرابي بما احتجتُ إليه ، وأَمرتُ بوّابي فأَغلقَ الأَبوابَ وتقدّمتُ إليه أَلاّ يأذنَ عليّ لأَحد ؛ فبينا أَنا في مجلسي والخدمُ قد حَفُّوا بي وجَواريّ يتردَّدن بين يديّ ، إذا أَنا بشيخ ذي هيئة وجمال ، عليه خُفّان قصيران وقميصان ناعمان ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ لاطئة[1] ، وبيده عُكّازة مُقَمَّعة بفضّة ، وروائح المسك تفوح منه حتى ملأَ البيتَ والدار ؛ فداخلني بدخوله عليّ مع ما تقدّمت فيه غيظٌ ما تداخلني قطُّ مثلُه ، وهممتُ بطرد بوّابي ومَنْ حجبني لأَجله ؛ فسلَّمَ عليَّ أَحسنَ سلام فرددت عليه ، وأَمرته بالجلوس فجلس ، ثم أَخذ بي في أَحاديث الناس وأَيّام العرب وأَحاديثها وأَشعارها حتّى سَلّى ما بي من الغضب ، وظننت أَنّ غلماني تَحَرَّوْا مَسَرَّتي بإدخالهم مثلَه عليَّ لأَدبه وظَرْفه ؛ فقلتُ : هل لك في الطعام ؟ فقال : لا

1 لاطئة : لاصقة بالرأس .

حاجة لي فيه ؛ فقلت : هل لك في الشراب ؟ فقال : ذلك إليك ، فشربتُ رطلاً وسقيتُه مثلَه ؛ فقال لي : يا أبا إسحاق ، هل لك أن تُغنّي لنا شيئاً من صَنْعتك وما قد نَفَقْتَ به عند الملوك والخاصَ والعامّ ؟ فغاظني قولُه ، ثم سهَّلتُ على نفسي أمرَه فأخذتُ العود فجسستُه ثم ضربت فغنَّيتُ ؛ فقال : أحسنت يا إبراهيم ؛ فازداد غيظي وقلت : ما رضي بما فعله من دخوله عليّ بغير إذن واقتراحه أن أغنّيه حتى سمَّاني ولم يُكنّني ولم يُجمِل مخاطبتي ! . ثم قال : هل لك أن تزيدنا ؟ فتذمّمتُ فأخذتُ العود فغنّيتُ ؛ فقال : أجدتَ يا أبا إسحاق ! فأتِمَّ [هزازك][1] حتى نكافئك ونُغنّيَك ؛ فأخذت العودَ وتغنّيت وتحفّظتُ وقمتُ بما غنّيته إيّاه قياماً تامّاً ما تحفّظت مثلَه ولا قمتُ بغناء كما قمتُ به له بين يَدَيْ خليفة قطُّ ولا غيره ، لقوله لي : أكافئك ؛ فطرِب وقال : أحسنتَ يا سيِّدي ويا أوثَقَ عُدَدي ، ثم قال : أتأذن لعبدك بالغناء ؟ فقلت : شأنَك ، واستضعفتُ عقلَه في أن يغنّيني بحضرتي بعد ما سمعه منّي ؛ فأخذ العود وجسّه وحبسه ، فوالله لخِلْتُه ينطِق بلسانٍ عربيّ لحسن ما سمعتُه من صوته ، ثم تَغَنَّى[2] : [من الطويل]

صوت

ولي كَبِدٌ مقروحـةٌ مَـنْ يبيعني ... بهـا كِبِداً ليستْ بـذاتِ قُروحِ
أباهـا عـليّ الناسُ لا يشترونها ... ومَنْ يشتري ذا عِلّةٍ بصحيحِ[3]
أئِنّ من الشوق الذي في جوانبي ... أنينَ غَصيصٍ بالشراب جَريحِ[4]

قال إبراهيمُ : فوالله لقد ظننتُ الحيطانَ والأبوابَ وكلَّ ما في البيت يجيبه ويُغنّي معه من حسن غنائه ، حتى خِلتُ والله أنّي أسمعُ أعضائي وعظامي وثيابي تجاوبه ، وبقيتُ مبهوتاً لا أستطيعُ الكلامَ ولا الجوابَ ولا الحركةَ لِما خالط قلبي ؛ ثم غنّى[5] : [من الطويل]

صوت

ألا يـا حماماتِ اللّوى عُدْنَ عَوْدةً ... فإنّـي إلى أصواتكـنّ حزيـنُ
فعُدْنَ فلمّا عُـدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنِي ... وكـدتُ بأسراري لهـنّ أُبـينُ
دَعَـوْنَ بتَرْداد الهَديـر كأنّما ... سُقِينَ حُمَيّـا أو بهـنّ جُنونُ

1 زيادة من ل . وهي كلمة فارسية ومعناها الأنشودة .
2 تنسب هذه الأبيات لابن الدمينة ومجنون ليلى ويزيد بن الطثرية وغيرهم (انظر ديوان المجنون : 95) .
3 علةٍ في ل : عورة .
4 جوانبي في ل : جوانحي .
5 تنسب هذه الأبيات لكثير وابن الدمينة ومجنون ليلى . (انظر ديوان المجنون : 263) .

فلم تَـرَ عينـي مثلَهنّ حمائمـاً بكـينَ ولم تَدْمَـع لهـنّ عيونُ

لم أعرف في هذه الأبيات لحناً يُنسب إلى إبراهيم ، والذي عرفتُه لمحمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر خفيفُ رمل ، فكاد ، والله أعلم ، عقلي أن يذهب طرباً وارتياحاً لما سمعتُ ؛ ثم غنّى[1] : [من الطويل]

صوت

ألا يا صَبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ لقد زادني مَسْراكِ وَجْداً على وَجدِ

أإنْ هتفتْ وَرْقاءُ في رَوْنق الضُّحى على فَنَنٍ غضٍّ النّبـات من الرَّندِ

بكيتَ كما يبكي الحزيـنُ صبابةً وذُبْتَ من الحزن المبرِّحِ والجَهْدِ[2]

وقـد زعمـوا أنّ المحبَّ إذا دنا يَمَلُّ وأنّ النأي يَشْفي مِن الوَجْدِ

بكلٍّ تداوينا فلـم يُشْفَ مـا بنا على أنّ قرب الدّار خيرٌ من البعدِ

ثم قال : يا إبراهيم ، هذا الغناء الماخُوريّ فخذه وانحُ نحوَه في غنائك وعلِّمْه جَوارِيَك ؛ فقلتُ : أعِدْه عليّ ، فقال : لست تحتاج ، قد أخذتَه وفرغتَ منه ، ثم غاب من بين يديّ ؛ فارتعتُ وقمت إلى السيف فجرّدته ، وعدوتُ نحو أبواب الحُرَم فوجدتُها مُغْلقةً ، فقلتُ للجواري : أيّ شيء سمعتنّ عندي ؟ فقلن : سمِعنا أحسنَ غناءٍ سُمِع قَطّ ؛ فخرجتُ متحيِّراً إلى باب الدار فوجدتُه مُغلَقاً ، فسألتُ البوّابَ عن الشيخ ؛ فقال لي : أيّ شيخ هو ؟ والله ما دخل إليك اليومَ أحد ؛ فرجَعتُ لأتأمّل أمري ، فإذا هو قد هَتف بي من بعض جوانب البيت : لا بأسَ عليك يا أبا إسحاق ، أنا إبليس وأنا كنت جليسَك ونديمَك اليومَ ، فلا تُرَعْ . فركبت إلى الرشيد وقلت : لا أُطرفه أبداً بطُرْفة مثلِ هذه ، فدخلتُ إليه فحدّثته بالحديث ؛ فقال : وَيْحَك ! تأمَّلْ هذه الأصوات[3] ، هل أخذتَها ؟ فأخذت العود أمتحنها ، فإذا هي راسخة في صدري كأنّها لم تزل ؛ فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب ولم يكن عزَم على الشراب ، وأمر لي بصلةٍ وحُمْلانٍ[4] وقال : الشيخ كان أعلمَ بما قال لك من أنّك أخذتَها وفرغتَ منها ، فليتَه أمتعَنا بنفسه يوماً واحداً كما أمتعك .

---

1 تنسب هذه الأبيات إلى ابن الدمينة ويزيد بن الطثرية والمجنون (انظر ديوان المجنون : 112) .

2 رواية شرح الحماسة لهذا البيت :

بكيت كما يبكي الوليـد ولم تكـن جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي

3 ل : الأبيات .

4 الحملان : ما يحمل عليه من الدواب .

نسبة هذه الأصوات

أمّا الصوت الأوّل فالذي أعرفه فيه خفيفُ رَمَلٍ لمحمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، ولم يقع إليّ فيه صنعةٌ لإبراهيم . والصوت الثاني الذي أوّله : [من الطويل]

ألا يا صبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ

فشعرُه ليزيدَ بن الطَّثَرِيَّةِ ، والغناءُ لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمحمّد بن الحسن بن مصعَب ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وعمرو . وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لدَحْمان ولحناً لابنه الزُّبَير ، ولم يَذْكر في أيّ طريقةٍ هما .

[إرشاد إلى شعر ذي الرمّة في المنام]

هكذا حدّثنا ابن أبي الأزهر بهذا الخبر ؛ وما أدري ما أقول فيه ، ولعلّ إبراهيمَ صنع هذه الحكاية ليتنفّق بها ، أو صُنعتْ وحُكيتْ عنه . إلاّ أنّ للخبر أصلاً الأشبهُ بالحقّ منه ما حدّثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيد الله بن عَمّار قالا حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن أبيه قال : صنعتُ لحناً فأعجبني ، وجعلت أطلب له شعراً فعَسُر ذلك عليّ ، ورأيتُ في المنام كأنّ رجلاً لَقِيَني فقال : يا إبراهيم ، أأعياك شعرٌ لغنائك هذا الذي تُعْجَب به ؟ قلت نعم ؛ قال : فأين أنت من قول ذي الرُّمَّة حيث قال[1] : [من الطويل]

ألا يا اسلَمي يـا دار مَيّ على البِلَى ... ولا زال مُنْهَلاًّ بجَرْعائِك القَطْرُ[2]
وإن لم تكــوني غير شام بقَفْرةٍ ... تَجُرُّ بهـا الأذيـالَ صَيْفِيّة كُدْرُ[3]

قال : فانتبهتُ وأنا فَرِحٌ بالشعر ، فدعوتُ مَنْ ضرب عليّ وغنّيته فإذا هو أوفقُ ما خلق الله ، فلمّا علمتُ ذلك ، وعملتُ هذا الغناء في شعر ذي الرمّة ، تنبّهتُ عليه وعلى شعره فصنعتُ فيه ألحاناً ماخُورِيَّةً ، منها[4] : [من الطويل]

صوت

أمَنْزِلَتَـيْ مَـــيٍّ سلامٌ عليكمـا ... هـل الأزمُـنُ اللائـي مَرَرْنَ رواجعُ
وهل يَرجعُ التسليمَ أو يكشِفُ العَمى ... ثــلاثُ الأثـافي أو رسومٌ بلاقِعُ[5]

---

1 ديوان ذي الرمة : 206– 207 .

2 الجرعاء : الرملة المستوية لا نبات فيها .

3 شام : جمع شامة . الصيفية : رياح الصيف . الكدر : جمع كدراء وهي التي في لونها غبرة .

4 ديوان ذي الرمّة : 332 .

5 أو رسومٌ بلاقِعٌ في ل والديوان : والرسوم البلاقع .

صنعةُ إبراهيمَ في هذين الشعرين جميعاً من الماخُوريّ بالوسطى ، وهو خفيف الثقيل الثاني . وأَخباره كلّها في هذا المعنى تأتي في أَخبار ذي الرُّمّة مشروحةً .

[اختصاصه بالغناء في شعر ذي الرّمّة]

حدّثني محمّد بن مَزْيد قال حدّثني حَمّاد عن أَبيه قال قال لي أَبي : قال لي جعفر بن يحيى يوماً وقد علم أَنّ الرشيد أَذِن لي وللمغنّين في الانصراف يومئذٍ : صِرْ إليّ حتى أَهَبَ لك شيئاً حسناً ؛ فصِرْتُ إليه فقال لي : أَيّما أَحبُّ إليك : أَهَبُ لك الشيء الحسن الذي وعدتُك به ، أَم أُرشدك إلى شيء تَكسِب به أَلفَ أَلفِ درهم ؟ فقلت : بل يرشدني الوزير ، أَعزّه الله ، إلى هذا الوجه فإنّه يقوم مقام إعطائه إيّاي هذا الحَسَن ؛ فقال : إنّ أَمير المؤمنين يحفَظ شعر ذي الرُّمّة حفظ الصِّبا ويُعجبه ويؤثره ، فإذا سَمِع فيه غناءً ، أَطربه أَكثر ممّا يُطربه غيره ممّا لا يحفظ شعره ؛ فإذا غنّيتَه فأَطربتَه وأَمر لك بجائزة ، فقُم على رجليك قائماً وقبِّل الأَرض بين يديه وقُل له : لي حاجة غيرُ هذه الجائزة أُريد أَن أَسأَلها أَميرَ المؤمنين ، وهي حاجة تقوم عندي مقامَ كلّ فائدة ولا تَضُرّه ولا تَرْزَؤه ؛ فإنّه سيقول لك : أَيّ شيء حاجتُك ؟ فقل : قَطِيعةٌ تُقْطِعُنيها سهلةٌ عليك لا قيمةَ لها ولا منفعةَ فيها لأَحد ؛ فإذا أَجابك إلى ذلك ، فقل له : تُقْطِعني شعرَ ذي الرمّة أُغنّي فيه ما أَختاره وتحظُر على المغنّين جميعاً أَن يُداخلوني فيه ، فإنّي أُحِبّ شعره وأَستحسنه فلا أُحبّ أَن يُنغّصه عليّ أَحدٌ منهم ، وتَوَثَّقْ منه في ذلك ؛ فقبِلتُ ذلك القولَ منه ، وما انصرفت من عنده بعد ذلك إلاّ بجائزة ؛ وتوخّيتُ وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدتُه ، فقمت فسأَلت كما قال لي ، وتبيّنتُ السرور في وجهه ، وقال : ما سأَلتَ شَطَطاً ، قد أَقطعتك سُؤْلتك ؛ فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون : لقد استضخمتَ القطيعة وهو ساكت ؛ فقلت : يا أَمير المؤمنين ، أَتأْذن لي في التوثّق ؟ قال : تَوَثَّقْ كيف شئت ؛ فقلت : بالله وبحقّ رسوله وبتُربة أَمير المؤمنين المهديّ إلاّ جعلتَني على ثقَة من ذلك بأَنّك تحلف لي أنّك لا تُعطي أَحداً من المغنّين جائزة على شيء يُغنّيه في شعر ذي الرُّمّة فإنّ ذلك وثيقتي ؛ فحلف مجتهداً لهم لئن غنّاه أَحدٌ منهم في شعر ذي الرُّمّة لا أَثابه بشيء ولا بَرّه ولا سمع غناءه ؛ فشكرتُ فعله وقبّلت الأَرضَ بين يديه وانصرفنا . فغنّيت مائة صوت وزيادة في شعر ذي الرُّمّة ، فكان إذا سمع منها صوتاً طَرِب وزاد طربُه ووصلني فأَجزَل ، ولم ينتفع به أَحدٌ منهم غيري ؛ فأَخذتُ منه والله بها أَلفَ أَلفِ درهم وأَلفَ أَلفِ درهم .

أَخبرني جعفر بن قُدامة بن زِياد الكاتب قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أَبو خالد الأَسْلَميّ قال حدّثني محمّد بن عمر الجُرْجانيّ قال : قال إبراهيم الموصليّ : أُرْتِج عليّ فلم أَجد شعراً أَصُوغ فيه غناءً أُغنّي فيه الرشيدَ ، فدخلتُ إلى بعض حُجَر داري

مغموماً ، فأَسْبلتُ الستورَ عليّ وغلبتْني عيني ، فتمثَّل لي في البيت شيخٌ أَشْوَهُ الخِلْقة ، فقال لي : يا موصليّ ، مالي أَراك مغموماً ؟ قلت : لم أُصِبْ شِعْراً أُغنّي فيه الرشيدَ الليلةَ ؛ قال : فأَين أَنت عن قول ذي الرُّمّة : [من الطويل]

أَلا يا اسْلَمي يا دارَ مَـيَّ على البِلَى ولا زال مُنْهَلاً بجَرْعائِـك القطرُ
وإن لم تكـوني غيرَ شام بقَفْـرةٍ تَجُرّ بهـا الأَذيـالَ صَيْفيّةٌ كُدْرُ
أَقامت بها حتّى ذَوى العودُ في الثَّرى وساق الثريّـا في مُلاءتـه الفجرُ[1]
وحتّى اعتلى البُهْمى من الصيف نافِضٌ كما نَفَضَتْ خيـلٌ نواصيَهـا شُقْرُ[2]

قال : وغنّاني فيه بلحن وكرّره حتى علِقتُه[3] فانتبهت وأَنا أُديره ، فناديت جاريةً لي وأَمرتُها بإحضار عود ، وما زِلتُ أَترنّم بالصوت وهي تضرب حتى استوى لي ؛ ثم صرتُ إلى هارون فغنّيته إيّاه ، فأَسكتَ المغنّين ، ثم قال : أَعِد فأَعدتُ ، فما زال ليلَته يستعيدُنِيه ، فلمّا أَصبح أَمَر لي بثلاثين أَلف درهم وبفرش البيت الذي كنّا فيه . وقال : عليك بشعر ذي الرُّمّة فغنِّ فيه ؛ فصنعتُ فيه غناءً كثيراً ، فكنتُ أُغنّيه به فيُعجبه ويُجْزل صِلتي .

[غنّى الرشيد ومعه زلزل وبرصوما فأَطربوه]

أَخبرني عمّي وابن المَرزُبان والحسن بن عليّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدّثنا محمّد بن عبد الله السُّلَميّ قال حدّثنا أَبو غانم مولى جَبَلة بن يزيد السُّلَميّ قال : اجتمع إبراهيم الموصليّ وزَلْزَلٌ وبَرصوما بين يَدَي الرشيد ، فضرب زلزلٌ وزَمَر بَرْصوما وغنّى إبراهيم[4] : [من الوافر]

صوت

صَحـا قلبي وراعَ إليّ عقـلي وأَقْصَر باطلي ونَسِيتُ جهلي[5]
رأَيتُ الغانياتِ وكُـنَّ صُورا إليّ صَرَمْنَنـي وقَطعْـنَ حبلي[6]

فطرِب هارون حتى وثَب على رجليه وصاح : يا آدم ، لو رأَيتَ مَن يحضُرُني من ولدك اليومَ لسرّك ! ، ثم جلس وقال : أَستغفر الله .

---

1 الثرى في ديوان ذي الرمّة : والتوى . ملاءة الفجر : بياضه .
2 اعتلى في الديوان ول : واعترى . البهمى : نبات تحبّه الغنم وهو أَخضر . والنافض : يبس ينفض هذا النبات .
3 ل : عقلته .
4 ديوان أَبي العتاهية : 617 .
5 راع : هنا بمعنى رجع .
6 وكن صوراء : أي يملنَ أَعناقهنّ إليه .

الشعر الذي غنّى فيه إبراهيم لأبي العتاهية . والغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر .

[الرشيد يترضّى جارية غاضبها]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال[1] : كان الرشيد يَجِد بمارِدةَ وَجْداً شديداً ؛ فغضبت عليه وغضب عليها ، وتمادى بينهما الهجرُ أيّاماً ؛ فأمر جعفرُ بن يحيى العبّاسَ بن الأحنف فقال[2] : [من الكامل]

راجعْ أحبَّتك الذين هجرتَهم ... إنّ المُتيَّـم قلّمـا يَتجنّـبُ

إنّ التجنُّبَ إن تطاوَل منكما ... دَبَّ السُّلُوُّ لـه فعَـزَّ المطلبُ[3]

وأمر إبراهيمَ الموصليّ فغنّى فيه الرشيد ؛ فلمّا سمعه بادر إلى ماردةَ فترضّاها ؛ فسألتْ عن السبب في ذلك فعرفتْه ، فأمرت لكلّ واحد من العبّاس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم ، وسألتِ الرشيدَ أن يكافئهما عنها ، فأمر لهما بأربعين ألف درهم .

[نال أوّل جائزة لشاعر من الرشيد]

أخبرني جعفر بن قُدامة عن حَمّاد عن أبيه قال : أوّلُ جائزة خرجتْ لشاعر من الرشيد لمّا وَلِيَ الخلافةَ جائزةٌ لإبراهيم ، فإنّه قال يمدحه لَمّا وَلِي : [من الطويل]

صوت

ألَم تَرَ أنّ الشمسَ كانت مريضةً ... فلمّا وَلِي هارونُ أشرق نُورُها

فألبستِ الدّنيا جمـالاً بوجهه ... فهارونُ واليها ويحيى وزيرُها

وغنّى فيه ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم .

[قامر الرشيد بالنرد]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق الموصليّ : أنّ أباه لَعِب يوماً مع الرشيد بالنَّرْد في الخلْعة التي كانت على الرشيد والخِلعة التي كانت عليه هو ، فتقامَرَ للرشيدِ ، فلمّا قَمَره قام إبراهيم فنزع ثيابه ، ثم قال للرشيد : حُكْم النَّرد الوفاءُ به ، وقد قُمِرْتُ ووفَّيتُ لك ، فالبس ما كان عليّ ؛ فقال له الرشيد : وَيْلَك ! أنا ألبس ثيابك ! ؛ فقال : إي والله إذا أنصفتَ ، وإذا لم تُنصف قدَرتَ وأمكنك ؛ قال : ويلك ! أو أفتدي منك ؟ قال : نعم ؛ قال : وما الفداء ؟ قال : قُل أنتَ يا أمير المؤمنين فإنّك أولَى بالقول ؛ فقال : أُعطيك كلّ ما عليّ ؛ قال : فمُرْ به يا أمير المؤمنين وأنا

1 وردت هذه الحكاية في التذكرة الحمدونية 6 : 209 (رقم 548) .

2 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 44 .

3 ل : دب السلو فعز منك المطلبُ .

أستخير الله في ذلك ؛ فدعا بغير ما عليه فلبسه ونزَع ما كان عليه فدفَعه إلى إبراهيم .

[فطنة ابن جامع وإبراهيم في صناعة الموسيقى]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عُمَر بن شَبّة قال حدّثني عليّ بن عبد الكريم قال[1] : زار ابنُ جامع إبراهيمَ الموصليّ ؛ فأخرج إليه ثلاثين جاريةً فضربْنَ جميعاً طريقةً واحدة وغنَّيْن ؛ فقال ابن جامع : في الأوتار وَتَرٌ غير مستوٍ ؛ فقال إبراهيم : يا فلانةُ شُدِّي مَثْناكِ ، فشدَّتْه فاستوى ؛ فعجبتُ أوّلاً من فطنة ابن جامع لوتر في مائة وعشرين وتراً غير مستو ، ثم ازداد عَجَبي من فِطْنة إبراهيم له بعينه .

[غناؤه عند خمار بالرقّة]

أخبرني إسماعيل بن يونس وحَبِيب بن نَصْر المُهَلَّبي قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني أبي قال[2] : كنّا مع الرشيد بالرّقّة وكان هناك خَمّار أقصِده أشتري منه شراباً حسناً طيّباً ؛ وربّما شربت في حانته ، فأتيته يوماً فبزَل لي دَنّاً في باطِيَة له ، فرأيت لونه حسناً صافياً ، فاندفعتُ أُغنّي : [من مجزوء الرمل]

صوت

اسْقِني صَهْبـاءَ صِرْفاً لم تُـدَنَّسْ بِمـزاجِ
اسْقِني والليـلُ داجٍ قبلَ أصوات الدَّجاجِ
يـا أبـا وَهْب خليلي كلُّ هَـمٍّ لانفراجِ
حـين تَوَّهْـتَ بقلبي في أعـاصير الفِجاجِ

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيمَ هَزَجٌ بالوسطى عن عمرو . وفيها لِسياط ثاني ثقيلٍ بالخِنْصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق ، قال : فدَهِش الخمّار يسمع صوتي ، فقلت له : وَيْحَك ! قد فاض النبيذ من الباطِيَة ؛ فقال : دَعْني من النبيذ يا أبا إسحاق ، مالي أرى صوتك حزيناً حَرِيقاً ، مات لك بالله إنسان ؟ فلمّا جئتُ إلى الرشيد حدّثته بذلك فجعل يضحك .

[قصّته مع الجواري اللاتي عقنه عن موعد الرشيد]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ المدائنيّ حدّث قال : قال إبراهيم الموصليّ قال لي الرشيد يوماً : يا إبراهيم ، إنّي قد جعلت غداً للحَريم ، وجعلت ليلته للشرب مع الرجال ، وأنا مقتصرٌ عليك من المغنّين ، فلا تشْتغل غداً بشيء ، ولا تشرب نبيذاً ، وكُن بحضرتي في وقت العشاء الآخرةِ ؛ فقلت : السمعُ والطاعةُ لأمير المؤمنين ؛ فقال : وحقِّ أبي لئن تأخّرتَ أو

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 21 (رقم 41) .

2 قد تقدّم مثل هذا الخبر في هذه الترجمة عن شربه وغنائه عند خمار في باري .

اعتلَلْتَ بشيء لأَضربنّ عنقك ، أَفهمتَ ؟ فقلت : نعم ، وخرجتُ فما جاءني أَحد من إخواني إلاّ احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لأَحد ، حتى إذا صُلِّيتِ المغرب ركبتُ قاصداً إليه ، فلمّا قرُبت من فِناء داره مررت بفناء قصر ، وإذا زَنْبيلٌ كبير مُستوثَق منه بحبال وأَربع عُرى أَدَمٍ وقد دُلِّيَ من القصر ، وجاريةٌ قائمة تنتظر إنساناً قد وُعِد ليجلس فيه ، فنازعتْني نفسي إلى الجلوس فيه ، ثم قلت : هذا خطأ ، ولعلّه أَن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاكُ ، فلم أَزل أُنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتْني ، فنزلت فجلست فيه ، ومُدّ الزنبيل حتى صار في إلى القصر ، ثم خرجت فنزلت ، فإذا جوارٍ كأَنهنّ المَها جلوسٌ ، فضحِكْنَ وطَرِبْنَ ، وقلن : قد جاء والله مَن أَردناه ؛ فلمّا رأَيْنَني من قريب تَبادرْنَ إلى الحِجاب وقُلْن : يا عدوّ الله ، ما أَدخلك إلينا ؟ فقلت : يا عدوّاتِ الله ، ومَن الذي أَردْتُنّ إدخالَه ؟ ولِمَ صار أَولى بهذا منّي ؟ فلم يزَل هذا دَأْبَنا وهنّ يضحكن وأَضحك معهنّ ؛ ثم قالت إحداهنّ : أَمّا مَن أَردناه فقد فات ، وما هذا إلاّ ظريف ، فهلمّ نعاشرْه عشرةً جميلة ؛ فأُخرج إليّ طعام ودُعيت إلى أَكله ، فلم يكن فيّ فَضْلٌ إلاّ أَنّي كرِهت أَن أُنسب إلى سوء العشرة ، فأَصبتُ منه إصابة مُعَذِّر ، ثم جيء بالنبيذ فجعلنا نشرب ، وأَخْرجن إليّ ثلاث جَوارٍ لهنّ فغنّين غناءً مليحاً ، فغنَّتْ إحداهنّ صوتاً لَمَعْبد ، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر : أَحسنَ إبراهيمُ ، هذا له ؛ فقلت : كَذَبتِ ليس هذا له ، هذا لمعبد ؛ فقالت : يا فاسقُ ، وما يُدْرِيك الغناءَ ما هو ! ؛ ثم غنّت الأُخرى صوتاً للغَريض ، فقالت تلك : أَحسن إبراهيم ، هذا له أَيضاً ؛ فقلت : كذبتِ يا خبيثةُ ، هذا للغريض ؛ فقالت : اللهمّ أَخْزِه ، ويلك ! وما يُدريك ؟ ثم غنّت الجارية صوتاً لي ، فقالت تلك : أَحسن ابنُ سُرَيج ، هذا له ؛ فقلت : كذبتِ هذا لإبراهيم ، وأَنتِ تَنسُبين غناء الناس إليه وغناءه إليهم ؛ فقالت : وَيْحَك وما يُدريك ! ؛ فقلت : أَنا إبراهيم ، فتباشرْنَ بذلك جميعاً وطرِبْنَ كلُّهنّ وظهرْنَ كلُّهنّ لي وقُلْنَ : كتمتَنا نفسَك وقد سررتنا ؛ فقلت : أَنا الآن أَستودعكنّ الله ؛ فقلن : وما السبب ؟ فأَخبرتهنّ بقصّتي مع الرشيد ؛ فضحكن وقُلن : الآن والله طاب حبسك ، علينا وعلينا إن خرجتَ أسبوعاً ؛ فقلت : هو والله القتل ؛ قلن : إلى لعنة الله . فأَقمت والله عندهنَّ أسبوعاً لا أَزول ، فلمّا كان بعد الأسبوع ودَّعْنَني وقُلن : إن سلّمك الله فأَنت بعد ثلاث عندنا ، قلت نعم ؛ فأَجلسنَني في الزنبيل وسُرِّحتُ ؛ فمضيت لوجهي حتى أَتيت دارَ الرشيد ، وإذا النداء قد أُشيع ببغدادَ في طلبي وأَنّ مَن أَحضرني فقد سُوِّغ ملكي وأُقْطِع مالي ؛ فاستأذنتُ فتبادر الخدمُ حتى أَدخلوني على الرشيد ؛ فلمّا رآني شتمني وقال : السيف والنِّطْع ! إيهِ يا إبراهيم ، تهاونتَ بأمري وتشاغلتَ بالعوامّ عمّا أَمرتك به وجلستَ مع أَشباهك من السفهاء حتى أَفسدتَ عليّ لذّتي ! ؛ فقلت : يا أَمير المؤمنين ، أَنا

بين يديك ، وما أُمرتَ به غيرُ فائت ، ولي حديث عجيب ما سُمع بمثله قطُّ ، وهو الذي قطعني عنك ضرورةً لا اختياراً ، فاسمعْه ، فإن كان عذراً فاقبلْه وإلاّ فأنت أعلم ؛ قال : هاتِه فليس يُنجيك ؛ فحدّثته ، فوجَم ساعةً ثم قال : إنّ هذا لعَجبٌ ، أفتُحْضِرني معك هذا الموضع ؟ قلت : نعم ، وأُجلسك معهنّ إن شئتَ قبلي حتى تحصل عندهنّ ، وإن شئت فعلى موعد ؛ قال : بل على موعد ؛ قلت : أُفعل ؛ فقال : انظُر ؛ قلت : ذلك حاصلٌ إليك متى شئت ؛ فعدَل عن رأيه فيّ وأجلسني وشرب وطرِب ؛ فلمّا أصبحتُ أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهنّ ؛ فمضيت إليهنّ في وقت الوعد ، فلمّا وافيتُ الموضعَ إذا الزنبيل معلّق ، فجلست فيه ومدّه الجواري فصعِدت ، فلمّا رأيْنَني تباشرْنَ وحَمِدْنَ الله على سلامتي ، وأقمتُ ليلتي[1] ، فلمّا أردت الانصراف قلت لهنّ : إن لي أخاً هو عِدْلُ نفسي عندي ، وقد أحَبّ معاشرتكنّ ووعدتُه بذلك ؛ فقلن : إن كنتَ ترضاه فمرحباً به ؛ فوعدتهنّ ليلةَ غدٍ وانصرفتُ وأتيت الرشيدَ وأخبرته ؛ فلمّا كان الوقتُ خرج معي متخفّياً حتى أتينا الموضع ، فصعِدت وصعِد بعدي ونزلْنا جميعاً ، وقد كان الله وفّقني لأن قلتُ لهنّ : إذا جاء صديقي فاستتِرنَ عنّي وعنه ولا يسمعْ لكُنّ نَطْقة ، وليكن ما تَختَرْنَه من غناء أو تَقُلْنَه من قولٍ مُراسَلةً ؛ فلم يتعدّيْنَ ذلك وأقَمْنَ على أتمِّ سِتْرٍ وخَفَر ، وشربنا شرباً كثيراً ، وقد كان أمرني ألاّ أخاطبَه بأمير المؤمنين ، فلمّا أخذ منّي النبيذُ قلت سهواً : يا أمير المؤمنين ، فتواثَبْنَ من وراء الستارة حتى غابت عنّا حركاتهنّ ؛ فقال لي : يا إبراهيم لقد أفْلَتَّ من أمر عظيم ، والله لو برزتْ إليك واحدة منهنّ لضربتُ عنقك ، قم بنا ، فانصرفنا ؛ وإذا هنّ له ، قد كان غضِب عليهنّ فحبسهنّ في ذلك القصر ؛ ثم وجّه من غد بخَدَم فردّوهنّ إلى قصره ، ووَهب لي مائة ألف درهم ، وكانت الهدايا والألْطاف تأتيني بعد ذلك منهنّ .

[غنّى الرشيد فأجزل صلته]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبي قال : دخلت على الرشيد يوماً فقال لي : أنا اليوم كسلانُ خاثِر ، فإن غَنّيْتَني صوتاً يوقظ نشاطي أحسنت صلتك ؛ فغنّيتُه : [من الطويل]

ولَم يُـرَ في الدنيـا مُحبّان مثلُنا ... على ما نلاقي من ذَوِي الأعين الخُزْرِ

صَفِيّانِ لا نرضى الوُشاةَ إذا وَشَوْا ... عفِيفانِ لا نَغْشى من الأمر ما يُزري

فطرِب ، ودعا بالطعام فأكل وشرب ، وأمر لي بخمسين ألف درهم .

1 ل : ليلتين .

[امتحانه صوتاً لدنانير]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال قال لي أبي قال لي يحيى بن خالد : إنّ ابنتك دَنانِيرَ قد عمِلتْ صوتاً أعجبني وأُعجبتْ أيضاً هي به ، فقلتُ لها : لا تُعجَبي به حتّى أَعْرِضَه على أَبيكِ أبي إسحاق ؛ فقلتُ له : والله ما في معرفة الوزير ، أعزّه الله ، به ولا بغيره من الصنائع مَطْعَن ، وإنّه لأَصحُّ العالَم تمييزاً وأَثقبُه فِطْنةً ، وما أُعجبه إلاّ وهو صحيحٌ حَسَن ؛ فقال : إن كنتُ كما تقول أيضاً ، فإنّ أهلَ كلّ صناعة يُمارسونها أفهمُ بها ممّن يَعْلَمها عن عُرُض من غير مُمارسة ، ولو كنّا في هذه الصناعة متساويَيْن لكان الاستظهارُ برأيك أَجْوَد ، لأنّ مَيْلي إلى صانعة الصوت ربّما حسَّن عندي ما ليس بالحسن ، وإنّما يتمّ سروري به بعد سماعك إيّاه واستحسانك له على الحقيقة ؛ فمضيتُ فوجدتُ ستارةً منصوبة وأمراً قد تُقدّم فيه قبلي ؛ فجلستُ فسلَّمت على الجارية ، وقلتُ لها : تغنّيني الصوتَ الذي ذكره لي الوزير أعزّه الله ؛ فقالت : إنّ الوزير قال لي : إنِ استجاده فعرِّفيني ليتمّ سروري به ، وإلاّ فاطوِ الخبرَ عنّي لئلاّ تَزول رُتبته عندي ؛ فقلتُ : هاتيه حتى أَسمعه ؛ فغنّت تقول : [من الكامل]

نفسي أَكنتُ عليكِ مدَّعياً ... أم حين أَزْمَعَ بينهُم خُنْتِ
إن كنتِ هائمةً بذكرهمُ ... فعلى فراقهمُ أَلا حُمْتِ[1]

قال : فأَحسَنَتْ والله وما قصَّرتْ ، فاستعدتُه لأَطلبَ فيه موضعاً لأُصلحه[2] فيكون لي فيه معنى فما وَجدتُ ؛ قلت : أحسنْتِ والله يا بُنيّة ما شئتِ ؛ ثم عدتُ إلى يحيى فحلفتُ له بأَيمان رضيها أنّ كثيراً من حُذَّاق المغنّين لا يُحسنون أن يصنعوا مثله ، ولقد استعدتُه لأَرى فيه موضعاً يكون لي فيه عملٌ فما وجدت ؛ فقال : وصفُكَ لها من أَجله يقومُ مقامَ تعليمك إيّاها ، فقد والله سررتَني وسأَسرُّك ، فلمّا انصرفتُ أَتبعني بخمسين أَلف درهم .

[قصّته مع فتاة شاعرة بحضرة الرشيد]

حدّثني عمّي وابن المَرزُبان قالا حدّثنا ابن أَبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله السُلَميّ قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق ، ولَم يقُل عن أَبيه ، قال : والله إنّي لَفي منزلي ذاتَ يوم وأَنا مفكِّرٌ في الرّكوب مرّةً وفي القعود مرّة ، إذا غلامي قد دخل ومعه خادم للرشيد يأمرني بالحضور من وقتي ، فركِبتُ وصرتُ إليه ؛ فقال لي : اجلس يا إبراهيم حتى أُريكَ عجباً ، فجلستُ ؛ فقال : عليَّ بالأَعرابيّة وابنتها ؛ فأُخرِجَتْ إليَّ إعرابيّة ومعها بُنَيّة لها عشرٌ أَو أَرجح ؛ فقال : يا إبراهيم ، إنّ هذه الصَّبِيّة تقول الشعر ؛ فقلتُ لأُمّها : ما يقول أَمير المؤمنين ؟ فقالت :

---

1 حُمت في ل : مت .

2 ل : أصلحه .

هِي هذه قدّامَك فسَلْها ؛ فقلت : يا حبيبة ، أتقولين الشعر ؟ فقالت نعم ؛ فقلت : أنشديني بعضَ ما قلتِ ؛ فأنشدتْني : [من الطويل]

صوت

تقـول لأتراب لهـا وهـي تَمْتَرِي دموعاً على الخدَّيْن من شدّة الوجدِ[1]

أكلُّ فتـاةٍ لا محالـةَ نـازلٌ بهـا مثلُ مابي أم بُلِيتُ بـه وحدي

بَـراني لـه حـبٌّ تنشَّبَ في الحشا فلم يُبْقِ من جسمي سوى العظمِ والجلدِ

وجَدتُ الهـوى حُلْـواً لذيذاً بَدِيئُه وآخـرُه مـرٌّ لصاحبـه مُـرْدِي[2]

قال الشَّبِّيّ[3] في خبره : قال إسحاق : وكان أبي حاضراً ، فقال : والله لا تَبرَحْ يا أمير المؤمنين أوْ نصنعَ في هذه الأبيات لحناً ؛ فصُغْتُ فيها أنا وأبي وجميعُ مَن حضر . وقال الآخرون : قال إبراهيم : فما بَرِحتُ حتّى صنعتُ فيه لحناً وتَغَنّيتُ به وهي حاضرة تسمع . قال ابن المَرزُبان في خبره ، ولم يذكره عمِّي ، : فقالت : يا أمير المؤمنين ، قد أحسنَ رِوايةَ ما قلتُ ، أفتأذَنُ لي أن أكافئه بمدح أقوله فيه ؟ قال : افعلي ؛ فقالت[4] : [من مجزوء الرمل]

صوت

مـا لإبراهيم في العلـ ـم بهذا الشأنِ ثاني

إنّمـا عُمْـرُ أبي إسـ ـحاقَ زيـنٌ للزمانِ

منـه يُجْنـى ثَمَرُ اللّهـ ـو ورَيْحـانُ الجنانِ

جنّـة الدّنيـا أبو إسـ ـحاق في كلّ مكـانِ

قال : فأمر لها الرشيد بجائزة ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، فوهبتُ لها شَطْرَها .

اللحن الذي صنعه إبراهيم في شِعر الاعرابيّة ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وفيه لعلّويه ثاني ثقيل . وأمّا الشعر الثاني فهو لابن سيابَةَ لا يُشَكّ فيه . ولإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقيل .

[الرشيد يجيز المغنّين ويغضب على علّويه]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كنت أخذتُ بالمدينة من مجنونٍ بها هذا الصوتَ ، وغنّيْته الرشيدَ وقلتُ :

---

1 تمتري دموعاً : تستدرها .

2 بديء الشيء : أوّله .

3 الشبيّ : عمر بن شبّة .

4 تقدّم هذا الشعر منسوباً لابن سيابة ، ص 112 .

صوت

[من البسيط]

هما فتاتانِ لَمّا تَعرِفا خُلُقي ... وبالشَّبابِ على شَيْبي تُدِلاّنِ
رأيتُ عِرْسَيَّ لَمّا ضَمَّني كِبَري ... وشِخْتُ أَزمعتا صرمي وهِجْراني
كلُّ الفَعال الذي يفعلْنَه حَسَنٌ ... يُصْبي فؤادي ويُبْدي سِرّ أَشْجاني
بَلِ احذَرا صَوْلةً من صَول شيخكما ... مَهْلاً على الشيخ مَهْلاً يا فتاتانِ

فطَرِب وأَمر لي بظَبْية كانت مُلْقاةً بين يديه ، فيها أَلفُ دينار مسيَّفة[1] ؛ وكان ابن جامع حاضراً ، فقال : اسمع يا أَمير المؤمنين غناء العقلاء ودع غناء المجانين ، وكان أَشدَّ خَلْقِ الله حسداً ، فغنّاه : [من الرمل]

صوت

ولقد قالت لأَتراب لها ... كالمَها يَلْعَبْن في حُجْرتها
خُذْن عنّي الظِّلَّ لا يَتْبَعُني ... ومَضَتْ سَعْياً إلى قُبّتها[2]

فطَرِب وشَرِب ، وأَمر له بأَلفٍ وخمسمائة دينار . ثم تَبِعه محمّد بن حمزة وَجْهُ القَرْعة فغنّى : [من المنسرح]

صوت

يَمْشُون فيها بكلِّ سابغةٍ ... أُحكِم فيها القَتِيرُ والحَلَقُ[3]
يُعرَفُ إنصافُهم إذا شهِدوا ... وصبْرُهم حين تَشْخَص الحَدَقُ

فاستحسنه وشرِب عليه ، وأَمر له بخمسمائة دينار . ثم غنّى علّويه : [من الكامل]

صوت

يَجْحَدْنَ دَيْني بالنّهار وأَقتضي ... دَيْني إذا وَقَذَ النُّعاسُ الرُّقَّدا[4]
وأَرى الغَواني لا يُواصِلْنَ امرأً ... فَقَدَ الشَّبابَ وقد يَصِلن الأَمْرَدا

فدعا به الرشيد وقال له : يا عاضَّ بظْرِ أُمّه ! أَتغنّي في مدح المُرْد وذمّ الشَّيب وسِتارتي منصوبة وقد شِبْتُ وكأَنّك تعرّض بي ؟ ثم دعا مسروراً فأَمره أَن يأخذ بيده فيضربه ثلاثين

---

1 الدينار المسيف : الذي جوانبه نقيّة من النقش . والظبية : الجراب .
2 ديوان عمر : 75 وفيه «تسعى إلى قبتها» .
3 القتير : رؤوس المسامير في الدرع .
4 وقذه النعاس : غلبه .

دِرّة ويُخرجَه من مجلسه ، ففعل ؛ وما انتفعنا به بقيّة يومنا ولا انتفع بنفسه ، وجفا علّويه شهراً ، ثم سألناه فيه فأذِن له ؛ ولهذه الأغاني نسب قد ذُكرت في موضعها .

قال أبو الفرج لإبراهيم أخبارٌ مع خُنْث المعروفة بذات الخال ، وكان يهواها ، جعلتُها في موضع آخر من هذا الكتاب ، لأنّها منفردة بذاتها مستغنيةٌ عن إدخالها في غمار أخباره . وله في هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره ؛ وقد شرَطْتُ أنَّ الشيءَ من أخبار الشعراء والمغنّين إذا كانت هذه سبيلَه أُفْرِده ، لئلاّ يَقطعَ بين القرائن والنظائر ممّا تُضاف إليه وتدخلُ فيه .

[مرضه وزيارة الرشيد له]

أخبرني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال : سمعتُ إسحاقَ الموصليّ يقول : لمّا دخلتْ سنة ثمان وثمانين ومائة اشتدّ أمر القُولَنْج على أبي ولزِمه ، وكان يعتاده أحياناً ، فقعد في الأبزن عن خدمة الخليفة وعن نَوْبته في داره ؛ فقال في ذلك : [من مجزوء الرمل]

صوت

مَــــلَّ والله طبيبـي من مُقاساةِ الذي بي
سوف أُنْعى عن قريب لعـــدوٍّ وحبيـــبِ

وغنّى فيه لحناً من الرَّمَل ، فكان آخرَ شعرٍ قاله وآخِرَ لحنٍ صنعه .

أخبرني الصُّوليّ عن محمّد بن موسى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّ الرشيد ركب حماراً ودخل إلى إبراهيم يعوده وهو في الأبزَن جالس ، فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله يا سيِّدي كما قال الشاعر : [من الوافر]

سَقيمٌ مَــلَّ منـه أقربوه وأسْلَمه المُداوي والحميمُ

فقال الرشيد : إنّا لله ، وخرج ، فلم يَبْعُد حتى سمِع الواعية[1] عليه .

[وفاته]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبّة قال : مات إبراهيم الموصليّ سنة ثمانٍ وثمانين ومائة ، ومات في ذلك اليوم الكِسائيّ النحويّ والعبّاس بن الأحنف الشاعر وهُشَيمة الخَمّارة ، فرُفع ذلك إلى الرشيد ، فأمر المأمونَ أن يصلّيَ عليهم ، فخرج فصُفُّوا بين يديه ؛ فقال : مَنْ هذا الأوّل ؟ قيل : إبراهيم ؛ فقال : أخِّروه وقدّموا العبّاسَ بن الأحنف ، فقُدِّم

1 الواعية : الصراخ على الميت .

فصلّى عليهم ؛ فلمّا فرغ وانصرف ، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ فقال : يا سيِّدي ، كيف آثرتَ العبّاسَ بالتّقدمة على مَن حضر ؟ قال : لقوله[1] : [من الكامل]

وسَعى بها نـاسٌ فقالوا إنّها لهـي التي تَشْقى بها وتُكابِدُ[2]
فجحدتُهم ليكونَ غيرَكِ ظنُّهم إنّي ليُعجبني المحـبّ الجاحدُ

ثم قال : أتحفظها ؟ قلت نعم ؛ فقال : أنشدني باقيها ؛ فأنشدتُه : [من الكامل]

لمّا رأيـتُ الليـلَ سدّ طَريقَه عنّي وعذّبنـي الظلام الراكدُ
والنّجم في كَبِد السماء كأنّه أعمـى تحيَّر مـا لديـه قائدُ
ناديتُ مَنْ طَرَد الرُّقادَ بصدِّه عمّا أُعالج وهـو خِلوٌ هاجدُ
يا ذا الذي صدَع الفؤادَ بهجره أنت البَـلاءُ طريفُـه والتّالدُ
أَلقيتَ بين جفون عيني حُرْقةً فإلى متـى أنا ساهرٌ يـا راقدُ

فقال المأمون : أليس مَن قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة ؟ فقلتُ : بلى والله يا سيِّدي .

[بكاء برصوما الزامر عليه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال : قال لي بَرْصُوما الزامر : أما في حقّي وخدْمتي ومَيْلي إليكم وشكري لكم ما أستوجِبُ به أن تَهَب لي يوماً من عُمْرك تَفعل فيه ما أُريد ولا تخالفني في شيء ؟ فقلتُ : بلى ووعدتُه بيوم ؛ فأتاني فقال : مُرْ لي بخِلْعة ، ففعلتُ وجعلتُ فيها جبّةَ وَشْي ؛ فلبِسها ظاهرةً وقال : امضِ بنا إلى المجلس الذي كنتُ آتي أباك فيه ؛ فمضينا جميعاً إليه وقد خَلّقتُه وطيّبتُه ؛ فلمّا صار على باب المجلس رَمى بنفسه إلى الأرض فتمرّغ في التّراب وبكى وأخرج نايه وجعل ينوحُ في زَمْره ويدور في المجلس ويقبّل المواضع التي كان أبو إسحاق يجلس فيها ويبكي ويَزْمِرُ حتّى قضى من ذلك وَطَرا ، ثم ضرب بيده إلى ثيابه فشقّها ، وجعلت أُسكِّتُه وأَبكي معه ، فما سَكَنَ إلاّ بعد حين ، ثم دعا بثيابه فلبِسها وقال : إنّما سألتك أن تخلعَ عليّ لئلاّ يقال : إنّ برصوما إنّما خرَق ثيابه ليُخْلَع عليه ما هو خير منها ؛ ثم قال : امضِ بنا إلى منزلك فقد اشتفَيْتُ ممّا أردت ؛ فعُدت إلى منزلي وأقام عندي يومه ، وانصرف بخلعة مجدّدة .

---

1 ديوان العباس بن الأحنف : 102 .

2 «وسعى بها ناسٌ فقالوا إنّها» في الديوان : «سمّاك لي قوم وقالوا إنّها» .

[المراثي التي قيلت فيه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني القاسم بن يزيد قال : لمّا مات إبراهيم الموصليّ دخلت على إبراهيم بن المهديّ وهو يشرب وجواريه يُغنِّين ، فذكرنا إبراهيم الموصليّ وحذقه وتقدّمه ، فأفضْنا في ذلك وإبراهيم مُطْرِق ، فلمّا طال كلامنا وقال كلّ واحد منّا مثلَ ما قاله صاحبه ، اندفع إبراهيم بن المهديّ يُغنِّي في شعر لابن سيابة يرثي به إبراهيمَ ، ويقال : إنّ الأبيات لأبي الأسد : [من الوافر]

تولَّى الموصليُّ فقد تولّتْ ... بشاشاتُ المَزاهِر والقِيانِ
وأيُّ بشاشةٍ بَقِيَتْ فتبقَى ... حياةُ الموصليّ على الزمانِ
ستَبْكيه المَزاهِر والمَلاهي ... وتُسْعِدُهنّ عاتقةُ الدّنانِ
وتَبْكيه الغَويّة إذ تولّى ... ولا تبكيه تاليةُ القُرانِ[1]

قال : فأَبْكى مَن حضر ؛ وقلت أنا في نفسي : أَفتُراه هو إذا مات مَن يبكيه : المحرابُ أَم المصحف ؟! قال : وكان كالشامتِ بموته .

أخبرني يحيى بن عليّ قال قال أنشدني حمّاد قال : أنشدني أبي لنفسه يرثي أباه ، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته : [من الطويل]

أقول له لمّا وقفتُ بقبره ... عليك سلامُ الله يا صاحبَ القبرِ
أيا قبرَ إبراهيم حُيِّيتَ حُفْرةً ... ولا زِلتَ تُسْقى الغيثَ من سَبَل القَطْرِ[2]
لقد عزّني وَجْدي عليكَ فلم يَدَع ... لقلبي نصيباً من عَزاء ولا صبرِ[3]
وقد كنتُ أبكي من فِراقك ليلةً ... فكيف وقد صار الفِراقُ إلى الحشرِ

أخبرني أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقّب بَوسْواسةَ قال : أنشدني حَمّاد لأبيه إسحاق يرثي أباه إبراهيم الموصلّي : [من الطويل]

سلامٌ على القبرِ الذي لا يُجيبنا ... ونحن نُحيي تُرْبَه ونخاطبُهْ
سَتَبْكيه أشرافُ المُلوك إذا رَأَوْا ... مَحَلّ التصابي قد خلا منه جانبُهْ
ويَبكِيه أهلُ الظَّرْف طُرّاً كما بكى ... عليه أمير المؤمنين وحاجبُهْ

1 القران : القرآن .
2 سبل القطر : ما سال من المطر .
3 عزّني : غلبني .

ولمّا بـدا لي اليأسُ منـه وأُنْزِفت ... عيـونٌ بواكيـه ومَلّـتْ نوادبُهْ[1]
وصار شفاءُ النفس من بعض ما بها ... إفاضـةَ دمـع تَستَهِـلّ سواكبُهْ
جعلتُ عـلى عينـيّ للصبح عَبرةً ... ولِلّيل أُخـرى مـا بدتْ لي كواكبُهْ

قال : وأنشدني أيضاً حَمّاد لأبيه يَرثي أباه : [من الطويل]

عليك سلامُ الله مـن قبرِ فاجع ... وجادك مـن نَوْء السِّماكين وابلُ
هَلَ انْتَ مُحيِّي القبرِ أم أنت سائل ... وكيف تُحيّـا تُربـةٌ وجَنادلُ
أظَـلُّ كأنّي لم تُصبنـي مصيبةٌ ... وفي الصَّدْرِ من وَجْدٍ عليك بلابلُ
وهَوَّنَ عنـدي فَقْدَه أنّ شخصه ... على كلِّ حال بـين عينـيَّ ماثلُ

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال أنشدني إبراهيم بن عليّ بن هشام لرجل يرثي إبراهيم الموصليّ : [من الخفيف]

أَصبح اللهو تحت عَفْر الترابِ ... ثاويـاً في مَحَلّـة الأَحبابِ
إذ ثوى الموصليّ فانقرض اللّهـ ... ـو بخير الإخوان والأَصحابِ
بكـت المُسْمِعاتُ حُزْناً عليه ... وبكاه الهوى وصَفْوُ الشرابِ
وبكـتْ آلـةُ المجالسِ حتّى ... رحِم العـودُ دمعـةَ المِضرابِ

[لن تفقد من أبيك إلاّ شخصه]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال : دخلتُ إلى الرشيد بعَقِب وفاة أبي ، وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلمّا جلستُ ورأيتُ موضعه الذي كان يجلس فيه خالياً دَمَعتْ عيني ، فكفَفتُها وتصبّرتُ ؛ ولمحني الرشيد فدعاني إليه وأدناني منه ، فقبّلتُ يدَه ورجلَه والأرض بين يديه ، فاستعبر ، وكان رقيقاً ؛ فوثبت قائماً ثم قلت : [من الخفيف]

في بقـاء الخليفـة الميمـون ... خَلَـفٌ مـن مُصيبة المحزونِ
لا يَضير المصابَ رُزْءٌ إذا مـا ... كان ذا مَفْـزَعٍ إلى هـارونِ

فقال لي : كذاك والله هو ، ولن تَفْقِد من أبيك ما دمتُ حيّاً إلاّ شخصَه ؛ وأمر بإضافة رزقه إلى رزقي ؛ فقلت : بل يأمر أميرُ المؤمنين به إلى ولده ، ففي خدمتي إيّاه ما يُغْنِيني ؛ فقال : اجعلوا رزق إبراهيم لولده وأضْعِفوا رزق إسحاق .

1 أنزفت العين : نفد ماؤها .

صوت
من المائة المختارة

[من المنسرح]

يا دارَ سُعْدَى بالجِزْع من مَلَلِ حُيِّيتِ من دِمْنةٍ ومن طَلَلِ[1]
إنّـي إذا مـا البخيلُ أَمَّنها باتت ضَمُوزاً منّي على وَجَلِ[2]
لا أُمتِـع العُوذَ بالفِصالِ ولا أَبتـاعُ إلاّ قَريـبـةَ الأَجـلِ

العوذ : الإبل التي قد نُتجتْ ، واحدتها عائذ . يقول : أَنحرُها وأَولادَها للأضياف فلا أُمتِّعها ، والضَّمُوز : الممسكة عن أَن تَجْتَرّ . ضمَز الجملُ بجِرَّته إذا أُمسك عنها ، ودَسَع بها إذا استعملها . يقول : فهذه الناقة من شدّة خوفها على نفسها ممّا رأَت من نَحْر نظائرها قد امتنعتْ من جِرّتها فهي ضامِزةٌ .

الشعر لابن هَرْمة . والغناء في اللحن المختار لَمْرزوق الصرّاف[3] ثقيلٌ أَوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، ويقال إنّه ليحيى بن واصِل . وذكر عمرو بن بانةَ أَنّ فيه لدَحْمانَ لحناً من الثقيل الأُوّل بالبنصر ، وأَنّ فيه لابن مُحْرز لحناً من الثقيل الثاني بالبنصر في الثالث ثم الثاني ، ووافقه ابن المكيّ . قال : وفيه لدَحْمانَ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى في الأَوّل والثالث ؛ وذكر الهِشاميّ أَنّ هذا اللحن بعينه ليونس وأَنّ الثقيل الثاني لإبراهيم ، وأَنّ لَمعْبد فيه لحناً من الثقيل الأَوّل بالوسطى ، وأَنّ فيه للهُذَليّ خفيفَ ثقيل ، وأَنّ فيه رَمَلاً ينسب إلى ابن مُحْرِز أَيضاً .

1 ديوان ابن هرمة : 182–183 . ملل : منزل على طريق المدينة إلى مكّة .
2 ناقة ضموز : تضمّ فاها لا تسمع لها رغاء .
3 ل : الضرّاب .

[70] ـ شيء من ذكر ابن هَرْمة أيضاً[1]

[جوده أفنى ماله]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزّبير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهْريّ ونَوْفل بن ميمون عن يحيى بن عُروة بن أُذَينة قال[2] : خرجتُ في حاجة لي ، فلمّا كنت بالسَّيالة[3] وقفتُ على منزل إبراهيم بن عليّ بن هَرْمة ، فصِحتُ : يا أبا إسحاق ، فأجابتني ابنتُه : مَن هذا ؟ فقلت : انظُري ، فخرجتْ إليّ فقلت : أعلمي أبا إسحاق ؛ فقالت : خرج والله آنفاً ؛ قال : فقلت : هل من قِرىً ؟ فإنّي مُقْوٍ من الزاد ؛ قالت : لا والله ، ما صادفته حاضراً ؛ قلت : فأين قولُ أبيك : [من المنسرح]

لا أُمْتِع العُوذَ بالفِصال ولا أبتاع إلاّ قريبةَ الأَجلِ

قالت : بذاك والله أفناها ، أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَبايَة بمثل هذا الخبر سواء ، وزاد فيه : قال : فأخبرت إبراهيم بن هَرْمة بقولها ، فضمّها إليه وقال : بأبي أنت وأمّي ! أنتِ والله ابنتي حقّاً ، الدارُ والمَزْرعةُ لك .

[نهب غنمه الناس وكان بخيلاً]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزّبير بن بَكّار قال حدّثني نَوْفل بن ميمون قال حدّثني مُرَقّع قال : كنتُ مع ابن هَرْمة في سَقيفة أمّ أُذَيْنة ، فجاءه راعٍ بقطعة[4] من غنم يشاوره فيما يبيع منها ، وكان قد أمره ببيع بعضها ؛ قال مُرَقّع : فقلت : يا أبا إسحاق ، أين عزَب عنك قولك ؟ [من المنسرح]

لا غنمي مُدّ في الحياة لها إلاّ لدَرْك القِرَى ولا إبلي

وقولُك فيها أيضاً : [من المنسرح]

لا أمتع العُوذَ بالفصال ولا أبتاع إلاّ قَرِيبةَ الأَجلِ

---

1 لإبراهيم بن هرمة ترجمة في الخزانة 1 : 424–426 والشعر والشعراء 639–640 والسمط : 398 وتهذيب ابن عساكر 2 : 234 وطبقات ابن المعتزّ : 20 والموشح : 223 .

2 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 7 : 199 .

3 السيالة : أوّل مرحلة للذاهب من المدينة إلى مكّة .

4 ل : بقطيعة .

فقال لي : مالك أخزاك الله ؟ مَن أَخذ منها شيئاً فهو له ؛ فانتهبناها حتى وقف الراعي وما معه منها شيء .

وحدّثنا بهذا الخبر أَحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمّد النَّوْفليّ عن أَبيه : أَنّ ابن هَرمة كان اشترى غنماً للربح ، فلقيه رجلٌ فقال له : أَلستَ القائل : [من المنسرح]

لا غنمي مُـــدّ في الحياة لها   إلاّ لدَرْك القِـرى ولا لإبلي

قال : نعم ؛ قال : فوالله إنّي لأَحسَبك تدفع عن هذه الغنم المكروهَ بنفسك ، وإنّك لكاذب ؛ فأَحفظه ذلك فصاح : مَن أَخذ منها شيئاً فهو له ؛ فانتهبها الناسُ جميعاً ؛ وكان ابنُ هَرْمة أَحدَ البخلاء .

[أَوّل شعر قاله ابن هرمة]

أَخبرني الحِرْمِيّ بن أَبي العَلاء قال حدّثني الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني نوفل بن ميمون قال حدّثني زُفَر بن محمّد الفِهْري : أَنّ هذه القصيدة أَوّلُ شعر قاله ابن هرمة .

[مزبد يسخر من كرمه]

أَخبرنا محمّد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال قرأت على أَبي : حدّثنا عبد الله بن الوَليد الأَزْدِيّ قال حدّثني جعفر بن محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين قال[1] : سمع مزبد قول ابن هَرْمة : [من المنسرح]

لا أُمْتِعُ العُوذَ بالفصال ولا   أَبتـاعُ إلاّ قريبـةَ الأَجَـلِ

قال : صدَق ابن الخبيثة ، إنّما كان يَشتري الشاة للأَضْحَى فيَذْبحها من ساعته .

[يقول ما لا يفعل]

أَخبرنا وَكِيع قال حدّثنا حَمّاد عن أَبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن محمّد بن زيد عن أَبيه قال : اجتمع قوم من قريش أَنا فيهم ، فأَحببْنا أَن نأتي ابنَ هَرْمة فنعبَثَ به ، فتزوّدنا زاداً كثيراً ثم أَتيناه لنقيم عنده ، فلمّا انتهينا إليه خرج إلينا فقال : ما جاء بكم ؟ فقلنا : سمعنا شعرك فدعانا إليك لمّا سمعناك قلت : [من الكامل]

إنّ امرأ جعـل الطريقَ لبيته   طُنُباً وأَنكــرَ حقّـه للَئيم

وسمعناك تقولُ : [من الكامل]

وإذا تنـــوَّر طارق مُسْتنبِحٌ   نَبحتْ فدلَّتــه عليَّ كلابي

---

1 انظر التذكرة الحمدونية 7 : 250 .

وعَوَيـنَ يَستعجِلْنه فلقِينـّـه   يَضربْنـه بشَراشِرِ الأَذنابِ[1]

وسمعناك تقول : [من المنسرح]

كَمْ ناقـةٍ قد وجـأْتُ مَنْحَرها   بمُستَهَلّ الشُؤْبُـوب أَو جَمَلِ

لا أُمتع العُوذَ بالفِصال ولا   أَبتـاعُ إلاّ قريبـةَ الأَجلِ

قال : فنظَر إلينا طويلاً ثم قال : ما على وجه الأَرض عصابةٌ أَضعفُ عقولاً ولا أَسخفُ دِيناً منكم ؛ فقلنا له : يا عدوَّ الله يا دعيّ ، أَتيناك زائرين وتُسمِعُنا هذا الكلام ؟ ؛ فقال : أَما سمعتم الله تعالى يقول للشعراء : ﴿وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ﴾ أَفيُخبرُكم الله أَنّي أَقول ما لا أَفعلُ وتريدون منّي أَن أَفعلَ ما أَقول ؟ قال فضحِكنا منه وأَخرجناه معنا ، فأَقام عندنا في نزهتنا يَشرَكُنا في زادنا حتى انصرفنا إلى المدينة .

[إعجاب الأَصمعيّ به]

أَخبرنا عمّي قال حدّثني محمّد بن سعيد الكُرانيّ عن عبد الرحمن بن أَخي الأَصمعيّ عن عمّه قال : الحَكَم الخُضْريّ ، وابن مَيّادة ، ورُؤْبة ، وابن هَرْمة ، وطُفَيل الكِنانيّ ، ومَكين العُذْرِيّ ، كانوا على ساقة[2] الشعراء ، وتقدّمهم ابن هَرْمة بقوله : [من المنسرح]

لا أُمتع العُوذَ بالفِصالِ ولا   أَبتـاع إلاّ قريبـة الأَجلِ

قال عبد الرحمن : وكان عمّي مُعْجَباً بهذا البيت مُستحسِناً له ، وكان كثيراً ما يقول : أَما تَرَوْن كيف قال ؟ والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكان كثيراً ؛ ثم يقول : ما يؤخّره عن الفحول إلاّ قُرْبُ عهده . انتهى .

[تفضيل مروان بن أَبي حفصة له]

أَخبرني محمّد بن مَزْيد والحسين بن يحيى ووَكيع عن حَمّاد عن أَبيه قال : قلت لمروان بن أَبي حَفْصة : مَنْ أَشعر المُحْدَثين من طبقتكم عندك ؟ لا أُعْنيك ؛ قال : الذي يقول : [من المنسرح]

لا أُمتع العوذَ بالفصال ولا   أَبتـاع إلاّ قريبـةَ الأَجلِ

[يصرّ على أَن يؤتى بغريمه مربوطاً]

أَخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أَبو أَيّوب المَدينيّ عن أَبي حُذافة قال : لمّا قال ابن هَرْمة : [من المنسرح]

1 شراشر الأذناب : أطرافها .

2 ساقة الشعراء : مؤخّرتهم .

لا أُمتع العوذَ بالفِصال ولا أَبتـاع إلاّ قريبـةَ الأَجلِ

قال ابن الكَوْسَج مولى آل حُنَين يجيبه : [من المنسرح]

ما يشربُ الباردَ القَراحَ ولا يذبـح مـن جَفْرةٍ ولا حَمَلِ

كأنّـه قـرْدةٌ يلاعبُهـا قـردٌ بأعلى الهِضاب من مَلَلِ

قال : فقال ابن هَرْمة : لئن لم أُوتَ به مربوطاً لأَفعلنّ بآل حُنَين ولأَفعلنّ ؛ فوهبوا لابن الكَوْسج مائة درهم وربطوه وأَتَوْا به ابن هَرْمة فأَطلقه ؛ فقال ابن الكوسج : والله لئن عاد لمثلها لأَعودنّ[1] .

[إبراهيم يعلّم مخارقاً لحناً يتفوّق به على ابن جامع]

أَخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني هارون بن مُخارِق عن أَبيه قال : كنّا عند الرشيد في بعض أَيّامنا ومعْنا ابن جامع ، فغنّاه ابن جامع ونحن يومئذٍ بالرّقّة : [من الخفيف]

هاج شوقاً فِراقُـك الأَحبابـا فتناسيـتَ أَو نَسيـتَ الرَّبابا

حين صاح الغرابُ بالبَيْن منهم فتصامَمْتَ إذ سمعـتَ الغُرابا

لـو علمنا أَنّ الفِـراق وَشيكٌ مـا انتهينا حتى نزورَ القِبابا

أَو علمنا حين استقلّتْ نَواهم مـا أَقمنا حتّى نَـزُمّ الرِّكابا

الغناء لابن جامع رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أَيضاً ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى عن عمرو . وذكرتْ دَنانِيرُ عن فُلَيح أَنّ فيه لابن سريج وابن مُحْرِز لَحنَين . قال : فاستحسنه الرشيد وأُعجب به واستعاده مراراً وشرِب عليه أَرطالاً حتى سكر ، وما سَمع غيرَه ولا أَقبل على أَحد ، وأَمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار ؛ فلمّا انصرفنا قال لي إبراهيم : لا تَرِمْ[2] منزلَك حتى أُصير إليك ؛ فصرت إلى منزلي ، فلم أُغيِّر ثيابي حتى أَعلمني الغلام بموافاته ، فتلقّيتُه في دِهْليزي ، فدخل وجلس وأَجلسني بين يديه ثم قال لي : يا مُخارِق ، أَنت فَسِيلةٌ[3] منّي وحَسَني لك وقبيحي عليك ، ومتى تركنا ابنَ جامع على ما ترى غَلَبَنا على الرّشيد ، وقد صنعتُ صوتاً على طريقة صوته الذي غنّاه أَحسنَ صنعةً منه وأَجود وأَشجى ، وإنّما يَغلبني عند هذا الرجل بصوته ، ولا مَطْعَنَ على صوتك ، وإذا أَطربتَه وغلبته

---

1 إلى هنا انتهى أَبو الفرج من أَخبار ابن هرمة وعاد إلى إبراهيم الموصليّ .

2 لا ترم مكانك : لا تبرحه .

3 فسيلة : شتلة .

عليه بما تأخذه منّي قام ذلك لي مقام الظَّفَر ؛ وسيُصبح أمير المؤمنين غداً فيدخل الحمام ونحضُر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر ابنَ جامع فيردّ الصوتَ الذي غنّاه ويشرب عليه رِطلاً ويأمر له بجائزة ، فإذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يردّ رَدّته حتى تُغَنّي ما أُعلّمك إيّاه الساعةَ ، فإنّه يُقبل عليك ويَصلك ، ولستُ أُبالي ألاّ يصلني بعد أن يكون إقبالُه عليك ؛ فقلت : السمع والطاعة ؛ فألقى عليّ لحنَه : [من المنسرح]

يا دارَ سُعْدَى بالجِزْع من مَلَـل حييتِ مـن دمنـةٍ ومـن طللِ

وردّده حتى أخذتُه وانصرف ؛ ثم بكّر عليّ فاستعاد الصوت فرَدَّدْتُه حتى رَضِيَه ، ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صِرْنا إلى دار الرشيد ؛ فلمّا دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئاً فشيئاً ، وكان إبراهيم أعلمَ الناس به ، ثم أمر ابنَ جامع فردّ الصوت ودعا برِطل فشربه ، ولمّا استوفاه واستوفى ابن جامع صوتَه لم أَدَعْه يتنفّس حتى اندفعتُ فغنّيت صوتَ إبراهيم ، فلم يَزَلْ يُصغي إليه وهو باهتٌ حتى استوفيتُه ؛ فشرب وقال : أحسنتَ والله ، لمَن هذا الصوت ؟ فقلت : لإبراهيم ؛ فلم يزل يستدنيني حتى صِرتُ قُدّامَ سريره ، وجعل يستعيد الصوت فأُعيده ويشرب عليه رِطلاً ، فأمر لإبراهيم بجائزة سنيّة وأمر لي بمثلها ؛ وجعل ابنُ جامع يَشْغَب ويقول : يجيء بالغناء فيَدُسّه في أسْتاه الصّبيان ، إن كان محسناً فليُغنّه هو ، والرشيد يقول له : دع ذا عنك ، فقد والله استقاد منك وزاد عليك .

صوت

من المائة المختارة

[من المتقارب]

تَوَلّـى شبابُـكَ إلاّ قليـلا وحـلَّ المَشِيبُ فصبراً جميلا
كفى حَزَنـاً بفِـراقِ الصِّبـا وإنْ أصبح الشَّيبُ منه بَدِيلا

الشعر والغناء لإسحاق . ولحنه المختار ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق بن عمرو .

[71] ـ أَخبار إسحاقَ بنِ إبراهيم[1]

[نسبه]

قد مضى نسبه مَشروحاً في نسب أَبيه ؛ ويُكْنى أَبا محمّد ، وكان الرشيد يُولَع به فَيكْنِيه أَبا صَفْوان ، وهذه كُنية أَوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب مَزْحاً .

[منزلته في العلوم وتقدير الخلفاء له]

وموضعُه من العِلم ، ومكانُه من الأَدب ، ومَحَلّه من الرواية ، وتقدُّمه في الشعر ، ومنزلته في سائر المحاسن ، أَشهرُ من أن يُدَلّ عليه فيها بوصف ؛ وأَمّا الغناء فكان أَصغرَ علومه وأَدنى ما يُوسم به وإن كان الغالبَ عليه وعلى ما كان يُحسنه ؛ فإنّه كان له في سائر أَدَواته نُظَراءُ وأَكْفاء ولم يكن له في هذا نظير ؛ فإنّه لَحِق بمَن مضى فيه وسبَق مَن بقي ، ولَحَبَ[2] للناس جميعاً طريقَه فأَوضحها ، وسهّل عليهم سبيلَه وأَنارها ؛ فهو إمامُ أَهل صناعته جميعاً ، ورأسهم ومعلّمهم ؛ يَعْرِف ذلك منه الخاصُّ والعامّ ، ويشهدُ به الموافق والمفارق ؛ على أَنّه كان أَكرهَ الناس للغناء وأَشدَّهم بغضاً لأَن يُدعى إليه أَو يُسمَّى به . وكان يقول : لوَدِدْتُ أَن أُضربَ كلّما أَراد مريدٌ منّي أَن أُغنّيَ وكلّما قال قائل إسحاق الموصليّ المغنّي ، عشرَ مَقارع ، لا أُطِيق أَكثرَ من ذلك ، وأُعفى من الغناء ولا ينسُبني مَن يذكرني إليه . وكان المأمون يقول : لولا ما سبَق على أَلسنة الناس وشُهِر به عندهم من الغناء لولّيتُه القضاءَ بحضرتي ، فإنّه أَولى به وأَعفُّ وأَصدق وأَكثر دِيناً وأَمانةً من هؤلاء القضاة .

[شيوخه]

وقد روى الحديثَ ولقي أَهلَه : مثل مالِك بن أُنس ، وسفيان بن عُيَيْنة ، وهُشَيم بن بَشِير ، وإبراهيم بن سَعْد ، وأَبي معاوية الضَرير ، ورَوْح بن عُبادة ، وغيرِهم من شيوخ العراق والحجاز . وكان مع كراهته الغناءَ أَضنَّ خلق الله وأَشدَّهم بُخلاً به على كلّ أَحد حتى على جواريه وغِلْمانه ومَن يأخذ عنه مُنتسباً إليه مُتَعَصّباً له فضلاً عن غيرهم .

---

1 ترجمة إسحاق الموصلي في معجم الأدباء (تحقيق إحسان عباس) : 594-616 ووفيات الأعيان 1 : 202-205 وتاريخ بغداد 6 : 338 وتهذيب ابن عساكر 2 : 414 ونزهة الألباء : 116 ونور القبس : 316 وطبقات ابن المعتز : 260 وفي التذكرة الحمدونية طائفة من أخباره نقلاً عن الأغاني .

2 لحب الطريق : سلكها وأوضحها .

[صحّح أجناس الغناء بطبعه]

وهو الذي صحّح أُجناسَ الغناء وطرائقَه وميَّزه تمييزاً لم يقدِر عليه أحد قبله ولا تعلّق به أحد بعده ، ولم يكن قديماً مميّزاً على هذا الجنس ، إنّما كان يقال الثقيل ، وثقيل الثقيل ، والخفيف ، وخفيف الخفيف . وهذا عمرو بن بانة ، وهو من تلاميذه ، يقول في كتابه : الرمل الأوّل ، والرمل الثاني ؛ ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر ، ولا يعرف المجاريَ التي ذكرها إسحاق في كتابه ، مثلَ ما ميّز الأجناس ، فجعل الثقيل الأوّل أصنافاً ، فبدأ فيه بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها ، ثم بما كان بالسبابة في مجرى البنصر ، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة ؛ ثم جعل الثقيلَ الأوّل صنفين ، الصنف الأوّل منهما هذا الذي ذكرناه ، والصنف الثاني القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل ، وأجراه المجرى الذي تقدّم من تمييز الأصابع والمجاري ، وألحق جميعَ الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب . ثمّ لم يتعلّق بفهم ذلك أحدٌ بعده فضلاً عن أن يُصنّفه في كتابه ؛ فقد ألّف جماعةٌ من المغنّين كُتباً ، منهم يحيى المكّي ، وكان شيخَ الجماعة وأُستاذهم ، وكلُّهم كان يفتقر إليه ويأخذ عنه غناء الحجاز ، وله صنعةٌ كثيرة حسنة متقدّمة ، وقد كان إبراهيم الموصليّ وابن جامع يضطرّان إلى الأخذ عنه ، ألّف كتاباً جمع فيه الغناء القديم ، وألحق فيه ابنهُ الغناءَ المُحدَث إلى آخر أيّامه ، فأتَيا فيه في أمر الأصابع بتخليط عظيم ، حتى جعلا أكثر ما جنّساه من ذلك مختلطاً فاسداً ، وجعلا بعضه ، فيما زعما ، تشترك الأصابع كلّها فيه ؛ وهذا محال ؛ ولو اشتركت الأصابع لَما احتيج إلى تمييز الأغاني وتصييرها مقسومةً على صِنفين : الوسطى والبنصر . والكلام في هذا طويل ليس موضعه هاهنا ؛ وقد ذكرته [في رسالة عمِلتُها لبعض إخواني][1] ممّن سألني شرحَ هذا ، فأثبتّه واستقصيتُه استقصاءً يُستغنى به عن غيره . وهذا كلّه فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه ، حتى أتى على كلّ ما رسمتْه الأوائلُ مثل إقْلِيدس ومَنْ قبلَه ومَنْ بعده من أهلِ العلم بالموسِيقى ، ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنَوْا فيه الدهورَ ، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه .

[بين إسحاق الموصليّ وإسحاق المصعبيّ]

فأخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال : كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فسأل إسحاقَ الموصليّ ، أو سأله محمد بن الحسن بن مُصعب بحضرتي ، فقال له : يا أبا محمّد ، أرأيتَ لو أنّ الناس جعلوا للعود وتراً خامساً للنّغمة الحادّة التي هي العاشرة على مذهبك ، أين كنت تخرج منه ؟ فبقي إسحاق واجماً ساعةً طويلةً مفكّراً ،

1 هذه العبارة سقطت من ل .

واحمرّت أذُناه وكانتا عظيمتين ، وكان إذا ورد عليه مثل هذا احمرّتا وكثُر وَلُوعه بهما ؛ فقال لمحمّد بن الحسن : الجواب في هذا لا يكون كلاماً إنّما يكون بالضرب ، فإن كنتَ تضرب أُريتُك أين تخرج ! ؛ فخجِل وسكت عنه مُغْضَباً ، لأنّه كان أميراً وقابله من الجواب بما لا يَحْسُن ، فحلُم عنه . قال عليّ بن يحيى : فصار إليّ به وقال لي : يا أبا الحسن ، إنّ هذا الرجل سألني عمّا سمعتَ ، ولم يبلُغ علمُه أن يستنبط مثلَه بقريحته ، وإنّما هو شيء قرأه من كتب الأوائل ، وقد بلغني أنّ التراجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى ، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطِنيه ؛ فوعدته بذلك ، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها . وإنّما ذكرتُ هذا بتمام أخباره كلّها ومحاسنه وفضائله ، لأنّه من أعجب شيء يُؤْثَر عنه : أنّه استخرج بطبعه عِلماً رسمْته الأوائل لا يُوصَل إلى معرفته إلاّ بعد علم كتاب إقليدس الأوّل في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى ، ثم تعلّم ذلك وتوصّل إليه واستنبطه بقريحته ، فوافق ما رسمه أولئك ، ولم يَشِذّ عنه شيء يحتاج إليه منه ، وهو لم يقرأه ولا له مدخلٌ إليه ولا عَرفه ، ثم تبيَّنْ بعد هذا ، بما أذكره من أخباره ومعجزاته في صناعته ، فضلَه على أهلها كلّهم وتميُّزه عنهم ، وكونَه سماءً هم أرضُها ، وبحراً هم جَداوله .

[اسم أمّه وجنسها]

وأمّ إسحاق امرأة من أهلِ الرَّيّ يقال لها شاهك ؛ وذكر قوم أنّها دُوشار التي كانت تُغنّي بالدُّفّ ، فهَوِيَها إبراهيم وتزوّجها . وهذا خطأ ، تلك لم تلِد من إبراهيم إلاّ بنتاً ، وإسحاقُ وسائرُ ولد إبراهيم من شاهكَ هذه .

[برنامج دراسته اليوميّ]

أخبرني يحيى بن عليّ المنجّم قال أخبرني أبي عن إسحاق قال : بقيتُ دهراً من دهري أُغلّس في كلّ يوم إلى هُشَيم فأسمع منه ، ثم أصير إلى الكِسائيّ أو الفرّاء أو ابن غَزالة فأقرأ عليه جزءاً من القرآن ، ثم آتي منصوراً زلزلاً فيضاربني طَرْقين[1] أو ثلاثة ، ثم آتي عاتكةَ بنت شُهْدَة فآخذ منها صوتاً أو صوتين ، ثم آتي الأصمعيّ وأبا عُبَيدة فأناشدهما وأحدّثهما فأستفيد منهما ، ثم أصير إلى أبي فأعلمه ما صنعتُ ومَنْ لقيت وما أخذتُ وأتغدّى معه ، فإذا كان العشاء رُحت إلى أمير المؤمنين الرشيدِ .

[تعلّم الضرب بالعود من زلزل]

أخبرنا محمّد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أَخَذ منّي منصورُ زلزل إلى أن تعلّمتُ مثلَ ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم .

---

1 طرق : نغم .

[جاء إلى ابن عائشة فأكرمه]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمة قال : كنت عند ابن عائشة فجاءه أبو محمّد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فرحَّب به وقال : هاهنا يا أبا محمّد إلى جَنْبي ، فلئن بعُدَتْ بيننا الأنساب ، لقد قرّبتْ بيننا الآداب .

[تقدير المأمون له]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا يَزيد بن محمّد المهلَّبيّ قال حدّثنا ابن شَبيب من جلساء المأمون عنه : أنّه قال يوماً وإسحاق غائبٌ عن مجلسه : لولا ما سَبَق على ألسِنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لَوَلَّيتُه القضاء ، فما أعرف مثلَه ثقةً وصدقاً وعفّةً وفقهاً . هذا مع تحصيل المأمون وعقلِه ومعرفتِه .

[شهادة سفيان بن عيينة فيه]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدّثنا الفَضْل بن العبّاس الورّاق قال حدّثنا المُخرِّميّ عن أبيه قال : سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول : صِرتُ إلى سُفيان بن عُيَينة لأسمعَ منه ، فتعذَّر ذلك عليّ وصعُب مَرامُه ، فرأيته عند الفضل بن الرَّبيع ، فسألتُه أن يعرّفه موضعي من عنايته ومكاني من الأدب والطلب وأن يتقدّم إليه بحديثي ؛ ففعل وأوصاه بي فقال : إنّ أبا محمّد من أهل العلم وحَمَلتِه . قال : فقلت : تَفرِضُ لي عليه ما يحدّثني به ؛ فسأله في ذلك ، ففرَض لي خمسةَ عشرَ حديثاً في كلّ مجلس ؛ فصِرت إليه فحدّثني بما فرض لي ؛ فقلت له : أعزّك الله ، صحيح كما حدّثتني به ؟ قال : نعم ، وعقَد بيده شيئاً ؛ قلت : أفأَرْويه عنك ؟ قال نعم وعقد بيده شيئاً آخر ، ثم قال : هذه خمسة وأربعون حديثاً ، وضحك إليّ وقال : قد سَرّني ما رأيتُ من تَقَصّيك في الحديث وتشدُّدك فيه على نفسك ، فصرْ إليّ متى شئتَ حتى أُحدّثك بما شئتَ .

[تقدير أبي معاوية الضرير له]

أخبرني محمّد بن يحيى الصُّولي قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الجُمان وعَوْن بن محمّد الكنْديّ قالا : سمعنا إسحاق الموصليّ يقول : جئتُ يوماً إلى أبي معاوية الضَّرير ومعي مائة حديث ، فوجدتُ حاجبَه يومئذٍ رجلاً ضريراً ؛ فقال لي : إنّ أبا معاوية قد ولاّني اليوم حِجْبَته لينفعني ؛ فقلت : معي مائةُ حديث وقد جعَلتُ لك مائة درهم إذا قرأتُها ؛ فدخل واستأذن لي فدخلت ؛ فلمّا عرَفني أبو معاوية دعاه فقال له : أخطأتَ ، وإنّما جعلتُ لك مثلَ هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأمّا أبو محمد وأمثاله فلا ؛ ثم أقبل عليّ يُرَغّبني في الإحسان إليه ويذكر ضعفَه وعنايتَه به ؛ فقلتُ له : احتكِمْ في أمره ، فقال : مائة دينار ؛ فأمرتُ بإحضارها الغلامَ ، وقرأتُ عليه ما أردت وانصرفت .

[ثناء ابن الأعرابيّ عليه]

أخبرني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني عليّ بن محمّد الأَسَديّ قال حدّثني أحمد بن يحيى الشَّيْبانيّ ثَعْلَب قال : وقف أبو عبد الله بن الأعرابيّ على المَدائنيّ ، فقال له : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ فقال : أمضي إلى رجل هو كما قال الشاعر : [من المنسرح]

نَحمِلُ أَشباحَنا إلى مَلِكٍ نأخذُ من ماله ومن أدبهْ

فقال له : ومَنْ ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : أبو محمّد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ . قال أبو بكر : والبيت لأبي تَمّام الطائيّ .

وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثَعْلَب محمد بن القاسم الأنباريّ فقال فيه : كان إسحاقُ يُجْرِي على ابن الأعرابيّ في كلّ سنة ثلثمائة دينار ، وأهْدى له ابن الأعرابيّ شيئاً من كتاب النوادر كتبه له بخطّه ؛ فمرَّ ابنُ الأعرابيّ يوماً على باب دار الموصليّ ومعه صديق له ؛ فقال له صديقه : هذه دار صديقك أبي محمّد إسحاق ؛ فقال : هذه دارُ الذي نأخذ من ماله ومن أدبه .

[جرير يورثه الشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المُهلَّبيّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : رأيتُ في منامي كأنّ جريراً جالس يُنشد شعرَه وأنا أسمع منه ، فلمّا فرَغ أخذ بيده كُبّة شَعر فألقاها في فمي فابتلعتها ؛ فأوّلَ ذلك بعضُ من ذكرتُه له أنّه ورّثني الشعرَ . قال يزيد ابن محمّد : وكذلك كان ، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه .

[تعلّم الضرب بالعود من زلزل]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى ومحمّد بن مَزْيد قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال : قال لي أبي : أعطيتُ منصوراً زَلْزلاً من مالي خاصّة حتّى تعلّمتُ ضربَه بالعود نحواً من مائة ألف درهم سوى ما أخذتُه له من الخلفاء ومن أبي . قال : وكانت في زلزل قبل أن يعرف الصوتَ ويَفهَمَه بلادةٌ أوّلَ ما يسمعه ، حتى لو ضَرَب هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبلُ لكان غلامه أقوى منه ؛ فإذا تفَهّمه جاء فيه من الضرْب بما لا يتعلّق به أحد ألبتّةَ .

[ثناء أبي زياد الكلابي عليه]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق ، وأخبرني به الأخْفَش عن الفضل عن إسحاق ، وأخبرني به يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلَّبيّ عن إسحاق قال : قال لي أبو زياد الكِلابيّ : أوْلَم جارٌ لي يُكنى أبا سُفيان وليمةً ودعاني لها ، فانتظرتُ رسوله حتى تصرَّم يومي فلم يأت ، فقلت لامرأتي : [من الطويل]

إنّ أَبـا سفيـان ليس بمُولِمٍ فقُومي فهاتي فِلْقةً من حُوارِكِ[1]

قال إسحاق : فقلت له : أليس غيرُ هذا ؟ فقال : لا ، إنّما أرسلتُه يتيماً ؛ فقلت أفلا أُجيزه ؟ قال : شأنَك ؛ فقلت له : [من الطويل]

فبيتُكِ خيرٌ من بُيوتٍ كثيرةٍ وقِدْرُكِ خيرٌ من وَليمة جارِكِ

قال : فضحك ثم قال : أحسنتَ بأبي أنت وأُمّي ، جئتَ والله به قَبَلاً[2] ما انتظرتَ به القَرَبَ ، وما أَلُوم الخليفةَ أن يجعلك في سُمّاره ويتملّحَ بك ، وإنّك لمن طِراز ما رأيتُ بالعراق مثلَه ، ولو كان الشباب يُشترى لابتعتُه لكَ بإحدى عينيّ ويُمْنى يديّ ، وعلى أن فيكَ بحمد الله ومَنّه بقيّةً تسرّ الوَدود ، وتُرْغِم الحسود . هذا لفظ يزيد المُهلّبيّ والأخفش . وأخبرني بهذا الخبر محمّد[3] بن عبد الله بن عَمّار فقال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال قال لي إمّا شَدّاد بن عُقْبة وإمّا أبو مُجيب : قالت امرأةُ القتّال الكلابيّ له : هل لكَ في فِلْقة من حُوار نطبُخها لك ؟ فقال : لا والله ، نحن على وليمة أبي سُفْيان ودَعْوته ، وكان أبو سفيان رجلاً من الحيّ زُفّت إليه امرأتُه تلك الليلةَ ؛ فجعل يَنظر دُخاناً فلا يراه ، فقال : [من الطويل]

إنّ أَبـا سفيـان ليس بمُولِمٍ فقُومي فهاتي فِلقةً من حُوارِكِ

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدّم من الذي قبله .

[ثناء أعرابيّ على شعره]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق قال : أنشدتُ أعرابيّاً فَهِماً شِعراً لي ، فقال : أَقْفَرْتَ والله يا أبا محمّد ؛ قلتُ : وما أقفرت ؟ قال : رعيتَ قَفْرة لم تُرْعَ قبلك . (يريد : أَبْدَعْتَ) .

[يتبيّن خطأً في الغناء لم يفطن إليه أحد حضر]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش وعمّي قالا حدّثنا محمد ين يزيد المبرّد قال حدّثني بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول : دخلتُ على المأمون يوماً وعَقِيدٌ يغنّيه ارتجالاً وغيرُه يضرب عليه ؛ فقال : يا إسحاق ، كيف تَسمع مغنّينا هذا ؟ فقلتُ : هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيري ؟ قال : نعم ، سألتَ عمّي إبراهيمَ فوصفه وقرّظه واستحسنه ؛ فقلتُ له : يا أمير المؤمنين ، أدام الله سرورك ، وأطاب عيشك ، إنّ الناس قد أكثروا

---

1 الحوار : ولد الناقة حتى يفصل . وسيورد أبو الفرج هذا الخبر بنصّه في ترجمة القتال الكلابي ولكن دون إشارة إلى أبي زياد الكلابي .

2 القَبل : الارتجال دون استعداد للقول .

3 ل : أحمد .

في أمري حتى نَسَبَتْني فرقة إلى التَّزيُّد في علمي ؛ فقال لي : فلا يمنعك ذلك من قول الحقّ إذا لَزِمك ؛ فقلت لعَقيد : أُردُد هذا الصوتَ الذي غنّيتَه آنفاً ، وتحفَّظ فيه وضرَب ضاربُه عليه ؛ فقلت لإبراهيم بن المهديّ : كيف رأيته ؟ فقال : ما رأيتُ شيئاً يُكره ولا سمعتُه ؛ فأقبلتُ على عَقيد فقلت له حين استوفاه : في أيّ طريقةٍ هذا الصوتُ الذي غنّيتَه ؟ قال : في الرَّمَل ؛ فقلت للضارب : في أيّ طريقةٍ ضربتَ أنت ؟ قال : في الهَزَج الثقيل ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما عسَيتُ أن أقول في صوت يغنّي مغنّيه رَمَلاً ويضرب ضاربُه هَزَجاً ، وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي ضرب عليه ! . قال : وتفهّمه إبراهيمُ بن المهديّ بعدي ، فقال : صدَق يا أمير المؤمنين ، الأَمرُ فيه الآن بَيِّن ؛ فغاظني ، فقلت له : بأيِّ شيء بانَ الآن ما لم يكن بَيِّناً قبلُ ؟ أَتُوهِم أنّك استنبطتَ معرفة هذا ؟ وإنّما قلته لمّا علمتَه من جهتي كما يقوله الغلمان العُجم وسائر مَن حضر اتّباعاً لي واقتداءً بقولي . فقال له المأمون : صدَق ؛ فأَمسك ؛ وجعل يتعجّب من ذهاب ذلك على كلّ مَن حضر ، وكنّاني في ذلك اليوم مرّتين .

[إعجاب الأصمعيّ ببيتين له في الفخر]

أَخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني أبو عبد الله أحمد بن حَمْدون قال حدّثني أبي : أنّ الأَصمعيّ أَنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخُزَيْمةَ بنِ خازم : [من الطويل]

إذا كانتِ الأَحرارُ أَصلي ومَنْصِبي ودافَعَ ضَيْمي خـازِمٌ وابنُ خازمِ
عَطَستُ بأَنــفٍ شامخٍ وتناولتْ يـدايَ الثريّـا قاعـداً غيرَ قائمِ

قال : فجعل الأَصمعيّ يَعْجَب منهما ويستحسنهما ، وكان بعد ذلك يذكرهما ويُفضِّلهما ويستجيدهما .

[سبب ولائه لخزيمة بن خازم]

قال ابن حَمْدون : وكان السبب في تولّي إسحاقَ خُزَيمة بن خازم ، أنّ مناظرةً جرت بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا ، فقال له ابن جامع : يا مَن إذا قلتُ له يا ابنَ زانية لم أخَفْ أن يكذّبني أحد ؛ فمضى إلى خزيمة بنِ خازم ، فتولاّه وانتمى إليه ، فقبِل ذلك منه ، وقال هذين البيتين .

[يميّز صنعة النساء بالسماع]

أَخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أَبي قال : قال إسحاق : كانت عندي صَنّاجة كنت بها مُعجَباً ؛ واشتهاها أَبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون ؛ فبينا أَنا ذاتَ يوم في منزلي إذا ببابي يُدَقّ دقّاً شديداً ، فقلت : انظروا مَن هذا ؛ قالوا : رسول أمير المؤمنين ؛ فقلت : ذهبتْ صَنّاجتي ، تجده ذَكَرها له ذاكر فبعث إليّ فيها ؛ فلمّا مَضى بي الرسول انتهيتُ

إلى الباب وأنا مُثْخَن[1] ، فدخلتُ فسلّمت ، فردَّ السلام ، ونظر إلى تغيّر وجهي فقال : اسكُن فسكنتُ ؛ وسألني عن صوت وقال : أتدري لِمَن هو ؟ فقلت : أَسْمَعُه ثم أُخْبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك ؛ فأمر جاريةً من وراء الستارة فغنّتْه وضربتْ ، فإذا هي قد شبّهتْه بالقديم ؛ فقلت : زِدْني معها عُوداً آخر فإنّه أثبت لي ، فزادني عوداً آخر ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت مُحْدَث لامرأة ضاربة ؛ فقال : من أين قلتَ ذلك ؟ فقلت : لّما سمعته وسمعتُ لِينَه عرفتُ أنّه من صَنْعة النساء ؛ ولّما رأيت جودة مَقاطعه علمتُ أنّ صاحبته ضاربة ؛ فقال : من أين قلت ذلك ؟ فقلت : لأنّها قد حَفِظتْ مقاطعه وأجزاءه ، ثم طلبتُ عوداً آخر ليكونَ أثبتَ لي فلم أشكُكْ ؛ فقال : صدقتَ ، الغناء لعَرِيب .

[يميّز اللحن الرومي في الشعر العربي]

نسختُ من كتاب ابن أبي سعيد : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الطّاهِريّ[2] قال : حدّثتني مُخارِقُ مولاتُنا قالت[3] : كان لمولاي الذي علّمني الغناءَ فرّاش رُوميّ ، وكان يغنّي بالروميّة صوتاً مليحَ اللحن ؛ فقال لي مولاي : يا مُخارق ، خُذي هذا اللحنَ الروميّ فانقُليه إلى شعر من أصواتك العربيّة حتى أمتحنَ به إسحاق الموصليّ فأعلمَ أين يقع من معرفته ، ففعلتُ ذلك ؛ وصار إليه إسحاق فاحتبسه مولاي ، فأقام وبعث إليّ أن أدخِلي اللحنَ الروميّ في وسط غنائكِ ؛ فغنّيته إيّاه في دَرْج أصوات مرّتْ قبله ، فأصغى إليه إسحاق ، وجعل يتفهّمه ويُقَسّمه ويتفقّد أوزانَه ومقاطعَه ويُوقع عليه بيده ، ثم أقبل على مولاي فقال : هذا صوت روميّ اللحن ، فمن أين وقع إليك ؟ فكان مولاي بعد ذلك يقول : ما رأيتُ شيئاً أحسن من استخراجِه لحناً روميّاً لا يعرفه ولا العلّةَ فيه ، وقد نُقل إلى غناء عربيّ وامتزجتْ نَغَمُه حتى عرَفه ولم يَخْفَ عليه .

[فضّل زلزلاً على ملاحظ فتحدّاه]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمّد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن عمرو عن محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني عَلّويه الأعسر ، ووجدتُ هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمّد بن نصر الشاميّ عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل قال[4] : تناظر المغنّون يوماً عند الواثق ، فذكروا الضُّرّاب وحِذقَهم ، فقدّم إسحاقُ زَلْزَلاً على مُلاحِظ ، وللملاحِظ في ذلك الرياسة على

---

1 مثخن : مهموم محزون .

2 هو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب حاكم بغداد أيّام المأمون والمعتصم والواثق ، وهو من قرابة طاهر بن الحسين فنُسب إليه .

3 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 22 (رقم 42أ) .

4 قارن بالتذكرة الحمدونية 9 : 22–24 (رقم 47) .

جميعهم ؛ فقال له الواثق : هذا حَيْف وتَعَدٍّ منك ؛ فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين ، اجمع بينهما وامتحنْهما ، فإنّ الأمر سينكشف لكَ فيهما ؛ فأمَر بهما فأُحضِرا ؛ فقال له إسحاق : إنّ للضُّرّاب أصواتاً معروفة ، أفأمتحنهما بشيء منها ؟ قال : أجلْ ، افعلْ ؛ فسمَّى ثلاثة أصوات كان أوّلها : [من السريع]

عُلِّق قلبي ظبيةَ السَّيب[1]

فضربا عليه ، فتقدّم زَلْزَل وقصّر عنه ملاحظ ؛ فعجب الواثق من كَشْفه عمّا ادّعاه في مجلس واحد . فقال له ملاحظ : فما بالُه يا أمير المؤمنين يُحيلك على الناس ؟ ولِم لا يضرب هو ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه لم يكن أحد في زماني أضربَ منّي إلاّ أنّكم أعفيتموني ، فَتفلَّتَ منّي ؛ وعلى أن معي بقيّةً لا يتعلّق بها أحد من هذه الطبقة ؛ ثم قال : يا مُلاحِظ ، شَوّشْ عودَك وهاته ، ففعل ذلك ملاحظ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا يخلّط الأوتار تخليط متعنّت فهو لا يألو ما أفسدها ، ثم أخذ العودَ فجسّه ساعةً حتى عرف مواقعه ، ثم قال : يا مُلاحِظ ، غنِّ أيّ صوت شئتَ ، فغنّى مُلاحظ صوتاً ، وضرب عليه إسحاقُ بذلك العود الفاسد التسوية فلم يُخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نَقْرة واحدة ، ويَدُه تصعَد وتنحدر على الدَّساتين ؛ فقال له واثق : لا والله ما رأيتُ مثلك ولا سمعت به ؛ إطرحْ هذا على الجواري ؛ فقال : هيهاتَ يا أمير المؤمنين ، هذا شيء لا تعرفه الجواري ولا يصلحُ لهنّ ، إنّما بلغني أنّ الفهليذ ضرب يوماً بين يديْ كِسرى أبرويز فأحسن ، فحسده رجل من حُذّاق أهل صنعته ، فترقّبه حتّى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه إلى عوده فشوّش بعضَ أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدري ، والملوك لا تُصْلَح في مجالسها العيدانُ ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصّة ، فامتحن العودَ فعرف ما فيه ، ثم قال : «زِهْ وزِهْ وزهَانْ زِهْ» ، ووصَله بالصِّلة التي كان يصِل بها مَن خاطبه هذه المخاطبة ؛ فلمّا تواطأت الروايةُ بهذا أخذتُ نفسي ورُضْتُها عليه وقلت : لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا منّي ، فما زلتُ أستنبطه بضعَ عشرةَ سنةً حتى لم يبقَ في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلاّ وأنا أعرف نغمته كيف هي ، والمواضع التي يخرج النغم كلّها منه فيها ، من أعاليها إلى أسافلها ، وكلَّ شيء منها يجانس شيئاً غيرَه ، كما أعرف ذلك في مواضع الدَّساتين ؛ وهذا شيء لا تَفي به الجواري . قال له الواثق : صدقتَ ، ولئن متَّ لتموتنّ هذه الصناعة معك ؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم .

---

1 قلبي في ل : القلب . السيب : كورة من سواد الكوفة .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من السريع]

عُلِّقَ قلبي ظبيةَ السَّيِّبِ ... جهلاً فقد أُغْرِي بتعذيبي
نَمَّتْ عليها حين مرَّتْ بنا ... مَجاسِدٌ يَنْفَحْنَ بالطِّيبِ[1]
تَصُدُّها عنّا عَجُوزٌ لها ... مُنْكَرةٌ ذاتُ أَعاجيبِ[2]
فكلَّما هَمْتُ بإتيانها ... قالت : تَوَقَّيْ عَدْوةَ الذِّيبِ[3]

الشعر والغناء لإبراهيم ، هَزَجٌ ثقيلٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر .

[كان بخيلاً بالغناء]

حدّثني عليّ بن هارون قال حدّثني محمّد بن موسى اليَزيديّ قال حدّثتني دِمْن جاريةُ إسحاقَ الموصليّ ، وكانت من كبار جواريه وأَحْظى مَنْ عنده ، ولقيتُها فقلت لها : أيَّ شيء أخذتِ عن مولاكِ من الغناء ؟ فقالت : لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدةٌ من جواريه صوتاً قطُّ ؛ كان أَبخلَ بذلك ، وما أَخذتُ منه قطُّ إلاّ صوتاً واحداً ، وذلك أنّه انصرف من دار الخليفة وهو مُثْخَنٌ سكراً ، فدخل إلى بيتٍ كان ينام فيه ، فرأى عوداً معلَّقاً فأَخذه بيده ، وقال لخادمه : يا غلام ، صِحْ لي بدِمْن ؛ فجاءني الغلام فخرجتُ ، فلمّا بلغتُ البابَ إذا هو مُسْتَلْقٍ على فراشه والعودُ في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردّده ، وقد اسْحَنْفَرَ[4] في نَغَمِه وتنوق فيها حتى استقام له ، وهو : [من الهزج]

صوت

أَلا ليلُكِ لا يَذهَبْ ... ونِيطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ
وهذا الصّبحُ لا يأتي ... ولا يدنو ولا يَقرُبْ

فلمّا سمعتُه علمتُ أنّي إن دخلتُ إليه أَمْسَكَ ، فوقفتُ أَستمعه حتى فرغ منه وأَخذته عنه ؛ فلمّا فرغ منه وضع العودَ من يده ، وذكر أنّه قد طلبني فقال : يا غلام ، أين دِمْن ؟ فقلت : هأنذي ؛ فقال : مذ كم أنتِ واقفة ؟ فقلت : منذ ابتدأتَ بالصوت وقد أَخذته ؛ فنظر إليّ نَظَرَ مُغْضَب أَسِفٍ ، ثم قال : غَنِّيه ، فغنّيته حتى استوفيتُه ؛ فقال لي وقد فَتَر وخجِل : قد

1 مجاسد : قمصان .
2 منكرة : مبغضة مكروهة .
3 همت : هممت حذفت الميم للضرورة . وقد أجاز بعضهم ذلك . عدوة في ل : عذرة .
4 اسحنفر في الشيء : مضى فيه . وتنوق في الشيء : جوده وتأنق فيه .

بقِيتْ عليكِ فيه بقيّة أنا أُصلحها لكِ ؛ فقلت : لستُ أحتاج إلى إصلاحكَ إيّاه ، وقد والله أخذتُه على رَغْمِك ؛ فضحك .

لحنُ هذا الصوت من الهَزَج بالبنصر ، والشعر والغناء لإسحاق .

[يبيّن خطأ إبراهيم بن المهديّ في صوت لابن جامع]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال قال لي أبي قال قال لي إسحاق : كنتُ عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهديّ ، فغنّى إبراهيمُ صوتاً لابن جامع أخلّ ببعضه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ترك ابنُ جامع الناسَ يحجلُون خلفَه ولا يلحَقونه . وفي هذا الصوت خاصّة ؛ فقلتُ : والله يا أمير المؤمنين ، ما صدَق ، وما هذا الصوت بتامّ الأجزاء ؛ فقال : كذَب والله يا أمير المؤمنين ؛ فقلت : يا سيِّدي ، أنا أوقِفه على نُقصانه ، فمُرْه فليُعِدْ يا أمير المؤمنين ؛ فأعاد البيت الأوّل فأقامه وطمِع في الإصابة ؛ فقلت : آفتُه في البيت الثاني ، فليردُدْه ؛ فردَّه فنقَص من أجزائه وقسمته ، فعرّفتُه فأقرّ به ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة آبائي وإبراهيم يكلِّمني فيها ، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها مسألةً واحدة ؛ فقال : أوَيُعْفيني أمير المؤمنين من كلامه ؟ فأعفاه .

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلَّبيّ عن إسحاق ؛ فذكر نحواً ممّا ذكره يحيى ، وذكر أنّ القصّة كانت بين يديّ المعتصم ؛ وزاد فيها فقال : أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأُوقفه على خطئه فيها ، فإن لم يُقِرّ بذلك أقرّ به مُخارِقٌ وعَلّويه ؛ فقال : أوَيُعْفيني أميرُ المؤمنين من كلامه ؛ فإنّه يَعْدِل عندي البُختُج[1] ؛ قلت : يا أميرَ المؤمنين ، وما يفعل البُختُج ؟ قال : يُسْلِح ؛ قلت : قد والله فعل ذلك كلامي به ، ومنه هرب ؛ فضحك وغطّى فاه وقام ؛ فظنّ إسحاقُ بن إبراهيم المصعبيّ أنّي قد أغضبته ، فضرب بيده إلى السيف ؛ فقلت له : لا تحسَبْ أنّي أغضبتُه ؛ فما كنت لأُكلّم عمّه بين يديه بهُزْء من غير إذنه ، فأمسك ؛ وكان لا يُقْدِم أحد أن يكلّم الخليفةَ بحضرته بما فيه الوَهْن إلاّ بادر إلى سيفه تعظيماً للأمير وإجلالاً له .

[يكشف خطأ في وتر بين ثمانين وتراً]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم الهاشميّ عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال[2] : دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهديّ ، وفي مجلسه عشرون جارية قد أجْلس عَشْراً عن يمينه وعشراً عن يساره ومعهنّ العيدانُ يضرِبنَ بها ؛ فلمّا دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأ فأنكرتُه ؛ فقال المأمون : يا

1 البختج : عصير مطبوخ .

2 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 21 (رقم 42) .

إسحاق ، أتسمع خطأ ؟ فقلت : نعم والله يا أمير المؤمنين ؛ فقال لإبراهيم : هل تسمع خطأ ؟ فقال : لا ؛ فأعاد عليّ السؤال ، فقلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وإنّه لفي الجانب الأيسر ؛ فأعاد إبراهيم سَمْعَه إلى الناحيـة اليسرى ثم قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما في هذه الناحية خطأ ؛ فقلت يا أمير المؤمنين : مُرِ الجواريَ اللواتي على اليمين يُمْسِكْنَ ، فأمرهنّ فأمسكْنَ ؛ فقلت لإبراهيم : هل تَسمع خطأ ؟ فتسمّع ثم قال : ما هاهنا خطأ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، يُمْسِكْنَ وتضرب الثامنةُ . فأمسكْنَ وضربتِ الثامنة ، فعرف إبراهيمُ الخطأَ ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، هاهنا خطأ ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم : يا إبراهيم ؛ لا تُمَارِ إسحاقَ بعدها ؛ فإن رجلاً فَهِم الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حَلْقاً لجديرٌ ألاّ تماريَه ؛ فقال : صدقتَ يا أمير المؤمنين . وقال الحسين بن يحيى في خبره : وكان في الأوتار كلِّها مَثْنىً فاسدُ التسوية . وقال فيه : فطرِب أمير المؤمنين المأمون ، وقال : لله درُّك يا أبا محمّد ؛ فكنّاني يومئذٍ .

[ثناء الواثق عليه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَة قال حدّثني أحمد بن حَمْدُون قال : سمعتُ الواثق يقول : ما غنَّاني إسحاق قط إلاّ ظننتُ أنّه قد زِيدَ لي في مُلْكي ، ولا سمعته يغنّي غناءَ ابن سُرَيج إلاّ ظننت أنّ ابن سريج قد نُشِر ، وإنّه ليحضُرني غيرُه إذا لم يكن حاضراً ، فيتقدّمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت ، حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُه يتقدّمه ينقص ؛ وإنّ إسحاق لنعمةٌ من نِعَم المُلْك لم يُحْظَ بمثلها ؛ ولو أنّ العمر والشباب والنشاط ممّا يُشْتَرى لاشتريتهنّ له بشَطْرِ ملكي .

[يدخل إلى الخليفة مع العلماء والفقهاء]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : سأل إسحاقُ الموصليّ المأمونَ أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرُّواة لا مع المغنِّين ، فإذا أراده للغناء غنّاه ؛ فأجابه إلى ذلك ؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء ؛ فأذن له . قال : فحدّثني محمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أنّه كان هو ومُخارِق وعَلّويه جلوساً في حجرة لهم ينتظرون جلوسَ المأمون وخروجَ الناس من عنده ، إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سَوادُهُ وطَويلتُه ، ويدُه في يد إسحاق يماشيه ، حتى جلس معه بين يدي المأمون ، فكاد عَلّويه أن يُجنّ ، وقال : يا قوم ، أسمعتم بأعجب من هذا ؟ يدخل قاضي القضاة ويدُه في يد مغنٍّ حتى يجلسا بين يدي الخليفة ! . ثم مضت على ذلك مدّة ، فسأل إسحاق المأمونَ أن يأذن له في لُبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة ؛ قال : فضحك المأمون وقال : ولا كلّ ذا يا إسحاق ، وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم ؛ وأمر له بها .

[امتيازه في مجلس الواثق]

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني أبو عبد الله بن حَمْدون قال : كان المغنّون جميعاً يحضُرون مجلسَ الواثق وعيدانُهم معهم إلاّ إسحاقَ ، فإنّه كان يحضُر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإن أمَرَه الخليفة أن يغنّي أُحضر له عوداً ، فإذا غنّى وفرَغ سُلّ من بين يديه إلى أن يطلبه . وكان الواثق كثيراً ما يكنّيه ، رَفْعاً له من أن يدعوه باسمه ؛ وكان إذا غنّى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناءَ ولم يُعِد منه حرفاً إلاّ أن يكون في بعض بيت فيُتِمّه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه في خبر ذَكَر إسحاقَ فيه ، فقال : وعارض مَعْبَداً وابن سُرَيج فانتصف منهما ، وكان إبراهيم بن المهديّ يناظره ويجادله في الغناء وينازعه في صناعته ، ولم يَبلُغه ؛ وما رأيت بعد إسحاق مثلَه .

[عابه إبراهيم بن المهديّ بترك التحريك في الغناء]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال قال لي محمّد بن راشد الخنّاق : سمعتُ عَلّويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصلي : إنّ إبراهيم بن المهديّ يَعِيبك بتركك تحريكَ الغناء ؛ فقال له إسحاق : ليتنا نَفي بما علمناه ، فإنّا لا نحتاج إلى الزيادة فيه . ثم قال له : فإنّه يزعم أنّ حلاوة الغناء تحريكه ، وتحريكُه عنده أن يكون كثيرَ النَّغَم ، وليس يفعل ذلك ، إنّما يُسقط بعضَ عمله لعجزه عنه ، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأسْكدار[1] للكِتاب ، وهو حينئذٍ بأن يُسمَّى المحذوفَ أشبهُ منه بأن يسمّى المحرَّكَ ؛ فضحك عَلّويه ثم قال : فإنّ إبراهيم يسمّي غناءكم هذا الممسك المِدادِيّ ؛ قال إسحاق : هذا من لغات الحاكَة ؛ لأنّهم يسمّون الثوبَ الجافي[2] الكثير العرض والطول المداديّ ؛ وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمّي غناءه المحرّك الضِّرابيّ ، وهو الخفيف السخيف[3] من الثياب في لغة الحاكة ، حتى نُدخل الغناءَ في جملةِ الحِياكة ونخرجه عن جملة الملاهي ؛ ثم قال لعَلّويه : بحياتي عليك إلاّ ما أعدتَ عليه ما جرى ؛ فقال له : لا وحياتِك لا فعلتُ ؛ فإنّه يعلم مَيْلي إليكم ، ولكن عليك بأبي جعفر محمّد بن راشد الخنّاق ؛ فكلّمه إسحاق وأقسم عليه أن يُؤدّيه ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره ، فجعل كلّما أخبره شيئاً تغيَّظ وشتم إسحاقَ بأقبحِ شتم ؛ ثم جاءه ابن راشد فأخبره ؛ فجعل كلّما أخبره بشيء من ذلك

---

1 الأسكدار : كلمة فارسية معناها حامل البريد .

2 الثوب الجافي : الغليظ .

3 الثوب السخيف : القليل الغزل .

ضحك وصفّق سروراً لغيظ إبراهيم من قوله .

[يغايظ إبراهيم بن المهديّ]

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثني عليّ بن محمّد النَّوْفليّ قال أَخبرني محمّد بن راشد الخنّاق قال : إنّي لفي منزلي يوماً مع الظهر إذ دخل عليّ إسحاقُ بن إبراهيم الموصليّ ، فسُرِرتُ بمكانه ؛ فقال : قد جاءت بي إليك حاجة ؛ قال قلت : قل ما شاء الله ؛ قال : دَعْني في بيتك ، ودَعْ غلامَيْك عندي : بُدَيحاً وسليمانَ ـ وكانا خادمين مغنِّيَين ـ ومُرْهما أن يغنِّياني ، وأْتني بفلان ليغنِّيني أيضاً ، بحياتي عليك ، وانطلِقْ إلى إبراهيم بن المهديّ ، فإنّه سيُسَرّ بمكانك ، فاشرب معه أقداحاً ، ثم قل له : يا سيِّدي ، أَسأَلك عن شيء ، فإذا قال : سَلْ ، فقل له : أخبرني عن قولك : [من الوافر]

ذهبتُ مـن الدنيا وقـد ذهبتْ منِّي

أيّ شيء كان معنى صنعتك فيه ؟ وأنت تعلم أنّه لا يجوز في غنائك الذي صنعتَه فيه إلاّ أن تقول : «ذهبتو» بالواو ، فإن قلتَ : «ذهبتُ» ولم تَمُدَّها انقطع اللحن والشعر ، وإن مددتَها قُبّح الكلام وصار على كلام النَّبَط ؛ فقلت له : يا أَبا محمّد ، كيف أُخاطب إبراهيم بهذا ؟ فقال : هو حاجتي إليك وقد كلّفتك إيّاها ؛ فإن استحسنتَ أن تردّني فأنت أَعلم ؛ قال : أَفعل ذلك لموضعك على ما فيه عليّ ، ثم أَتيتُ إبراهيم ، وجلست عنده مليّاً ، وتجارَيْنا الحديثَ إلى أن خرجْنا إلى ذكر الغناء ، فخاطبته بما قال لي إسحاق ، فتغيَّر لونه وانكسر ، ثم قال : يا محمّد ، ليس هذا من كلامك ، هذا من كلام الجُرْمُقانيّ ابن الزانية ؛ قُل له عنِّي : أنتم تصنعون هذا للصناعة ، ونحن نصنعه للّهو واللعب والعبَث . قال : فخرجتُ إلى إسحاق فحدّثته بذلك فقال : الجُرْمَقانيّ والله منّا أَشبهُنا بالجَرامِقة لغةً وهو الذي يقول : «ذهبتو» ؛ وأَقام عندي يومَه فرِحاً بما بلّغته إبراهيمَ عنه من توقيفه على خطئه .

[نقل عنه محمّد بن راشد حديثاً لابن المهديّ ففسد ما بينهما]

قال عليّ بن محمّد قال لي أَبي : كان محمّد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فسد ما بينهما ؛ فإنّه طابق إبراهيمَ بن المهديّ عليه ، وبلغه عنه من توقيعه أنّه يذكره . وكان في محمّد بن راشد رداءة ونقلٌ للأَحاديث ؛ فقال فيه إسحاق : [من الطويل]

وندْمان صِدْقٍ لا تُخاف أَذاتُه ... ولا يلفِظ الأَخبارَ لفظَ ابن راشدِ

دعـاني إلى مـا يشتهي فأَجبتُه ... إجابـةَ محمود الخلائـق ماجدِ

فـلا خيرَ في اللذّات إلاّ بأَهلها ... ولا عيشَ إلاّ بالخليـل المُساعدِ

قال : فجمع ابن راشد عدّة من الشعراء وأَمرهم بهجاء إسحاق ؛ فهجَوْه بأَشعار لم تبلغ

مرادَه ، فلم يُظهرها . وبلغ ذلك إسحاقَ فقال فيه : [من الطويل]

وأبيـات شعـر رائعـات كأنّها إذا أُنشدت في القوم من حُسنها سِحْرُ
تحفّـزَ وٱقْلَـوْلَى لـردّ جوابهـا أبو جعفر يَغْـلي كما غَلَتِ القِدْرُ[1]
فلم يستطعها غيرَ أنْ قـد أعانـه عليهـا أُناس كي يكون لـه ذكرُ
فيـا ضيعةَ الأشعار إذ يَقْرِضونها وأضيعُ منها مَـن يَرى أنّها شعرُ

قال : فعاذ محمد بن راشد بإسحاقَ واستكفّه وصالحه ، فرجع إليه .

[أخذ إبراهيم بن المهديّ صوتاً له فغضب]

أخبرني عمّي قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر الشاميّ قال حدّثني منصور بن محمّد بن واضح : أنّ إبراهيم بن المهديّ طرَح في منزل أبيه : [من المتقارب]

صوت

أمِـن آلِ لَيْلى عرفـتَ الطُّلولا بـذي حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثولا[2]
بَلِـينَ وتحسَب آياتِهـنَّ عن فرط حَوْلين رَقّا مُحيلا[3]

الشعر لكعب بن زُهير[4] والغناء لإسحاق ، وله فيه لحنان : ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر ، وماخُوريّ بالوسطى . وفيه للزُّبَير بن دَحْمانَ خفيفُ ثقيل قال : فجاءنا إسحاق يوماً ، وأقام عند أبي ، وأخرجنا إليه جوارينا ، ومرّ الصوت الذي طرحه إبراهيم بن المهديّ من غنائه ؛ فقال إسحاق : من أين لك هذا ؟ قال : طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ أعزّه الله تعالى ؛ فقال إسحاق : وما لأبي إسحاقَ أعزّه الله ولهذا الصوت ؟ هذا أنا صنعتُه ، وليس هو كما طرَحه . قال : فسأله أبي أن يغنّيه ، فغنّاه وردّده حتى صحّ لمن عنده ؛ فقال لي أبي : اكتب إلى أبي إسحاق أنّ أبا محمّد أعزّه الله صار إليَّ فاحتبستُه ، وأنّه غنّى بحضرتي الصوتَ الذي أَلقيتَه في منزلك الذي أسكنه ، فزعَم أنّه صنعَه ، وأنّه ليس على ما أخذه الجواري عنك ، فأحببت أن أعلم مَا عندك ، جعلني الله فداك . قال : فكتبت الرُّقعة وأنفذتها إلى إبراهيم . فكتب : نعم ، جُعلت فداك ، صدَق أبو محمّد أعزّه الله ، الصوتُ له ، وهو على ما

1 تحفّز واقلولى : تهيّأ للوثوب .
2 ذو حرض : موضع . ماثلات : منتصبات .
3 فرط حولين : مضي سنتين . محيل : أتى عليه حول .
4 هذان البيتان لم يردا في ديوان كعب وإنّما في ديوان زهير أبيه ، وهما من قصيدة في مدح سنان بن أبي حارثة . وفي الديوان (نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب) ص 193 : رواها أبو عمرو والمفضل وزعم الأصمعيّ أنّها مولدة . وسيردان في ترجمة زهير منسوبين إليه .

ذكره ، لكنّي لعِبت في وسطه لعباً أعجبني . قال : فقرأ إسحاقُ الرقعة فغَضِب غضباً شديداً ، ثم قال لي : أكتب إليه : «إذا أردت يا هذا أن تلعبَ فالعَبْ في غناء نفسك لا في غناء الناس ، وما حاجتُك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك ، فاصنعْ أنت إن كنت تُحسن ، والعبْ في صنعتك كما تشتهي مبتدئاً باللهو واللعب غيرَ مُشارِك في جِدّ الناس بلعبك ومُفْسد له بما لا تعلمه . يا أبا إسحاق ، أيّدك الله ، ليس هذا الصوت ممّا يتهيّأ لك أن تُمَخْرِق فيه وتقول : «جَنْدَرْتُه»[1] . قال : وكان إبراهيم يقول : إنّه يُجَنْدِر صنعةَ القدماء ويحسِّنها .

[مناظرته إبراهيم بن المهديّ عند المعتصم]

قال عليّ بن محمّد حدّثني جدّي حَمْدُون : أنّ إسحاق قال لإبراهيم بن المهديّ بحضرة المعتصِم : ما تقول فيمن يزعُم أنّ ابن سُرَيج وابن مُحْرِز ومَعْبداً ومالكاً وابنَ عائشة لم يكونوا يُحْسنون تَمام الصّنعة ولا استيفاءَ الغناء ، ويعجِزون عمّا به يكمُل ويتِمّ ويحسُن ، وأنّه أقدر على الصنعة منهم ؟ قال : أقول : إنّه جاهل أحمق ؛ قال : فأنت تزعم أنّه قد كانت بَقِيَتْ عليهم أشياءُ لم يهتدوا لها ولم يحسنوها ، فتنبّهتَ عليها أنت وتَمَمْتَها وحسَّنْتَها بجَنْدَرتك ؛ قال : فضحِك المعتصم وبقي إبراهيمُ واجماً مُطْرِقاً ، ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه ؛ وما سمعتُه أنا ولا غيري بعد ذلك اليوم يتبجّح بغناء يُصلحه من غناء المتقدّمين ، حتى يُطنِب في صنعته ويُشتَهى استماعُه منه ، كما كان يَدّعي قديماً . قال : وكان حَمْدون يقول : كان إبراهيم يأكل المغنّين أكلاً ، حتى يحضُر إسحاق ، فيُداريه إبراهيم ويطلب مكافأتَه ، ولا يَدعُ إسحاقُ تبكيتَه ومعارضتَه ؛ وكان إسحاقُ آفتَه ، كما أنّ لكلّ شيء آفة .

[غنّى المأمون بشعر ذي الرمّة]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : خرجتُ يوماً من داري وأنا مَخْمورٌ أتنسّم الهواء ، فمررتُ برجل يُنشد رجلاً معه لذي الرُّمّة[2] : [من الطويل]

صوت

أَلم تعلمي يا ميّ أنّي وبينَنا ... مَهاوٍ لطَرْف العين فيهنّ مَطْرَحُ
ذكرتك أن مرّتْ بنا أُمُّ شادنٍ ... أمامَ المَطايا تَشْرئبّ وتَسْنَحُ[3]

1 مخرق : موه . وجندر الشيء : أصلحه وصقله .

2 ديوان ذي الرمّة (مكارتني) : 79–86 .

3 الشادن : ولد الظبية الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمّه . وتشرئب : ترفع رأسها لتنظر . وتسنح : تأتي عن الشمال .

مــن المؤلفاتِ الرمــلِ أدماءُ حُرّةٌ ... شُعاعُ الضّحى في مَتْنها يتوضّحُ[1]

هي الشِّبْهُ أعطافــاً وجِيداً ومُقلةً ... ومَيَّةُ منهــا بَعْــدُ أبهــى وأملَحُ[2]

كأن البُرَى والعاجَ عِيجَتْ مُتُونُه ... على عُشَرٍ نَهّى بــه السيلَ أبطحُ[3]

لئن كانت الدنيــا عــليّ كما أرى ... تَبارِيحَ مــن مَــيٍّ فَلَلموتُ أَرْوحُ

فأعجبني ، فصنعت فيه لحناً غنّيتُ به المأمونَ ، فأخذتُ به منه مائة ألف درهم . لحنُ إسحاقَ في هذه الأبيات أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر .

[دسّ إليه أبو أحمد غلامين ليعلّمهما]

حدّثني يحيى بن محمّد الطّاهِريّ قال حدّثني ينشو[4] مولى أبي أحمد بن الرشيد قال : اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد ، واشترى رَفيقي محموماً[5] ، فدَفعَنا إلى وكيل له أعجميّ خُراسانيّ ، وقال له : انحدرْ بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصليّ ؛ ودفع إليه مائة ألف درهم . وشِهْرِيّاً[6] بسَرْجه ولِجامه ، وثلاثة أدراجٍ[7] من فِضّة مملوءة طِيباً ، وسبعةَ تُخُوتٍ من بَزٍّ خُراساني ، وعشرةَ أسفاطٍ من بَزّ مصر ، وخمسةَ تخوتِ وَشْيٍ كوفيّ ، وخمسة تخوتِ خزٍّ سُوسيّ ، وثلاثين ألف درهم للنفقة ؛ وقال للرسول : عرِّفْ إسحاقَ أنّ هذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خُراسان ، وَجَّه بهما إليه ليتفضّل ويعلّمهما أصواتاً اختارها ، وكتبها له في دَرْج ، وقال له : كلّما علّمهما صوتاً ادفع إليه ألف درهم ، حتّى يتعلّما بها مائة صوت ، فإذا علّمهما الصوتين اللذين بعد المائة فادفع إليه الشِّهْرِيّ ، ثم إذا علّمهما الثلاثة التي بعد الصوتين ، فادفع إليه بكلّ صوت دُرْجاً من الأدراج ، ثم لكلّ صوت بهد ذلك تَخْتاً وسَفَطاً ، حتّى يَنْفَد ما بعثتُ به معك ؛ ففعل ، وانحدرْنا إلى بغداد ، فأتينا إسحاق ، وغنّينا بحضرته ، وبلّغه الوكيلُ الرسالةَ ؛ فلم يزل يُلقي علينا الأصوات حتى أخذناها كما أمرَنا سيّدُنا . ثم سِرنا إلى سُرّ مَنْ رأى ، فدخلنا إليه وغنّيناه جميعَ ما أخذْناه فسَرّه ذلك . وقدِم إسحاقُ سُرّ مَنْ رأى ، ولقيه مولانا ، فدعا بنا وأوصانا بما أراد ، وغدا بنا إلى الواثق وقال : إنّكما ستَرَيان

---

1 أدماء : بيضاء .

2 رواية الديوان : «ومية أبهى بعد منها وأملح» .

3 البرى : الخلاخيل . العاج : اسورة من العاج . عيجت : لويت . العشر : نوع من الشجر . نهى : بلغ نهايته . أبطح : بطن الوادي . أي أنّ ساقيها ومعصميها كشجر العشر الذي يبقيه السيل نضراً ريّاناً .

4 ل : بيشق .

5 ل : يحموما .

6 الشهري : ضرب من البراذين .

7 الأدراج : جمع درج وهو صندوق صغير توضع فيه الحلي والطيب .

إسحاقَ بين يديه ، فلا تُسلِّما عليه ولا تُوهِماه أنّكما رأيتماه قطّ ، وأَلبسَنا أَقْبِيَةً خُراسانيّة ومضينا معه ؛ فلمّا دخلنا على الواثق قال له : يا سيِّدي ، هذان غلامان اشتُريا لي من خُراسان يغنّيان بالفارسيّة ؛ فقال : غنِّيا ، فضربنا ضرباً فارسيّاً وغنّينا غناءً فهليذِيّاً ؛ فطَرِب الواثق وقال : أحسنتما ، فهل تغنّيان بالعربيّة ؟ قلنا : نعم ، واندفعنا نغنّي ما أَخذناه عن إسحاق وهو ينظر إلينا ونحن نتغافل عنه ، حتى غنّينا أُصواتاً من غنائه ؛ فقام إسحاق ثم قال للواثق : وحياتِك يا سيِّدي وبَيْعتِك ، وإلاّ كلّ مِلْكٍ لي صدَقة وكلّ مملوك لي حُرّ إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي ومِن قصَّتهما كيت وكيت ؛ فقال له أَبو أَحمد : ما أَدري ما تقول ؛ هذان اشتريتهما من رجل نخّاس خراسانيّ ؛ فقال له : بَلَغ وَلْعُكَ[1] إليّ ! ونَخّاس خراسانيّ من أين يحسن [أن] يختار مثلَ تلك الأغاني ! ؛ فضحك أَبو أَحمد ثم قال للواثق : صدَق ، أنا احتلتُ عليه ، ولو رُمْتُ أن يعلّمهما ما أَخذاه منه إذا علِم أنّهما لي بعشرة أَضعاف ما أَعطيته لَما فعل ؛ فقال له إسحاق : قد تَمَّت عليّ حيلتُه . وقال أَبو أَحمد للواثق : إن أَردتَهما فخذهما ؛ فقال : لا أُفجِعُك بهما يا عمّ ، ولكن لا تمنعني حضورَهما ؛ فقال له : قد بذلتُ لك المِلْك فلم تُؤثِرْه ، أَفتُراني أَمنعك الخدمةَ ؟ فكنّا نخدِمُه بنَوْبة .

[لم يكن يحضر عُوده ترفّعاً]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أَبو عبد الله بن حَمْدون قال حدَّثني ابن فيلا الطُّنْبُوريّ وكان قد دخل على الواثق وغنّاه ، قال : قال الواثق في بعض العَشايا : لا يبرحُ أَحدٌ من المغنِّين الليلةَ ، فقد عزمتُ على الصَّبُوح في غد ؛ فأَمسكوا جميعاً عن معارضته إلاّ إسحاقَ فإنّه قال له : لا وحياتِك ما أَبيتُ ؛ قال : فلا والله ما كان له عند الواثق معارضةٌ أَكثر من أن قال له : فبحياتي إلاّ بَكَّرتَ يا أَبا محمّد . قال : فرأَيت مخارقاً وعَلّويه قد تقطّعا غيظاً ؛ وبِتْنا في بعض الحُجَر ، فقالا لي : اجلس على باب الحجرة ، فإذا جاء إسحاق فعرِّفنا حتى ندخل بدخوله ؛ فلم نلبث أَن جاء إسحاقُ مع أَحمد بن أَبي دُواد يماشيه في زِيِّه وسَوادِه وطَويلتُهُ مثل طويلته ، فدخلت عليهما فأَعلمتهما ؛ فقامت على عَلّويه القيامة وقال : يا هؤلاء ، خيناكر[2] يَدخل إلى الخليفة مع قاضي القضاة ؟ أَسمعتم بأَعجبَ من هذا البَخْت قطّ ؟ فقال له مُخارِق : دَعْ هذا عنك ، فقد والله بلغ ما أَراد . ولم نلبث أَن خرج ابن أَبي دُواد ودُعيَ بنا فدخلنا ، فإذا إسحاق جالسٌ في صف الندماء لا يخرج منه ، فإذا أَمره الواثق أَن يُغنِّي خرج عن صفّهم قليلاً وأُتي بعُود فغنّى الصوتَ الذي يأمره به ؛ فإذا فرَغ من القَدَح قطع الصوتَ الذي يأمره به حيث بلغ

1 الولع : الكذب .

2 الخيناكر : المغني .

ولم يُتِمَّه ، ورجع إلى صفّ الجلساء .

[مع إبراهيم بن المهديّ في مجلس الرشيد]

أخبرني محمّد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقّب بوَسْواسة قال حدّثني حَمّاد قال : قال لي أبي : كنت عند الرشيد يوماً ، وعنده ندماؤه وخاصّته وفيهم إبراهيم بن المهديّ ، فقال لي الرشيد : يا إسحاق تَغَنَّ : [من الوافر]

شَرِبتُ مُدامةً وسُقِيتُ أُخرى ... وراح المُنتشون وما انتشيتُ

فغنّيته ؛ فأَقبل عليَّ إبراهيم بن المهديّ فقال لي : ما أَصبتَ يا إسحاق ولا أَحسنت ؛ فقلت له : ليس هذا ممّا تُحسنه ولا تعرفه ، وإن شئتَ فغنِّه ، فإن لم أَجدْك أَنّك تُخطىء فيه منذُ ابتدائك إلى انتهائك فدَمي حلال . ثم أَقبلت على الرشيد فقلت : يا أَمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة أَبي ، وهي التي قرّبتْنا منك واستخدمتْنا لك وأَوطأتنا بساطَك ؛ فإذا نازَعَناها أَحدٌ بلا علم لم نجِد بُدّاً من الإيضاح والذبّ ؛ فقال : لا غَرْوَ ولا لومٌ عليك ؛ فقام الرشيد ليبول ؛ فأَقبل إبراهيم بن المهديّ عليَّ وقال : وَيْلَك يا إسحاق أَتجترىء عليَّ وتقول ما قلتَ يا ابنَ الفاعلة ؟ لا يَكْني ؛ فداخلني ما لم أَملك نفسي معه ؛ فقلت له : أَنت تشتِمُني ، وأَنا لا أَقدِر على إجابتك وأَنت ابن الخليفة وأَخو الخليفة ، ولولا ذلك كنت أَقول لك : يا ابنَ الزّانية ؛ أَوَ تُرى أَنّي كنت لا أُحسن أَن أَقول لك : يا ابنَ الزانية ؛ ولكن قولي في ذَمِّك ينصرف جميعه إلى خالك الأَعْلَم[1] ، ولولاك لذكرتُ صناعتَه ومذهبه ، قال إسحاق : وكان بَيْطاراً ، قال : ثم سكتُّ ، وعلمتُ أَنّ إبراهيم يشكوني وأَنّ الرشيد سوف يسأَل مَن حضر عمّا جرى فيخبرونه ، فتلافيتُ ذلك ، ثم قلت : أَنت تظنّ أَنّ الخلافة تصير إليك فلا تزال تهدّدني بذلك وتعاديني كما تُعادِي سائرَ أَولياء أَخيك حَسَداً له ولولده على الأَمر ؛ فأَنت تضعُف عنهم وتستخِفّ بأَوليائهم تَشَفِّياً ؛ وأَرجو أَلاّ يُخرجها الله عن يَدِ الرشيد وولده ، وأَن يقتلك دونها ؛ فإن صارت إليك ، وبالله العِياذ ، فحرامٌ عليَّ العيشُ يومئذٍ ، والموت أَطيب من الحياة معك ، فاصنع حينئذٍ ما بدا لك . قال : فلمّا خرج الرشيد وثَب إبراهيم فجلس بين يديه فقال : يا أَمير المؤمنين ، شتَمني وذكر أُمِّي واستخفّ بي ؛ فغضِب وقال : ما تقول ؟ وَيْلَك ؛ قلت : لا أَعلم ، فسَلْ مَنْ حضر ؛ فأَقبل على مسرورٍ وحُسَين ؛ فسأَلهما عن القصّة ، فجعلا يُخبرانه ووجهُه يتربّد إلى أَن انتهيا إلى ذكر الخلافة ، فسُرِّي عنه ورجع لونُه ، وقال لإبراهيم : ما له ذنب ، شتمتَه فعرّفك أَنّه لا يقدِر على جوابِك ، إرجعْ إلى موضعك وأَمْسِك

1 الأعلم : الذي بشفته العليا شق .

عن هذا . فلمّا انقضى المجلسُ وانصرف الناس ، أمر بألاّ أبْرَح ، وخرج كلُّ مَن حضر حتى لم يبقَ غيري ؛ فساءَ ظنّي وأهمّتني نفسي ؛ فأقبل عليّ وقال : ويلك يا إسحاق ! أتُراني لم أفهم قولك ومرادك ! قد والله زنَّيتَه[1] ثلاث مرّات ، أتُراني لا أعرف وقائعك وأقدامَك وأين ذهبت ؟ ويلك ، لا تَعُدْ ؛ حدِّثْني عنك ، لو ضربك إبراهيم ، أكنتُ أقتصّ لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل ؟! أتُراك لو أمر غلمانَه فقتلوك أكنتُ أقتله بك ؟! فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد والله قتلتَني بهذا الكلام ، ولئن بلغه ليقتلنّي ، وما أشكّ في أنه قد بلغه الآن ؛ فصاح بمسرور الخادم وقال : عليّ بإبراهيم الساعة فأُحضر ، وقال : قم فانصرف ؛ وقلت لجماعة من الخدَم ، وكلّهم كان لي مُحِبًّا وإليّ مائلاً ولي مُطيعاً : أخبروني بما يجري ، فأخبروني مِن غد أنّه لمّا دخل وبّخَه وجهّله وقال له : أتستخفُّ بخادمي وصَنيعتي ونَديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي ، وتُقْدم عليّ وتستخفّ بمجلسي وحضرتي ؟ هاه هاه ! أتُقدِم على هذا وأمثالِه ! وأنت ما لَكَ وللغِناء ، وما يُدريك ما هو ؛ ومَنْ أخذك به وطارحك إيّاه حتى تتوهّم أنّك تبلُغ منه مبلغَ إسْحاق الذي غُذي به وعُلّمه وهو صناعته ؟ ثم تظنّ أنّك تُخطِّئه فيما لا تدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحجّة عليك فلا تثبُت لذلك وتعتصم بشَتْمه ؟ أليس هذا ممّا يدُلّ على السقوط وضعفِ العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يُشبهك وغَلَبَةِ لذّتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إيّاه ولم تُحكمه ، وادّعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك الناسُ إلى الجهل المُفْرط ! ألا تعلم ، وَيْلَك ، أنّ هذا سوءُ أدب وقلّة معرفة وقلّة مُبالاة بالخطأ والتكذيب والردّ القبيح ؟ . ثم قال : والله العظيم وحقِّ رسوله ، وإلاّ فأنا نَفيٌّ[2] من المهديّ ، لئن أصابه أحدٌ بسوء ، أو سقط عليه حجرٌ من السماء ، أو سقط من على دابّته ، أو سقط عليه سقفُه ، أو مات فجأة ، لأَقتلنّك به ؛ والله ؛ ، والله ، والله ، فلا تعرِض له وأنت أعلم ، قُم الآنَ فاخرج ؛ فخرج وقد كاد أن يموت . فلمّا كان بعد ذلك دخلت إليه وإبراهيم عنده ، فأعرضتُ عن إبراهيم ؛ وجعل ينظر إليه مرّة وإليّ مرّة ويضحك ، ثم قال له : إنّي لأعلم محبّتك في إسحاق وميلَك إليه وإلى الأخذ عنه ، وإنّ هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلاّ بعد أن يرضَى ، والرضى لا يكون بمكروه ، ولكن أحسِن إليه وأكرمه واعرِف حقّه وبِرّه وصِلْه ، فإذا فعلتَ ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبتَه بيد منبسطة ولسان منطلق ؛ ثم قال لي : قم إلى مولاك وابنِ مولاك فقبِّلْ رأسه ، فقمت إليه وقام إليّ وأصلح الرشيدُ بيننا .

---

1 زناه : نسبه إلى الزنا .

2 ل : بريء .

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الوافر]

أعاذلُ قـد نَهَيْتِ فما انتهيتُ ... وقد طال العتابُ فما ارعويتُ
أعاذلُ مـا كبرتُ وفيّ مَلْهىً ... ولـو أدركتُ غايتكِ انتهيتُ
شَرِبتُ مُدامةً وسُقيت أخرى ... وراح المنتشون ومـا انتشيتُ
أبيـتُ مُعذَّباً قَلِقـاً كئيباً ... لِما ألقـاه مـن ألَم وفَوْتِ[1]

الغناء لابن مُحْرِزٍ ثقيلٌ عن ابن المَكّيّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى .

[الرشيد يستدعيه ليلاً للمنادمة]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أرسل إليّ الرشيد ذاتَ ليلة ، فدخلتُ إليه فإذا هو جالس وبين يديه جاريةٌ عليها قميص مُوَرَّد وسَراوِيلُ مورَّدة وقِناعٌ مورَّد كأنّها ياقوتة على وردة ؛ فلمّا رآني قال لي : اجلس ، فجلستُ ؛ فقال لي : غنّ ، فغنَّيت : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجرى لما جَهَدتُه ... وبيَّن لـو يَسطيـعُ أن يتكلّمـا

فقال : لَمن هذا اللحن ؟ فقلت : لي يا أمير المؤمنين ؛ فقال : هاتِ لحنَ ابن سُرَيج ، فغنَّيتُه إيّاه ؛ فطرِب وشرِب رِطْلاً وسقى الجاريةَ رِطلاً وسقاني رِطلاً ؛ ثم قال : غنِّ ، فغنَّيته : [من مجزوء الرمل]

صوت

هاجَ شَوْقي بَعْدَ ما أن شاب ... أصداغـي بُـرُوقُ
مَوْهِنـاً والبَـرْقُ ممّـا ... ذا الهـوى قِدْماً يَشُوقُ

فقال : لَمن هذا الصوت ؟ فقلت : لي ؛ فقال : قد كنتُ سمعت فيـه لحناً آخر ؛ فقلت : نعم ، لحن ابن مُحْرِز ؛ قال : هاته ، فغنّيته فطرب وشرب رطلاً ، ثم سقى الجارية رِطلاً وسقاني رِطلاً ؛ ثم قال : غنِّ ، فغنَّيته : [من الطويل]

أفاطـمُ مهـلاً بعضَ هذا التدلُّلِ ... وإن كنتِ قد أزْمَعْتِ صرمي فأجملِي

فقال لي : ليس هذا اللحنَ أريد ، غَنِّ رَمَل ابن سُرَيج ؛ فغنَّيته وشرب رطلاً وسقى الجارية

1 في هذا البيت إقواء .

رِطلاً ، ثم قال : حدّثني ، فجعلتُ أُحدّثه بأحاديث القِيان والمغنّين طَوْراً ، وأحاديث العرب وأيّامها وأخبارها تارة ، وأُنشِده أشعار القدماء والمحدَثين في خلال ذلك ، إذ دخل الفضلُ بن الرَّبيع ، فحدَّثه حديثَ ثلاث جوارٍ مَلَكَهنَّ ووَصفهنّ بالحُسْن والإحسان والظَّرْف والأدب ؛ فقال له : يا عَبّاسيّ ، هل تَسخُو نفسُك بهنّ ؟ وهل لك من سَلْوةٍ عنهنّ ؟ فقال له : والله يا أمير المؤمنين ، إنّي لأسخو بهنّ وبنفسي ، فبها فَداك الله ؛ ثم قام فوجّه بهنّ إليه ، فغَلَبْن على قلبه ، وهنّ سِحْر وضياء وخُنْث ذات الخال ؛ وفيهنّ يقول : [من الرمل]

إنّ سِحْراً وضياءً وخُنُثْ ... هنّ سِحْرٌ وضياءٌ وخُنُثْ
أخذتْ سحرٌ ولا ذنبَ لها ... ثُلُثَيْ قلبي وتِرْباها الثُّلُثْ

[مع عبيد الله بن محمّد بن عائشة بالبصرة]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني مَيْمون بن هارون عن إسحاق قال : أتيتُ عُبَيد الله بن محمّد بن عائشة بالبصرة ، فلمّا دخلتُ إليه حَصِرْتُ ؛ فقال لي : إنّ الحَصَر رائدُ الحياء ، والحياء عَقيدُ الإيمان ، فانبسِطْ وأزِلِ الوحشة ، فلئن باعدتْ بيننا الأحساب ، لقد قرّبتْ بيننا الآداب ؛ فقلت له : والله لقد سررتَني بخطابك ، وزِدْتَني ببِرّك عجزاً عن جوابك ؛ ولله دَرّ القُطاميّ حيث يقول : [من البسيط]

أمّا قريشٌ فلـن تلقاهمُ أبداً ... إلاّ وهم خيرُ من يَحْفَى ويَنتعِلُ

[أهدى له أحمد بن هشام زعفراناً]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم قال حدّثني أبو هِفّان قال : وجّه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصليّ بزعفران رَطْب وكتب إليه : [من البسيط]

إشربْ على الزعفرانِ الرَّطْبِ مُتّكئاً ... وانْعَمْ نَعِمْتَ بطول اللَّهو والطَّربِ
فحُرْمة الكأس بـين الناس واجبةٌ ... كحرمـةِ الوُدّ والأرحام والأدبِ

قال : فكتب إليه إسحاق : [من البسيط]

أُذكـرْ أبا جعفرٍ حقّاً أمُتّ به ... أنّي وإيّـاك مَشْغوفان بالأدبِ
وأنّنا قـد رضعنا الكأسَ دِرَّتَها ... والكأسُ حرمتُها أولى من النَّسبِ

[وداعه الفضل بن يحيى في خروجه إلى خراسان]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثني محمّد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : لمّا أراد الفضل بن يحيى الخروجَ إلى خُراسان ودّعتُه ، ثم أنشدته بعد التوديع : [من المتقارب]

فِراقُك مثلُ فراق الحياةِ وفقدُك مثلُ افتقاد الدِّيَمْ
عليك السلامُ فكم من وفاء أُفارقُ فيك وكم من كَرَمْ

قال : فضمّني إليه ، وأمر لي بألف دينار ، وقال لي : يا أبا محمّد ، لو حلّيتَ هذين البيتين بصنعة وأودعتَهما مَن يَصلُح من الخارجين معنا ، لأَهْدَيتَ بذلك إليّ أُنْساً وأذكرتَني بنفسك ؛ ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنّين فأمر لي بألف دينار ؛ فكان كتابه لا يزال يَرِد عليّ ومعه ألفُ دينار يَصِلُني بذلك كلّما غُنّي بهذا الصوت . قال الصُّوليّ : وهو من طريقة الرَّمَل .

[حمل الأصمعيّ من الكتب إلى الرقّة]

أخبرني عمّي قال حدّثني عمر بن شبّة عن إسحاق قال : قال لي الأصمعيّ : لمّا خرجنا مع الرشيد إلى الرّقّة قال لي : هل حملتَ معك شيئاً من كتبك ؟ فقلت : نعم ، حملتُ منها ما خفّ حملُه ؛ فقال : كم ؟ فقلت : ثمانيةَ عشرَ صُندوقاً ؛ فقال : هذا لمّا خفّفْتَ ، فلو ثَقَّلتَ كم كنتَ تحمل ؟ فقلت : أضعافَها ؛ فجعل يَعْجَب .

[شعر إسحاق في المعتصم حين ولي الخلافة]

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال : لمّا ولي المعتصم دخلتُ إليه في جملة الجلساء والشعراء ؛ فهنّأه القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إليّ مُسْتنطِقاً ؛ فأنشدتُه : [من المديد]

صوت

لاحَ بالمَفْرِق منك القَتِيرُ وذَوى غصنُ الشّبابِ النَّضِيرُ[1]
هزِئتْ أسماءُ منّي وقالتْ أنت يا ابنَ الموصليّ كبيرُ
ورأت شيْباً برأسي فصدّتْ وابنُ ستّين بشَيْب جديرُ
لا يَرُوعَنْكِ شَيْبي فإنّي مع هذا الشَّيب حُلْوٌ مَزِيرُ[2]
قد يُفَلّ السيفُ وهو جُرازٌ ويَصُول الليثُ وهو عَقِيرُ[3]
يا بني العبّاس أنْتم شفاءٌ وضياءٌ للقُلوب ونورُ
أنتمُ أهلُ الخلافةِ فينا ولكم مِنبرُها والسريرُ

1 القتير : الشيب أو أوّل ما يظهر منه .
2 مزير : ظريف .
3 يفل : يثلم . جراز : ماضٍ قاطع . عقير : مجروح أو مقطوع القوائم .

لا يزال المُلك فيكم مَدى الدَّهْـ ـرِ مُقيمـاً مـا أَقـام ثَبِيرُ[1]
وأَبـو إسحـاق خير إمـامٍ مـا لـه في العالمـين نظيرُ
ما لـه فيمـا يَريش ويَبْري غير توفيـق الإلـه وزيـرُ
واضح الغـرّة للخير فيـه حـين يبـدو شاهـدٌ وبشيرُ
زانـه هَـديٌ تُقـىً وجلالٌ وعفـافٌ ووقـارٌ وخِيرُ
لـو تُباري جـودَه الريحُ يوماً نَزَعَـتْ وهـي طَلِيحٌ حَسيرُ[2]

[شعره في المعتصم يوم مقدمه من غزاة]

قال : فأَمر لي بجائزة فضّلني بها على الجماعة . ثم دخلتُ إليه يوم مقدمه من غَزاته ، فأَنشدتُه قولي فيه : [من المتقارب]

صوت

لأَسمـاءَ رسمٌ عفـا باللِّـوَى أَقـامَ رهينـاً لطـول البلى
تعـاوَرَه الدَّهـرُ في صَرْفـه بكَرِّ الجديديـن حتـى عفا
إذ البـينُ لم تُخْشَ رَوْعاتـه ولم يصرِفِ الحيَّ صَرْفُ الرَّدى
وإذ مَيْعـة اللهو تجري بنـا وحبلُ الوصال متـينُ القُوى
فذلـك دهـرٌ مضى فابْكِـهِ ومَنْ ضاق ذَرْعـاً بأَمرٍ بكى
وهـل يَشْفِينَّك مـن غُلَّـة بكاؤكَ في إثْـر مـا قد مضى
إلى ابن الرشيد إمـامِ الهدى بعثنا المطـيَّ تَجُـوبُ الفَلا
إلى مَلِك حَـلّ مـن هاشمٍ ذُؤَابـةَ مجـدٍ مُنيفِ الذُّرى
إذا قيـل أَيُّ فتـى هاشمٍ وسيِّدُهـا كان ذاك الفتـى
بـه نَعَشَ الله آمالَنـا كما نَعَشَ الأَرضَ صَوْبُ الحَيا
إذا ما نـوى فِعْـلَ أُكْرُومةٍ تجـاوز من جُوده مـا نَوى
كساه الإلـهُ رداءَ الجمـال ونورَ الجلال وهَـدْيَ التقى

قال : فأَمر لي بجائزة ، وقال : لستُ أَحسُب هذا لك إلاّ بعد أَن تَقْرِن صناعتَك فيه بالأُخرى يعني أَن أُغنّي فيه وفي : «هَزِئتْ أَسماءُ منى» ؛ فصنعتُ في : [من المديد]

---

1 ثبير : من جبال مكّة .

2 طليح : تعب هزيل .

هزئت أسماء مني . . . . . .

لحناً ، وفي : [من المتقارب]

لأسمـاء رسم عفـا باللـوى

لحناً آخر وغنّيته بهما ، فأمر لي بألفَيْ دينار .

نسبة هذين الصوتين

[من المديد]

هزِئتْ أسماءُ منّي وقالت أنت يـا ابنَ الموصليّ كبيرُ

لحنُ إسحاقَ في أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى . والآخر : [من المتقارب]

لأسماءَ رسمٌ عفـا باللّوى أقـامَ رَهِينـاً لطُولِ البِلَى

الغناء لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

[مخارق يصحّح مغنّياً في لحن لإسحاق]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن أبي العلاء قال : غنّيتُ يوماً بين يدَي الواثق لحنَ إسحاق في : [من المديد]

هَزِئتْ أسماءُ منّي وقالت أنت يـا ابنَ الموصلّي كبيرُ

قال : فنظر إليّ مخارقٌ نظراً شَزْراً وعضّ شَفَته عليّ ؛ فلمّا خرجنا من بين يَدَي الواثق قلت : يا أستاذ ، لِمَ نَظَرتَ إليّ ذلك النظرَ ؟ أأنكرتَ عليّ شيئاً أم أخطأتُ في غنائي ؟ فقال لي : وَيْحَك ! أتدري أيَّ صوت غَنَّيتَ ! إنّ إسحاق جعل صَيْحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيّق وَعْر صعِب المُرْتَقى ، أحدُ جانبيْ ذلك الطريق حرفُ الجبل ، وعن جانبه الآخر الوادي ؛ فإن مال مُرْتقِيه عن مَحَجّته إلى جانب الوادي هَوى ، وإن مال إلى الجانب الآخر نَطَحه حرفُ الجبل فتكسّر ؛ صِر إليّ غداً حتّى أُصحّحه لك .

[لحن له على الأذان]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمّد بن يزيد قال حُدّثت من غير وجه : أنّ إسحاق بات ليلةً عند المعتصم وهو أمير ، فسمع لحناً لعبد الوهّاب المؤذّن أذّن به على باب المعتصم ، فأصْغى إليه فأعجبه ، فأعاد المَبيت ليلةً أُخرى عنده حتى استقام له اللحن ؛ فبنى عليه لحنَه : [من المديد]

هَزِئـتْ أسمـاءُ منّي وقالتْ

[غلامه يغني إبراهيم بن المهديّ عندما فصد]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلَّبيّ : أَنّ إبراهيم بن المهديّ فُصِد يوماً ، فكتب إليه إسحاقُ يتعرّف خبرَه ويدعو له بالسلامة وحسن العُقبى ، وكتب إليه : إنّي سأُهدي إليك هديَّةً للفَصْد حسنةً ؛ فوجَّه إليه بُدَيحاً غلامَه ، فغنَّاه لحنَه في : [من المديد]

هَزئتْ أَسمــاءُ منّي وقالتْ

فاستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبِلنا الهديّة ، فإن كان أُذِن لك في طَرْحه على الجواري فافعلْ ؛ فقال له : بذلك أَمرني ، وقال لي : إنّك ستقول لي هذا القول ، فقال : إن قاله لك فقُل له : لو لم آمُرْك بطرحه لم يكن هديّة ؛ فضحك إبراهيم ، وأَلقاه بُدَيح على جواريه . وقد ذكر عليّ بن محمّد بن نصر هذا الخبر ، فذكر أَنّه كتب إلى أَبيه بهذه الهديّة ؛ وهذا خطأ ، لأَنّ الشعر في تهنئة المعتصم بالخلافة ، وإبراهيم الموصليّ مات في حياة الرشيد ، فكيف يُهدى إليه هذا الصوت ! .

[مخارق يخرج ابن بسخنر]

أُخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أَحمد بن أَبي العلاء قال : اندفع محمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يوماً يغنّي هذا الصوت ؛ فالتفتَ إلينا مُخارِق فقال : خرج[1] ابن الزانية ! .

[لماذا استحقّ البرامكة شكره]

حدّثني عمّي قال حدّثني أَبو جعفر محمّد بن الدِّهْقانة النَّديم قال حدّثني أَحمد بن يحيى المكيّ قال : دعاني الفَضْل بن الرَّبيع ودعا عَلّويه ومُخارقاً ، وذلك في أَيّام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلاّ أَنّ حاله كانت ناقصة متضعضِعة ؛ فلمّا اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاقَ الموصليّ يسأَله أَن يصير إليه ويُعْلِمَه الحالَ في اجتماعنا عنده ؛ فكتب إليهم : لا تنتظروني بالأَكل فقد أَكلت ، وأَنا أُصير إليكم بعد ساعة ؛ فأَكلنا وجلسنا نشرب حتى قرُب العصر ، ثم وافى إسحاقُ فجلس ، وجاء غلامه بقَطْرَمِيز[2] نبيذ فوضعه ناحيةً ، وأَمر صاحبَ الشراب بإسقائه منه ، وكان عَلّويه يغنّي الفضلَ بن الرَّبيع في لحنٍ لِسياط اقترحه الفضل عليه وأَعجبه ، وهو : [من الطويل]

فإن تَعْجَبي أَو تُبصري الدَّهرَ طَمَّني بأَحداثــه طَــمَّ المقصَّص بالجَلَمْ[3]

1 خرج : نبغ .

2 القطرميز : قُلّةٌ كبيرة من الزجاج ويطلقونها في بعض الأَماكن على المرطبان .

3 الجلم : المقصّ الذي يجز به الشعر والصوف .

فقد أُترك الأَضيافَ تَنْدَى رِحالُهم وأُكرمهم بالمَحْض والتَّامِك السَّنِمْ[1]

ولحنه من الثقيل الثاني ، فقال لـه إسحاق : أَخطأتَ يا أَبا الحسن في أداء هذا الصوت ، وأَنا أُصلحه لك ؛ فجُنَّ عَـلّويه واغتاظ وقامت قيامته ؛ ثم أَقبل إسحاق على عَلّويه فقال له : يا حبيبي ، ما أَردتُ الوضعَ منك بما قلتُه لك ، وإنّما أَردتُ تهذيبَك وتقويمك ، لأَنّك منسوبُ الصواب والخطأ إلى أَبي وإليّ ، فإن كرِهتَ ذلك تركتك وقلت لك : أَحسنتَ وأَجملتَ ؛ فقال له عَلّويه : والله ما هذا أَردتَ ، ولا أَردتَ إلاّ ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك ؛ أَخبِرني عنك حين تجيء هذا الوقتَ لمّا دعاك الأَمير وعرَّفك أنّه قد نشِط للاصطباح : ما حملك على الترفّع عن مُباكرته وخدمته مع صنائعه عندك ، وما كان ينبغي أَن يَشْغَلك عنه شيء إلاّ الخليفة ! ثم تجيئه ومعك قَطْرَمِيزُ نبيذٍ ترفُّعاً عن شرابه كما ترفّعتَ عن طعامه ومجالسته إلاّ كما تشتهي وحين تَنْشَط ، كما تفعل الأَكفاء ، بل تَزيد على فعل الأَكفاء ؛ ثم تَعْمِد إلى صوت قد اشتهاه واقترحه وسمعه جميعُ مَن حضر فما عابه منهم أَحد فتَعِيبه ليتمّ تنغيصُك إيّاه لذّته ! ؛ أَما والله لـو الفضل بن يحيى أو أَخوه جعفر دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأَمير ، بل بعضُ أَتباعهم ، لبادرت وباكرتَ وما تأَخّرتَ ولا اعتذرتَ ؛ قال : فأَمسك الفضلُ عن الجواب إعجاباً بما خاطب به عَلّويه إسحاق ؛ فقال له إسحاق : أَمّا ما ذكرتَه من تأَخُّري عنه إلى الوقت الذي حضرتُ فيه ، فهو يعلم أنّي لا أَتأَخَّر عنه إلاّ بعائق قاطع ، إن وثِق بذلك منّي وإلاّ ذكرتُ له الحجّة سرّاً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل . وأَمّا ترفّعي عنه ، فكيف أَترفّع عنه وأَنا أُنتسب إلى صنائعه وأَستمنحُه وأَعيش من فضله مذ كنتُ أَنا وأَبي ، وهذا تَضْريب[2] لا أُبالي به منك . وأَمّا حَمْلي النبيذَ معي ، فإنّ لي في النبيذ شرطاً من طعمه وريحه ، وإن لم أَجده لم أَقدِر على الشرب وتنغّص عليّ يومئذٍ ، وإنّما حملته ليتمّ نشاطي وينتفعَ بي . وأَمّا طعني على ما اختاره ، فإنّي لم أَطعن على اختياره ، وإنّما أَردتُ تقويمَك ، ولست والله تراني مُتتبّعاً لك بعد هذا اليوم ولا مُقَوّماً شيئاً من خطئك ؛ وأَنا أُغنّي له ، أَعزّه الله ، هذا الصوتَ فيعلم وتعلم ويعلم مَن حضر أَنّك أَخطأتَ فيه وقصّرت . وأَمّا البَرامكة وملازمتي لهم فأَشهرُ من أَن أَجحده ، وإنّي لحقيقٌ فيه بالمعذرة ، وأَحرَى أَن أَشكرهم على صَنِيعهم وبأَن أُذيعه وأَنشُرَه ، وذلك والله أَقلُّ ما يستحقّونه منّي . ثم أَقبل على الفضلِ ، وقد غاظه مدحُه لهم ، فقال : اسمع منّي شيئاً أُخبرك به ممّا فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند أَبي قبلي ؛ فإن وجدتَ لي عذراً وإلاّ فلُمْ : كنت في ابتداء أَمري نازلاً مع أَبي في داره ، فكان لا

1 التامك : العظيم السنام من الإبل ، ومثله السنم .

2 التضريب : الاغراء بين القوم .

يزال يجري بين غلماني وغلمانه وجواريَّ وجواريه الخصومة ، كما تجري بين هذه الطبقات ، فيشكونهم إليه ، فأتبيّن الضَّجَر والتنكُّرَ في وجهه ؛ فاستأجرت داراً بقربه وانتقلت إليها أنا وغلماني وجواريّ ، وكانت داراً واسعة ، فلَم أَرْضَ ما معي من الآلةِ لها ولا لمن يدخل إليّ من إخواني أن يَرَوْا مثلَه عندي ؛ ففكّرت في ذلك وكيف أصنع ، وزاد فِكري حتى خَطَر بقلبي قُبْح الأُحْدوثة من نزول مثلي في دار بأُجرة ، وأنّي لا آمَنُ في وقت أن يستأذن عليّ صاحبُ داري ، وعندي من أحتشمه ولا يعلم حالي ، فيُقال صاحبُ دارك ، أو يُوجِّه في وقت فيطلب أجرة الدّار وعندي مَن أحتشمه ؛ فضاق بذلك صدري ضيقاً شديداً حتى جاوز الحدّ ؛ فأمرت غلامي بأن يُسرِجَ لي حماراً كان عندي لأَمضيَ إلى الصحراء أتفرّج فيها ممّا دخل على قلبي ، فأَسرجَه وركبتُ برداء ونعل ؛ فأَفْضى بي المسيرُ وأنا مفكّر لا أُميِّز الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد ؛ فتواثب غلمانُه إليّ : وقالوا : أين هذا الطريق ؟ فقلت : إلى الوزير ؛ فدخلوا فاستأذنوا لي ؛ وخرج الحاجب فأمرني بالدخول ، وبقيتُ خَجِلاً ، قد وقعت في أمرين فاضحين : إن دخلت إليه برداء ونعل وأعلمته أنّي قصدته في تلك الحال كان سوءَ أدب ، وإن قلت له : كنت مجتازاً ولم أَقصِدك فجعلتك طريقاً كان قبيحاً ؛ ثم عزمتُ فدخلت ؛ فلمّا رآني تبسّم وقال : ما هذا الزِّيّ يا أبا محمّد ! إحتبسنا لك بالبرّ والقَصْد والتفقّد ثم علمنا أنّك جعلتنا طريقاً ؛ فقلت : لا والله يا سيِّدي ، ولكنّي أَصْدُقك ؛ قال : هاتِ ؛ فأخبرته القصّة من أوّلها إلى آخرها ؛ فقال : هذا حقّ مستوٍ ، أفهذا شغل قلبك ؟ قلت : إي والله ؛ وزاد فقال : لا تَشغَلْ قلبَك بهذا ، يا غلام ، ردّوا حماره وهاتوا له خِلعة ؛ فجاءوني بخِلعة تامّة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلت ووُضِع النبيذ فشربت وشرب فغنّيتُه ، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب أَربعَ رِقاع ظننتُ بعضَها توقيعاً لي بجائزة ، فإذا هو قد دعا بعضَ وكلائه فدفع إليه الرِّقاع وسارّه بشيء ، فزاد طمعي في الجائزة ؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أَراه إلى العَتَمة ؛ ثم اتّكأ يحيى فنام ، فقمت وأنا مُنكسر خائب فخرجت وقُدّم لي حماري ؛ فلمّا تجاوزت الدّارَ قال لي غلامي : إلى أين تمضي ؟ قلت : إلى البيت ؛ قال : قد والله بِيعتْ دارك ، وأُشهِد على صاحبها ، وابتيع الدَّرْبُ كلّه ووُزِن ثمنه ، والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرّفك ، وأظنّه اشترى ذلك للسلطان ، لأنّي رأيت الأمر في استعجاله واستحثاثه أمراً سلطانيّاً ؛ فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي ، وجئت وأنا لا أدري ما أعمل ؛ فلمّا نزلتُ على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي سارَّه يحيى قد قام إليّ فقال لي : ادخُل ، أيّدك الله ، دارَك حتى أدخل إلى مخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه ؛ فطابتْ نفسي بذلك ، ودخلتُ ودخل إليّ فأقرأني توقيعَ يحيى : «يُطلَق لأبي

محمّد إسحاقَ مائةُ أَلف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها» . والتوقيع الثاني إلى ابنه الفَضْل : «قد أَمرتُ لأَبي محمّد إسحاقَ بمائة أَلف درهم يبتاع له بها داره ، فأَطلِقْ إليه مثلَها لِيُنفقها على إصلاح الدّار كما يريد وبنائها على ما يشتهي» . والتوقيع الثالث إلى جعفر : «قد أَمرت لأَبي محمد إسحاق بمائة أَلف درهم يُبتاع له بها منزل يسكنه ، وأَمر له أَخوك بدفع مائة أَلف درهم يُنفقها على بنائها ومَرَمّتها على ما يريد ، فأَطلِقْ له أَنت مائةَ أَلف درهم يَبتاع بها فرشاً لمنزله» . والتوقيع الرابع إلى محمّد : «قد أَمرت لأَبي محمد إسحاقَ أَنا وأَخواك بثلثمائة أَلف درهم لمنزل يَبتاعه ونفقة يُنْفقها عليه وفَرش يَبْتذِلُه ، فمُرْ له أَنت بمائة أَلف درهم يصرفها في سائر نفقته» . وقال الوكيل : قد حملتُ المالَ واشتريتُ كلَّ شيء جاورك بسبعين أَلفَ درهم ، وهذه كتب الابتياعات باسمي والإقرار لك ، وهذا المال بُورِك لك فيه فاقبِضه ؛ فقبضتُه وأَصبحت أَحسنَ حالاً من أَبي في منزلي وفرشي وآلتي ؛ ولا والله ما هذا بأَكبرِ شيءٍ فعلوه لي ، أَفأُلام على شكر هؤلاء ؟ فبكى الفضل بن الربيع وكلّ مَن حضر ، وقالوا : لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء . ثم قال الفضل : بحياتي غنِّ الصوت ولا تبخَل على أَبي الحسن عَلّويه بأَن تُقوِّمه له ؛ فقال : أَفعل ؛ وغنّاه ، فتبيّن عَلّويه أَنّه كما قال ، فقام فقبّل رأسَه وقال : أَنت أُستاذنا وابن أُستاذنا وأَولى بتقويمنا واحتمالنا من كلّ أَحد ؛ وردّه إسحاقُ مرّاتٍ حتى استوى لعلّويه .

[أَكان ذلك عند علي بن هشام]

ولقد رُوي في هذا الخبر بعينه أَنّ هذه القصّة كانت عند عليّ بن هشام ، وقد أَخبرني بهذا الخبر أَحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني مَيْمون بن هارون وأَبو عبد الله الهاشميّ قالا : دعا عليّ بن هشام إسحاقَ الموصليّ وسأَله أَن يصطبح عنده ويُبَكِّر فأَجابه ؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهراً وعنده مُخارِق وعَلّويه ؛ فقال له عليّ بن هشام : أَين كنتَ الساعةَ يا أَبا محمّد ؟ قال : عاقني أَمر لم أَجد من القيام به بُدّاً ؛ فدعا له بطعام فأَصاب منه ، ثم قعدوا على نبيذهم ، وتغنّى عَلّويه صوتاً ، الشعر فيه لابن ياسين ، وهو : [من الطويل]

صوت

إلهي مَنَحتَ الوُدّ منّي بخيلةً ... وأَنتَ على تغيير ذاك قديرُ
شفاءُ الهوى بثُّ الهوى واشتكاؤه ... وإنّ امرءاً أَخفى الهوى لصَبورُ

الغناء لسليمان أَخي أُحَيْحة ، خفيفُ ثقيلٍ أَوّل بالبنصر عن عمرو ، فقال له إسحاق : أَخطأتَ وَيْلَكَ ، فوضع عَلّويه العود وشرب رِطلاً وشرب عليّ بن هشام ؛ ثم تناول العود وغنّى : [من المديد]

صوت

ولقـد أَسْمُو إلى غُـرَفٍ   في طريقٍ مُوحِشٍ جُدَدُهْ[1]
حولـه الأَحراسُ تحرُسه   ولديــه جاثمـــاً أَسَدُهْ

الغناء لَمَعْبد ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى عن عمرو ، فقال له إسحاق : أَخطأْتَ وَيْلَكَ ؛ فوضع العود من يده ثم أَقبل على إسحاق فقال له : دعاك الأَمير ، أَعزّه الله ، لتُبَكِّر إليه ، فجئتَه ظُهْراً ، وغنَّيتُ صوتين يشتهيهما الأَمير أَعزّه الله عليّ فخطّأْتني فيهما ، وزعمتَ أَنّك لا تغنّي بين يدي الأَمير ، أَعزّه الله ، ولا تغنّي إلاّ بين يدي خليفة أَو وليّ عهد ، ولو دعاك بعض البَرامكة لكنت تُسرع إليه ثم تغنّي مُنْذُ غُدْوةٍ إلى الليل ؛ فقال إسحاق : إنّي والله ما أَردت انتقاصاً منك ، ولا أَقول مثلَه لغيرك ولا أُريد ازدراءً من أَحد ، ولكنّي أَردت بك خاصّةً التقويمَ والتأديب ؛ فإن ساءك ذلك تركتُك في خطئك . ثم أَقبل على عليّ بن هشام ، فقال له : أَعزّك الله ، إنّي أُحدّثك عن البَرامكة بما يُقيم عذري فيما ذكره : دخلت على يحيى بن خالد يوماً ، ولم أَكن أَردت الدخولَ عليه ، وإنّما ركبت متبذِّلاً[2] لهمٍّ أَهمَّني ، وكنت نازلاً مع أَبي في داره ، فضِقْتُ صدراً بذلك وأَحببت النُّقْلة عنه ، ونظرت فإذا يدي تَقْصُر عمّا يُصْلحني ؛ ثم ذكر الخبرَ نحواً ممّا قلته . وزاد فيه : أَنّه دخل إلى يحيى بن خالد وهو مُصْطَبِح ، فلمّا رآه نعَر وصفَّق ، وأَنّه وقَّع له بمائتيّ أَلف درهم ، ووقَّع له كلٌّ من جعفر والفَضْل بمائة وخمسين أَلفاً ، وكلُّ واحد من موسى ومحمّد بمائة أَلف مائة أَلف . وقال فيه : فبكى عليّ بن هشام ومَن حضر ، وقالوا : لا يُرى والله مثلُ هؤلاء أَبداً ؛ وأَخذ إسحاقُ العودَ فغنّى الصوتين فأَتى فيهما بالعجائب ؛ فقام عَلّويه فقبّل رأسه وقال له : أَنت أُستاذنا وابن أُستاذنا ، وما بنا عن تقويمك غِنىً ؛ ثم غنّى بعد ذلك لحنَه : «تشكَّى الكميتُ الجريَ» ، ولم يزل يغنّي بقيّةَ يومه كلّما شرب عليّ بن هشام ؛ ثم انصرف فأَتبعه عليّ بن هشام بجائزة سنيّة .

[رأي عبد الله بن العبّاس الربيعي في غنائه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدّثنا عَوْن بن محمّد قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال : أَحضرني إسحاق بن إبراهيم بن مُصعَب ، فلمّا جلست واطمأننت ، أَخرج إليّ خادمُه رقعةً ، فقال : اقرأ ما فيها واعمل بما رسَمه الأَمير أَعزّه الله ؛ فقرأتها فإذا فيها قوله : [من البسيط]

صوت

يرتاح للدَّجْن قلبي وهو مقتسَمٌ   بين الهموم ارتياحَ الأَرض للمطرِ[3]

---

1 الجدد : المعالم ، جمع جدة .

2 التبذل : ارتداء الملابس التي تلبس عادة في البيت .

3 الدجن : إلباس الغيم الأرض .

إنّي جعلتُ ليوم الدَّجْن نِحْلتَه ألاّ يزولَ ولي في اللهو من وَطَرِ[1]

وتحت هذين البيتين : «تقدّمْ ، جُعِلت فداك ، إلى مَنْ بحضرتك من المغنّين بأن يُغنّوا في هذين البيتين ، وألْقِ جميعَ ما يصنعونه على فلانة ؛ فإذا أخذتْه فأنفِذْها إليّ مع رسولي» ؛ فقلت : السمعُ والطاعة لأمر الأمير أعزّه الله ، فهل صنع فيهما أحد قبلي ؟ فقال : نعمْ ، إسحاق الموصليّ ؛ فقلت : والله لو كُلِّف إبليسُ أن يصنع فيهما صنعةً يفضُل إسحاقَ فيها بل يساويه بل يقاربه ، ما قدَر على ذلك ولا بلغ مبلغَه ؛ فضحك حتى استلقى ، وقال : صدقتَ والله ؛ وهكذا يقول مَن يعقل لا كما يقول هؤلاء الحَمْقى ، ولكن اصنعْ فيهما على كلّ حال كما أمر ؛ فقلت : أفعل وقد بَرِئْتُ من العُهدة ؛ فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القَرّادين .

[بكى لظهور الشيب في رأسه]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني ميمون قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : قال لي المعتصِم أو قال لي الواثِق : لقد ضحِك الشَّيْب في عارضَيْك ؛ فقلت : نعم يا سيِّدي ، وبكيت ؛ ثم قلت أبياتاً في الوقت وغنَّيت فيها : [من المتقارب]

تولَّى شبابُك إلاّ قليلا وحَلَّ المَشيبُ فصبراً جميلاَ

كفى حَزَناً بفِراقِ الصِّبا وإن أصبح الشيبُ منه بَدِيلا

ولّما رأى الغانياتُ المَشيـبَ أغضَيْنَ دونك طَرْفاً كَلِيلا

سأندُبُ عهداً مضى للصِّبا وأبكي الشبابَ بكاء طويلا

فبكى الواثق وحزِن وقال : والله لو قدَرتُ على ردّ شبابك لفعلتُ بشَطْر مُلكي ؛ فلم يكن لكلامه عندي جواب إلاّ تقبيل البساط بين يديه .

[جهد المغنّون أن يأخذوا لحناً له فلم يستطيعوا]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدَّثني حَمْدون بن إسماعيل قال : لّما صنع أبوك لحنَه في : [من المنسرح]

قِفْ بالديار التي عَفا القِدَمُ وغيَّرتْها الأرواحُ والدِّيَمُ[2]

رأيتهم (يعني المغنّين) يأخذونه عنه ويَجْهَدون فيه ؛ فتُوُفِّي والله وما أخذوا منه إلاّ رَسْمَه .

---

1 النحلة : المذهب ، ويعني هنا أنّه يجعل ليوم الدجن ما يناسبه من الشراب واللهو .

2 الأرواح : جمع ريح كأرياح ورياح .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المنسرح]

قِفْ بالديار التي عَفا القِدَمُ　　وغيَّرتْها الأرواحُ والدِّيَمُ
لّما وقفْنا بها نسائلُها　　فاضت من القوم أعينٌ سُجُمُ
ذِكْراً لعيشٍ مضى إذا ذكَروا　　ما فات منه فإنّه سَقَمُ
وكلّ عيش دامت غَضارتُه　　منقطِعٌ مرّةً ومنصَرِمُ

الشعر والغناء لإسحاق ، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جميع أغانيه .

حدَّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال حدَّثني هارون اليَتيم قال حدَّثني عُجَيف بن عَنْبَسة قال : كنت عند أمير المؤمنين المعتصِم وعنده إسحاق الموصليّ ، فغنّاه :　　[من مجزوء الخفيف]

قُلْ لَمن صَدّ عاتبا　　ونأى عنكَ جانِبا

فأمره بإعادته ، فأعاده ثلاثاً ، وشرب عليه ثلاثاً ؛ فقال له إبراهيم بن المهديّ : قد استحسنتَ هذا الصوت يا أمير المؤمنين ، أفنأخذه ؟ قال : نعم ، خذوه فقد أعجبني ؛ فآجتمع جماعةُ المغنِّين : مُخارِقٌ وعَلّويه وعَمْرو بن بانة وغيرهم ، فأمره المعتصم أن يُلقيَه عليهم حتى يأخذوه ؛ فقال عُجَيف : فعددتُ خمسين مرّة قد أعاده فيها عليهم وهم يظنّون أنّهم قد أخذوه ولم يكونوا أخذوه . قال هارون : فنحن في هذا الحديث إذ دخل علينا محمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، فقال له عُجَيْف : يا أبا جعفر ، كنت أحدِّث أبا موسى بحديثنا البارحةَ مع إسحاقَ في الصوت وأنّي عددت خمسين مرّة ؛ فقال محمّد : إي والله ؛ أصلحك الله ، ولقد عددتُ أنا أكثرَ من سبعين مرّة وما في القوم أحد إلاّ وهو يظنّ أنّه قد أخذه ، والله ما أخذه أحد منهم وأنا أوّلهم ما قدَرت ، علم الله ، على أخذه على الصحّة وأنا أسرعُهم أخذاً ، فلا أدري : أَلِكثرَة زوائده فيه أم لشدّة صعوبته ؛ ومَن يقدِر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئاً ؟ . أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني عُجَيْف بن عَنْبَسة بهذا الخبر فذكر مثلَه سواءً .

[ينظم شعراً على وزن أعجب المعتصم]

قال أبو أيّوب وحدّثني حَمّاد عن أبيه قال : كنت يوماً عند المعتصم ، فمرّ شعر على هذا الوزن فقال : وَدِدت أنّه على غير ما هو ؛ فقلت له : أنا لك به على هذا الوزن في أحسنَ من هذا الشعر :　　[من مجزوء الخفيف]

صوت

قُلْ لَمن صدَّ عاتبا　　ونأى عنك جانِبا
قد بلغتَ الذي أردتَ وإن كنت لاعبا

فأعجبه ، وقال لي : قد والله أحسنت ؛ وأمر لي بألفَيْ دينار ، ووالله ما كانت قيمتهما عندي دَانِقَيْن .

الشعر والغناء في هذين البيتين لإسحاقَ ، ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

[غضب عليه الأمين فتشفّع إليه بالفضل بن الربيع ثم دخل عليه بالأنبار وغناه فأطربه فأجازه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المَدِينيّ قال حدَّثني ابن المَكّيّ عن إسحاق قال : غَضِب عليَّ المخلوع[1] فأقصاني وجفاني ، فاشتدّ ذلك عليّ ، قال : وجفاني وهو يومئذٍ بالأنبار ، فحمَلتُ عليه بالفضل بن الربيع ، فطلب إليه فشَفّعه المخلوعُ ودعاني وهو مُصْطَبِح ، فلم أزل متوقّفاً وقد لبستُ قَباءً وخُفّاً احمرَ واعتصبتُ بعِصابة صفراءَ وشدَدت وسطي بشُقّةٍ حمراء من حرير ؛ فلمّا أخذوا في الأهزاج دخلتُ وفي يديَّ صَفّاقتان وأنا أتغنّى : [من المجتث]

صوت

اسمعْ لصوتٍ طريبٍ   من صَنْعةِ الأنْباري[2]

صوتٍ مليح خفيف   يطيـــرُ في الأوْتـــارِ

الشعر والغناء لإسحاقَ ، هزجٌ بالبنصر ، فسُرّ بذلك محمّد ، وكان صوتهم في يومهم ذلك ، وأمر لي بثلثمائة ألف درهم . وأخبرني جَحْظة بهذا الخبر عن محمَّد بن أحمد بن يحيى المَكّيّ قال حدَّثني أبي أنّ إسحاق حدَّثه بهذا الخبر ، وذكر مثل ما ذكره يحيى ؛ وزاد فيه قال : وكان سبب تسمية محمّد لي بـ«الأنباري» أنّي دخلت عليه يوماً وقد لُثْتُ[3] عمامتي على رأسي لَوْثاً غير مستحسَن ، فقال لي : يا إسحاق ، كأنّ عمامتك من عمائم أهل الأنبار .

[الأصمعيّ يغيّر رأيه في شعرٍ أعجبه]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني عمِّي الفضل عن إسحاق ، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني عمِّي الفَضْل عن إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثني أبي : قال إسحاق : قلت في ليلة من الليالي : [من الخفيف]

صوت

هـــل إلى نظـــرةٍ إليـــكِ سبيلُ   يُرْوَ منها الصَّدى ويُشْفى الغليلُ[4]

إنّ مـــا قـــلّ منك يكثُر عنـــدي   وكثيرٌ ممّـــن تحـــبّ القليـــلُ

---

1 المخلوع هو محمد الأمين .

2 طريب في ل : طريف .

3 لاث عمامته : لفّها وعصبها .

4 جزم الفعل لضرورة الشعر .

قال : فلمّا أصبحت أنشدتهما الأصمعيّ ، فقال : هذا الدّيباج الخُسْرُوانيّ ، هذا الوَشْي الإسكندرانيّ ، لِمَن هذا ؟ فقلت له : إنّه ابن ليلته ؛ فتبيّنت الحسدَ في وجهه ، وقال : أفسدتَه ، أفسدتَه ، أما إنّ التوليد فيه لبيِّن . في هذين البيتين لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر .

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال حدَّثني إسحاق بهذا الخبر ، فذكر مثل ما ذكره مَن قُدِّمت الرواية عنه ، وزاد فيه : فقال لي عليّ بن يحيى بعَقِب هذا الخبر : كان إسحاق يُعْجَب بهذا المعنى ويكرِّره في شعره ، ويرى أنّه ما سُبِق إليه ؛ فمن ذلك قوله : [من مجزوء الرمل]

صوت

أيُّهــا الظَّبــيُ الغَريرُ ... هل لنــا منك مُجيرُ
إنّ مــا نَوّلتنــي منـ ... ـكَ وإنْ قــلَّ كثيرُ

لحن إسحاقَ فيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ، فقلت : إنّك قد سُبِقت إلى هذا المعنى ، فقال : ما علمتُ أنّ أحداً سبقني إليه ؛ فأنشدته لأعرابيّ من بني عُقَيْل : [من الطويل]

قِفِي وَدِّعينا يــا مليحُ بنظرةٍ ... فقــد حان منّا يا مليح رحيلُ
أليس قليــلاً نظرةٌ إنْ نظرتُها ... إليكِ وكَلاَّ ليس منـك قليلُ
عُقَيْلِيّةٌ أمّــا مَــلاثُ إزارها ... فوَعْثٌ وأمّا خَصْرُها فضئيلُ[1]

صوت

[من الطويل]

أيا جنّةَ الدنيا ويــا غايةَ المُنى ... ويا سُؤْلَ نفسي هل إليكِ سبيلُ
أراجعةٌ نفسي إليّ فأغتــدي ... مع الرَّكْب لم يُقْتَل عليكِ قتيلُ
فما كلَّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ ... ولا كلَّ يومٍ لي إليكِ رسولُ

قال : فحلف أنّه ما سمِع بذلك قطُّ . قال عليّ بن يحيى : وصدق ، ما سمع بها . الغناء في الأبيات الأخيرة من أبيات العُقَيليّ .

[حوار لطيف بينه وبين إبراهيم بن المهديّ]

حدَّثني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسين بن محمّد بن أبي طالب الدِّيناريّ بمكّة قال حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : عاتبني إبراهيم بن المهديّ في ترك المجيء إليه ، فقال لي : مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقة رأياً حازماً ، فاجمعْ له مع المحبّة الخالصة طاعةً لازمة ؛ فقلت لـه : جعلنـي الله فـداك ، إذا ثبتتِ الأُصول في القلوب ، نطقتِ الألسنُ

---

1 «فوعث وأمّا خصرها فضئيلُ» في ل : «فدعص وأما خصرها فنحيل» . ملاث الإزار : ما يلفّه الإزار دون الخصر . الوعث : اللين ، والدعص : كثيب الرمل .

بالفروع ، والله يعلم أنّ قلبي لك شاكر ، ولساني بالثناء عليك ناشر[1] ؛ وما يظهر الودّ المستقيم ، إلاّ من القلب السليم ؛ قال : فأُبرِىءُ ساحتَك عندي بكثرة مجيئك إليّ ؛ فقلت : أجعل مجيئي إليك في الليل والنهار نُوَباً أتيقّظ لها كتيقّظي للصلوات الخمس ، وأكون بعد ذلك مقصّراً ؛ فضحك وقال : مَن يقدِر على جواب المغنِّين ؟ ؛ فقلت : مَن اتّخذ الغناءَ لنفسه ولم يتّخذه لغيره ؛ فضحك أيضاً ، وأمر لي بخِلَع ودنانير وبِرْذَوْن وخادم . وبلغ الخبرُ المعتصَم ، فضاعف لإبراهيم ما أعطاني ، فرُحتُ[2] وقد ربِحت وأربحتُ .

[عتب عليه الفضل بن الربيع]

حدَّثنا الحِرْميّ قال حدّثنا الدِّيناريّ قال حدَّثني إسحاق قال : عتَب عليَّ الفضلُ بن الرَّبيع في شيء بلغه عني ؛ فكتبت إليه : «إنّ لكلّ ذنب عفواً وعقوبة ؛ فذنوب الخاصّة عندك مستورة مغفورة ، فأمّا مثلي من العامّة فذنبه لا يُغفر ، وكسره لا يُجبر ؛ فإن كنتَ لا بدّ معاقِبي فإعراضٌ لا يؤدّي إلى مقت» .

[جواب الأعرابيّ للفضل بن الربيع]

حدَّثني الحِرْميّ قال حدَّثنا الدِّينارِيّ قال حدّثني إسحاق قال : كان يختلف إليّ رجلٌ من الأعراب ، وكان الفضل بن الربيع يقرِّبه ويستظرف كلامَه ، وكان عندي يوماً وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه ؛ فقال له الفضل : فيم كنتم ؟ قال : كنّا في قِدْرٍ تَفُور ، وكأس تَدُور ، وغناء يَصُور[3] ، وحديثٍ لا يَحُور[4] .

[كان يصنع الشعر وينحله الأعراب]

حدَّثنا الحِرْميّ قال حدَّثنا الحسين بن طالب قال : كان إسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب ، وينشدناه للأعراب ، وكان يُعابي بذلك أصحابَه ويُغْرب عليهم به ؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابيّ : [من الكامل]

لفَظ الخدورُ عليك حُوراً عِينَا ... أنسَيْن ما جمع الكِناسُ قَطِينا[5]
فإذا بَسَمْنَ فعَنْ كمثل غَمامةٍ ... أو أقْحُوان الرمل بات مَعِينا[6]

---

1 ل : ناطق .
2 ل : فرجعت .
3 يصور : يصوت .
4 لا يحور : لا يرجع أي أنّه متجدّد طلي .
5 لفظ : أخرج .
6 معين : ريّان .

وأصحُّ من رأتِ العيونُ محاجراً ولهنّ أمرضُ ما رأيت عيونا
وكأنّما تلك الوجوهُ أهِلّةٌ أقْمَرْنَ بين العشْر والعشرينا
وكأنّهنّ إذا نَهَضْنَ لحاجةٍ ينهضن بالعَقِداتِ من يَبْرِينا[1]

قال : وأنشدني أيضاً ممّا كان ينسبه إلى الأعراب وهو له : [من الطويل]

ومكحولة العينيْن من غير ما كُحْلِ مُهَفْهَفَة الكَشْحَيْن ذات شَوىً خَدْلِ[2]
مُنَعَّمَة الأطراف مُفْعَمة البُرى روادفُها تَحكي الدَّهاس من الرملِ[3]
صَيُود لألباب الرجال ، متى رنتْ إلى ذي نُهىً جَلْد القُوى وافِر العقلِ[4]
تخلّى النُّهى عنه وحالفه الصِّبا وأسلمه الرأيُ الأصيل إلى الجهلِ
شبيبة كُثْبانٍ يَرُوقك تحتها عناقيدُ كرم جادَها غَدَق الوَبْلِ
رمتْني فحلّت نائطيَّ ولم تُصِب لها نائطَيْ قلبٍ ولا مَقتلاً نَبْلي[5]

[رأي الرشيد في شعره]

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمّد بن يزيد المبرّد قال حُدِّثت عن الأصمعيّ قال : دخلت أنا وإسحاق الموصليّ يوماً على الرشيد فرأيناه لَقِسَ[6] النّفْس ؛ فأنشده إسحاق يقول : [من الطويل]

صوت

وآمرةٍ بالبخل قلتُ لها اقْصُري فذلِكِ شيءٌ ما إليه سبيلُ
أرى الناسَ خُلاّنَ الكرامِ ولا أرى بَخيلاً له حتّى المماتِ خليلُ
وإنّي رأيتُ البُخل يُزْري بأهله فأكرمتُ نفسي أنْ يُقال بخيلُ
ومن خير حالات الفتى لو علمتِه إذا نال خيراً أن يكونَ يُنيلُ[7]
فعالي فعالُ المُكْثِرين تجمُّلاً ومالي كما قد تعلمين قليلُ
وكيف أخافُ الفقر أو أُحرَمُ الغِنَى ورأيُ أمير المؤمنين جميلُ

---

1 العقدات : جمع عقدة وهي ما تراكم من الرمل وتعقّد . ويبرين : جانب من الدهناء .
2 الشوى الخدل : الأطراف الممتلئة .
3 البرى : السوار أو الخلخال . الدهاس : المكان اللين السهل .
4 متى رنتْ في ل : إذا رنت .
5 النائط : العرق المستبطن الصلب تحت المتن .
6 لقست نفسه : غثت وخبثت .
7 رواية ل : ومن خير خلات الفتى لو علمته إذا نال خيراً أن يقالَ نبيلُ

قال : فقال الرشيد : لا تَخَفْ إن شاء الله ؛ ثم قال : لله دَرّ أبيات تأتينا بها ؛ ما أشدَّ أصولَها ، وأحسنَ فُصولها ، وأقلّ فُضولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم ؛ فقال له إسحاق : وصفُك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه ، فعلامَ آخُذ الجائزة ! فضحك الرشيد وقال : اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم . قال الأصمعيّ : فعلمتُ يومئذٍ أنّ إسحاق أحذقُ بصيد الدراهم منّي . وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدامة عن حَمّاد عن أبيه ، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريباً ممّا ذكره الأصمعيّ والألفاظ تختلف .

[يرتجل رجزاً في حفيد الفضل]

أخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق ، وأخبرني به جعفر بن قُدامة ووَكيع عن حَمّاد عن أبيه قال : كنتُ عند الفضل بن الرَّبيع يوماً ، فدخل إليه ابن ابنه عبدُ الله بن العبّاس بن الفضل وهو طفل ، وكان يَرِقّ عليه لأنّ أباه مات في حياته ، فأجلسه في حِجْره وضمَّه إليه ودمَعتْ عيناه ؛ فأنشأتُ أقول : [من الرجز]

صوت

مَدَّ لكَ اللهُ الحياةَ مَدّاً حتى يكونَ ابنُك هذا جَدّا

مؤزَّراً بمجده مُردَّى ثم يُفدَّى مثلَ ما تُفَدَّى

أشبه منك سُنّة وخَدّا وشِيَماً مَرْضيّة ومجدا

كأنّه أنت إذا تَبدَّى شمائلاً محمودةً وقَدّا

قال : فتبسّم الفضلُ وقال : أمْتعني الله بك يا أبا محمّد ، فقد عُوّضتُ من الحزن سروراً وتسلّيتُ بقولك ، وكذلك يكون إن شاء الله . قال جعفر بن قُدامة : وحدَّثني بهذا الحديث عليّ بن يحيى ، فذكر أنّ إسحاق قال هذه الأبيات للفضل بن يحيى وقد دخل عليه وفي حِجْره ابنٌ له .

غنّى في هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكّل لحناً من الرَّمَل ، يقال : إنّه صنعه وقد وُلد للمعتمد ولدٌ ثم غنّى به . وأخبرني ذُكاء وجه الرزّة عن بِدْعة الكبيرة : أنّ الرمل لعَرِيبَ ، وأنّ لحن أبي عيسى خفيفُ رملٍ .

[عيادته الفضل بن الربيع]

حدَّثني عمّي قال حدّثني الفضل بن محمّد اليَزيديّ عن إسحاق قال : أتيتُ الفضل بن الربيع يوماً عائداً وجاءه بنو هاشم يعودونه ؛ فقلت في مجلسي ذلك : [من الطويل]

إذا ما أبو العبّاس عِيدَ ولم يَعُد رأيتَ مَعُوداً أكرمَ الناسِ عائدا

وجـاء بنـو العبّاس يبتدرونه مِراضاً لما يشكوه مَثْنى وواحدا
يُفَدُّونـه عند السلامِ وكلُّهـم مُجِلٌّ لـه يدعـوه عَمّـا ووالدا

قال : وكان الفضل مضطجعاً ، فأمر خادماً له فأجلسه ، ثم قال لي : أَعِد يا أبا محمّد فأعدتُ ، فأمرني فكتبتُها ، وسُرَّ بها وجعل يردّدها حتى خفِظها .

[استرضاؤه الفضل بن الربيع]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أبي قال قال إسحاق ، وأخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا محمّد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : جاءني الزُّبير بن دَحْمان يوماً مسلِّماً فاحتبسته ؛ فقال لي : أمرني الفضل بن الربيع بالمسير إليه ؛ فقلت له : [من الطويل]

أَقِمْ يـا أبا العوّام وَيْحك نَشْرَبِ ونَلْـهُ مع اللاّهين يوماً ونَطْرَبِ[1]
إذا مـا رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه فخُذْه بشكرٍ واترِك الفضلَ يغضَبِ

فأقام عندي وسُرِرنا يومَنا ؛ ثم صار إلى الفضل ؛ فسأله عن سببِ تأخّره عنه ؛ فحدَّثه الحديثَ وأنشده البيتين ؛ فغضِب[2] وحوّل وجهَه عنّي ، وأمر عوناً حاجبَه بألاّ يُدخلني إليه ولا يستأذنَ لي عليه ولا يُوصِلَ لي رقعةً ؛ فقلت : [من الطويل]

حرامٌ عليّ الكأسُ ما دُمتَ غضبانا ومـا لم يَعُـد عنّي رضاك كما كانا
فأَحسِنْ فإنّي قد أسأتُ ولم تَزَلْ تُعـوّدني عنـد الإساءة إحسانـا

قال : وأنشدته إيّاهما ، فضحك ورضي عنّي وعاد إلى ما كان عليه . وقد أخبرني بهذا الخبر محمّد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه ، فذكر مثلَه وزاد فيه : فقلت في عَوْن حاجبه : [من الخفيف]

عَوْنُ يـا عونُ ليس مثلَك عونُ أنت لي عُـدّةٌ إذا كان كَوْنُ
لك عندي والله إن رَضِيَ الفضـ ـل غلامٌ يُرضيك أو بِـرْذَوْنُ

قال : فأتى عَوْنٌ الفضلَ بالشّعرَيْن جميعاً ؛ فقرأهما وضحك وقال : وَيْحَك ! إنّما عرض لك بقوله : «غلام يُرضيك» بالسَّوءة ؛ قال : قد وعدَني ما سمعت ، فإن شئتَ أن تَحْرمنيه فأنت أعلم ! فأمره أن يُرسل إليّ ؛ فأتاني رسولُه فصِرتُ إليه فرضي عنّي ؛ ووفيتُ لعونٍ .

أخبرني جَحْظة قال حدَّثني محمّد بن أحمد بن يحيى المَكّيّ المرتجِل قال حدَّثني أبي قال

---

1 العوام في : ل : العباس .
2 ل : فعتب عليّ .

حدَّثني الزُّبَير بن دَحْمان قال : دخلتُ يوماً على الفضل بن الرَّبيع مُسلِّماً ؛ فقال لي : قد عزمتُ غداً على الصَّبُوح ، فصِر إليّ بُكْرةً ؛ فكنت أنا والصبحُ كفرَسَيْ رِهان ؛ فلمّا أصبحتُ من غدٍ جعلتُ طريقي على إسحاقَ بن إبراهيم فدخلت إليه ، فلمّا جلستُ قال لي : أقِم اليومَ عندي ؛ فعرّفته خبري ؛ فقال : [من الطويل]

أقِم يـا أبا العَوّام وَيْحَكَ نشربِ ... ونَلْـهُ مـع اللاَّهين يوماً ونطربِ

إذا مـا رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه ... فخذه بشكرٍ واترُكِ الفضل يغضبِ

فقلت : إنّي لا آمنُ غضبَه ، وأنا بين يديك ؛ فقال لي : أنت تعلم أنّ صَبوح الفضل أبداً في وقت غَبُوق الناس ، فأَقِمْ وارفُقْ بنفسك ثم امضِ إليه ؛ فأجبته إلى ذلك ؛ فلمّا شربنا طاب لي الموضع ، فأقمتُ حتّى سكِرتُ . وذكر باقيَ الخبر نحواً ممّا ذكر إسحاق . انتهى .

[كان يبذّ كلّ المغنّين]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني محمّد بن المكّيّ المُرْتجِل قال : قلت لزُرْزُور الكبير : كيف كان إسحاق يَنْفُق على الخلفاء معكم وأنت وإبراهيمُ بن المهديّ ومُخارِقٌ أطيبُ أصواتاً وأحسنُ نَغَمَةً ؟ قال : كنّا والله يا بنيّ نحضُر معه فنجتهد في الغِناء ونُقيم الوَهَجَ[1] فيه ويُقبل علينا الخلفاء[2] ، حتى نطمعَ فيه ونظنَّ أنا قد غَلَبْناه ، فإذا غنَّى عمِل في غنائِه أشياء من مُدَراتِه وحِذْقه ولُطْفه حتى يُسقطنا كلَّنا ويُقبِلَ عليه الخليفةُ دوننا ويُجيزَه دوننا ويُصغيَ إليه ، ونرى أنفسَنا اضطراراً دونه .

[أوّل مَن أحدث التخنيث في الغناء]

حدَّثنا جَحْظة قال حدّثني محمّد بن أحمد المَكّيّ قال حدَّثني أبي قال : كان المغنُّون يجتمعون مع إسحاق وكلُّهم أحسنُ صوتاً منه ، ولم يكن فيه عيبٌ إلاّ صوتَه فيطمعون فيه ؛ فلا يزال بلُطفه وحِذْقه ومعرفته حتى يغلِبَهم ويَبُذَّهم جميعاً ويفضُلَهم ويتقدَّمهم . قال : وهو أوّلُ مَنْ أحدث التخنيثَ ليوافقَ صوتَه ويشاكلَه ، فجاء معه عجباً من العَجَب ؛ وكان في حَلْقه نبوٌّ عن الوتر . أخبرني علي بن يحيى بن عليّ قال أخبرنا أبو العنبس بن حَمْدون : أنّ إسحاق أوّل مَن جاء بالتخنيث في الغناء ولم يكن يُعرف ، وإنّما احتال بحذقه لُمنافرة حَلْقه الوتر ، حتّى صار يُجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسنَ له في السمع .

[كان المغنّون يتهاونون في غيبته فإذا حضر جدّوا]

أخبرنا جَحْظة قال حدَّثني الهِشاميّ عن أبيه قال : كان المغنّون إذا حضروا وليس إسحاقُ

1 ل : الهزج .

2 ل : الخليفة .

معهم غنّوا هوينا وهم غير مفكّرين ؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلاّ الجدّ .

[قصّته مع نافذ حاجب جعفر بن يحيى]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : قال لي أبي وقد انصرف من دار الرشيد : رأيتُ الأمير جعفر بن يحيى يَستبطِئك ويقول : لستُ أراه ولا يَغشاني ؛ فقلت : إنّي لآتيه كثيراً فأُحْجَب عنه ويصرفني نافذٌ حاجبُه ويقول : هو على شُغْل ؛ قال : فبلّغه أبي ذلك ؛ فقال له : قُل له : انِكْه أمَّه إذا فعل ؛ فأقمتُ أيّاماً ثم كتبتُ إليه : [من المتقارب]

جُعِلتُ فداءكَ من كلّ سوءٍ إلى حُسْن رأيك أشكو أُناسا

يَحُولون بيني وبين السلام فلستُ أُسلّم إلاّ اختلاسا

وأنفذتُ أمرك في نافذٍ فما زاده ذاك إلاّ شِماسَا

وقد أخبرني بهذا الخبرَ محمدُ بن مَزْيَد عن حمّاد عن أبيه ، فذكَر مثلَه وقال : كان خادمٌ يحجُبه يقال له : نافِذ ، فقال : إذا حَجبك فَنِكْه ؛ فلمّا كتبتُ إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرني ؛ فلمّا دخلتُ إليه أحضر نافِذاً وقرأ الأبيات عليه ، وقال لي : أفعلتَها يا عدوَّ الله ! فغضِب نافذٌ حتّى كاد يبكي ، وجعل جعفرٌ يضحك ويصفّق ؛ ولم يعد بعد ذلك للتعرّض لي .

[غضب المأمون عليه وشكّ أبي الفرج في ذلك]

حدَّثني الحسين بن أبي طالب قال حدَّثني[1] عبيد الله بن المأمون ، وأخبرنا اليَزيديّ عن عمّه عُبيد الله عن أبيه قال : غضب المأمونُ على إسحاق بن إبراهيم ، ثم كُلّم فيه فرَضي عنه ودَعا به ؛ فلمّا وقف بين يديه اعتذر وقبّل الأرضَ بين يديه واستقاله ؛ فأجابه المأمونُ جواباً جميلاً ، ثم قال له في أثناء كلامه : [من المتقارب]

فلا أنتَ أعتبتَ من زلّة ولا أنتَ بالغتَ في المَعْذِرهْ

ولا أنتَ وليتني أمرَها فأغفِرَ ذنبك عن مَقْدِرهْ

هكذا في الخبر ؛ وأظنّه إسحاقَ بن إبراهيم الطاهريّ لا الموصليّ .

[أنشد أبا الأشعث الأعرابيّ شعراً له فأعجب به]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسينُ بن أبي طالب قال حدَّثني إسحاقُ قال : أنشدتُ أبا الأشعث الأعرابيَّ شعراً لي ، فقال : والذي أصوم له مخافتَه ورجاءَه ، إنّك لمن طِرازٍ ما رأيت بالعراق شيئاً منه ، ولو كان شبابٌ يُشترى لاشتريتُه لك ولو بإحدى يديّ[2] ، وإنّ في كِبَرك لَما زان الجليسَ وسرّه .

---

1 ل : حدّثني الحرمي قال حدّثنا الديناري قال حدّثنا . . . . .

2 ل : عينيّ .

[حديث له مع زهراء الكلابيّة]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدَّثنا الدِّيناريّ قال حدَّثنا إسحاق قال : قالت لي زَهْراءُ الكِلابيّة : ما فعل عبدُ الله بن خُرْداذْبه ؟ فقلتُ : مات ؛ فقالت : غيرَ ذميم ولا لئيم ، غفر اللهُ لصَدَاه ، لقد كان يُحبّك ويُعجبه ما سرّك . قال : فقلتُ لزَهْراء : حدِّثيني عن قول الشاعر : [من الطويل]

أُحِبُّكِ أنْ أُخبِرتُ أنّكِ فارِكٌ لزوجِك إنّي مُولَعٌ بالفَوارِكِ[1]

ما أعجبَه من بغضها لزوجها ؟ فقالت : عرَّفته أنّ في نفسها فَضْلَةً من جمال وشَمْخاً بأنفها وأُبّهةً ، فأَعْجَبَتْه .

[غنّى المعتصم وهو لقس النفس فأطربه]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمد بن يزيد المبرِّد قال حُدِّثْتُ عن غير واحد : أنّ إسحاق الموصليّ دخل على المعتصم يوماً من الأيّام فرآه لقِسَ النَّفْس ، فقال له : أما تَرى يا أمير المؤمنينَ طِيبَ هذا اليوم وحُسْنَه ؟ ؛ فقال المعتصمُ : ما يدعوني حسْنُه إلى شيءٍ ممّا تريد ولا أنشَطُ له ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه يومُ أكلٍ وشُربٍ ؛ فاشرب حتى أُنشّطَك ؛ قال : أَوَ تفعلِ ؟ قال : نعم ؛ قال : يا غِلْمان ، قدِّموا الطعامَ والشرابَ ومُدُّوا الستارةَ ، وأَحْضِروا الندماءَ والمغنِّين ؛ فأُتي بالطعام فأَكل وبالشرابِ فشرب وحضر الندماءُ والمغنُّون ؛ فغنّاه إسحاق : [من الوافر]

صوت

سُقِيتَ الغيثَ يا قصرَ السلامِ فنِعْم محَلّـةُ المَلْـك الهُمَامِ

لقـد نَشَر الإلـه عليك نُوراً وخصّك بالسَّلامـة والسلامِ

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصليّ رَمَلٌ بالسبّابة في مَجْرى البنصر عن إسحاق . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه للزُّبَير بن دَحْمان لحناً من الرَّمَل بالوسطى . قال : فطرِب المعتصمُ وشرب شرباً كثيراً ، ولم يبقَ أحدٌ بحضرته إلاّ وصَله وخلَع عليه وحمَله ؛ وفَضّل إسحاقَ في ذلك أجمع .

[أول جائزة نالها من الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدَّثنا ابن أَبي سعد قال حدَّثنا عليّ بن الصبّاح عن إسحاق قال : أوّلُ جائزة أخذتُها من الرشيد ألفُ دينار في أوّل يوم دخلتُ إليه فغنّيتُه : [من مجزوء الرمل]

عَلِـق القلـبُ بزَوْعـا

فاستحسنه واستعاده ثلاثَ مرّات وشرب عليه ثلاثةَ أرطالٍ وأَمر لي بألف دينار ؛ فكان أوّل جائزةٍ أجازنيها .

---

1 لزوجك في ل : لعمرك . والفارك من النساء : هي الكارهة لزوجها .

[أبى القدح من يد غلام قبيح الوجه]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال[1] : كان أَبي ذاتَ يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصعَب ، فلمّا جلسوا للشراب جعل الغِلْمانُ يَسقُون مَنْ حضَر ، وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه إلى أَبي بقَدَحِ نبيذٍ فلم يأخذه ؛ ورآه إسحاق فقال له : لِمَ لا تشرب ؟ فكتب إليه أبي : [من البسيط]

إصْبَحْ نديمَك أَقداحاً يُسَلْسِلُها | من الشَّمُول وأَتْبِعْها بأَقداحِ
من كفِّ رِيم مَليح الدَّلِّ رِيقتُه | بعد الهُجُوع كمِسْك أَو كتُفّاحِ
لا أَشربُ الرّاح إلاّ من يديْ رَشإٍ | تقبيلُ راحتِه أَشهى من الرّاحِ

فضحك وقال : صدَقتَ والله ، ثم دعا بوصيفةٍ كأنّها صورةٌ ، تامّةُ الحُسن لطيفةُ الخَصْر في زِيّ غُلام عليها أَقْبِيةٌ ومِنْطَقةٌ ، فقال لها : تَوَلَّيْ سَقْيَ أَبي محمّد ؛ فما زالت تَسقِيه حتى سكر ؛ ثم أَمر بتوجيهها وكلِّ مالَها في دارِه إليه ، فحُمِلتْ معه .

[مودّة بينه وبين زهراء الكلابية]

أَخبرني عمّي قال حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعد قال حدَّثني عليّ بن الصَّبّاح قال : كانت امرأةٌ من بني كِلاب يُقال لها زَهْراء تحدّث إسحاقَ وتُناشدُه ، وكانت تَميل إليه ، وتَكْني عنه في عشيرتها إذا ذكَرَتْه بجُمْل ؛ قال : فحدَّثني إسحاقُ أنّها كتبتْ إليه وقد غابت عنه تقول : [من البسيط]

وَجْدِي بجُمْل على أنّي أُجَمْجِمُه | وجدُ السَّقيم بِبُرءِ بعد إدْنافِ[2]
أَو وجدُ ثَكْلَى أَصاب الموتُ واحدَها | أَو وجدُ مُغتربٍ من بين أُلاّفِ

قال : فأَجبتُها : [من البسيط]

أَقْرِ السلامَ على الزَّهْراء إذ شَحَطَتْ | وقُلْ لها قد أَذَقْتِ القلبَ ما خافا
أَما رَثَيْتِ لمن خلّفتِ مكتئباً | يُذْرِي مدامعَه سَحّاً وتَوْكافا[3]
فما وَجَدْتُ على إلفٍ أُفارقُه | وجْدِي عليك وقد فارقتُ أُلاّفا[4]

[يوم الماوشان]

أُخبرني عمّي قال حدَّثني عبدُ الله بن أَبي سعد قال حدَّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 42 (رقم 62) .
2 أجمجِمُه : أكتمه وأخفيه .
3 أما رثيت في ل : أما أويت . توكاف : سيل الدمع قليلاً قليلاً .
4 أفارقه في ل : فجعت به .

أنشدني إسحاقُ لنفسه : [من الطويل]

سقى اللّهُ يـوم الماوَشانِ ومَجْلساً ... به كان أحْلى عندنا من جَنى النَّحلِ[1]

غَداةَ اجتنينا اللَّهْــوَ غَضّاً ولم نُبَلْ ... حِجابَ أبي نصر ولا غَضْبَة الفضلِ[2]

غَدَوْنا صِحاحاً ثــم رُحْنا كأنّنا ... أطاف بنا شرٌّ شديدٌ مـن الخَبْلِ

فسألتُه أن يكتبها ففعل ؛ فقلت له : ما حديث الماوَشان ؟ فضحك وقال : لو لم أكْتُبْكَ الأبياتَ لما سألتَ عمّا لا يَعْنيك ؛ ولم يخبرني .

[كان ابن الأعرابيّ يعجب به وبشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثني أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن ابن الأعرابيّ : أنّه كان يَصِف إسحاق الموصليّ ويُقرّظه ويُثْني عليه ويذكر أدبَه وحِفْظَه وعلمَه وصدقَه ، ويَستحسن قولَه : [من الخفيف]

صوت

هــل إلى أن تنامَ عيني سبيلُ ... إنّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ

غاب عنّي مَن لا أُسمّي فعيْني ... كلَّ يــوم وجْـداً عليه تَسِيلُ

الشعرُ والغناءُ لإسحاق رَمَلٌ بالوُسْطى ، قال : وكان إسحاقُ إذا غنَّاه تَفيض دموعُه على لحيته ويبكي أحرَّ بكاء . وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق . وحديثُ ابن موسى عن حَمّاد أتمُّ ، واللفظُ له .

[أوّل صوت وآخر صوت صنعه]

أخبرني الصُّوليّ والحسن بن عليّ قالا حدَّثنا محمّد بن موسى عن حَمّاد بن إسحاق قال : أوّلُ صوت صنعه أبي : [من البسيط]

إنّي لأكْني بأجبالٍ عَنَ اجبُلِها ... وباسم أوْدِيــةٍ عن اسم وادِيها

وآخر صوت صنعه مختاراً : [من مجزوء الخفيف]

قِــفْ نُحَــيِّ المَغانِيــا ... والطُّلــــولَ البوالِيــا

ثم قطع الصنعةَ حتى أمره الواثقُ بأن يعارضَ صنعته في : [من الطويل]

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألْتُها

[اتهمه المغنون بانتحال غناء أبيه]

قال حَمّاد وحدَّثني أبي قال : كان المغنون يحسدونني مُذْ كنت غلاماً فلما مات أبي

---

1 الماوشان : ناحية وقرى في واد بهمذان .

2 غضبة في ل : غضب .

صنعت هذا الصوت فهو أول صوت صنعته بعد وفاته وهو : [من المتقارب]

أَمِنْ آل ليـلى عَـرَفْـتَ الطُّلولا ... بـذي حُـرُضٍ ماثـلاتٍ مُثولا

فقالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه فقد انتحله ؛ فقال لي الرشيدُ في ذلك ؛ فقلتُ : هذا ومائةٌ بعده خيرٌ منه لهم ؛ فقال : اصنع في شعر الأخطل : [من الطويل]

أَعاذِلتـيّ اليـومَ وَيْحَكما مَهْـلا ... وكُفّا الأذى عنّي ولا تُكثِرا العَذْلا

فصنعتُ فيه كما أمرني ؛ فلمّا سمعوا بذلك وما جاء بعده أذْعنوا ، وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنّه بي . وقد ذكر غيرُ حمّاد أنّ اللحن الذي اختبره به الرشيدُ قولُه : [من الخفيف]

كنتَ صبّاً وقلبيَ اليومَ سالِ ... عن حبيبٍ يُسيء في كلّ حالِ

وذكر أنّ الفضلَ بن الرَّبيع قال الشعرَ في ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيدُ أن يصنع فيه ففعل . وأخبرني بذلك محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق ، وأخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد قال : اوّلُ ما سمعه الرشيد من غناء أبي : [من الوافر]

أَلَم تسأَلْ فتُخبـرَك المَغـاني ... وكيف وهنّ مُذْ حجَجٍ ثماني

بَرِئـتُ من المنازل غيرَ شوق ... إلى الدار التـي بِلَـوى أَبـانِ

ديـارٌ للّتـي لَجْلَجْتُ فيهـا ... ولـو أَعْرَبـتُ لَجَّ بها لساني

فكـادَ يَظَـلّ للعينين غَـرْبٌ ... بَرَبْعَـيْ دِمنـةٍ لا يَنْطِقانِ

قال : فحدّثني أبي أن المغنّين قالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه انتحله بعد وفاته فقلت له : أنا أدَعُ لهم هذا ومائة صوتٍ بعده ؛ ثم نظروا إلى ما جاء به بعد ذلك فأذْعنوا .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من مجزوء الخفيف]

قِـفْ نُحَـيِّ المَغانِيا ... والطُّلـولَ البَوالِيـا

وعلى أهلهـا فنُـحْ ... وابكِ إن كنتَ باكِيا

الشعر لابن ياسين . والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

صوت

[من المتقارب]

أمـن آلِ ليلى عَرفْتَ الطُّلولا ... بذي حُـرُضٍ ماثِلاتٍ مُثولا

بَلِـــين وتحسَبُ آياتهـــ ـنَّ عن فَرْط حولَيْن رَقّاً مُحِيلا

الشعر لكعب بن زُهَير . والغناءُ لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

صوت

[من الطويل]

أَعاذِلتـــيَّ اليـومَ وَيْحَكما مَهْلا وكُفّا الأذى عنِّي ولا تُكْثرا العَذْلا

دعاني تَجُــدْ كفِّــي بمالي فإنّني سأصبح لا أَسْطِيع جُوداً ولا بُخْلا

إذا وضعوا فوق الصَّفيح جنادلاً عـليّ وخلَّفتُ المَطِيَّــةَ والرَّحلا

فـلا أنــا مجتــازٌ إذا مــا نزلتُه ولا أنا لاق مــا ثَوَيْتُ بـه أهلا

الشعر للأَخطل ، والغناء لإسحاق ، ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى .

صوت

[من البسيط]

إنّي لأَكْني بأَجبال عَنَ اجْبُلِها وبَاسم أَوديةٍ عن اسم وادِيها

عَمْداً ليَحْسَبها الواشون غانيةً أُخرى وتحسَب أنّي لا أُباليها

ولا يُغيِّر وُدِّي أن أُهاجرَهـــا ولا فراقُ نوىً في الدّار أَنْويها

وللقَلُوص ولي منها إذا بَعُدَت بوارحُ الشَّوق تُنْضِيني وأُنْضِيها

الشعر لأَعرابيّ ، والغناء لإسحاقَ هَزَجٌ بالبِنصر .

[حديثه مع الواثق بشأن الأهزاج]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أَبو عبد الله أَحمد بن حَمْدون قال : قال إسحاق للواثق يوماً : الأَهزاج من أَمْلح الغناء ؛ فقال الواثق : إذا كانت مثلَ صوتك : [من البسيط]

إنّي لأَكني بأَجْبال عَنَ اجْبُلِها وباسم أَوديةٍ عن اسم واديها

فهي كذلك .

[غنّى لطلحة بن طاهر مراراً]

قال أَحمد بن أَبي طاهر حدّثني أَحمد بن يحيى الرازيّ عن محمّد بن المُثنَّى عن الحَجّاج بن قُتَيبة بن مُسْلم قال : قال إسحاق : بعث إليّ طَلْحَةُ بن طاهر وقد انصرف من وقعة للشُّراة وقد أَصابته ضربة في وجهه ؛ فقال لي الغلام : أَجِبْ ؛ فقلت : وما يعمل ؟ قال : يشرب ؛ فمضيت إليه فإذا هو جالسٌ قد عصَب ضربتَه وتَقَلْنَس بقَلَنْسُوَة مكّيّة ، فقلت له : سبحانَ الله أَيّها الأَمير ؛ ما حمَلك على لُبْس هذا ؟ قال : التبرُّم بغَيْره ، ثم قال : غنِّ : [من البسيط]

إنّي لأَكْني بأَجْبال عَنَ اجْبُلها

قال : فغنّيتُه إيّاه ، فقال : أحسنتَ والله ! أعِد ! فأعدتُ وهو يشرب حتى صلّى العَتَمة وأنا أُغنّيه ؛ فأقبل على خادم له بالحَضْرة وقال له : كم عندك ؟ قال : مقدارُ سبعين ألفَ درهم ؛ قال : تُحْمَل معه . فلمّا خرجتُ من عنده تبِعني جماعةٌ من الغِلْمان يسألوني ، فوزّعتُ المال بينهم ؛ فرُفِع الخبر إليه فأغضبه ولم يوجّه إليّ ثلاثاً ؛ فجلست ليلاً وتناولت الدَّواةَ والقِرْطاسَ فقلت : [من المنسرح]

علَّمنـي جُودُكَ السَّماحَ فما ... أبقيتُ شيئاً لديَّ من صِلَتِكْ
لم أُبـقِ شيئـاً إلاّ سمحتُ به ... كأنَّ لي قُـدرةً كمقدرتـكْ
تُتلِف في اليوم بالهباتِ وفي السـ ... ـاعة مـا تجتنيـه في سَنَتكْ
فلستُ أدري من أين تُنفق لو ... لا أنّ ربّـي يَجزي على صِلتكْ

فلمّا كان في اليوم الرابع بعث إليّ ، فصِرتُ إليه ودخلت عليه فسلَّمت ؛ فرفع بصرَه إليَّ وقـال : اسقُوه رِطلاً فسُقِيته ، وأمر لي بآخَرَ وآخَر فشربتُ ثلاثاً ؛ ثم قال لي : غنِّ : [من البسيط]

إنّي لأَكني بأجبال عَنَ اجْبُلها

فغنَّيتُه ثـم أتبعتُه بالأبيات التي قلتها ، وقد كنتُ غنَّيتُ فيها لحناً في طريقة الصوت ؛ فقال : ادْنُ فدنوت ، وقال : اجلس فجلست ، فاستعاد الصوتَ الذي صنعتُه فأعدتُه . فلمّا فهِمه وعرَف معنى الشعر قال لخادم له : أحضِرني فلاناً فأحضره ؛ فقال : كم قِبلك من مال الضِّياع ؟ قال : ثمانُمائة ألفِ درهم ؛ فقال : احضرْنِيها الساعةَ ؛ فجِيء بثمانين بَدْرة ؛ فقال للخادم : جئني بثمانين غلاماً مملوكاً ، فأُحضِروا ؛ فقال : احملوا هذا المال ؛ ثم قال : يا أبا محمّد ، خُذ المال والمماليك حتى لا تحتاج أن تُعطِي لأحد منهم شيئاً .

[مهاجاته محمّد بن راشد]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسين بن محمّد بن طالب قال : كان إسحاق بن إبراهيم الموصليّ كثيرَ الغِشْيان لإسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب والحضورِ لسَمَره ، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويُسْني جوائزَه ويُواتِر صِلاتِه ويشاوره في بعض أُموره ويسمع منه ؛ فأُصيب إسحاقُ ببصره قبل موتـه بسنتين ، فترك زيارةَ إسحاقَ وغيرِه ممّن كان يغشاهم ولَزِم بيتَه . وخرج إسحاق يوماً إلى بستانٍ له بباب قُطْرُبُّل وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شَيْخ بن عَمِيرة ومحمّد بن راشِد الخَنّاق والحَرّاني ؛ فجرى ذكرُ إسحاقَ الموصليّ ، فتوجَّع له إسحاق وذكر أُنسَه به وتمنّى حضورَه ، وذكره القومُ فأطْنبوا في نشر[1] محاسنه وشيّعوا ما ذكره

1 ل : ذكر .

به إسحاقُ بما حَسُن موقعُه لهم عنده ؛ وذكره محمّد بن راشد ذكراً لم يحمَده أصحابه عليه ، وزجره إسحاق ، فأمسك عنه ؛ فلمّا انصرفوا من مجلسهم نُمِي إلى إسحاق الموصليّ ما كان فيه القوم في يومهم وما جرى من ذكره ؛ فكتب إلى موسى بن صالح : [من الطويل]

ألا قُلْ لموسى الخيرِ موسى بنِ صالح ... ومَنْ هو دونَ الخَلْق إلْفي وخُلْصَانِي

ومَنْ لو سألت الناسَ عنه لأَجمعوا ... على أنّه أفتى مَعَدٍّ وقَحْطانِ

لعَمْري لئن كان الأميرُ تمنّاني ... بمجلس لذَاتٍ ونُزْهةِ بُستانِ

لقد زادني ما كان منه صَبابةً ... وجَدّدَ لي شوقاً إليه وأبكاني

وما زال ممتنّاً عليّ يَخُصّني ... بما لستُ أُحصي من أيادٍ وإحسانِ

هو السيّد القَرْم الذي ما يُرى له ... من النّاس إن حصّلته أبداً ثاني

نَمَتْه رَوابي مُصْعَب وبَنى له ... كريمُ المساعي في أُرُومته باني

يَعِزّ عليَّ أن تفوزوا بقُربه ... ولستُ إليه بالقريب ولا الدّاني

فيا ليتَ شعري هل أُرُوحنّ مَرّةً ... إليه فيلقاني كما كان يلقاني

وهل أرَيَنْ يوماً غَضارة مُلْكه ... وسلطانه لا زال في عزّ سلطانِ

وهل أَسمَعْن ذاك المُزاحَ الذي به ... إذا جئته سلّيتُ همّي وأحزاني

إذا قال لي «يا مَرْدَ مَيْ خَرْ» وكرّها ... عليّ وكنّاني مُزاحاً بصَفْوانِ

(هذا كلام بالفارسية تفسيره : يا رجل آشرب النبيذ)

فيا لكَ من مَلْهىً أنيقٍ ومجلسٍ ... كريمٍ ومن مَزْح كثيرٍ بألوانِ

وهل يَغْمِزَنْ بي ذو الهَناتِ ابنُ راشد ... وذاك الكريمُ الجدِّ من آل حَرّانِ

وهل أرَيَنْ موسى الكريم ابنَ صالح ... يُنازعني صوتاً إذا هو غنّاني

(يريد الغناء في : [من الطويل]

فلم أرَ كالتَّجمير مَنْظَرَ ناظرٍ ... ولا كليالي النَّفْرِ أَفْتَنَّ ذا هوى)

إذا صاح بالتجمير ثمّ أعاده ... بتبيين إعراب صحيح وتِبْيانِ

أُولئك إخواني الذين أُحِبّهم ... وأُوثرهم بالودّ من بين إخواني

وما منهمُ إلاّ كريمٌ مهذّبٌ ... حبيبٌ إلى إخوانه غيرُ خوّانِ

فأجابه محمّد بن راشد : [من الطويل]

بعثتَ بشعر فيه أنّ رسالةً ... أتتك لموسى عن جماعة إخوانِ

بشوق وذكـرٍ للجميل ولم يكن لموسى لعَمْـري في سَلامته ثاني
ولكن نَطَقْنا بالذي أنت أهلُه وما تستحقّ من صديقٍ ونَدْمانِ
وموسى كريمٌ لم يُحِطْ بك خُبْره كخُبْرِ نَدامَى قد بلَوْكَ وإخوانِ
ولو قد بلاك قال فيك كقول مَنْ فسَدْتَ عليه من خليل وخُلْصانِ
ولم يَعْرُه شوقٌ إليكَ ولم يَجِدْ لِفَقْدكَ مَسّاً عند نُزهة بستانِ
حَمِدتَ النَّدامى كلَّهم غيرَ إنسان ألا إنّما يَجْني على نفسه الجاني
فلا تَعْتِبِ الإخوانَ من بعدها فما تَنَقُّصُ إخوانِ المودّة من شاني

قال : فأجابه إسحاق : [من الطويل]

عجبتُ لمخذولٍ تَعرَّض جانياً لِلَيْثٍ أبي شِبْلين من أُسْدِ خَفّانِ[1]
أتانا بشعر قاله مثلِ وجهه تَزَخْرَفَ فيه واستعانَ بأعوانِ
فجاء بألفاظ ضِعافٍ سخيفةٍ ومَضَّغها تمضيغَ أهوجَ سكرانِ
دَعُوا الشعر للشيخ الذي تعرفونه وإلاّ وُسمتم أو رُميتم بشُهبانِ
فإنّكم والشعرَ إذ تدّعونه كمُعتسِفٍ في ظلمة الليل حَيْرانِ
صَهٍ لا تعودوا للجواب فإنّما ترومون صَعْباً من شماريخ ثَهْلانِ
أنا الأسَد الوَرْد الذي لا يَفُلّه تظاهُرُ أعداءٍ عليه وأقرانِ
ومن قد أردتم جاهدين سِقاطَه فأعياكُم في كلّ سرٍّ وإعلانِ
لَعَمْرِي لئن قلتم بما أنا أهلُه ليستنفدنّ القولَ تعظيمُكم شاني
وجَحْدُكم إيّايَ ما تعلمونه وإقرارُكم عندي بذلك سيّانِ
ألا يزجُرُ الجُهّالَ عنّا أميرُنا وموسى وذاك الشيخُ من آل حَرّانِ
ولا سيّما مَنْ بانَ للناس شرُّه فما يَتَمارى في مذاهبه اثنانِ

[محمد بن عمر الجرجاني يثني عليه]

حدَّثني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل قَرْقارَةُ قال : قال لي محمّد بن عمر[2] الجُرْجانيّ وقد تذاكرْنا إسحاقَ يوماً بحضرته : ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفَه . كان والله إسحاق غُرَّةً في زمانه ، وواحداً في دهره عِلماً وفقهاً وأدباً

1 خفان : موضع كان مأسدة .
2 ل : عمران .

ووَقاراً ووفاءٍ وجودةَ رأي وصحّةَ مودّة . كان والله يُخرِسِ الناطقَ إذا نطق ، ويُحيّر السامعَ إذا تحدّث ، لا يمَلّ جليسُه مَجلِسَه ، ولا تَمُجّ الآذانُ حديثَه ، ولا تنبو النفوسُ عن مُطاولته . إن حدّثك ألهاك ، وإن ناظرك أفادك ، وإن غنّاك أطربك . وما كنتَ ترى خَصْلة من الأدب ولا جنساً من العلم يتكلّم فيه إسحاقُ فيُقدِم أحدٌ على مُساجلته ومباراته .

[أمره المأمون أن يغنّي في شعر رآه مكتوباً في بساط]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبيّ قال حدّثني أحمد بن يحيى المكّيّ قال : أمر المأمون يوماً بالفَرْش الصّيْفي أن يُخرَج ؛ فأُخرج فيما أُخرِج منه بِساطٌ طَبَريّ أو أَصْبَهْبُذانيّ ، مكتوب في حواشيه : [من مجزوء الخفيف]

صوت

لَجّ بالعـين واكِفُ مِن هَوىً لا يُساعِفُ
كلّمـا جَـفّ دمعُه هيّجتْـــه المعـازِفُ
إنّما المـوتُ أن تفا رقَ مَـنْ أنت آلِفُ
لك حُبّـان في الفؤا دِ تَليـــدٌ وطـارِفُ

قال : فاستحسن المأمون هذه الأبيات ، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحناً ويُعجِّل به ؛ فصنع فيها الهَزَج الذي يُغَنَّى به اليومَ . قال أحمد : وسمعها أبي منه فقال : لو كان هذا الهَزَج لِحَكَم الوادي لكان قد أحسن . يريد أنّ حكَماً كان صاحبَ الأهزاج .

[اعجاب يحيى المكّي به]

أخبرني الحسن قال حدّثني يزيد بن محمّد قال حدّثني ابن المكّي قال : تذاكرْنا يوماً عند أبي صنعَة إسحاق ، وقد كنّا بالأمس عند المأمون فغنّاه إسحاقُ لحناً صنعه في شعر ابن ياسين : [من مجزوء الخفيف]

صوت

الطُّلُــول الـدَّوارِسُ فارقتْهـــا الأوانِسُ
أوْحشت بعـد أهلها فهــي قَفْـرٌ بَسابِسُ

الغناء لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر . قال : فقال أبي : لو لم يكن من بدائع إسحاقَ غيرُ هذا لكفى ، «الطلول الدوارس» كلمتان ، و«فارقتها الأوانس» كلمتان ، وقد غنّى فيهما استهلالاً وبسيطاً وصاح وسَجَح ورجّع النغمةَ واستوفى ذلك كلّه في أربع كلمات وأتى بالباقي مثله ؛ فمَن شاء فليفعل مثلَ هذا أو ليقاربْه . ثم قال : إسحاق والله في زماننا فوق ابن سُرَيْج والغَرِيض ومَعْبَد ، ولو عاشوا حتى يَرَوْه لعَرفوا فضلَه واعترفوا له به . وأخبرني عمّي

عن يزيد بن محمّد المهلّبيّ : أنّه كان عند الواثق فغنّته شَجا هذا الصوتَ ؛ فقال الواثق مثلَ هذا القول . والمذكور أنّ ابن المكّيّ قاله ؛ فلا أدري أهذا وَهْمٌ من يزيد ، أو اتّفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى ، أو اتّفقت عليه قريحتاهما .

[أعجب هو والزبير بن دحمان بغناء خباز]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال : أرسل إليّ الفضلُ بن الرَّبيع يوماً وإلى الزُّبَيْر بن دَحْمان ، فوافق مجيئنا شغلاً كان له ، فصِرْنا إلى بعض حُجَره ، فنَعَستُ فنِمتُ فإذا زُبَير يحرّكني فانتبهتُ فإذا خبّازٌ في مطبخ الفضل يضرب بالشُّوبَق يُغنّي : [من الهزج]

صوت

بِدَيْـــر القائم الأَقْصَى غــزالٌ شَفَني أَحْوَى
بَرَى حُبِّي له جسمي وما يَدري بمــا أَلْقى
وأُخفي حبَّــه جُهْدِي ولا واللهِ مــا يَخْفى

الشعر والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيل بالبنصر . قال : فقال لي الزُّبير : تَضَنّ بهذا وانظرْ مَن يبتذله ! ؛ فقلت : لا أَضَنّ بغناء بعد هذا .

[المأمون يستحسن أصواتاً من مغنين دون إسحاق]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني أحمد بن الطيّب السَّرَخْسيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لي صالح بن الرشيد : كنّا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنِّين ، فيهم إسحاق وعَلّويه ومُخارِق وعمرو بن بانة ؛ فغنّى مخارق في الثقيل الأوّل : [من الطويل]

صوت

أَعــاذلُ لا آلــوكِ إلاّ خَليقتــي فــلا تجعــلي فوقــي لسانَك مِبْرَدا
ذَرِيني أَكنْ للمالِ ربّــاً ولا يكن لِيَ المــالُ ربّاً تَحْمَدِي غِبَّـــه غدا
ذَريني يكـــن مالي لعِرْضي وقايــةً يَقِي المــالُ عِرْضي قبــل أَن يتبدّدا
أَلم تعلمــي أَنِّي إذا الضيفُ نابنــي وعَزَّ القِرَى أَقْرِي السَّدِيفَ المُسَرْهَدا[1]

فقال له المأمون : لَمن هذا اللحن ؟ قال : لهذا الهِزَبْر الجالس (يعني إسحاق) ؛ فقال المأمون لمخارق : قم فاقعد بين يديّ وأَعِدِ الصوت ؛ فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده ، وشرب المأمون عليه رِطلاً ؛ ثم التفت إلى إسحاق فقال له : غنِّ هذا الصوت ؛ فغنّاه فلم

1 السديف : السنام ، والمسرهد : المقطع أو السمين .

يستحسنه كما استحسنه من مخارق ؛ ثم دار الدورُ إلى عَلّويه ، فقال له : غنٍّ فغنّى في الثقيل الأوّل أيضاً : [من الوافر]

صوت

أَرِيتُ اليومَ نارَكِ لم أُغَمِّضْ بَواقِصةٍ ومَشْرَبُنا بَـرُودُ[1]
فلم أَرَ مثلَ موقِدها ولكن لأيّة نظـرةٍ زَهَـر الوَقُودُ
فبِتُّ بليلـةٍ لا نـومَ فيها أُكابدُها وأَصحابي رُقودُ
كأَنّ نجومَها رُبِطتْ بصَخْرٍ وأَمْـراسٍ تـدور وتستزيدُ

فقال له المأمون : لمن هذا الصوت ؟ فقال : لهذا الجالس وأشار إلى إسحاق فقال لعَلّويه : أعِدْه فأعاده ، فشرب عليه رطلاً ؛ ثم قال لإسحاق : غَنِّه فغنّاه فلم يطرَب له طَرَبَه لعَلّويه . فالتفتَ إليّ إسحاق ثم قال لي : أَيّها الأَمير ، لولا أنّه مجلسُ سرور وليس مجلس لَجاجٍ[2] وجِدال لأعلمتُه أنّه طرِب على خطأ ، وأَنّ الذي استحسنه إنّما هو تزايدٌ منهما[3] يُفسد قسمةَ اللحن وتجزئتَه ، وأَنّ الصوت ما غنّيتُه لا ما زادا . ثم أَقبل عليهما فقال : يا مخنّثان ، قد علمتُ أَنّكما لم تُريدا بما فعلتماه مدحي ولا رِفعتي ، وأَنا على مكافأتكما قادر ؛ فضحك المأمون وقال له : ما كان ما رأيتَه من طَرَبي لهما إلاّ استحساناً لأَصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك .

[غناؤه للمعتصم بعد رحلة صيد]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني عبد الله بن أَبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال حدَّثني إسحاق قال : دخلتُ يوماً على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه ظِباء مذبَّحة[4] وطيرُ ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب ؛ فأَمرني بالجلوس والغناء ؛ فجلستُ وغنّيته : [من الرمل]

صوت

اشتهيْنـا في ربيـعٍ مـرّةً زَهَمَ الوحشِ على لحم الإبِلْ[5]
فغدَونـا بطُـوالٍ هَيْكَـلٍ كَعَسِيب النخل مَيّاد خَضِلْ[6]

1 واقصة منزل بطريق مكّة ، والبرود : البارد . ومشربنا بُرود في ل : ومشرقنا زرود .
2 ل : حجاج .
3 تزايد وتزيد : تكلف زيادة لا داعي لها .
4 ل : مذبوحة .
5 زهم : شحم الوحش دون أن تكون فيه زهومة أي كراهة ريح .
6 هيكل : الضخم من الحيوان .

الشعر يقال : إنّه لأعشى هَمْدان ، والغناء لأحمد النَّصْبِيّ خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، فتبسّم وقال : وأين رأيت لحم الإبل ؟ فغنّيته : [من مجزوء الكامل]

صوت

ليس الفتى فيهم إذا ... شَرِب الشرابَ مُؤنَّبا
لكن يروحُ مُرَنَّحاً ... حسنَ الثيابِ مُطَيَّبا
يسقونه صِرْفاً على ... لحم الظباء مُضَهَّبا[1]

فقال : هذا أشبه ، وشرِب . ثم غنّيته بشعر وَضّاح اليمن ، قال : والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ[2] : [من الهزج]

صوت

أبى القلبُ اليمانيّ الـ ... ـذي تُحْمَدُ أخلاقُهْ
ويَرْفَضُّ له اللحنُ ... فما تُفْتَق أرْتاقُهْ
غزالٌ أدعجُ العين ... رَبيبُ خَدَلَّج ساقُهْ[3]
رماني فسبَى قلبي ... وأرميه فأشتاقُهْ

فطرِب وقال : هذا والله أحسن صيد وألذُّه ، وشرِب عليه بقيَّةَ يومه وخلَع عليّ وأمر لي بجائزة . هكذا ذُكِر في هذا الخبر أنّ الثقيل الأوّل لابن مُحْرِز وقد قيل ذلك . وذكر عمرو بن بانة أنّ الثقيل الأوّل بالبنصر لابن طُنْبورة ، وأنّ لحن ابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ .

[دِقّته في الوصف]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني فَضْل اليَزيديّ قال : قال لي إسحاق يوماً في عُرْض حديثه : دخلت على المعتصم ذاتَ يوم وعليه قميصٌ دَبِيقيّ[4] كأنّما قُدّ من جِرْم الزُّهَرة[5] ؛ فضحِكتُ ؛ فقال : ما أضحكك . فقلت : من مبالغتك في الوصف ، فتبسّم . قال الفضل : وما سمعتُ محدّثاً قطُّ ولا واصفاً أبلغ منه ولا أحسن لفظاً وتشبيهاً .

[تبرّمه بالغناء وبالتسمية به]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثنا محمّد بن عبد الله بن مالك قال :

---

1 لحم مضهب : مقطّع .
2 ديوان وضّاح اليمن (صادر) : 69 عن الأغاني .
3 خدلّج في ل : مجدل . والخدلَّج : الممتلىء .
4 الدبيقي : المنسوب إلى دبيق وهي بلدة كانت بمصر .
5 الزهرة : ثاني الكواكب السيّارة في القرب من الشمس .

قال لي إسحاق : وَدِدتُ أَنّ كلّ يوم قيل لي : غَنّ أو قيل لي عند ذِكْرى : المغنّي ، ضُرِب رأسي خمسةَ عشرَ سوطاً ، لا أقوى على أكثر منها ، ولم يُقَلْ لي ذلك .

[صنع لحناً على لحن أذان سمعه]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حَمّاد قال : صنع أبي لحنه في : «تَشَكّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ» على لحن أذانٍ سمِعه .

[كثرة حفظه لأهزاج القدماء]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حَمّاد قال : تذاكرنا[1] يوماً الهَزَج عند المأمون ؛ فقال عمرو بن بانة : ما أقلّه في الغناء القديم ! ؛ فقال إسحاق : ما أكثره فيه ! ثم غنّاهم ثلاثين هَزَجاً في إصبع واحدة ومجرى واحد ، ما عرفوا جميعاً منها إلاّ نحو سبعة أصوات .

[تقدير زرزور لقدرته في الغناء]

حدَّثني يحيى قال حدَّثني أخي قال حدَّثني عافية بن شَبيب قال : قلت لزُرْزُور : مالكم تَذِلُّون لإسحاق هذا الذلّ ، وما فيكم أحدٌ إلاّ وهو أطيب صوتاً منه ، وما في صنائعكم وَصْمة ! فقال لي : لا تقلْ ذلك ، فوالله لو رأيتنا معه لرحِمتَنا ورأيتنا نذوب كما يذوب الرَّصاص في النار ! .

[غضب عليه الفضل بن الربيع فترضّاه وحاجبه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عَوْن بن محمّد قال حدَّثني إسحاق قال : لاعَبتُ الفضل بن الربيع بالنَّرْد ، فوقع بيننا خلاف ، فحلف وحلفت ، فغضب عليَّ وهجَرني ، فكتبت إليه : [من الطويل]

يقول أُناسٌ شامتون وقد رأَوْا ... مُقامي وإغبابي الرواحَ إلى الفضلِ

لقد كان هذا خُصَّ بالفضل مرّةً ... فأصبح منه اليومَ مُنصرِمَ الحبلِ

ولو كان لي في ذاك ذنبٌ علِمته ... لَقَطَّعْتُ نفسي بالمَلامة والعذلِ

وعرضتُ الأبيات عليه ؛ فلمّا قرأها ضحِك وقال : أشدّ من ذنبك أنّك لا ترى لنفسك بذلك الفعل ذنباً ؛ والله لولا أنّي أدّبتك أدبَ الرجل ولدَه ، وأنّ حسنَك وقبيحَك مضافان إليّ لأنكرتني ؛ فأصلِح الآن قلبَ عون ، وكان يَحْجُبه ، فخاطبته في ذلك فكلّمني بما كَرِهت ؛ فقلت : أتدخل بيني وبين الأمير أعزّه الله ! ؛ وكان عون يُرْمى بالأُبنة فقلت فيه : [من الطويل]

وذاكر أمرٍ ضاق ذرعاً بذكره ... وناسٍ لداءٍ منه مُتّسِع الخَرْقِ

قال : ثم علِمت أنّه لا يتمّ لي رضى الفَضْل إلاّ بعد أن يرضى عون ، فقلت فيه :[من الخفيف]

---

1 ل : تذاكروا .

عَوْنُ يا عَوْنُ ليس مثلَك عونُ   أنت لي عُـدَّةٌ إذا كان كونُ
لك عندي والله إن رَضِيَ الفضـ   ـلُ غلامٌ يُرْضيك أو بِرْذَوْنُ

فدخل إلى الفضل فترضّاه لي فرضي ؛ ثم قال له : ويلك يا عون ! إنّه والله إنّما هجاك وأنت ترى أنّه قد مدحك ، ألا ترى إلى قوله : «غلام يرضيك» ؟ هذا تعريض بك ؛ قال : فكيف أصنع به مع محلّه عند الأمير ! .

[شكا إليه المأمون أصحابه]

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن عن إسحاق ، وأخبرني بعضَ الخبر إسماعيلُ بن يونس عن عمر بن شَبَّة عن إسحاق ، ولفظُ الخبرِ وسِياقتُه للصُّولي ، قال : استدناني المأمونُ يوماً وهو مُسْتَلْقٍ على فِراش حتى صارت ركبتي على الفراش ، ثم قال لي : يا إسحاق ، أشكو إليك أصحابي : فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ، وفعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ؛ حتى عدَّد جماعةً من خواصّه ؛ فقلت له : أنت يا سيِّدي بتفضُّلك عليّ وحسنِ رأيك فيّ ظننتَ أنّي ممّن يُشاوَر في مثل هذا ، فجاوزتَ بي حدِّي ، وهذا رأيٌ يَجِلّ عنّي ولا يبلُغه قدري ؛ فقال : ولِمَ وأنت عندي عالم عاقل ناصح ؟ فقلت : هذه المنزلة عند سيِّدي علّمتني ألاّ أقول إلاّ ما أعرف ولا أطلبَ إلاّ ما أنال ؛ فضحِك وقال : قد بلغني أنّك في هذه الأيّام صنعتَ لحناً في شعر الرّاعي ولم أسمعه منك ؛ فقلتُ : يا سيِّدي ، ما سمعه أحدٌ إلاّ جَواريَّ ، ولا حضرتُ عندك للشرب منذ صنعتُه ؛ فقال : غَنِّه ؛ فقلتُ : الهيبةُ والصَّحْو يمنعاني أنْ أُؤدِّيه كما تريد ، فلو آنس أميرُ المؤمنين بشيء يُطربه ويقوّي به طبعه كان أجود ؛ قال : صدقت ، ثم أمر بالغداء فتغدّينا ، ومُدّت الستارةُ فغُنّي من ورائها وشربنا أقداحاً ؛ فقال : يا إسحاق ، أما جاء أوانُ ذلك الصوت ؟ فقلت : بلى يا سيِّدي ، وغنّيتُه لحني في شعر الراعي[1] : [من الوافر]

صوت

ألَـم تسألْ بعارِمَـةَ الديـارا   عن الحيِّ المُفارِقِ أين صارا[2]
بـلى ساءلتهـا فأبـتْ جواباً   وكيف تُسائلُ الدِّمَنَ القِفارا

لحنُ إسحاق في هذين البيتين خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ، قال : فاستحسنه وما زال يشرب عليه سائرَ يومه ، وقال لي : يا إسحاق ، لا طَلَبَ بعد وجود البُغْية ، ما أشرب بقيّةَ يومي هذا إلاّ على هذا الصوت ؛ ثم وصلني وخلَع عليَّ خِلعةً من ثيابه .

1 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : القصيدة رقم 70 وهي فيه 59 بيتاً والبيت الأوّل هنا أوّلها والثاني هو الثامن والخمسون .

2 عارمة : موضع بنجد . صارا : الديوان : سارا .

[مدح أعرابيّة له]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني عَوْن بن محمّد قال حدّثني إسحاق قال[1] : كانت أعرابيّة تَقْدَم عليّ من البادية فأُفضِل عليها ، وكانت فصيحة ؛ فقالت لي ذات يوم : والذي يعلم مغزى كلّ ناطق لكأنّك في عِلمك وُلدتَ فينا ونشأت معنا . ولقد أَرَيْتَني نجداً بفصاحتك ، وأَحللتَني الرَّبيع بسماحتك ؛ فلا اطّرَدَ لي قولٌ إلاّ شكرتك ، ولا نَسَمتْ لي ريحٌ إلاّ ذكرتك .

[أنحل أبا المجيب الربعيّ صداقاً وداعبه بشعر]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني عَوْن بن محمّد قال حدَّثني المُغيرة بن محمّد المهلَّبيّ عن إسحاق قال : كان أَبو المُجيب الرَّبَعيّ فصيحاً عالِماً ، فقال لي : يا أَبا محمّد ، قد عزمتُ على التزوّج فأَعِنّي وقوِّني ؛ قال : فأَعطيتُه دنانيرَ وثياباً . فغاب عنّي أَيّاماً ثم عاد ؛ فقلت : يا أَبا مُجيب ، هاهنا أَبيات فاسمعها ؛ فقال : هاتها ؛ فقلت : [من الرجز]

يا ليتَ شعري عن أَبي مُجيبِ إذ بـات في مَجاسِدٍ وطِيبِ
معانقــاً للــرَّشأ الرَّبيــبِ أأَحمــدَ المِحفـارُ في القَليبِ[2]
أَم كان رِخْواً ذابـلَ القضيبِ

قال : فقال لي : الأَخيرُ والله يا أَبا محمّد .

[عتاب صديق]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدّثني عون بن محمّد قال حدَّثني إسحاق قال : كانت بيني وبين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشْنا ، فمررتُ ببابه يوماً ، فتذمَّمت أَن أجوزَه ولا أَدخل إليه ، فدعوتُ بدَوَاةٍ وقِرطاس وكتبتُ إليه : [من الوافر]

رجعنا بالصفاء إلى الخليلِ فليس إلى التَّهاجُر من سبيلِ
عتابٌ في مُراجعةٍ وصفحٌ أَحـقُّ بنـا وأَشبهُ بالجميلِ

قال : ووجّهت بالرُّقعة وقصدت بابه ، فخرج إليّ حتى تلقَّاني ، ورجعنا إلى ما كنّا عليه .

[ثَبت صدق روايته الأخبار]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عبد الله بن المعتزّ عن الهشاميّ قال : كان أَهلُنا يعتبرون على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأَخباره ، بأَن يُجلسوا كاتبتين فَهِمتين خَلْف السِّتارة ، فتكتبان ما يقوله وتضبُطانه ، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى ، ثم يُعيدون تلك

1 انظر التذكرة الحمدونية 4 : 49 .

2 أحمد : أتى بما يحمد . القليب : البئر .

المسألة عليه ، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنّه يقرؤها من دفتر ؛ فعلموا حينئذٍ أنّه لا يقول في شيء يُسأل عنه إلاّ الحقّ .

[غنّى عَلّويه لحناً لأبيه فخطأه في مجلس المأمون]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني أحمد بن مَزْيد المهلَّبيّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال : كنّا عند المأمون ، فغنّاه عَلّويه : [من الطويل]

صوت

لعَبْـدةَ دارٌ مـــا تكلِّمنـا الدارُ   تلُـوح مَغانيهـا كما لاح أسطارُ
أُسائـلُ أحجاراً ونُـؤْيـاً مُهَدّمـا   وكيف يردُّ القولَ نؤيٌ وأحجارُ

الشعر لبشّار ، والغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، قال : فقال المأمون : لَمن هذا اللحن ؟ فقلت : لعبد أمير المؤمنين أبي ، وقد أخطأ فيه عَلّويه ؛ قال : فغنِّه أنت فغنّيته ، فاستعادنيه مراراً وشرب عليه أقداحاً ؛ ثم تمثّل قولَ جرير : [من البسيط]

وابنُ اللَّبون إذا ما لُـزَّ في قَرَنٍ   لم يستطع صَوْلَةَ البُزْلِ القَناعِيسِ[1]

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم . ووجدتُ هذا الخبر بخطّ أبي العبّاس ابن ثَوابة ، فكان فيه : حدَّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال : اجتمعنا بين يدي المعتصم ، فغنَّى عَلّويه : [من الطويل]

لعبدةَ دارٌ مـــا تكلِّمنا الدار

فقال له إسحاق : أخطأت فيه ، ليس هو هكذا ؛ فقال عَلّويه : أُمّ مَن أخذناه عنه هكذا زانية ؛ فقال إسحاق : شتمنا قبحه الله ، وسكت وبان ذلك فيه ؛ وكان عَلّويه أخذه من إبراهيم .

[حواره مع عَلّويه]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو العنبس بن حَمدون عن أبيه عن جدّه قال : كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يُغنّي إلاّ الخليفةَ أو وليَّ عهده أو رجلاً من الطاهِريّة مثلَ إسحاق بن إبراهيم وطبقتِه ؛ فاجتمعنا عند الواثق وهو وليّ عهد المعتصم ، فاشتهى الواثق أن يُضَرِّب[2] بين مخارق وعَلّويه وإسحاق حاضر ، ففعل حتى تهاترا ؛ ثم قال لإسحاق : كيف هما الآن عندك ؟ فقال : أمّا مُخارق فمُنادٍ طيّبُ الصوت ؛ وأمّا عَلّويه فهو خير

1 ابن اللبون : ولد الناقة في عامه الثاني . لزّ : شدّ . القرن : الحبل الذي يقرن به البعيران . البزل : جمع بازل وهو البعير الذي انشقّ نابه ويكون ذلك في السنة الثامنة أو التاسعة . القناعيس : جمع قنعاس وهو الجمل الضخم الشديد .

2 التضريب : الاغراء .

حِمارَي العِباديّ[1] ، وهو على كلّ حال شُيَيْء (يريد تصغيره) ؛ فوثَب عَلّويه مُغْضَباً ، ثم قال للواثق : جواريه حرائرُ ونساؤه طوالقُ ، لئن لم تستحلفه بحياتك وحقِّ أبيك ، أن يصدُقَ عمّا أسأله عنه ، لأتوبنَّ عن الغناء ما عِشْتُ ؛ فقال له الواثق : لا تُعَرْبِد يا عليّ ، نحن نفعل ما سألت ؛ ثم حَلّف إسحاق أن يصدُق فحلف ؛ فقال له : من أحسن الناس اليومَ صنعةً بعدك ؟ قال : أنت . قال : فمَن أضربُ الناس بعد ثَقيف ؟ قال : أنت . قال فمَن أطيبُ الناس صوتاً بعد مُخارق ؟ قال : أنت . قال عَلّويه لإسحاق : أهذا قولُك فيّ وأنت تعلم أنّي مُصَلّي[2] كلّ سابق فاضل ، وأنّي ثالثُ ثلاثةٍ أنت أحدهم لم يكن في الدنيا مثلُهم ولا يكون ؟ فما أنت وغناؤك الذي لا يُسمَع انخفاضاً ! ؛ فغضب إسحاقُ ، وانتهر الواثقُ عَلّويه . ثم أخذ إسحاقُ عوداً فنقل مَثْناه إلى موضع البَمّ ، وزيرَه إلى موضع المَثْلَث ، وجعل البمَّ والمثلثَ مكان الزير والمَثْنى ، وضرب وقال : ليغنّ مَن شاء منكم ؛ فغنّى مُخارق عليه : [من الطويل]

تَقَطّع من ظَلاّمَةَ الوصلُ أجمعُ أخيراً على أنْ لم يكن يَتَقَطّعُ

وضرب عليه إسحاقُ فلم يَبِنْ في الأوتار خلافٌ ولا فُقِد من الإيقاع شيء ولا بانَ فيه اختلال ؛ فعظُم عجبُ الواثق من فعله ؛ وقام إسحاق فرقَص طرباً ، فكان والله أحسنَ رقصاً من كُبَيْش وعبد السلام ، وكانا من أرقص الناس ، فقال الواثق : لا يكمُل أحدٌ أبداً في صناعته كمثل كمال إسحاق .

[عبد الله بن طاهر يمدحه]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمّد قال حدّثني إسحاق قال : دخلت على عبد الله بن طاهر وهو يُلاعِب إبراهيمَ بن وَهْب بالشِّطْرَنْج ، فغلبه عبد الله ، وأومأ إليّ بأن أُكايده ؛ فقلت : [من الرجز]

قــد ذهبتْ منك أبا إسحاقِ مثلَ ذَهــابِ الشهرِ بالمُحاقِ[3]

فقال لي عبد الله : إنّ فضائلك يا أبا محمّد لتتكاثر عندنا ، كما قال الشاعر في إبله : [من الرجز]

1 المثل : كحماري العبادي ، سئل عبادي : أي حماريك شر ، فقال هذا ثم هذا أو قال هذا هذا . أي لا فضل لأحدهما على الآخر (مجمع الميداني 2 : 161 وجمهرة العسكري 2 : 151 ومستقصى الزمخشري 2 : 215) .

2 المصلي : الذي يلي السابق من الخيل .

3 المحاق : آخر الشهر .

إذا أَتاهــا طالــبٌ يَسْتامُها　　　تكاثــرتْ في عينــهِ كِرامُها

[صنع لحناً في بيتين وغنّاه الواثق]

أَخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرزُبان قال ذكر عليّ بن الحسن بن عبد الأَعلى عن إسحاق قال : أَنشدتْني أمّ محمّد الأَعرابيّة لنفسها هذين البيتين وأَنا حاجٌّ ، فاستحسنتُهما ، وصنعتُ فيهما لحناً غنَّيته الواثقَ ؛ فاستعاده حتى أَخذه ، وأَمر لي بثلاثين أَلف درهم ؛ وهما : [من الطويل]

عسى اللهُ يا ظَمْياءُ أَن يَعكِسَ الهوى　　　فتَلْقَيْنَ ما قد كنتُ منكِ لَقِيتُ

ثــراء فتحتاجــي إليّ فتعلمي　　　بأَنّي قد أُجْزِيــكِ حــين غَنِيتُ

[يضرب بعود مشوّش الأَوتار]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثني محمّد بن مَرْوان قـال قـال لي يحيى بن مُعاذ : كان إسحاق الموصليّ وإبراهيم بن المهديّ إذا خَلَوا فهما أَخوانِ ، وإذا التقيا عند خليفة[1] تكاشحا أَقبحَ تكاشح ؛ فاجتمعا يوماً عند المعتصم ؛ فقال لإسحاق : يا إسحاق ، إنّ إبراهيم يَثْلُبك ويَغُضّ منك ويقول : إنّك تقول : إنّ مُخارِقاً لا يُحسن شيئاً ويتضاحك منك ؛ فقال إسحاق : لم أَقُل يا أَمير المؤمنين : إنّ مُخارقاً لا يُحسن شيئاً ، وكيف أَقول ذلك وهو تلميذ أَبي وتخريجُه وتخريجي ؟ ولكن قلت : إنّ مُخارِقاً يملِك من صوته ما لا يملِكه أَحد ، فيتزايد فيه تزايداً لا يُبقي عليه ويتغيّر في كلّ حال ، فهو أَحلى الناس مسموعاً وأَقلّه نفعاً لَمن يأخذ عنه ، لقلّة ثباته على شيء واحد . ولكنّي أَفعل الساعةَ فعلاً إن زَعَم إبراهيمُ أَنّه يُحسنه فلستُ أُحسن شيئاً ؛ وإلاّ فلا ينبغي لـه أَن يدَّعيَ ما ليس يُحسنه . ثم أَخذ عوداً فشوّش أَوتارَه ، ثم قال لإبراهيم : غَنِّ على هذا أَو يُغنِّي غيرُك وتضرِبُ عليه ؛ فقال المعتصم : يا إبراهيم ، قد سمعتَ ، فما عندك ؟ قال : ليفعلْه هو إن كان صادقاً ؛ فقال له إسحاق : غَنِّ حتّى أَضربَ عليك فأَبى ؛ فقال لزُرْزُور : غَنِّ فغنَّى وإسحاقُ يضرِب عليه حتّى فُرِغَ من الصوت ما علِم أَحد أَنّ العود مشوَّش . ثم قال : هاتوا عوداً آخر ؛ فشوّشه وجعل كلَّ وترٍ منه في الشدّة واللّين على مقدار العود المشوّش الأَوّل حتى استوفى[2] ؛ ثم قال لزُرْزور : خُذ أَحدَهما فأَخذه ، ثم قال : انظر إلى يدي واعمل كما أَعمل واضرِب ففعل ؛ وجعل إسحاق يغنِّي ويضرِب وزُرْزور ينظر إليه ويفعل كما يفعـل ؛ فما ظَـنَّ أَحدٌ أَنّ في العودَين شيئاً من الفساد لصحّة نَغَمهما جميعاً إلى أَن فُرِغ من الصوت . ثم قال إبراهيم : خُـذ الآن أَحـد العودَيـن ، فاضرب به مبدأً أَو عَمُودَ طريقةٍ أَو كيف

---

1 ل : الخليفة تكاشفا أَقبح تكاشف .

2 ل : استويا .

شئتَ إن كنت تُحسِن شيئاً ؛ فلم يفعل وانكسر انكساراً شديداً ؛ فقال له المعتصم : أرأيتَ مثل هذا قطُّ ؟ قال : لا ، والله ما رأيتُ ولا ظننتُ أنّ مثله يكون .

[أعجبه يوم فتمثل فيه بشعر]

حدّثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل قال : دعاني إسحاقُ يوماً ، فمضيتُ إليه وعنده الزُّبَير بن دَحْمان وعَلّويه وحسين بن الضحّاك ، فمَرَّ لنا أحسنُ يوم ؛ فالتفت إليّ إسحاقُ ثم قال : يومُنا هذا والله يا أبا العبّاس كما قال الشاعر : [من مجزوء الرمل]

أنت والله من الأيّام لَدْنُ الطَّرَفَيْنِ
كلّما قلّبتُ عينيَّ ففي قُرَّةِ عَيْنِ

[غناء عند الواثق]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ يوماً على الواثق فقال لي : يا إسحاق ، إنّي أصبحت اليوم قَرِماً[1] إلى غنائك فغنّني ، فغنَّيته : [من البسيط]

مِن الظِّباءِ ظِباءٌ همُّها السُّخُبُ ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ[2]
لا يَغْترِبْنَ ولا يَسْكُنَّ باديةً وليس يَدْرين ما ضَرْعٌ ولا حَلَبُ
إذا يدٌ سَرَقتْ فالقطعُ يلزمها والقطع في سَرَقٍ بالعين لا يَجِبُ

قال : فشرب عليه بقيّةَ يومه وبعضَ ليلته ، وخلع عليَّ خِلْعةً من ثيابه .

[خرج مع الواثق إلى الصالحيّة فحنَّ إلى بغداد]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : خرجتُ مع الواثق إلى الصالحيّة وهو يريد النزهة ، فذكرتُ بغدادَ وعيالي وأهلي وولدي بها فبكيتُ ؛ فقال لي : بحياتي أذَكرتَ بغدادَ فبكيتَ شوقاً إليها ؟ فقلت : نعم ، وغنَّيتُه : [من الطويل]

صوت

وما زلت أبكي في الديار وإنّما بكائي على الأحباب ليس على الدّارِ

قال : فأمر لي بمائة ألف درهم وصرَفني .

وأخبرني محمّد بن مَزْيد بهذا الخبر عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وحدَّثني به عليّ بن هارون عن عمّه عن حَمّاد عن أبيه وخبرُه أتمّ ، قال : ما وَصلني أحدٌ من الخلفاء قطُّ بمثل ما وصلني به الواثق . ولقد انحدرتُ معه إلى النَّجَف ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، قد قلتُ في

1 القرم : شدّة الشهوة إلى اللحم . ويقال : قرمت إلى لقائك : تشهيت لقاءك .
2 السخب : جمع سخاب وهو القلادة من الزهر أو الجوهر .

النجف قصيدة ؛ فقال : هاتِها ؛ فأَنشدتُه[1] : [من البسيط]

يا راكبَ العِيسِ لا تَعْجَلْ بنا وقِفِ نُحَيِّ داراً لسُعْدَى ثم نَنْصرِفِ

حتى أَتيتُ على قولي :

لم يَنزِلِ الناسُ في سهلٍ ولا جَبَلٍ أَصْفى هواءً ولا أَعْذى من النَّجَفِ[2]

حُفَّتْ ببَرٍّ وبَحْرٍ من جوانبها فالبَرُّ في طَرَفٍ والبحر في طَرَفِ

وما يزالُ نسيمٌ من يَمانِيَةٍ يأتيك منها بريّاً رَوْضَةٍ أُنُفِ[3]

فقال : صدقتَ يا إسحاق ، هي كذلك . ثم أَنشدتُه حتى أَتيت على قولي في مدحه : [من البسيط]

لا يحسَبُ الجودَ يُفْني مالَه أَبداً ولا يرى بذلَ ما يَحْوِي من السَّرَفِ

ومضيت فيها حتّى أَتممتُها ؛ فطرِب وقال : أَحسنتَ والله يا أَبا محمّد ، وكنّاني يومئذٍ ، وأَمَر لي بمائة أَلف درهم ؛ وانحدر إلى الصالحيّة التي يقول فيها أَبو نُوّاس :

بالصالحيّة من أَكنافِ كَلْواذِ

فذكرتُ الصبيانَ وبغدادَ فقلت : [من الطويل]

أَتَبْكي على بغدادَ وهي قريبةٌ فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُعْدَا

لعَمْرُكَ ما فارقتُ بغدادَ عن قِلًى لَوَ انّا وجدنا عن فِراقٍ لها بُدّا

إذا ذكرتْ بغدادَ نفسي تَقَطَّعتْ من الشَّوق أَو كادت تموت بها وَجْدا

كفى حَزَناً أَن رُحْتُ لم أَستطع لها وَداعاً ولم أُحْدِثْ بساكنها عهدا

قال : فقال لي : يا موصليّ ، أَشتقتَ إلى بغداد ؟ فقلت : لا والله يا أَمير المؤمنين ، ولكن من أَجل الصبيان ، وقد حضرني بيتان ؛ فقال : هاتهما ؛ فأَنشدتُه : [من الوافر]

حَنَنتَ إلى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغارِ وشاقكَ منهمُ قربُ المَزارِ

وأَبرحُ ما يكونُ الشوقُ يوماً إذا دَنَتِ الدّيارُ من الديارِ[4]

فقال لي : يا إسحاق ، صِرْ إلى بغداد فأَقِمْ مع عيالك شهراً ثم صِرْ إلينا ، وقد أَمرتُ لك بمائة أَلف درهم .

---

1 يتكرّر هذا الخبر والشعر في ترجمة الواثق فيما بعد ، وكذلك كثير من أخباره مع الواثق .

2 أعذى : أطيب هواء .

3 الروضة الأنف : التي لم يرعها أحد .

4 وأبرحُ ما يكون الشوق يوماً في ترجمة الواثق : «وكلّ مفارق يزداد شوقاً» .

[صنع لحناً أحسن من لحن الواثق]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال أخبرني أبي قال : لمّا صنع الواثق لحنَه في : [من الطويل]

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِدْني من التي بها نَهِلَتْ نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بَخِلَتْ حتّى لَوَ انّي سألْتُها قَذى العين من سافي الترابِ لضَنَّتِ

أعْجِب به إعجاباً شديداً ؛ فوجّه بالشعر إلى إسحاق الموصليّ وأمره أن يغنّي فيه ؛ فصنع فيه لحنَه الثقيل الأوّلَ ، وهو من أحسن صنعةِ إسحاق ؛ فلمّا سمعه الواثق عَجِبَ منه وصغُر لحنُه في عينه ، وقال : ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة في هذا الشعر ، لأنّه قد أفسد علينا لحننا . قال عليّ بن يحيى قال إسحاق : ما كان يحضُر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بهذا الشأن :

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الطويل]

أيا مُنْشِرَ المَوْتى أقِدْني من التي بها نَهِلتْ نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بخِلتْ حتى لَوَ انّي سألْتُها قَذى العين من سافي الترابِ لضَنَّتِ

الشعر لأعرابيّ ، والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ في مجرى البنصر . وفيه لُمخارق رَمَلٌ ، ولِعَريبَ رمل . ومن الناس مَن ينسُب هذا الشعر إلى كثيِّر ، وهو خطأ من قائله .

أنشدني هذه الأبياتَ عمِّي قال : أنشدني هارون بن عليّ بن يحيى ، وأنشدنيها عليّ بن هارون عن أبيه عن جدِّه عن إسحاق أنّه أنشده لأعرابيّ فقال[1] : [من الطويل]

صوت

ألا قاتلَ اللهُ الحمامةَ غُدْوةً على الغصن ماذا هيّجتْ حين غَنَّتِ
تَغنَّتْ بصوتٍ أعجميٍّ فهَيّجتْ من الشوق ما كانت ضلوعي أُجَنَّتِ

غنّى في هذين البيتين عمرو بن بانة ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى . [من الطويل]

فلو قَطَرَتْ عينُ امرىء من صَبابةٍ دماً قطرتْ عيني دماً فألَمَّتِ
فما سكتتْ حتى أوَيْتُ لصوتها وقلت تُرى هذي الحمامةُ جُنَّتِ[2]

---

1 قارن بديوان مجنون ليلى (فراج) : 85–87 وفيه تخريج كثير . وسترد هذه الأبيات في ترجمة الواثق فيما بعد منسوبة لأعرابيّ برواية محمد بن العبّاس اليزيديّ عن ثعلب . وقد وردت في التذكرة الحمدونية 6 : 57 (رقم 146) منسوبة لأعرابي .

2 ترى في ل : أرى .

ولي زَفَـراتٌ لـو يَدُمْـنَ قتلْنَني ... بشوق إلى نـأي التي قد تولَّتِ
إذا قلت هذي زَفْرةُ اليوم قد مضتْ ... فمَنْ لي بأُخرى في غدٍ قد أَظلَّتِ
فيا مُحْيِيَ المَوْتى أَقِدْني من التي ... بهـا نَهِلتْ نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بخِلـتْ حتى لَوَ انّـي سألْتُها ... قَذى العينِ من سافي التراب لضَنَّتِ
فقلتُ ارحَـلا يـا صاحبيّ فليتني ... أرى كلَّ نفسٍ أُعْطِيتْ ما تمنَّتِ
حلفتُ لهـا بالله مـا أُمُّ واحدٍ ... إذا ذكرتْـه آخِـرَ الليـلِ حَنَّتِ
وما وَجْـدُ أعرابيّـة قذَفتْ بها ... صُرُوفُ النّوى من حيث لم تَكُ ظَنَّتِ
إذا ذكرتْ مـاءَ العِضاهِ وطِيبَه ... وبَرْد الحِمى من بطن خَبْتٍ أَرَنَّتِ[1]
بأَكثرَ منّـي لوعـةً غيرَ أَنّنـي ... أُجَمْجِمُ أَحشائـي على مـا أَجَنَّتِ[2]

وأمّا لحن إسحاقَ فإنّه غنَّى في : [من الطويل]

لقد بخِلتْ حتى لَوَ انّي سألْتُها

وأضاف إليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر ، وهو : [من الطويل]

فإن بخِلتْ فالبخلُ منهـا سجيّةٌ ... وإن بذَلتْ أَعطت قليلاً وأَكْدَتِ

قال : ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

[غضب الواثق على مخارق]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبي ، وحدّثني به عمّي عن أبي جعفر بن دِهْقانةَ النَّديم عن أبيه قالا : كان الواثق إذا صنع صوتاً[3] قال لإسحاق : هذا وقع إلينا البارحةَ فاسمعْه ، فكان ربّما أَصلح فيه الشيءَ بعد الشيء . فكاده مخارق عنده وقال له : إنّما يستجيد صنعتَك إذا حضر لِيُقاربَك ويستخرجَ ما عندك ، فإذا فارق حضرتَك قال في صنعتك غيرَ ما تسمع ؛ قال الواثق : فأنا أُحبُّ أن أَقِفَ على ذلك ؛ فقال له مخارق : فأنا أُغنّيه «أيا منشر الموتى» فإنّه لم يعلم أنّه لك ولا سمعه من أحد ؛ قال : فافعلْ . فلمّا دخل إسحاقُ غنّاه مخارق وتعمّد لأن يفسده بجَهْده ، وفعل ذلك في مواضعَ خفيّة لم يعلمها الواثق من قِسمته ؛ فلمّا غنّاه قال له الواثق : كيف تَرى هذا الصوتَ ؟ قال له : فاسدٌ غير مَرْضيّ ؛ فأمر

---

1 العضاه : شجر له شوك . الخبت : الوادي العميق ، ويطلق أيضاً على صحراء بين مكّة والمدينة . أرنت المرأة : صاحت مع البكاء .
2 جمجم : أخفى .
3 ل : صوتاً في غناء .

به فسُحِب من المجلس حتى أُخرج عنه ، وأمر بنفيه إلى بغداد . ثم جرى ذكرهُ يوماً . فقالت له فَريدةُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنّما كاده مخارق فأفسد عليه الصوتَ من حيث أوهمك أنّه زاد فيه بحذقه نَغَماً وجودةً ، وإسحاق يأخذ نفسَه بقول الحقّ في كلّ شيء ساءه أو سَرّه ، ويفهم من غامض عِلل الصنعة ما لا يفهمه غيره ؛ فليُحضِرْه أمير المؤمنين ويحلّفه بغليظ الأيمان أن يَصْدُقَه عمّا يسمع ، وأُغنّيه إيّاه حتى يقف على حقيقة الصوت ؛ فإن كان فاسداً فصدَق عنه لم يكن عليه عتب ، ووافقناه عليه حتى يستوي ، فليس يجوز أن نتركه فاسداً إذا كان فيه فساد ؛ وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده ؛ فأمر بالكتاب بحمله فحُمِل وأُحضِر ، فأظهر الرضى عنه ولزمه أيّاماً ؛ ثم أحْلفه ليَصْدُقنّ عمّا يمرّ في مجلسه فحلف له . ثم غنّى الواثقُ أصواتاً يسأله عنها أجمع فيُخبر فيها بما عنده ؛ ثم غنّتْه فريدةُ هذا الصوتَ وسأله الواثق عنه ، فرضِيه واستجاده ، وقال له : ليس على هذا سمعتُه في المرّة الأولى ، وأبان عن المواضع الفاسدة وأخْبر بإفساد مُخارِق إيّاها ؛ فسكن غضبُه ووصَل إسحاقَ وتنكّر لمُخارِقٍ مدّة .

[قصّة له مع الواثق بشأن الغناء والألحان]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثنا محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق الموصليّ : أنّه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطَّاهِريّ ، وقد كان تكلّم له في حاجةٍ فقُضيت ، فقال له : أعطاك الله أيّها الأمير ما لم تُحِط به أُمنيّةٌ ولا تبلغه رغبة . قال : فاشتهى هذا الكلامَ واستعاده منّي فأعدتُه . ثم مكثنا ما شاء الله ، وأرسل الواثق إلى محمّد بن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في الصوت الذي أمرني به بأن أُغنّي فيه ، وهو : [من الطويل]

لقد بَخِلتْ حتّى لَوَ انّي سألتُها

فغنّيته إيّاه ، فأمر لي بمائة ألفِ درهم . فخرجتُ وأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر أن يأخذ هذا الغناءَ منّي . فلمّا طال مُقامي قلت له : يا أمير المؤمنين ، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنّين يقدِر أن يأخذ هذا الصوت منّي ؛ فقال لي : ولِمَ ؟ وَيْحَك ! فقلت : لأنّي لا أُصَحّحه ولا تسخو نفسي به لهم ؛ فما فعلت الجارية التي أخذتَها منّي ؟ (يعني شجا ، وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعَمِل مجرّد أغانيها وجنّسه ونسبه إلى شعرائه ومُغنّيه ، وهو الذي في أيدي الناس إلى اليوم) ؛ فقال : وكيف ؟ قال : لأنّها تأخذه منّي ويأخذونه هم منها ؛ فأمر بها فأُخرجتْ وأخذتْه على المكان ؛ فأمر لي بمائة ألف درهم وأذِن لي في الانصراف ؛ وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضراً ، فقلت للواثق عند وَداعي له : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لَم تُحِطْ به أُمْنِيّةٌ ولم تبلُغه رغبة ؛ فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي : أيْ إسحاقُ أتُعيد الدعاء ! فقلت : إي والله أُعيده قاضٍ أنا أو مغنّ . وقدِمتُ بغداد ، فلمّا وافى إسحاقُ جئته

مسَلِّماً عليه ؛ فقال لي : وَيْحَكَ يا إسحاق ؛ أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟ قلت : لا أيّها الأمير ؛ قال قال لي : ويحك ! كنّا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاقَ على لحننا حتى أفسده علينا . قال عليّ بن يحيى : فحدّثني إسحاق قال : استأذنْتُ الواثقَ عدّة دَفَعات في الانحدار إلى بغدادَ فلم يأذن لي ، فصنعتُ لحناً في : [من الطويل]

خليليّ عُوجا من صدور الرَّواحلِ

ثم غنَّيتُه الواثقَ فاستحسنه وعجِب من صحّة قِسْمته ومُكْث صوتِه أيّاماً ، ثم قال لي : يا إسحاقُ ، قد صنعتُ لحناً في صوتك في إيقاعه وطريقته ، وأمَر من وراء السّتارة فغنّوه ؛ فقلت : قد واللهِ يا أمير المؤمنين بغّضتَ إليّ لحني وسمَّجتَه عندي ؛ وقد كنتُ استأذنتُه في الانحدار إلى بغداد فلم يأذَن لي ؛ فلمّا صَنَع هذا اللّحنَ وقلتُ له ما قلتُ ، أتبعتُه بأن قلت له : قد والله يا أمير المؤمنين اقتصَصْتَ منّي في «لقد بخِلت» وزدتَ ؛ فأذِن لي بعد ذلك .

نسبة هذا الصوت[1]

صوت

[من الطويل]

خليليّ عُوجا من صدور الرَّواحلِ   بجَرْعاءِ حُزْوَى فابكيا في المنازلِ[2]
لعلّ انحدار الدَّمع يُعقب راحةً   من الوَجْدِ أو يَشفي نَجِيَّ البَلابلِ[3]

الشعر لذي الرُّمّة ، والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى في البيتين . وللواثق في البيت الثاني وحدَه رَمَلٌ بالبنصر .

[تأسى ابن عيّاش بشعر ذي الرمّة]

أخبرني أحمد بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدَّثني كَثِير بن أبي جعفر الحِزاميّ الكُوفيّ عن أحمد بن[4] جَوّاس الحَنَفيّ عن أبي بكر بن عَيّاش قال : كنتُ إذا أصابتني المصيبةُ تصبّرتُ وأمسكت عن البكاء ، فأجد ذلك يشتدّ عليّ ، حتّى مررتُ ذات يوم بالكُنّاسة[5] ، فإذا أنا بأعرابيٍّ واقفٍ على ناقةٍ له وهو يُنشِد : [من الطويل]

1 ديوان ذي الرمّة (مكارتني) : 492-493 .
2 بجرعاء حُزوى في الديوان : بجمهور حزوى ، ويروى ببرقة حزوى . والجمهور : الرملة العظيمة ، والجرعاء : الأرض ذات الحزونة أو الرملة السهلة المستوية ، وحزوى : موضع بنجد .
3 البلابل : الهموم في الصدور .
4 ل : أحمد بن أبي جواس .
5 الكناسة : محلّة بالكوفة .

خليليّ عُوجا منْ صُدور الرَّواحلِ بجَرْعاءِ حُزْوَى فابكيا في المنازلِ
لعلّ انحــدار الدَّمع يُعْقِب راحةً من الوجدِ أو يَشفي نَجِيَّ البَلابلِ

فسألتُ عنه فقيل لي : هذا ذو الرُّمَّة ؛ فكنتُ بعدُ إذا أصابتني مصيبة بكيتُ فأجِد لذلك راحة ؛ فقلت : قاتل الله الأعرابيَّ ! ما كان أعلمَه وأفصَح لهجتَه ! .

[مفاضله بين لحنه ولحن والواثق]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه قال : قلت لإسحاق : أيّما أجودُ ، لحنُك في «خليليّ عوجا» أم لحن الواثق ؟ فقال : لحني أجوَدُ قِسْمةً وأكثر عملاً ، ولحنُه أطرَبُ ، لأنّه جعل رَدّتَه من نفس قِسْمته ، وليس يقدِر على أدائه إلاّ متمكّن من نفسه . قال عليّ بن يحيى : فتأمّلت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق . قال وقال لي إسحاق : ما كان بحضرة[1] الواثق أعلمُ منه بالغناء .

[فضَّل ابن المعتزّ لحناً للواثق على لحنه]

أخبرني عليّ بن هارون قال : كان عبد الله بن المعتزّ يحلف أنّ الواثق ظلم نفسَه في تقديمه لحنَ إسحاق على لحنه في «لقد بَخِلَتْ» . قال : ومن الدَّليل على ذلك أنّه قلّما غُنّي في صوت واحد بلحنين فسقَط أجودُهما وشُهِر الدُّون ، ولا يُشْهَر من اللحنيْن إلاّ أجودُهما ، ولحنُ الواثق أشهرُهما ، وما يَرْوي لحنَ إسحاقَ إلاّ العجائزُ ومَن كَثُرَتْ[2] روايتُه .

[كان الواثق يعرض عليه صنعته]

حدَّثني جَحْظة عن ابن المَكّيّ المرتَجِل عن أبيه أحمد بن يحيى قال : كان الواثق يَعْرِض صنعتَه على إسحاقَ فيُصلِح فيها الشيءَ بعد الشيء .

[آخر صوت صنعه]

أخبرنا حسين بن يحيى عن حَمّاد : أنّ آخر صوت صنعه أبوه : «لقد بَخِلَتْ» ، ثم ما صنع شيئاً حتى مات .

[غنَّى المعتصم بشعر أبي القنافذ]

أخبرنا هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدَّثني أبو زيد عمر بن شَبّة قال حدَّثني إسحاق قال : دخل أعرابيّ من بني سُلَيْم سُرَّ مَنْ رأى ، وكان يُكْنى أبا القَنافِذ ، فحضر بابَ المعتصم مع الشعراء فأُذِن له ؛ فلمّا مَثَل بين يديه أنشده : [من المتقارب]

مِراضُ العيونِ خِماصُ البطونِ طِـوالُ المتــونِ قصارُ الخُطَا

---

1 ل : ما كان يحضر مجلس الواثق .

2 ل : من كثرة .

عِتــاق النّحورِ رِقــاق الثغورِ لِطاف الخصورِ خِدَال الشَّوى[1]
عَطابيــل مــن كلّ رَقْراقــةٍ تَلُـوثُ الإزارَ بـدِعْص النَّقا[2]
إذا هــنّ مَنَّيْننـا نائـــلاً أبى البُخلُ منهـنّ ذاك المُنَى
إلى النَّفَر البيضِ أهـلِ البِطاح وأهلِ السَّماحِ طَلَبنا النَّدَى
لهـم سَطَـواتٌ إذا هُيِّجـوا وحلمٌ إذا الجهلُ حَلَّ الحُبا[3]
يَبِين لـك الخيرُ في أوجهٍ لهم كالمصابيحِ تَجْلُو الدُّجى
سَعى الناسُ كي يُدركوا فضلَهم فقصَّر عــن سعيهم مَنْ سَعى
سعــى للخلافــةِ فاقتادَهـا وبـرَّز في السَّبْق لَمّا جرى

قال : فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنَّيت فيها ، وأمَر للأعرابيّ بعشرين ألفَ درهم ولي بثلاثين ألفَ درهم ؛ وما خرج الناسُ يومئذٍ إلاّ بهذه الأبيات .

[طلب من علي بن هشام نبيذاً]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : كتبتُ إلى عليّ بن هشام أطلب منه نبيذاً ، فبعث إليّ جُمانَ بما التمستُ ، وكتب إليّ : قد بعثتُ إليك بشَرابٍ أصْلَبَ من الصَخْر ، وأعْتَقَ من الدَّهر ، وأصْفى من القَطْر .

[عبد الله بن طاهر يكلّف لميس أن تسرق لحناً له وتذيعه]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو عبد الله الهِشاميّ عن أحمد المَكّيّ قال : لمّا صنَع إسحاقُ لحنَه في الرَّمَل[4] : [من الطويل]

أمــاوِيَّ إنّ المــالَ غــادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الأحاديثُ والذِّكْرُ
وقـد علـم الأقوامُ لو أنّ حاتماً يريـد ثَـراءَ المال كان لـه وَفْرُ

وهو رَمَل نادرٌ ، ابتداؤه صِياح ، ثم لا يزال ينزل على تدريج حتى يقطعه على سَجْحة ، وكان كثيرَ الملازمةِ لعبد الله بن طاهر ، ثم تخلَّف عنه مدّة وذلك في أيّام المأمون ؛ فقال عبد الله لِلَميسَ جاريته : خُذِي لحنَ إسحاق في : [من الطويل]

أماوِيَّ إنّ المالَ غادٍ ورائحٌ

---

1 عتاق النحور : جميلاتها . خدال الشوى : مستديرات الأطراف .

2 عطابيل : جمع عطبول وهي الفتية الطويلة العنق . والرقراقة : هي التي كأن الماء يجري في وجهها . تلوث : تلف . دِعص النقا : كثيب الرمل .

3 إذا الجهل حلّ الحبا : إذا الجهل استفزّ الرجال فحلوا أثوابهم استعداداً للفعل .

4 هذا الشعر ممّا ينسب لحاتم الطائي وسيرد في ترجمته فيما بعد ، والمخاطب فيه زوجته ماوية .

فاخلعيه على : [من الطويل]

وهبّتْ شَمالٌ آخِـرَ اللّيل قَـرّةٌ ولا ثـوبَ إلاّ بُرْدُها وردائيا[1]

وأَلْقِيه على كلّ جارية تُعلّمينها واشْهَريه وأَلْقِيه على مَن يختلف إليك من جواري زُبيدة ، وقولي : أَخذتُه من بعض عجائز المدينة ؛ ففعلتْ ، وشاع أَمْرُه حتّى غُنّي به بين يديّ المأمون ؛ فقال المأمون للجارية : ممّن أَخذتِ هذا ؟ فقالت : من دار عبد الله بن طاهر من لَمِيسَ جاريته ، وأخبرتني أنّها أَخذتْه من بعض عجائز المدينة . فقال المأمون لإسحاقَ : وَيْلَك ؛ قد صِرتَ تسرِق الغِناءَ وتدّعيه ، اسمعْ هذا الصوتَ ، فسمعه فقال : هذا وحياتِك لحني ، وقد وقَع عليّ فيه نَقْب من لصٍّ حاذق ، وأنا أغوص عليه حتّى أعرفَه ؛ ثم بَكَّرَ إلى عبد الله بن طاهر فقال : أهذا حقّي وحُرْمتي وخدمتي ! تأخذ لَمِيسُ لحني في :

أَماويّ إنّ المال غادٍ ورائحٌ

فتغنّيه في : «وهبّتْ شَمال» ؟ وليس بي ذلك ، ولكن بي أنّها فضحَتْني عند الخليفة وادّعتْ أنّها أَخذتْه من بعض عجائز المدينة ؛ فضحِك عبد الله وقال : لو كنتَ تُكْثِر عندنا كما كنتَ تفعل لم تُقْدِم عليك لَمِيسُ ولا غيرُها ؛ فاعتذَر فقبِل عذرَه ، وقال له : أيّ شيء تريد ؟ قال : أُريد أن تُكذِّب نفسَها عند مَن أَلقتْه عليها حتّى يعلم الخليفة بذلك ؛ قال : أفعل ؛ ومضى إسحاقُ إلى المأمون وأخبره القصّة ؛ فاستكشفها من لَمِيس حتى وقف عليها ، وجعل يعبَث بإسحاق بذلك مدّة .

[سخاء الأمين]

حدّثني جَحْظة قال حدَّثني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال حدَّثتني شَهَواتُ الصنّاجة التي كان إسحاق أهداها إلى الواثق : أنّ محمّداً الأمين لمّا غنّاه إسحاقُ لحنَه الذي صنعه في شعره وهو الثقيل الأوّل : [من المنسرح]

صوت

يـا أيُّها القائمُ الأمين فدَتْ نفسَك نفسي بالمـال والوَلَدِ

بَسَطْـتَ للنّاسِ إذ وَلِيتَهُـمُ يـداً من الجود فـوق كلّ يدِ

فأمر له بألف ألفِ درهم ؛ فرأيتُها قد وصلتْ إلى داره يحمِلها مائةُ فرّاش .

[فهمه لدقائق الشعر]

حدّثني جَحْظة ومحمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قالا حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غنّيتُ الواثقَ : [من الوافر]

1 بُردُها في ل : درعها .

صوت

عَفـا طَرَفُ القُرَيّـةِ فالكَثِيبُ ... إلى مَلْحاءَ ليس بهـا عَرِيبُ
تأبَّد رسْمُهـا وجـرى عليهـا ... سَوافي الريح والتُّـربُ الغريبُ

ولحنه ثقيلٌ ثان قال : فقال لي : يا إسحاق ، قد أحسن ابنُ هَرْمة في البيتين ، فأيّ شيء هو أحسنُ فيهما من جميعهما ؟ قال قلت : قوله : «الترب الغريب» ، يريد أنّ الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضعٍ بعيد ؛ فقال : صدقتَ وأحسنتَ ؛ وأمر لي بخمسين ألفَ درهم .

[ابن المدبر يزيد بيتاً على لحن له]

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمّد بن الحسن بن الحَرُون قال : كنّا يوماً عند أحمد بن المُدبّر ، فغنّاه مغنٍّ كان عنده لحنَ إسحاقَ : [من الطويل]

صوت

فأصبحتُ كالحَوْمانِ يَنظرُ حسرةً ... إلى الماءِ عطشاناً وقد مُنِع الوِرْدَا[1]

وقال أخوه إبراهيم ابن المُدبّر : زِد فيه : [من الطويل]

وأمسيتُ كالمسلوبِ مهجةَ نفسه ... يرى الموتَ في صدّ الحبيب إذا صَدّا

لحنُ إسحاق في هذا البيت من الثقيل الأوّل بإطلاقِ الوتر في مجرى البنصر .

[ذهل مروان بن أبي حفصة لسماع شعره]

حدَّثني الأخفش قال حدَّثني محمّد بن يزيد الأزْديّ قال حدَّثني شيخ من وَلَد المهلّب قال : دخل مَرْوانُ بن أبي حَفْصة يوماً على إبراهيم الموصليّ ، فجعلا يتحدّثان إلى أن أنشد إسحاقُ بن إبراهيم مروانَ بن أبي حَفْصة لنفسه[2] : [من الطويل]

إذا مُضَرُ الحمراء كانت أُرُومَتي ... وقام بنصري خازمٌ وابنُ خازمِ
عطَستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ ... يدايَ الثُّريّـا قاعداً غيرَ قائمِ

قال : وجعل إبراهيم يحدّث مروانَ وهو عنه ساهٍ مشغول ، فقال له : ما لَك لا تجيبني ؟ قال : إنّك والله لا تدري ، ما أفرَغ ابنُك هذا في أُذني .

---

1 الحومان : العطشان .

2 تقدّم هذان البيتان في أوّل هذه الترجمة ورواية الأوّل منهما هناك ، ص 179 :

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ... ودافع ضيمي خازم وابن خـازم

[طرب لشعر أعرابيّ]

حدَّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدَّثني الحِرْميّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثني موسى بن هارون عن يعقوب بن بِشْر[1] : كنتُ مع إسحاق الموصليّ في نُزْهة ، فمرَّ بنا أعرابيّ ، فوجّه إسحاقُ خَلْفَه بغلامه زِياد الذي يقول فيه : [من الطويل]

وقُـولا لساقِينا زِيـادٍ يُرِقّهـا   فقد هَدَّ بعضَ القوم سَقْيُ زِيادِ

قال : فوافانا الأَعرابيّ ، فلمّا شَرِب وسمِع حَنين الدّواليب قال : [من منهوك الكامل]

صوت

بَكَرتْ تَحِنُّ وما بها وَجْدي   وأَحِنُّ مـن وَجْدٍ إلى نَجْدِ
فدموعُها تَحْيـى الرِّياضُ بهـا   ودموعُ عَيْني أَقْرَحَتْ خَدِّي[2]
وبساكِني نجـدٍ كَلِفْتُ ومـا   يَعني لهم كَلَفي ولا وَجْدي[3]
لـو قِيس وجدُ العاشقين إلى   وَجْدي لزاد عليه مـا عندي

قال : فما انصرف إسحاق إلى بيته إلاّ محمولاً سُكْراً ، وما شرب إلاّ على هذه الأَبيات . والغناء فيها لإسحاق هَزَجٌ بالبِنْصَر .

[بساطُ الفضل بن الربيع]

أَخبرني محمّد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه ، وأَخبرني به الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أَبي سَعْد عن محمّد بن عبد الله عن إسحاق قال : دخلتُ على الفَضْل بن الرَّبيع وهو على بساط سُوسَنْجِردِيّ[4] ستيني مُذهَّب يلمع عليه مكتوب : «ممّا أَمَر بصنعته حَمّاد عَجْرَد» ؛ فقال لي : أتدري مَنْ حَمّاد عَجْرَد ؟ قلت : لا ؛ قال : حَمّاد عجرد قد كان واليَ تلك الناحية ؛ أفرأَيتَ مثلَه قطُّ ؟ قلتُ : لا ، فسكتَ ، ثمّ قلتُ : أَهكذا يفعل الناس ؟ قال : أيّ شيء يفعلونه ؟ قلت : تَهَبُه لي ؛ قال : لا أَفعل ؛ قلت : إذاً أَغضَبُ ؛ قال : ما شئتَ إفْعَلْ ؛ فخرجتُ مُتغاضباً ؛ فلمّا وافيتُ منزلي إذا برسوله قد لَحِقني بالبساط ؛ فكتبتُ إليه بيتين لِحَمْزة بن مُضَر : [من الكامل]

ولقد عدَدْتُ فلستُ أُحصِي كلَّ ما   قـد نِلْتُ منك من المتاع المُونِقِ

---

1 ل : بشير .
2 أقرحت في ل : أحرقت .
3 يعني في ل : يغني .
4 سوسنجرد : قرية من قرى بغداد .

بخديعتي فأراك مُنخدعاً لها ... وفُكاهتي وتَغَضُّبي وتملُّقي

قال ابن أَبي سعد في خبره : فلمّا دخلتُ عليه ضحِك وقال لي : البيتان خير من البساط ، فالفضلُ الآن لك علينا .

[مناظرة مع إبراهيم بن المهديّ]

أَخبرني يحيى بن عليّ وأَحمد بن جعفر جَحْظة عن أَبي العَنبس بن حَمْدون عن عمرو بن بانة قال : رأَيتُ إبراهيم بن المهديّ يناظر إسحاقَ في الغناء ، فتكلّما بما فهماه ولم أَفهم منه شيئاً ؛ فقلت لهما : لئن كان ما أَنتما فيه من الغناء فما نحن منه في قليل ولا كثير .

[شعره في الواثق]

أَخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أَبي قال حدَّثني إسحاق قال : قدِمتُ على الواثق في بعض قَدَماتي ، فقال لي : أَما اشتقتَ إليّ ؟ فقلتُ : بَلى والله يا أَمير المؤمنين ، وأَنشدتُه : [من البسيط]

أَشكو إلى الله بُعدِي عن خليفته ... وما أُعالج من سُقْمٍ ومن كِبَرِ
لا أَستطيعُ رحيلاً إن هَمَمتُ به ... يوماً إليه ولا أَقوى على السَّفَرِ
أَنْوِي الرَّحِيلَ إليه ثمّ يمنعني ... ما أَحدَثَ الدَّهرُ والأَيّامُ في بَصَري

قال : وقال وقد أَشخصه إليه قصيدتَه الداليّة : [من البسيط]

صوت

ضَنَّتْ سعادُ غَداةَ البَيْن بالزادِ ... وأَخلفتْكَ فما تُوفي بميعادِ
ما أَنْسَ لا أَنْسَ منها إذ تُودِّعُنا ... والحزنُ منها وإن لم تُبْدِه بادي

لإسحاقَ في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى ، يقول فيها : [من البسيط]

لمّا أَمَرتَ بإشخاصي إليك هَفا ... قلبي حنيناً إلى أَهلي وأَولادي
ثم اعتزمتُ ولم أَحْفِل بِبَيْنِهِمُ ... وطابتِ النفسُ عن فضلٍ وحَمّادِ
كَمْ نِعمةٍ لأَبيك الخيرِ أَفردَني ... بها وعَمَّ بأُخرى بَعْدَ إفرادِ
فلو شكرتُ أَياديكم وأَنعُمَكم ... لما أَحاط بها وَصْفي وتَعْدادي
لأَشكرنّكَ ما ناح الحَمامُ وما ... حَدا على الصبح في إثْرِ الدُّجى حادي

قال عليّ بن يحيى : قال لي أَحمد بن إبراهيم : يا أَبا الحسن ، لو قال الخليفة لإسحاق : أَحْضِرني فَضْلاً وحَمّاداً أَليس كان قد افتضح من دَمامة خَلْقهما وتخلُّف شاهِدِهما .

[ابن المهديّ يأسف لفقدان مَن يحكم بينهما]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني هبة الله بن إبراهيمَ بن المهديّ قال : كتب أَبي إلى إسحاق في شيء خالفه فيه من التجزئة والقسمة : «إلى مَن أُحاكمك والنّاس بيننا حَمِير ؟» .

[ذهابه إلى تلّ عزاز]

أخبرني محمّد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا سليمان بن أيّوب قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال حدّثنا إسحاقُ قال : كنتُ مع الرشيد حين خرج إلى الرَّقّة ، فدخل يوماً إلى النساء ، وخرجتُ فمضيتُ إلى تَلّ عَزاز ، فنزلتُ عند خَمّارة هناك فسقتني شَراباً لم أَرَ مثله حُسْناً وطيباً وطِيبَ رائحةٍ في بيت مرشوش ورَيْحانٍ غَضّ ، وبرزتْ بنتٌ لها كأنّها خُوط[1] بانٍ أو جَدْل عِنان ، لم أَرَ أحسنَ منها قَدّاً ، ولا أَسْيَلَ خَدّاً ، ولا أَعتَقَ وجهاً ، ولا أَبرعَ ظَرْفاً ، ولا أَفْتن طَرْفاً ، ولا أَحسن كلاماً ، ولا أَتمّ تماماً ؛ فأَقمتُ عندها ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدِر عليّ ؛ ثم انصرفتُ فذهبتْ بي رُسُله ، فدخلتُ عليه وهو غضبان ؛ فلمّا رأَيته خطَرْتُ في مِشْيَتي ورقَصْتُ ، وكانت فيّ فضلةٌ من السُّكْر كبيرة ، وغَنَّيْتُ : [من الخفيف]

صوت

إنّ قلبي بالتَّلِّ تَلِّ عَزازِ   عند ظبي من الظِّباء الجَوازِي[2]
شادنٍ يَسكُنُ الشّآمُ وفيه   مع دَلّ العِراق ظَرْفُ الحجازِ
يا لَقومي لبِنت قَسٍّ أَصابتْ   منك صفوَ الهوى وليست تُجازِي
حلفتْ بالمسيح أَن تُنجز الوعـ   ـدَ وليست تجود بالإنجازِ

الغناء لإسحاقَ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة ، قال إسحاق : فسكَن غضبُه ، ثم قال لي : أَين كنتَ ؟ فأَخبرتُه ؛ فضحك وقال : إنّ مثلَ هذا إذا اتَّفق لَطَيِّبٌ ، أَعِدْ غناءك ، فأَعدته ، فأُعجِب به ، وأَمرني أَن أُعيده ليلةً من أَوّلها إلى آخرها ؛ وأَخذها[3] المغنّون منّي جميعاً وشَربنا إلى طلوعِ الفجر ، ثم انصرفنا فصلَّيت الصبحَ ونِمْت ؛ فما استقْررنا حتى أَتى إليّ[4] رسول الرشيد فأَمرني بالحضور ، فركبتُ ومَضَيت ؛ فلمّا دخلتُ وجدت ابنَ جامع قد طرَح نفسَه يتمرّغ على دُكّان في الدار لغَلَبة السُّكْر عليه ، ثم قال : أَتدري لِمَ دُعينا ؟ فقلت : لا والله ؛ قال : لكنّي أَدري ، دُعينا بسبب نَصْرانيّتك الزانية ، عليكَ وعليها لعنةُ الله ؛ فضحكتُ . فلمّا دخلتُ على الرشيد أَخبرتُه بالقصّة ، فضحك وقال : صدَق ، عُودوا فيه فإنّي اشتقتُ إلى ما كنّا فيه لَمّا فارقتموني ؛ فعُدْنا فيه يومَنا كلَّه حتى انصرفنا .

---

1 خوط : غصن ناعم .
2 الظباء الجوازي : التي اجتزأت بالرطب من البقل والشجر فاستغنت عن الماء .
3 لعلّها وأخذه ، أي الغناء .
4 ل : وافاني .

[شعره إلى المأمون حين وجد عليه]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدَّثنا يَزيد بن محمّد المُهلَّبيّ قال : كان إسحاق قد أظهر التوبة وغيّر زِيَّه واحتَجَرَ[1] من حضور دار السلطان . فبلغه أنّ المأمون وَجَد عليه من ذلك وتنكّر ؛ فكتب إسحاقُ إليه وغنّى فيه بعد ذلك : [من الخفيف]

صوت

يا ابنَ عمِّ النبيِّ سمعاً وطاعهْ قد خلعنا الرّداءَ والدُّرّاعهْ

ورجعنا إلى الصِّناعة لّما كان سُخْطَ الإمام تركُ الصِّناعهْ

الغناء لإسحاقَ رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو ، وقد ذكر الغَلابيّ أنّ هذا الشعر لأبي العَتاهية ، قاله لّما حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر ، وذكر حبش أنّ هذا اللحن لإبراهيم .

[تفضيل لحنين له على لحنَيْ ابن سريج ومعبد]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثني أبي قال : قال لي محمّد بن الحسن بن مُصعَب ، وكان بصيراً بالغناء والنَّغَم ، : لحنُ إسحاق في «تَشَكّى الكميتُ الجريَ» أحسنُ من لحن ابن سُرَيج ، ولحنُه في «يوم تُبْدي لنا قُتَيْلة» أحسنُ من لحن مَعْبد ، وذلك من أجود صنعة ابن سُرَيج ، وهذا من أجود صنعة معبد . قال : فأخبرتُ إسحاقَ بقوله ، فقال : قد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وزَعْزعتُهما[2] وأنَخْتُ بهما فما بلغتُهما . فأخبرتُ بذلك محمّد بن الحسن ؛ فقال : هو والله يعلم أنّه بَرّز عليهما ، ولكنّه لا يدعُ تعصُّبه للقدماء .

وأخبرني جَحْظة قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق : أنّ رجلاً سأل أباه فقال له : إنّ الناسَ قد كثّروا في صوتيك : «تشكّى الكُمَيتُ الجريَ» و«يوم تُبدي لنا قُتَيْلة» ، وقالوا : إنّهما أجود من لَحْنَي ابن سُريج ومَعْبد ؛ قال أبي : وَيْحَكَ رُمِيت في هذين الصوتين بمعبد وابن سُريج وهُما هُما ، فقربت ووقع القياسُ بيني وبينهما ، وعلى ذلك فقد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وانتصفتُ منهما .

[تحليل غنائه]

قرأتُ في بعض الكتب أنّ محمّد بن الحسن ، أظنّه ابن مصعَب ، ذكَر إسحاقَ الموصليّ فقال : كانت صنعتُه مُحكمةَ الأُصول ، ونغمتُه عجيبةَ الترتيب ، وقسمتُه مُعدَّلةَ الأَوزان ، وكان يتصرّف في جميع بُسُط الإيقاعات ، فأيّ بِساط منها أراد أن يتغنّى فيه صوتاً قصد أقوى صوت جاء في ذلك البِساط لحُذّاق القدماء فعارَضَه : وقد كان يذهب مذهبَ الأَوائل ،

1 احتجر : امتنع .

2 زعزعهما : ساقهما سوقاً عنيفاً .

ويسلُك سبيلَهم ، ويقتحم طُرُقَهم ؛ فيَبْني على الرَّسْم فيصيبه ، ويحتذي على المِثال فيَحْكيه[1] ، فتأتي صنعته قويّة وثيقة يجمع فيها حالتين : القوّةَ في الطَّبْع وسهولةَ المسلك ، وخُنْثاً بين كثرة النَّغَم وترتيبها في الصِّياح والإسجاح ؛ فهي بصنعة الأُوائل أشبهُ منها بصنعة المتوسّطين من الطبقات ؛ فأمّا المتأخّرون فأحسَنُ أحوالهم أن يَرْوُوها فيردّوها . وكان حسنَ الطبع في صياحه ، حسنَ التلطُّف ، لتنزيله من الصّياح إلى الإسجاح على ترتيب بنَغَم يشاكله ، حتّى تعتدلَ وتتّزن أعجازُ الشعر في القسمة بصدوره . وكذلك أصواتُه كلُّها ، وأكثرها يبتدىء الصوت فيصيح فيه ، وذلك مذهبه في جُلّ غنائه ؛ حتى كان كثير من المغنِّين يلقّبونه الملسوعَ ؛ لأنّه يبدأ بالصّياح في أحسن نغمة فتح بها أحدٌ فاه ، ثم يردّ نغمتَه فيرجّحها ترجيحاً وينزّلها تنزيلاً حتى يَحُطّها من تلك الشدّة إلى ما يوازيها من اللين ، ثم يَعُود فيفعل مثل ذلك ، فيخرج من شدّة إلى لين ومن لين إلى شدّة ؛ وهذا أشدُّ ما يأتي في الغناء وأعزّ ما يُعرف من الصَّنعة . قال يحيى بن عليّ بن يحيى وقد ذكر إسحاقَ في صدر كتابه الذي ألّف في أخباره وزاد في بعض ما صنعه : «وكان إسحاق أعلمَ أهل زمانه بالغناء ، وأنفذَهم في جميع فنونه ، وأضربَهم بالعود وبأكثر آلات الغناء ، وأجودَهم صنعةً ، وقد تشبّه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه ، وعارَض ابنَ سُريج ومعبداً فانتصف منهما ؛ وكان إبراهيم بن المهديّ ينازعه في هذه الصناعة ولم يَبْلُغه فيها ، ولم يكن بعدَ إسحاقَ مثلُه» .

[تشبيهه لصوت له]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدَّثني إبراهيم بن عليّ بن هشام : قال إسحاق وذكر صوته : [من منهوك الكامل]

صوت

كان افتتاحَ بلائيَ النَّظرُ ... فالحَيْنُ سبَّب ذاك والقَدَرُ
قد كان بابُ الصَّبر مُفْتَتَحاً ... فاليومَ أُغْلِقَ بابَهُ النَّظرُ

الشعر والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر . وفيه لأحمد بن المكّيّ خفيفُ ثقيلٍ ، ولِعَريبَ ثاني ثقيلٍ ، جميعاً عن الهشاميّ ، قال إسحاق : ما شبّهتُ صوتي هذا إلاّ بإنسان أخذ الكُرَةَ على الطَّبْطابة[2] وأهلُ الميدان جميعاً خَلْفَه ، فلمّا بلغ أقصى ضربها أحجزها[3] .

---

1 ل : فيحكمه .

2 الطبطابة : خشبة يلعب بها بالكرة .

3 ل : أخرجها .

[مع يحيى بن معاذ والأمين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن يزيد المُهلّبيّ قال حدّثني إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المَدينيّ عن ابن المَكّيّ عن إسحاق قال : صنعتُ هذا الصوت في آخر أيّام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن مُعاذ يشرب النبيذ ؛ فلمّا كان في أيّام محمّد الأمين غنّيته ، فاشتهاه واشتَهَر به ، وبعث إليّ يحيى بن مُعاذ وأنا أغنّيه : [من مجزوء الرمل]

اسقِنــي وابــنَ نَهِيكٍ وابنَ يحيــى بــنِ مُعاذِ

فلمّا حضر يحيى غنّيت : [من مجزوء الرمل]

فاسقِني واسقِ نَهِيكــاً واسقِ يحيــى بــنَ مُعاذِ

فبعث إليه محمّد فأحضره فقال : لتشربنّ أو لأُعاقبنّك ؛ فلم يبرح حتى شرب قدحاً ، وغلّفه[1] وأمر له بمال ، وسُرّ بذلك محمّد ووهب لي عليه مالاً ، وانصرفتُ إلى البيت ؛ فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصِرتُ إليه ، فلم يزل يستحلفني ألاّ أعودَ في هذا الصوت قُدّامَ محمّد أبداً ، وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله ، ولم أعُدْ فيه .

[شعر عليّ بن هشام الذي غنّى فيه]

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الرمل]

يومُنــا يــومُ رَذاذٍ واصطبــاحٍ والتــذاذِ
فاسقني وابنَ نَهِيكٍ وابنَ يحيــى بن مُعاذِ
من كُمَيْتٍ عُتّقت للشـ ـيخِ كسرى بن قُباذِ
ليس للمرء من الهــ ـمّ سواهـا من مَلاذِ

الشعر لعليّ بن هِشام ، والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو .

أخبرني بقوله عليّ بن هشام والحسن بن عليّ قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن القاسم الهاشميّ[2] قال حدّثني أبو عبد الله الهلاليّ قال : كنتُ عند عليّ بن هشام يوماً إذ رَشّت السماءُ رشّاً وطَشّت ؛ فأنشأ عليّ يقول : [من مجزوء الرمل]

يومُنا يــومُ رذاذٍ واصطبـاحٍ والتذاذِ

1 غلفه : طيّبه بالطيب .

2 ل : الهشاميّ .

وذكر الأبيات الأربعة ، ثم قال لغلامه : اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقُل له : يقول لك أخوك : هذا يوم طيّب ، فتعالَ أنت وغلاماك بُنَان وعثعث ؛ فجاء إلى بابه الرسولُ وعليه غُرَماءُ له ، فمنعوه الدخولَ عليه ؛ فقال لهم : كم لكم عليه ؟ قالوا : مائتا ألف درهم ؛ فرجع الغلام إلى عليّ بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ ما لهم عليه من الدَّيْن ؛ فقال له : احملْ إليه مائتي ألفِ درهم وجيء به وبغلامَيْه الساعةَ فحملها ؛ فجاء أحمدُ بن يحيى ومعه غلاماه ، فقال لعليّ بن هشام : لِمَ تَحمَّلت هذا لي ؟ أنا والله مُنتظر مالاً يجيء فأعطيهم ؛ فقال له : مالي ومالُك واحدٌ . فتغدّيتُ معهما حتى جاءت الحلواء ؛ فقال : أكثِر من الحلواء فلستَ تدخل معنا في ديواننا (يعني الشُّرْبَ) ؛ فأكلتُ وغسلتُ يديّ ؛ فقال لغلامه سِراج : احمِلْ مع أبي عبد الله الهلاليّ ثلاثين ألفَ درهم ؛ فانصرفتُ وهي معي .

[تذكّر في كبره شعراً له فبكى]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا سليمانُ المَدائنيّ عن ابن المَكّيّ عن أبيه قال حدّثني إسحاق قال : تعشّقتُ جاريةً فقلت فيها : [من الخفيف]

هـل إلى أن تنامَ عيني سبيلُ   إنّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عنّي مَنْ لا أُسمّي فعَيْني   كلَّ يـوم عليـه حُزْناً تَسيِلُ

الشعر والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو . وفيه لعَرِيبَ خفيفُ رَمَلٍ آخر . وفيه لمحمّد بن حمزةَ وَجْه القَرْعة خفيفُ ثقيلٍ ، وقيل : إنّه لابن المَكّي . وفيه رَمَلٌ بالوسطى يُنسب إلى عَلّويه وإلى حسين مُحْرِز ، قال إسحاق : ثم ملكتُها ، فكنت مشغوفاً بها ، حتى كَبِرتُ واعتلَّتْ عليَّ عيناي ، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيّامَه المتقدّمة ، فما زلتُ أبكي وأذكر دهري الذي تولّى . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن يزيد المُهَلَّبيّ عن إسحاق ؛ وليس هذا على التمام .

[حكم يحيى المكّي على لحن له]

أخبرني جَحْظة عن محمّد بن أحمد بن يحيى المَكّيّ عن أبيه قال : دعا المأمونُ بإسحاق فأحْضرَه ، فأمره أن يُغنّي في هذا الصوت : [من الخفيف]

هل إلى أن تَنامَ عَيْني سبيلُ

فغنّاه ؛ وكنتُ حاضراً فقلت : أحسنَ والله يا أمير المؤمنين ، وما عدا بلحنه معنى شعره ؛ فقال المأمون : فإنّا نُردّ الحُكمَ إلى مَنْ هو أعلم بذلك منك ؛ فبعث إلى أبي (يعني يحيى المكّيّ) فجيء به ، فخبَّره بما قلتُ وما قال ، وأمَر إسحاقَ بردّ الصوت فردَّه ؛ فقال يحيى : أحسنَ إسحاقُ في غنائه وأحسَنَ ابني في استحسانه ، إلاّ أنّ هذا اللحنَ يحتاج أن يُسمَعَ من غير حَلْق إسحاق ؛ فضحِك المأمون ، وأمر لإسحاقَ بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله . قال : ولم يكن

في إسحاق شيء يُعاب إلاّ حَلْقُه ، وكان يغلب الناسَ جميعاً بطبعه وحِذْقه .

[سبب ضعف بصره]

قال : وأمّا السبب في علّة عين إسحاق وضعفِ بصره ، فأخبرني به محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثني به أبو أيّوب المَدِينيّ قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ : أنّ إبراهيم ابنَ أخي سَلَمة الوَصِيف نازَع إسحاقَ في شيء بين يدي الرشيد من الغناء ، فردّ عليه ، فشتَمه ، فردّ عليه إسحاقُ وأرْبى في الردّ ؛ فقال له إبراهيم : أتردّ عليّ وأنا مولى أمير المؤمنين ! فقال لـه : اسكُتْ فإنّك من مَوالي العِيدينِ[1] ؛ فقال له الرشيد : وأيُّ شيء موالي العيدين ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، يُشتَرى للخلفاء كلُّ صانع وكلُّ ضربٍ في العبيد للعتق ؛ فيكون فيهم الحَجّامُ والحائك والسائس ؛ فهو أحد هؤلاء الذين ذكرتُ . قال : وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه ، فلمّا جاز عليه مُنْصَرِفاً ضرب رأسَه بِمِقْرَعةٍ فيها مِعْوَلٌ ؛ فكان ذلك سببَ ضعف بصر إسحاق . وبلغ الرشيدَ الخبرُ ، فأمر بأن يُحجَبَ عنه إبراهيمُ ، وحلف ألاّ يدخلَ عليه ؛ فدَسّ إلى الرشيدِ من غنّاه : [من الخفيف]

صوت

مَـنْ لعبـدٍ أذلَّـه مـولاهُ ما لـه شافـعٌ إليه سواهُ

يشتكي مـا به إليه ويخشا هُ ويرجوه مثلَ ما يخشاهُ

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ابن أخي سَلَمة الوَصيف خفيفُ رَمَلٍ . وفيه لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ . وقيل : إنّ لابن جامع فيه خفيفَ رملٍ آخر ، فلمّا غُنّي الرشيدُ بهذه الأبياتَ ، سأل عن صاحب لحنها فعُرِّفَه ، فحلف ألاّ يرضى عنه حتى يرضى إسحاقُ ؛ فقام إسحاق فقال : قد رَضِيتُ عنه يا سيّدي رضاءً حسناً ، وقبّل الأرضَ بين يديه شكراً لما كان من قوله ؛ فرضي عنه وأُحْضِر وأمره بتَرَضّي إسحاقَ ففعل .

[بينه وبين إبراهيم ابن أخي سلمة]

وأخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال : جاء إبراهيم ابن أخي سَلَمة إلى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّي أُحبّ أن تشرّفني بأن تكون نَوْبتي ونوبةُ إسحاقَ الموصليّ في مكان واحد ، وأن يكون دخولي إليك ودخوله في مكان ، فإنْ رأيتَ أن تجعلَ ذلك كما سألتُ فعلتَ ؛ قال : قد فعلتُ ؛ ولم أكن حاضراً لمسألته . فلمّا كان يومُ دخولي عليه جاءني إبراهيم فدقّ بابي دقّاً عنيفاً وعرّفني الغلامُ خبرَه ؛ فقلتُ له : يدخل ؛ فأبى وقال له : قُل له اخرج أنت ؛ فساء ظنّي واغتممتُ ، فخرجتُ إليه فقلت له : ما الخبر ؟ قال : إنّ أمير

---

1 ل : العيرين .

المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألاّ تدخلِ الدارَ إلاّ معي بعد أن أُوجِّه إليك فتركب إليّ وتمضي معي ؛ فمضيت معه على رغمي وأنا منكسر ، وكنت بقيّةَ يومي على تلك الحال . ثم ركبت إلى الفضل بن الرَّبيع فشكوتُ ذلك إليه ؛ فقال : ما أرى أميرَ المؤمنين يُحِلُّك هذا المحلَّ ، قم بنا إليه ؛ فقمتُ معه ، فدخل إلى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إسحاقُ وخدمتُه وحقوقُ أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين المهديّ تضع مقدارَه أن تجعله مضموماً إلى إبراهيم ابن أخي سَلَمة ؟ قال : لا والله ما فعلتُ هذا ؛ قال : إنّه قد جاءني يبكي ويحلِف إن جرى عليه هذا تاب من الغِناء وتركَه جملةً ، ثم لو قُتل لم يَعُدْ إليه ؛ فقال : ويحك ؛ والله ما جرى من هذا شيء ، إلاّ أنّ إبراهيم ابن أخي سَلَمة جاء فقال : تشرّفني أن تجعل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي مع وصوله ففعلت ؛ فقل له : يجيء متى شاء وينفرد عنه ولا يجيء معه ولا كرامةً ؛ فأخبرني فرجعت . فلمّا كانت نوبتي جاء إبراهيم إليّ ففعل مثلَ فعله ؛ فقلت لغلامي : اخرج إليه فقُل له : ولا كرامةَ لك يا زاني يا ابنَ الزانية ، لا أجيء معك ولا أدَعُك تجيء معي أيضاً ، وشَتَمه أقبحَ شتم ؛ فخرج الغلام فأدّى إليه الرسالة ؛ فعلم أنّ هذا لم يتجرّأ عليه إلاّ بعدَ تَوثُّق فخجِل ، فقال له : قُل له : ومَن أكرهك على هذا ! إنّما أحببتُ أن نصطحبَ ونَتَأنَّس في طريقنا ، فإن كَرِهتَ هذا فلا تفعلْه ؛ وانصرَفَ ولم يعاوِدْني بعدها .

[صوت إذا غنّاه بكى]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن ابن المَكّيّ عن أبيه قال : كان إسحاق إذا غنّى هذا الصوتَ يأخذ بلِحْيته ويبكي : [من الطويل]

إذا المرءُ قاسى الدهرَ وابيضَّ رأسُه ... وثُلِّم تثليمَ الإناء جوانبُهْ
فلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ خَسيسةٍ ... تُباعِده طوراً وطوراً تُقاربُهْ

الشعر لزبَّان بن سَيَّار الفَزاريّ ، حدّثني بذلك الحِرْميّ بن أبي العَلاء عن الزُّبَير بن بَكّار عن عمّه . والغناء لإسحاقَ رَمَلٌ بالوسطى .

[جفاه المأمون فأمر عَلّويه أن يغنّيه بشعرٍ له]

أخبرنا محمّد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال[1] : أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني ، فكان أوّلَ مَن تَغَنّى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد ، ثم واظب على السماع متستّراً متشبِّهاً في أوّل أمره بالرشيد ، فأقام كذلك أربعَ حِجَج ، ثم ظهر إلى النُّدماء والمغنّين . وكان حينَ أحبَّ

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 5 : 43–44 (رقم 65) .

السماعَ سأَل عنّي ، فجُرِحتُ بحضرته ، وقال الطاعن عليّ : ما يقول أَمير المؤمنين في رجل يَتيه على الخلافة[1] ؟ قال المأمون : ما أَبقى هذا من التّيه شيئاً إلاّ استعمله . فأَمسك عن ذكري ، وجفاني مَن كان يصلني ، لسوء رأيه الذي ظهر فيّ ؛ فأَضرّ ذلك بي ؛ حتّى جاءني عَلّويه يوماً فقال لي : أَتأْذَن لي في ذكرك ؟ فإنّا قد دُعينا اليوم ؛ فقلت : لا ولكن غَنِّه بهذا الشعر ، فإنّه سيبعثه على أَن يسأَلك : لَمن هذا ؛ فإذا سأَلك انفتح لك ما تريد ، وكان الجوابُ أَسهلَ عليك من الابتداء ؛ فقال : هات ، فأَلقيتُ عليه لَحْني في شعري : [من البسيط]

صوت

يا سَرْحةَ الماءِ قد سُدَّتْ مواردُه أَما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ[2]

لحائمٍ حامَ حتّى لا حِيامَ له مُحلَّأٍ عن طريقِ الماء مطرودِ[3]

الغناء لإسحاق' رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن عمرو قال : فمضى عَلّويه ، فلمّا استقرَّ به المجلس ، غنّاه بالشعر الذي أَمرتُه ؛ فما عدا المأمون أَن يسمع الغناء حتى قال : ويحك يا عَلّويه ، لَمن هذا ؟ قال : يا سيِّدي ، لعبد من عبيدك جفوتَه واطّرحتَه من غير جُرْم ؛ فقال : أَإسحاقَ تَعْني ؟ قال : نعم ؛ قال : يحضر الساعةَ ؛ فجاءَني رسوله فصرت إليه . فلمّا دخلتُ عليه قال : ادنُ فدنوت ، فرفع يديه مادَّهما ، فانكببتُ عليه ، واحتضنني بيديه ، وأَظهر من بِرّي وإكرامي ما لو أَظهره صديق مؤانس لصديقه لَبرَّه .

[المعتضد يثني على غناه بشعره]

أَخبرني محمّد بن إبراهيم الجُرْجانيّ قُرَيْض قال : قال لي أَحمد بن أَبي العَلاء : غنّيت المعتضدَ يوماً وهو أَميرٌ صوتَ إسحاق : [من البسيط]

يا سرحةَ الماء قد سُدَّتْ مواردُه أَما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ

فطرب واستعاده مراراً ، وقال : هذا والله الغناء الذي يُخالط الرُّوحَ ويُمازِجُ اللحمَ والدم .

[صوته في شعر له كان الناس يتهادونه كالطرف]

أَخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أَبو العَنبس بن حَمْدون قال أَخبرني أَبي قال : لمّا غَنّى إسحاقُ في شعره هذا : [من المتقارب]

---

1 ل : الخليفة .

2 سرحة الماء : كنى بها عن امرأة .

3 المحلأ : الممنوع من ورود الماء .

صوت

لأَسماءَ رَسْمٌ عفا باللِّوَى أَقامَ رَهينـاً لطُول البِلَى
تَعاورَه الدَّهـرُ في صَرْفِه بكَرِّ الجديدَيْن حتّى عفا

الشعر لإسحاقَ من قصيدة مدَح بها الرشيدَ ، والغِناء له ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه لسُلَيم ثقيلٌ أَوّلُ من رواية الهِشاميّ ، وذكر حَبَشٌ أَنّه لإبراهيمَ بنِ المهديّ ، قال : فكان الناس يتهادَوْنه كما يتهادَوْن الطُّرْفَةَ والباكورةَ . وقال أَبو العَنبس حدّثني ابن مُخارِق[1] : أَنّ الواثق بعث إلى أَبيه مُخارق لمّا صنع إسحاقُ هذا الصوتَ ليُلقيَه عليه ، فصادفه عليلاً ، ولم يكن أَحد يَلْقَنُ عن إسحاق طَرْحَ الغناءِ كما يَلْقَنُه مُخارِق ، فأَعاد إليه الرسولَ ومعه مِحَفّة ، وقال : لا بدّ أَن يجيءَ على كلّ حال ؛ فتحامل وصار إليه حتى أَخذ الصوتَ عن إسحاق ورجع .

[يتحلّى الشجاعة والفروسيّة]

وذكر محمّد بن الحسين الكاتب عن أَبي حارثَة الباهليّ عن أَخيه أَبي معاوية[2] : أَنّ إسحاق كان يتحلّى بالشجاعة والفُروسيّة ويحبّ أَن يُنسَبَ إليهما ، ويركب الخيل ويتعلّم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول . وكان قد شهِد بعضَ مشاهد الحروب فأَصابه سهم فنكَصَ على عَقِبَيْه ؛ فقال أَخوه طَيّاب فيه : [من المتقارب]

وأَنت تكلّفتَ مـا لا تُطيق وقلتَ أَنـا الفـارسُ المَوْصِلي
فلمّـا أَصابتـك نُشّابـةٌ رجعـتَ إلى سنّـك الأَوّلِ

[حديث حمزة الزيّات معه]

أَخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أَبيه عن إسحاق قال : قال لي حمزة الزيّات القارىء[3] : يا موصليّ ، إنّ لي فيك رأياً ، أفترضَى مع فهمك وأَدبك ورأيك أَن يكون عِوَضُك من الآخرة فضلَ مَطْعَم على مَطْعَم ! .

[شعر الأَصمعيّ أَو ابن المنذر العروضي فيه]

حدَّثني عليّ بن سليمان الأَخفش قال أَنشدني أَبو سعيد السُّكَّريّ قال أَنشدني عبد الرحمن ابن أَخي الأَصمعيّ لعمّه يقول لإسحاق : [من البسيط]

أَئنْ تَغنَّيتَ للشَّربِ الكرامِ «أَلا ردّ الخليطُ جمالَ الحيّ فانفرقوا»

---

1 ل : هارون بن مخارق .

2 قارن بالتذكرة الحمدونية 7 : 272 (رقم 1168) .

3 هذا خبر مستغرب . فحمزة القارىء توفّي سنة 156 في خلافة المنصور ، وإسحاق ولد سنة 150 .

وقيل أَحسنتَ فاستدعاك ذاك إلى ... ما قلتَ ويحك لا يَذهَبْ بك الخَرَقُ
وقيل أَنــت حُسانُ الناسِ كلِّهمُ ... وابنُ الحُسانِ فقد قالوا وقد صدَقوا
فما بهـذا تقــوم النادبــاتُ ولا ... يُثْنى عليك إذا ما ضَمَّك الخِرَقُ

قال يحيى بن عليّ : إنّ هذه الأبيات تُرْوَى لابن المُنْذِر العَرُوضيّ وللأصمعيّ .

[فساد ما بينه وبين الأصمعيّ]

قال مؤلّف هذا الكتاب : كان إسحاق يأخذ عن الأَصمعيّ ويكثر الرواية عنه ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلَبه وكشَف للرشيد معايبَه ، وأَخبره بقلّة شكره وبُخْله وضِعَة نفسه وأَنّ الصَّنيعة لا تَزْكُو عنده ، ووصف له أَبا عُبَيدة مَعْمَر بنَ المُثَنَّى بالثقة والصدق والسماحة والعلم ؛ وفعل مثلَ ذلك للفَضْل بن الربيع واستعان به ؛ ولم يزل حتى وضع مرتبةَ الأَصمعيّ وأَسقطه عندهم ، وأَنفذوا إلى أَبي عُبَيدة مَنْ أَقدمه .

أَخبرني أَبو الحسن الأَسَديّ قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : أَنشدتُ الفضلَ بن الرَّبيع أَبياتاً كان الأَصمعيّ أَنشدنيها في صفة فرس : [من الرجز]

كأَنّه في الجُـلِّ وهو سامي ... مُشتمِلٌ جــاءَ مــن الحَمّامِ[1]
يَسُور بــين السَّرْج واللِّجامِ ... سَوْر القَطامِــيّ إلى اليَمامِ[2]

قال : ودخل الأَصمعيّ فسمعني أُنْشدها ، فقال : هاتِ بقيّتها ؛ فقلت له : أَلم تقل إنّه لم يبقَ منها شيء ؟ فقال : ما بقي منها إلاّ عيونها ، ثم أَنشد بعد هذه الأَبيات ثلاثين بيتاً منها ، فغاظني فعله ؛ فلمّا خرج عرّفت الفضلَ بن الربيع قلّة شكره لعارفة[3] وبخلَه بما عنده ؛ ووصفتُ له فضلَ أَبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنّى وعلمَه ونزاهتَه وبذلَه لما عنده واشتمالَه على جميع علوم العرب ، ورَغَّبتُه فيه ، حتى أُنفذَ إليه مالاً جليلاً واستقدمه ؛ فكنتُ سببَ مجيئه به من البصرة .

أَخبرني عمِّي قال حدَّثنا فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : جاء عطاءُ المُلْك[4] بجماعة من أَهل البَصْرة إلى قُرَيْب أَبي الأَصمعيّ ، وكان نَذْلاً من الرجال ، فوجده ملتفّاً في كِسائه نائماً في الشمس ، فركَضه برجله وصاح به : يا قُرَيْب ، قُم ويلك ؛ فقال له : هل لقيتَ أَحداً من أَهل العلم قطُّ أَو من أَهل اللغة أَو من العرب أَو من الفقهاء أَو من المحدِّثين ؟ قال : لا والله ؛ قال : ولا سمعتَ شيئاً تَرويه لنا أَو تُنشدناه أَو نكتبه عنك ؟ قال : لا والله ؛ فقال لمن حضر : هذا أَبو

---

1 الجل : غطاء للدابة .
2 يسور : يثب ويثور . القطامي : الصقر .
3 العارفة : المعروف .
4 ل : الملط .

الأَصمعيّ ، فاشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه ، لا يَقُلْ لكم غداً أَو بعده : حدّثني أَبي أَو أَنشدني أَبي ؛ ففضَحه . قال الفضل : ثم مرِض الأَصمعيّ ، وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصليّ انفرجتْ ؛ فعاده أَبو رَبيعة ، وكان يرغب في الأَدب ويَبَرّ أَهلَه ؛ فقال له الأَصمعيّ : أَقرضْني خمسة آلاف درهم ؛ فقال : أَفعل . فقال له أَبو ربيعة : فأَيّ شيء تشتهي سوى هذا ؟ فقال : أَشتهي أَن تُهدِي إليّ فصّاً حسناً وسيفاً قاطعاً وبُرْداً[1] حسناً وسرجاً مُحَلًّى ؛ فقال : أَفعل ، وبعث بذلك إليه لمّا عاد إلى منزله . وبلغ ذلك إسحاق فقال : [من الوافر]

أَليس من العجائب أَنّ قِرْداً ... أُصَيْمِعَ باهِليّاً يستطيلُ
ويزعمُ أَنّه قد كان يُفْتي ... أَبا عمرٍو ويسأَله الخليلُ[2]
إذا ما قال قال أَبي عجبنا ... لِما يأتي به ولِما يقولُ
وما إن كان يَدْري ما دَبيرٌ ... أَبوه إن سألتَ وما قَبيلُ[3]
وجَلَّله عطاءُ المُلْكِ عاراً ... تزول الراسياتُ ولا يزولُ[4]
نصحتُ أَبا ربيعةَ فيه جُهْدِي ... وبعضُ النصح أَحياناً ثقيلُ
فقُل لأَبي رَبيعةَ إذ عصاني ... وجارَ به عن القصد السبيلُ
لقد ضاعتْ برودُك فاحتسِبْها ... وضاع الفَصُّ والسيفُ الصقيلُ
وسرجٌ كان للبِرذَوْنِ زَيْناً ... له في إثْره جَزَعاً صهيلُ
وأَمّا الخمسةُ الآلافِ فاعلمْ ... بأَنّك غَبْنَها لا تستقيلُ
وأَنّ قضاءها فتَعَزَّ عنها ... سيأتي دونه زمنٌ طويلُ

[الواثق يهبه وصيفة أُعجبته فأنشده شعراً للمرّار وعناه فيه فوهبها له]

حدَّثني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : كنت جالساً بين يدي الواثق وهو وليّ عهد ، إذ خرجتْ وصيفةٌ من القصر كأَنّها خُوطُ بانٍ ، أَحسنُ مَنْ رأَتْه عيني قطُّ ، تَقْدُمُ عدّةَ وصائفَ بأَيديهنّ المَذابُّ والمناديل ونحوُ ذلك ، فنظرتُ إليها نَظَر دَهِشٍ وهو يَرْمُقُني . فلمّا تبيّن إلحاحَ نظري قال : مالكَ يا أَبا محمّد قد انقطع كلامُك وبانت الحيرةُ

---

1 ل : وبرذوناً .

2 يقصد أبا عمرو بن العلاء إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة والشعر ، والخليل بن أحمد النحوي العروضي .

3 إشارة إلى المثل : ما يعرف قبيلاً من دبير (مجمع الميداني 2 : 269 وجمهرة العسكري 2 : 286 ومستقصى الزمخشري 2 : 337 .

4 الملك في ل : الملط .

فيك ؟ فتلجلجتُ ؛ فقال لي : رمتك والله هذه الوصيفةُ فأصابت قلبَك ! ؛ فقلت : غيرُ ملوم ؛ فضحك ثم قال : أنشدْني في هذا المعنى ؛ فأنشدتُه قولَ المَرّار[1] : [من الطويل]

أَلِكْني إليها عَمْرَكَ اللهَ يا فتى ... بآية ما قالت متى هو رائحُ[2]

وآيةِ ما قالت لهنّ عَشيَّةً ... وفي السِّتر حُرّاتُ الوجوه مَلائحُ

تَخيَّرْنَ أَرْماكُنّ فارْمِينَ رميةً ... أخا أَسدٍ إذ طرّحتْه الطوارحُ

فلَبّسْنَ مِسْلاسَ الوِشاحِ كأنّها ... مَهاةٌ لها طِفْلٌ برُمّانَ راشِحُ[3]

فقال له الواثق : أحسنتَ بحياتي وظَرُفتَ ، اصنعْ فيها لحناً ؛ فإن جاء كما نريد وأطربَنا فالوصيفةُ لك ؛ فصنعتُ فيه لحناً وغنّيته إيّاه ، فاصطبح عليه وشرب بقيَّةَ يومه وليلته حتى سكِر ، ولم يقترح عليّ غيرَه ، وانصرفتُ بالجارية .

[غنّى الواثق وهو لقس النفس فأطربه]

حدّثني عمّي قال حدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : دخلت على الواثق يوماً وهو خاثر النفْس ، فأخذتُ عوداً من الخِزانة ووقفتُ بين يديه فغنّيته : [من البسيط]

من الظباء ظبـاءٌ هَمُّها السُّخُبُ ... ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ

أَهوَى الظباءَ اللواتي لا قُرونَ لها ... وحليُها الدُّرُّ والياقوتُ والذهبُ

لا يَغْتَرِبْنَ ولا يسكُنَّ باديةً ... وليس يَعْرِفنَ ما صَرٌّ ولا حَلَبُ

وفي الذين غَدَوْا ، نفسي الفداء لهم ، ... شمسٌ تَبرقَعُ أحياناً وتَنتقبُ

يا حسنَ ما سَرَقتْ عيني وما انتهبتْ ... والعينُ تَسرِق أحياناً وتنتهبُ

إذا يـدٌ سَرَقتْ فالقطعُ يلزمها ... والقطعُ في سَرَق العينين لا يَجبُ

قال : فهَشّ إليّ ونشِط ودعا بطعام خفيف وأكلْنا واصطبح وأمر لي بمائة ألف درهم . وأخبرني به الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرويه عن عليّ بن الحسن عن إبراهيم بن محمّد الكَرْخيّ عن إسحاق ، فذكر مثلَه ؛ وقال فيه : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

[طلب من المأمون أن يدخل المقصورة معه يوم الجمعة]

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن أخيه محمّد قال : كان إسحاق الموصليّ يدخل في مُبطَّنة وطَيْلَسان مثل زِيّ الفقهاء على المأمون ؛ فسأله أن يأذَن له في

---

1 هو المرّار الفقعسي وسيأتي ترجمةٌ له .

2 ألكني : تحمل إليه رسالتي .

3 رمان : قصر بنواحي واسط . والراشح : الصغير الذي أخذ يمشي مع أمّه أو خلفها .

دخول المقصورة يوم الجمعة بدُرّاعة سوداءَ وطَيْلَسان أسود ؛ فتبسّم المأمون وقال له : ولا كلّ هذا بمرّة يا إسحاق ، ولكن قد اشترينا منكَ هذه المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تغتمّ ، وأمر بحملها إليه فحُملت .

[أبو خالد الأسلميّ يمدحه ويقدّم شعره]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عُبَيد الله بن عبد الله قال حدَّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيَّات عن أبي خالد الأسْلَميّ : أنّه ذكر إسحاق يوماً وكان يفضِّله ويعظِّم شأنه ويقدّمه في الشعر تقديماً مُفْرِطاً ، فقال : ما قولكم في رجل محدَث تَشَبَّه بذي الرُّمّة وقال على لسانه شعراً وغنّى فيه ونَسَبه إليه ، فلم يَشكُكْ أحدٌ سمعه أنّه له ولا فَطِن لما فعل أحد إلاّ مَنْ حَصَّل شعرَ ذي الرمّة كلَّه ورواه ؛ فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال : [من الطويل]

ومَدْرَجةٍ للريح تَيْهاءَ لم تكن لِيَجْشَمَها زُمَّيْلةٌ غيرُ حازمِ
يَضِلّ بها الساري وإن كان هادياً وتَقْطَعُ أنفاسَ الرياح النواسمِ
تَعَسَّفتُ أفْري جَوْزَها بشِمِلَّةٍ بعيدةِ ما بين القَرَا والمَناسمِ[1]
كأنّ شِرارَ المَرْوِ من نَبْذِها به نجومٌ هَوَتْ أخرى الليالي العواتمِ[2]

[غنّى المأمون بشعر في اللذات]

حدَّثني عمّي وأحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثنا فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : غنّيتُ المأمونَ يوماً هذين البيتين : [من الطويل]

لأَحسنُ من قَرْعِ المَثاني ورجعِها تَواتُرُ صوتِ الثغر يُقرَعُ بالثغرِ
وسكرُ الهوى أروَى لعظمي ومَفْصِلي من الشُّرب في الكاسات من عاتق الخمرِ

فقال لي المأمون : ألا أخبركَ بأطيبَ من ذلك وأحسن ؟ الفراغُ والشباب والجِدَة .

[أعتق غلامه لحسن جوابه]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني الحسين بن يحيى قال : كان لإسحاق غلام يقال له فَتْح ، يستقي الماءَ لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً ؛ فقال إسحاق : قلت له يوماً : أيُّ شيء خبرُك يا فَتْح ؟ قال : خبري أنّه ليس في هذه الدار أحدٌ أشقى منّي ومنك ؛ قلت : وكيف ذلك ؟ قال : أنت تُطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء ؛ فاستظرفتُ قولَه وضحكتُ منه ، ثم قلت له : فأيَّ شيء تحبُّ ؟ قال : تُعتقني وتَهب لي البغلين أستقي عليهما ؛ فقلت له : قد فعلت .

1 جوز الشيء : وسطه ومعظمه . والشملة : الناقة السريعة . والقرا : الظهر ، والمناسم : الأخفاف .

2 المرو : حجارة بيض رقاق .

[شعره في أبي البصير]

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمّد الأَسَديّ قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق قال : كان لأبي البَصير الشاعر قِيانٌ ، وكان يتكلّم في الغناء بغير علم ولا صواب فيُضْحَك منه ، فقال أبي فيه : [من الوافر]

سكتُّ عن الغناء فما أُماري بصيراً لا ولا غيــرَ البصيرِ
مخافةَ أن أُجنّن فيــه نفسي كما قد جُــنَّ فيه أبــو البصيرِ

[نهاه الرشيد عن الغناء إلاّ له أو لجعفر بن يحيى]

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : نهاني الرشيدُ أن أُغنّي أحـداً غيرَه ، ثـم استوهبني جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذنَ لي في أن أُغنّيه ففعل ، واتّفقنا يوماً عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل ، والرشيدُ يومئذٍ بعَقِب علّة قد عُوفي منها وليس يشرَب ؛ فقـال لي الفضل : انصرفْ إليّ الليلة حتى أَهَبَ لك مائة ألف درهم ؛ فقلت له : إنّ الرشيد قد نهاني ألاّ أُغنّي إلاّ له أو لأخيك ، وليس يخفى عليه خبري ، وأنا متّهم عنده بالمَيل إليكم ، ولستُ أتعرّض له ولا أُعرّضك ، ولم أُجبه . فلمّا نكَبهم الرشيد قـال : إيهِ يا إسحاق ، تركتني بالرَّقّة وجلستَ ببغداد تغنّي للفضل بن يحيى ! فحلفتُ بحياته أنّي ما جالستُه قطّ إلاّ على المذاكرة والحديث ، وأنّه ما سمعني قطّ أُغنّي إلاّ عند أخيه جعفر ، وحلفت بتربة المهديّ أن يسأل عن هذا جميعَ مَنْ في الدار من نسائه ؛ فسأل عنه فحدّثْنَه بمثل ما ذكرتُه له ، وعرف خبر المائة الألف الدرهم التي بذلها لي فرددتُها عليه . فلمّا دخلت عليه ضحِك إليّ ثم قال : قد سألتُ عن أمرِكَ فعَرفتُ منه مثل ما عرّفتني ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً ممّا بذله لك الفضل .

[تحدّث بحديث لا إسناد فيه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون[1] عن إسحاق أنّه كان يقول : الإسناد قيدُ الحديث ؛ فتحدَّث مرّةً بحديث لا إسنادَ له ، فسئل عن إسناده ، فقال : هذا من المُرْسَلاتِ عُرْفاً .

[أنشد الفضل شعر نصيب فأجازه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني ميمون بن هارون عن أبيه ، وحدَّثني عمّي عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمّد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ أبي الجَحْناء نُصَيْبٍ مولى المهديّ فيهم : [من الكامل]

1 ل : حدّثني عمّي قال حدّثنا فضل اليزيدي . . . .

صوت

عنـد الملـوكِ مَضَرَّةٌ ومنافعٌ   وأرى البَرامِـكَ لا تَضُرُّ وتنفعُ
إنْ كان شرٌّ كان غيرُهم لـه   أو كان خيرٌ فهو فيهم أجمعُ
إنّ العروقَ إذا استَسرَّ بها الثَّرى   أَشِرَ النباتُ بها وطابَ المَزْرَعُ
فإذا جَهِلْتَ من امرىء أَعراقَه   وقديمَـه فانظـر إلى مـا يصنعُ

قال فقال : كأنّا واللهِ لم نسمع هذا الشعر قطُّ ، قد كنّا وصلْناه بثلاثين أَلف درهم ، وإذاً نُجَدِّد له الساعةَ صلة له ولك معه لحفظك الأَبياتَ ؛ فوصلَنا بثلاثين أَلفَ درهم .

[عتب عليه المأمون في شيء فاسترضاه]

وأَخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني الحسن بن يحيى الكاتب أَبو الجَمّاز قال[1] : عتَب المأمونُ على إسحاق في شيء ؛ فكتب إليه رُقعةً وأَوصلها إليه من يده ؛ ففتحها المأمون فإذا فيها قولُه : [من البسيط]

لا شيءَ أَعظمُ من جُرْمي سوى أَملي   لحسن عفوكَ عن ذنبي وعن زَلَلي
فإنْ يكن ذا وذا في القَدْر قد عَظُما   فأَنت أَعظمُ من جُرْمي ومن أَملي

فضحِك ثم قال : يا إسحاقُ ، عذرُك أَعلى قدراً من جُرمك ، وما جال بفكري ولا أُخْطِرْتُهُ بعد انقضائه على ذكري .

[بينه وبين ابن بانة في مجلس الواثق]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني يزيد بن محمّد المهلَّبي قال : خرجنا مع الواثق إلى القاطُول[2] للصيد ، ومعنا جماعةُ الجلساء والمغنِّين وفيهم عمرو بن بانة وعَلّويه ومُخارِق وعَقِيد ، وقدِم إسحاقُ في ذلك الوقت فأَخرجه معه ؛ فتصيّد على القاطُول ثم عاد فأَكل وشرب أَقداحاً ، ثم أَمَر بالبُكور إلى الصَّبُوح فباكرْنا واصطبحْنا . فغنَّى عمرُو بن بانة لحنَ إبراهيم الموصليّ : [من الطويل]

صوت

بلوتُ أُمورَ الناس طُرّاً فأَصبحتْ   مُذَمَّمةً عندي بَـراءً مـن الحمدِ
وأَصبح عندي مـن وَثِقتُ بغَيْبه   بَغِيضَ الأَيادِي كلُّ إحسانه نَكْدُ[3]

ولحنه خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى ، فغنّاه على ما أَخذه من إبراهيمَ بن المهديّ وقد غيّره . فقال الواثق لإسحاق : أَتعرف هذا اللحنَ ؟ فقال : نعم ، هذا لحنُ أَبي ولكنّه ممّا زعمَ إبراهيمُ بن

---

1 هذا الخبر ممّا ورد في التذكرة الحمدونية 4 : 116 (رقم 340) .

2 القاطول : اسم نهر يأخذ من دجلة .

3 في هذا البيت إقواء .

المهديّ أنّه جَنْدَره وأصلحه فأفسده ودَمَر[1] عليه ؛ فقال له : غَنّه أنت ، فغنّاه فأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جدّاً ؛ فغمّ ذلك عمرَو بن بانة فقال لإسحاق : أفأنت مثلُ إبراهيمَ بن المهديّ حتّى تقول هذا فيه ؟ ؛ قال : لا والله ما أنا مثله ، أمّا على الحقيقة فأنا عبدُه وعبدُ أبيه ، وليس هذا ممّا نحن فيه ؛ وأمّا الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه ؟ ما أحسنتَ قطُّ أن تأخذ فضلاً عن أن تغنّي ، ولا قمتَ بأداء غناءٍ عن أن تميّز بين المحسنين ؛ وإلاّ فغنِّ أيَّ صوت شئت ممّا أخذتَه عنه وعن غيره كائناً مَنْ كانَ ، فإن لم أُوضح لك ولمن حضر أنّه لا يَسلَم لك صوت من نقصانِ أجزاءٍ وفساد صنعةٍ فدمي به رهنٌ ؛ فأساء عمرو الجوابَ وأغلظ في القول ؛ فأمضَّه الواثق وشتَمه وأمر بإقامته عن مجلسه فأُقيم . فلمّا كان من الغدّ دخل إسحاقُ على الواثق فأنشده : [من الرجز]

ومجلسٍ باكرتُـــه بُكــورا ... والطيرُ مــا فارقتِ الوُكُورا
والصبحُ لم يَستنطقِ العُصفورا ... على غَديـرٍ لم يكـن دُعْثُورا[2]
لم تَـرَ عينــي مثلَـه غَديرا ... يجري حَبابُ مائه مَسْجُورا[3]
على حصىً تَحْسَبُه كافــورا ... تسمع للمـاء بـــه خَريرا
يَنْسِجُ أعــلى مَتْنِـه سطورا ... نسيمُ ريحٍ قـد وَنَتْ فُتورا
حتى تخـالَ متنَـه حَصيرا ... والشَّربُ قد حَفُّوا به حُضورا
وأمـروا الساقـيَ أن يُديـرا ... كأسَهـمُ الأصغـرَ والكبيرا
وأعملوا البَـمَّ معــاً والزِّيرا ... وجاوبـتْ عيدانُهــم زَميرا
وقرّبــوا المُغنّــيَ النِّحْريـرا ... مُقَدَّمــاً في حِذْقِــه مشهورا
فهــم يطيرون بـــه سرورا ... ولا تـرى في شُربهم تقصيرا
ولا لِصفْو عيشهم تكديرا ... ولا لخُلْــقِ منهــمُ نظيرا
إلاّ رُجَيْـلاً منهــمُ سِكِّيرا ... مُعَرْبِــداً مُوَضِّحــاً شِرِّيرا
مُدَّعِيــاً للعلـــم مستعيرا ... يـروم سعيــاً كاذبـاً مغرورا
وأن يكــون عالمــاً بصيرا ... مُفَضَّـلاً بعلمـــه مذكورا
غَمَزْتُــه ولم يكـــن صَبــورا ... فعــاذ منّــي هارباً مذعورا
بمَعْشَرٍ تحسَبُهــــم حَميــرا ... أشدَّ منهــم حُمُقــاً كثيرا

---

1 دمر عليه : إذا دخل بغير إذن وهجم هجوم الشرّ .
2 الدعثور : الحوض المثلّم أو الذي لم تُحكم صنعته ولم يوسع .
3 المسجور : المنظوم المسترسل

لا ينطِقون الدهرَ إلاّ زُورا ... حتّى إذا كَسَّرْتُه تكسيرا
كالليث لمّا ضَغَم الخِنْزِيرا ... وَلّى انهزاماً خاسئاً مدحورا[1]
معترفاً بذُلِّه مقهورا ... وكنتُ قِدْماً ضيغماً هَصُورا
معتلياً لقِرْنِه عَقُورا ... وما أُخاف الزمنَ العَثُورا
إذ كنتُ بالواثق مستجيرا ... قد عَزّ مَنْ كان له نصيرا
إمامُ عدلٍ دَبَّر الأُمورا ... برأيه ولم يُرِدْ مُشيرا
ترى من الحقِّ عليه نورا ... تَقَيَّل المَهْدِيَّ والمنصورا[2]
وَجدَّه الأَدنى تُقىً وخيرا ... وَرَّثه المعتصمُ التدبيرا
فأَصبح الملكُ به مُنيرا ... وأَصبح العدلُ به منشورا
قد أَمِنَ الناسُ به المحظورا ... إذا علا المِنْبَرَ والسريرا
رأيتُ بدراً طالعاً منيرا ... بحراً ترى الغَنِيَّ والفقيرا
يرجون منه نائلاً غزيرا ... واللهِ لا زلتُ له شَكورا
لا جاحِدَ النُّعْمى ولا كَفُورا ... وكنتُ بالشكر له جديرا

[أنشده الأُصمعيّ جملة أشعار في الفروسيّة]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : سمعت إسحاقَ يقول : أَنشدني الأَصمعيّ قولَ الأَعشى : [من البسيط]

إن تركبوا فركوبُ الخيلِ عادتُنا ... أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُـزُلُ

ثم قلت : أيَّ شيء تحفظ في هذا المعنى ؟ وكان مع بخله بالعلم لا يبخَل بمثل هذا ، فأَنشدني لرَبيعة بنِ مَقْروم الضبِّيّ : [من الكامل]

ولقد شَهِدتُ الخيلَ يوم طِرادِها ... بسَلِيم أَوْظِفَةِ القوائم هَيْكَلِ[3]
فدَعوْا نَزالِ فكنتُ أَوّلَ نازل ... وعلامَ أَركبُه إذا لم أَنزِلِ

[سرّه غناء ملاحظ فمدحها]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثني محمّد بن محمَّد بن مروان قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال : اجتمعنا يوماً إمّا قال في منزلي أو في منزل

1 ضغم : عضّ ملء فيه .
2 تقيل الرجل أباه : أشبهه .
3 أوظفه : جمع وظيف وهو ما فوق الحافر .

محمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصليّ وعندنا ملاحظُ تُغنّينا وقد قامت الصلاة ، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال : فيم كنتم ومَنْ عندكم ؟ فأخبرناه بخبرها ؛ فقال : لا تُعرِّفوها مَن أنا فيُخرجها التصنّعُ لي والتحفُّظ منّي عن طبعها ، ولكن دعوها وهواها حتّى ننتفعَ بها ؛ وخرجتْ وهي لا تعرفه وجلستْ كما كانت أوّلاً ، وابتدأت وغنّت والصنعة لفُلَيح بن أبي العَوْراء ، ولحنُه رَمَلٌ . هكذا أخبرنا إسحاق ليلتئذٍ أنّ الغناء لفليح : [من البسيط]

صوت

إنّي تَعلّقْتُ ظبياً شادناً خَرِقَاً عُلِّقتُه شِقوةً منّي وما عَلِقَا

قال : فطرب إسحاق وشرب حتى والَى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها ؛ فأخذ إسحاق دواةً وكتب : [من الطويل]

سأشربُ ما دامت تغنّي ملاحظُ وإن كان لي في الشَّيْبِ عن ذاك واعِظُ
ملاحـظُ غنّينا بعيشكِ وليكـن عليك لما استحفظتُه منكِ حافظُ
فأقسم مـا غنّى غِناءَكِ مُحْسِنٌ مُجيدٌ ولم يَلْفِـظ كلَفْظك لافظُ
وفي بعض هذا القولِ منّي مَساءةٌ وغيظٌ شديـد للمغنّـين غائظُ

[حدّث الرشيد عن البرامكة فزجره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبيّ قال حدّثني إسحاق قال : قال لي الرشيد يوماً : بأيّ شيء يتحدّث الناس ؟ قلت : يتحدّثون بأنّك تَقْبِضُ على البرامكة وتُولِّي الفضلَ بن الرَّبيع الوزارة ؛ فغضب وصاح بي : وما أنت وذاك وَيْلَك ! فأمسكتُ . فلمّا كان بعدَ أيّامٍ دعا بنا ؛ فكان أوّل شيء غنّيته : [من الهزج]

صوت

إذا نحـن صَدَقْنـاكَ فضَرّ عنـدك الصدقُ
طلَبنا النفـعَ بالباطِـلِ إذ لم يَنفع الحقُّ
فلـو قـدّم صبّاً في هـواه الصبرُ والرِّفقُ
لقُدّمـتُ عـلى الناس ولكـنَّ الهوى رزقُ

في هذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى يُنسب إلى إسحاق وإلى ابن جامع ، والصحيح أنّه لإسحاق . وقيل : إنّ الشعر لأبي العتاهية . قال : فضحك الرشيد وقال لي : يا إسحاق ، قد صِرتَ حَقُودا .

[المعتصم يجيزه وعلّويه دون مُخارق]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا يزيد بن محمّد قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلتُ على المعتصم يوماً بسُرَّ مَنْ رأى، فإذا الواثقُ بين يديه وعنده عَلّويه ومُخارِقٌ؛ فغنّاه صوتاً فلم يَنشَط له، ثم غنّاه عَلّويه فأطربه. فلمّا رأيتُ طربَه لغناء عَلّويه دون غناء مُخارق اندفعتُ فغنَّيته لحني: [من الطويل]

صوت

تَجَنَّبتَ ليلى أن يَلِجَّ بكَ الهوى وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

فأمر لي بألف دينار ولعَلّويه بخمسمائة دينار، ولم يأمر لمخارق بشيء.

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

تَجَنَّبتَ ليلى أن يَلِجَّ بكَ الهوى وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

ألا إنّما غادرتِ يا أُمَّ مالكٍ صَدىً أينما تَذهَبْ به الريحُ يَذْهَبِ

الشعر للمجنون[1]. والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وغنّى ابنُ جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أُضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر، هَزَجاً بالبنصر. والبيتان المضافان: [من الطويل]

بَرى اللَّحمَ عن أَحناء عظمي ومَنْكِبي هَوىً لسُلَيمى في الفؤادِ المعذَّبِ

وإنّي سعيدٌ أنْ رأتْ لكِ مرّةً من الدَّهرِ عيني منزلاً في بَني أَبي

[الواثق يجيزه على غناء علّويه بلحنه]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبيّ قال: غَنّى عَلّويه بين يدَي الواثق يوماً: [من مجزوء الوافر]

صوت

خليلٌ لي سأهجُرُه لذنبٍ لستُ أذكُرُهُ

ولكنّي سأرعاه وأَكتُمُه وأستُرُهُ

وأُظهِرُ أنّني راضٍ وأَسكُتُ لا أُخبِّرُهُ

لكي لا يعلمَ الواشي بما عندي فأَكْسِرُهُ

1 ديوان المجنون: 79.

الشعر والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى ، قال : فطرِب الواثقُ طرباً شديداً ، واستحسن اللحن ، وأَمر لعلّويه بأَلف دينار ؛ ثم قال : أَهذا اللحنُ لك ؟ قال : لا يا أَمير المؤمنين ، هو لهذا الهِزَبْرِ[1] (يعني إسحاق) قال : وكان إسحاقُ حاضراً ، فضحِك الواثق وقال : قد ظلمناه إذاً ، وأَمر لإسحاق بثلاثين أَلف درهم .

[عارض ثقيلاً بهزج]

أَخبرنا عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن عُبيد الله بن عبد الله بن خُرْداذْبِه عن أَبيه قال : كان إسحاق عند الفَتْح بن الحَجّاج الكَرْخيّ وعَلّويه حاضرٌ ؛ فغنّاه عَلّويه : [من مجزوء الوافر]

عَلِقتُكِ ناشئاً حتّـى ... رأيـتِ الرأسَ مُبْيَضّا
عـلى يُسْرٍ وإعسارٍ ... وفَيْض نوالِكم فَيْضا
أَلا أَحببْ بأَرضٍ كنـ ... ـتِ تحتلّينَهـا أَرضا
وأَهلُكِ حبّذا ما هـم ... وإن أَبدَوْا ليَ البُغضَا

الشعر لابن أُذينةَ . والغناء لابن سُرَيج ثقيـلٌ أَوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق . وفيه لإسحاق هَزَجٌ خفيفٌ مطلقٌ في مجرى البنصر ، عن إسحاق أَيضاً . وفيه للأَبْجَر ثقيلٌ أَوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لإسحاق الموصليّ هزج خفيف مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق أَيضاً ، وفيه للأبجر ثقيل أَوّل آخر ، ولإبراهيم الموصليّ رَمَلٌ ، جميعُ ذلك عن الهشاميّ . قال : فغنّاه إيّاه في الثَّقيل ، ثم غنّاه هَزَجاً ؛ فقال له الفتحُ : لَمِن الثقيلُ ؟ فقال : لابن سُرَيج ، قال : فلِمَنِ الهَزَجُ ؟ قال : لهذا الهِزبرِ[2] (يعني إسحاقَ) ؛ فقال له الفتحُ : وَيْلَكَ يا إسحاق ! أَتُعارِضُ ثقيلَ ابن سُرَيج بهَزَجِكَ ؟ قال : فقبَض إسحاقُ لِحيته ثم قال : على ذلك فوالله ما فاتني إلاّ بتحريكه الذَّقَنَ .

[تصويبه المعتصم في شعر لأبي خراش]

أَخبرني الحسن قال حدَّثني يزيد بن محمّد قال حدَّثني إسحاق قال : دخلتُ يوماً على المعتصم وعنده إسحاقُ بن إبراهيم بن مصعَب ، واستدناني فدنوتُ منه ، واستدناني فتوقَّفتُ خوفاً من أَن أَكون مُوازِياً في المجلس لإسحاق بن إبراهيم ؛ ففَطِنَ المعتصم لذلك فقال : إنّ إسحاق لكريمٌ ، وإنّك لم تَستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه . ثم تحدّثْنا وأَفضتْ بنا المذاكرةُ إلى قول أَبي خِراش الهُذَليّ[3] : [من الطويل]

---

1 ل : الهربذ وهو أحد خدماء النار عند المجوس أو أحد عظماء الهند أو علمائها (فارسية) .

2 ل : الهربذ .

3 شرح أشعار الهذليين : 1230 والحماسية رقم 262 .

حَمِدتُ إلهي بعــد عُرْوَةَ إذ نجا خِراشٌ وبعضُ الشرِّ أهونُ من بعض

فأنشدها المعتصمُ إلى آخرها ، وأنشد فيها : [من الطويل]

ولم أدْرِ مَــنْ أَلْقــى عليــه رِداءَه سوى أنّه قد حُطّ عن ماجدٍ مَحْضِ[1]

والروايةُ «قد بُزّ عن ماجدٍ محض» ؛ فغلِطتُ وأسأتُ الأدبَ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه رواية الكُتّاب وما أُخِذ عن المعلِّم ؛ والصحيح «بُزّ عن ماجدٍ محض» ؛ فقال لي : نعم صدقتَ ، وغمَزني بعينه ، يحذّرني من إسحاق ؛ وفَطِنتُ لغَلَطي فأمسكتُ ، وعلمتُ أنّه قد أشفق عليّ من بادرة تبدُر من إسحاق ، لأنّه كان لا يحتمل مثلَ هذا في الخلفاء من أحد حتى يُعظِمَ عقوبتَه ويُطيلَ حبسَه ، كائناً مَن كان ؛ فنبّهني ، رحمه الله ، على ذلك حتى أمسكتُ وتنبّهت .

[غنّى المأمون ثلاثين صوتاً من أهزاج القدماء]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال قال عبيد الله بن معاوية قال عمرو بن بانة : كنّا عند المأمون ، فقال : ما أقلَّ الهَزَج في الغناء القديم ! ؛ وقال إسحاق : ما أكثره ! ثم غنّاه نحوَ ثلاثين صوتاً في الهَزَج القديم . فقلت لأصحابي : هذا الذي تزعمون أنّه قليل الرواية ! .

[أثنى عليه العبّاس بن جرير]

أخبرنا يحيى قال حدَّثنا أبي عن إسحاق قال : قال لي العبّاس بن جَرير : قاتَلَك الله ! مذكَّرُ فِطْنةٍ ، ومؤنَّث طبيعة ، ما أمكرك ! .

[أعرابيّ يعجب بشعره]

حدَّثنا يحيى بن عليّ قال حدَّثني أبي عن إسحاق قال ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا يزيد بن محمّد عن إسحاق قال : أنشدتُ بعضَ الأعـراب شعراً لي أقول فيه : [من الكامل]

أَجَرَتْ سوابقُ دمعِك المُهْراقِ لمّا جـرى لـك سانحٌ بفِراقِ
إنّ الظعائنَ يومَ ناصِفةِ اللِّوَى هاجتْ عليك صبابةَ المُشتاقِ[2]
لم أنْسَ إذ أَلْمَحْنَنا في رِقبـةٍ منهـنّ بيضَ ترائـبٍ وتَراقِ
وأشَرْنَ إذ ودَّعْنَنــا بأناملٍ حُمْرٍ كهُدّاب الدِّمَقْسِ رِقاقِ
ورَمَتْك هندٌ يوم ذاك فأقْصَدَت بأَغَـرَّ عَــذْبٍ بـاردٍ بَرّاقِ[3]
وتنفّست لمّـا رأتـك صبابــةً نَفَساً تصعَّد في حَشاً خفّاقِ

1 في الديوان والحماسة : ولكنه قد سل .

2 الناصفة : الرحبة في الوادي .

3 أقصدت : أصابت .

ولقد حَذِرتُ فما نجوت مُسَلَّما حتى صُرِعتُ مَصارعَ العُشَّاقِ
إنّ الخلافـة أُثبتتْ أوتادُها لمّا تحمّلهـا أبـو إسحاقِ
مَلِكٌ أغرُّ يلوحُ فـوق جَبينه نورُ الخلافة ساطعَ الإشراقِ
كُسي الجلالَ مع الجمال وزانَه هَدْيُ التُّقى ومكارمُ الأَخلاقِ
صَحَّتْ عروقُك في الجياد وإنّما يجري الجوادُ بصحّة الأعراقِ
ذخَرَ الملوكُ فكان أفضل ذُخْرهم للمُلك ما جمعوا من الأَوراقِ
وذخَرتَ أَبناءَ الحروب كأنّهم أُسْدُ العَرينِ على مُتونِ عِتاقِ
كم من كريمةِ مَعْشَرٍ قد أُنكِحتْ بسيوفهـم قَسْراً بغير صَداقِ
وعزيـزةٍ في أهلهـا وقَطِينها قد فارقـتْ بَعْلاً بغير طلاقِ

قال فقال لي : أَفْلَيْتَ والله يا أبا محمّد ؛ فقلت له : وما أفليت ؟ قال : رَعَيْت فلاةً لم يرعَها أحدٌ غيرك .

[كان المغنّون يتلاشون أمامه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أخي أحمد بن عليّ عن عافيةَ بن شَبيب قال : قلت لزُرْزور بن سعيد : حدِّثني عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفة وهو منقطعٌ ذاهِبٌ وحلوقُكم ليس مثلُها في الدنيا ؟ فقال : كان والله لا يزال بحذْقه ورفقه وتأنّيه ولُطفه حتى نصيرَ معه أقلَّ من التراب .

[شعره للفضل بن الربيع في الشيب]

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبي قال حدَّثنا إسحاق قال : دخلتُ على الفضل بن الرَّبيع فقال لي : يا إسحاق ، كثُر والله شَيْبُك ؛ فقلت : أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثَقيف : [من الكامل]

الشيبُ إن يَظْهَرْ فإنّ وراءه عمراً يكون خِلالَـه مُتَنَفَّسُ
لم يَنْتَقِصْ منّـي المشيبُ قُلامةً ولَنَحْنُ حِين بدا أَلَبُّ وأكيسُ

قال : هاتِ يا غلام دواةً وقرطاساً ، أُكتُبْهما لي لأتسلّى بهما .

[قصّته مع الفضل بن يحيى ونافذ حاجبه]

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمّد بن عبد الملك عن إسحاق وأخبرني وكيع عن أبي أيّوب المديني عن محمّد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : قال الفضل بن يحيى لأبي :

مالي لا أرى إسحاقَ ، عرِّفني ما خبرهُ ؟ فقال : خير . ورأى في كلامه شيئاً يُشكِّك ، فقال : أعليلٌ هو ؟ فقال : لا ، ولكنّه جاءك مرّاتٍ فحجَبه نافذٌ الخادم ولحِقته جَفْوةٌ ؛ فقال له : فإن حَجَبه بعدها فَلْيَنِكْهُ . فجاءني أبي فقال لي : إلْقَه ، فقد سأل عنك ؛ وخبَّرني لما جرى . وجئتُ فحجبت أيضاً ؛ وخرج الفضل ليركبَ ؛ فوثبتُ إليه برُقْعة وقد كتبتُ فيها : [من المتقارب]

جُعِلتُ فـداءَك من كلّ سوءٍ　　إلى حسن رأيك أشكو أُناسا

يحولون بينــي وبـين السلام　　فمـا إن أُسلِّم إلاّ اختلاسا

وأنفَـذتُ أمـرَك في نافــذٍ　　فمــا زاده ذاك إلاّ شِماسا

فلمّا قرأها ضحك حتى غُلِب ، ثم قال : أوَقدْ فعلتَها يا فاسق ؟ فقلت : لا والله يا سيّدي ، وإنّما مَزَحتُ ؛ فخجِل نافذٌ خجلاً شديداً ، ولم يَعُدْ بعد ذلك لَمساءتي .

[سأل المعتصم عن رجل غائب ماذا يعمل]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ عن محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني إسحاق قال : ذكر المعتصمُ يوماً بعضَ أصحابه وقد غاب عنه ، فقال : تعالَوْا حتى نقولَ ما يصنع في هذا الوقت ؛ فقال قوم : يلعب بالنَّرْد ، وقال قوم : يغنّي ؛ فبلغتْني النوبةُ ، فقال : قُل يا إسحاق ؛ قلت : إذاً أقول وأُصيب ؛ قال : أتعلم الغيبَ ؟ قلت : لا ، ولكنّي أفهم ما يصنع وأقدِرُ على معرفته ؛ قال : فإن لم تُصِبْ ؟ قلت : فإن أصبتُ ؟ قال : لك حُكمك ، وإن لم تُصِبْ ؟ قلتُ : لك دمي ؛ قال : وجَبَ ؛ قلت : وجَبَ ؛ قال : فقل ؛ قلت : يتنفّس ؛ قال : فإن كان ميتاً ؟ قلت : تُحفظ الساعةُ التي تكلّمتُ فيها ، فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قَمَرْتَني ؛ فقال : قد أنْصفتَ ؛ قلت : فالحُكْم ؛ قال : احتكم ما شئتَ ؛ قلت : ما حُكْمي إلاّ رضاك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإنّ رضاي لك ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم ، أترى مَزِيداً ؟ فقلت : ما أَوْلاكَ بذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإنّها مائتا ألف درهم ، أترى مزيداً ؟ قلتُ : ما أحوجني إلى ذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإنها ثلثُمائة ألف ، أترى مزيداً ؟ قلت : ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : يا صفيقَ الوجه ، ما نزيدك على هذا شيئاً .

[مدح سفينة للأمين فأجازه]

أخبرنا يحيى قال حدَّثني أبو أيّوب قال حدَّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني إسحاق قال : عمِل محمّد المخلوعُ سفينةً فأُعجب بها ، وركِب فيها يريد الأنبارَ . فلمّا أمْعَن وأنا مُقبلٌ على بعض أبواب السفينة صاحوا : إسحاق إسحاق ! فوثبتُ فدنوتُ منه ؛ فقال لي : كيف ترى سفينتي ؟ فقلت : حَسَنة يا أمير المؤمنين ، عمّرها الله ببقائك . فقام يريد الخلاءَ وقال لي : قُلْ فيها أبياتاً ، فقلت ، وخرج فقمتُ بالأبيات ؛ فاشتهاها جدّاً وقال لي : أحسنتَ يا

إسحاق ، وحياتِك لأَهَبَنّ لك عشرة آلاف دينار ؛ قلت : متى يا أمير المؤمنين ؟ إذا وسّع الله عليك ؟ فضحك ودعا بها على المكان . ولم يذكر يحيى في خبره الأبيات هاهنا .

[عرض للواثق بتشوّقه إلى أهله]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غنّيتُ الواثقَ في شعر قلته وأنا عنده بسُرَّ مَنْ رأى وقد طال مُقامي واشتقتُ إلى أهلي ، وهو : [من الكامل]

صوت

يـا حَبّذا ريحُ الجَنوبِ إذا بدَتْ ... في الصبح وهي ضعيفةُ الأنفاسِ

قـد حُمِّلتْ بردَ النّدَى وتَحمَّلَتْ ... عَبَقـاً مـن الجَثْجاثِ والبَسْباسِ

فشرب عليه واستحسنه وقال لي : يا أبا محمّد ، لو قلتَ مكان «يا حبّذا ريحُ الجنوب» : «يا حبّذا ريحُ الشّمال» ، أَلَم يكن أرقَّ وأعذى وأصحَّ للأجساد وأقلَّ وخامةً وأطيبَ للأنفس ؟ فقلت : ما ذهب عليّ ما قاله أميرُ المؤمنين ، ولكن التفسير فيما بعدُ ؛ فقال : قُل ؛ فقلت : [من الكامل]

ماذا تَهيجُ من الصَّبابة والهـوى ... للصَّبِّ بعـد ذهولـه واليـاسِ

فقال الواثق : إنّما استطبتَ ما تجيء به الجَنوبُ من نسيم أهل بغداد لا الجنوبَ ، وإليهم اشتقتَ لا إليها ؛ فقلت : أَجَلْ يا أمير المؤمنين ؛ وقمتُ فقبّلتُ يده ؛ فضحِك وقال : قد أَذِنتُ لك بعد ثلاثة أيّام ، فامضِ راشداً ؛ وأمر لي بمائة ألفِ درهم . لحنُ إسحاقَ هذا من الثقيل الأوّل .

[جعفر بن يحيى البرمكيّ وعبد الملك بن صالح الهاشميّ]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال : لم أَرَ قطُّ مثلَ جعفر بن يحيى ؛ كانت له فُتُوّةٌ وظَرْفٌ وأدَبٌ وحسنُ غِناء وضربٌ بالطبل ، وكان يأخذ بأجزلِ حظٍّ من كلّ فنّ من الأدب والفتوّة . فحضرتُ بابَ أمير المؤمنين الرشيد ، فقيل لي : إنّه نائمٌ ، فانصرفت ؛ فلَقِيَني جعفرُ بن يحيى فقال لي : ما الخبر ؟ فقلت : أمير المؤمنين نائمٌ ؛ فقال : قِفْ مكانَك ؛ ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنّه نائم ؛ فخرج إليّ وقال لي : قد نام أمير المؤمنين ، فسِرْ بنا إلى المنزل حتى نخلوَ جميعاً بقيّةَ يومنا وتغنّيني وأغنّيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا ؛ قلت نعم ، فصِرْنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا ، ودعا بالطعام فطَعِمنا ، وأمر بإخراج الجواري وقال : لِتَبْرُزْنَ ؛ فليس عندنا من تَحْتَشِمْنَ منه . فلمّا وُضع الشرابُ دعا بقميص حرير فلَبِسه ودعا بخَلُوق فتخلّق به ، ثم دعا لي بمثل ذلك ، وجعل يغنّيني وأغنّيه ؛ ثم دعا بالحاجب فتقدّم إليه وأمره بألاّ يأذن لأحدٍ من الناس كلّهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعْلَمَه أنّه مشغول ؛

واحتاط في ذلك وتقدّم فيه إلى جميع الحُجّاب والخَدَم ؛ ثم قال : إن جاء عبدُ الملك فأْذَنوا له يعني رجلاً كان يأنَس به ويمازِحُه ويحضُر خَلَواتِه ثم أَخذْنا في شأننا ؛ فوالله إنّا لعلى حالة سارّة عجيبةٍ إذ رُفع السِّتْر ، وإذا عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ قد أَقبل ، وغلِط الحاجبُ ولم يفرِّق بينه وبين الذي يأنَس به جعفر بن يحيى . وكان عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ من جلالة القَدْر والتقشّف وفي الامتناع من منادمة أَمير المؤمنين على أَمرٍ جليل ، وكان أَميرُ المؤمنين قد اجتهد به أَن يشربَ معه أَو عنده قدحاً فلم يفعل ذلك رَفْعاً لنفسه . فلمّا رأيناه مقبِلاً ، أَقبل كلُّ واحد منّا ينظر إلى صاحبه ، وكاد جعفر أَن ينشقَّ غيظاً . وفهِم الرجلُ حالَنا ، فأَقبل نحوَنا ، حتى إذا صار إلى الرِّواق الذي نحن فيه نزَع قَلَنْسِيَتَه فرمى بها مع طَيْلَسانه جانباً ؛ ثم قال : أَطعِمونا شيئاً ؛ فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخٌ غضباً وغيظاً فطَعِم ، ثم دعا برِطل فشرِبه ، ثم أَقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأَخذ بعِضادَتي الباب ثم قال : اشركونا فيما أَنتم فيه ؛ فقال له جعفر : ادخل ؛ ثم دعا بقميص حرير وخَلُوقٍ فلبِس وتخلّق ، ثم دعا برِطل ورِطل حتى شرِب عدّة أَرطال ، ثم اندفع ليغنِّينا ، فكان والله أَحسنَنا جميعاً غناءً . فلمّا طابت نفسُ جعفر وسُرِّيَ عنه ما كان به التفتَ إليه فقال له : ارفع حوائجَك ؛ فقال : ليس هذا موضعَ جوائجَ ؛ فقال : لَتَفعَلْنّ ، ولم يَزل يُلحّ عليه حتى قال له : أَمير المؤمنين عليّ واجدٌ ؛ فأُحِبّ أَن تترضّاه ؛ قال : فإنّ أَمير المؤمنين قد رَضيَ عنك ، فهاتِ حوائجَك ؛ فقال : هذه كانت حاجتي ؛ قال : ارفع حوائجك كما أَقول لك ؛ قال : عليَّ دَينٌ فادِحٌ ؛ قال : هذه أَربعة آلاف أَلف درهم ، فإن أَحببتَ أَن تقبضها فاقبِضها من منزلي الساعة ، فإنّه لم يمنعني من إعطائك إيّاها إلاّ أَنّ قَدْرَك يَجلّ على أَن يصلِك مثلي ، ولكنّي ضامنٌ لها حتى تُحمَل من مال أَمير المؤمنين غداً ؛ فسَلْ أَيضاً ؛ قال : ابني ، تُكَلِّمُ أَميرَ المؤمنين حتى ينوِّه باسمه ؛ قال : قد وَلاَّه أَميرُ المؤمنين مصرَ وزوّجه ابنته العالية ومهرَها عنه أَلفَيْ أَلفِ درهم . قال إسحاق : فقلت في نفسي : قد سَكِر الرجل (أَعني جعفراً) . فلمّا أَصبحتُ لم تكن لي هِمَّةٌ إلاّ حضورَ دار الرشيد ؛ وإذا جعفر بن يحيى قد بَكّر ، ووجدتُ في الدّار جَلَبة ، وإذا أَبو يوسفَ القاضي ونظراؤه قد دُعِي بهم ، ثم دُعي بعبد الملك بن صالح وابنِه فأُدْخِلا على الرشيد ؛ فقال الرشيد لعبد الملك : إنّ أَمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد رضيَ عنك ، وأَمر لك بأَربعة آلاف أَلف درهم ، فاقبِضها من جعفر بن يحيى الساعةَ . ثم دعا بابنه فقال : اشهدوا عليَّ أَنِّي قد زوّجته العاليةَ بنت أَمير المؤمنين وأَمهرتُها عنه أَلفيْ أَلفِ درهم من مالي وولّيته مصرَ . قال : فلمّا خرج جعفر بن يحيى سأَلته عن الخبر ؛ فقال : بَكّرتُ على أَمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منّا وما كنّا فيه حرفاً حرفاً ، ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنعَ ؛ فعَجِب لذلك وسُرَّ به ؛ ثم قلتُ له : قد

ضَمِنتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضَماناً ؛ فقال : ما هو ؟ فأعلمتُه ؛ قال : أوْفِ له بضمانك ، وأمر بإحضاره ؛ فكان ما رأيتَ .

[حمل علّويَه لحناً له إلى أبيه فأُعجب به]

أخبرني عمّي قال حدَّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : لمّا صنعتُ لحني في : [من الخفيف]

هــل إلى نظرةٍ إليكِ سبيلُ

ألقيتُه على عَلّويه ، وجاءني رسول أبي بطَبَق فاكهة باكُورةٍ ؛ فبعثتُ إليه : برّك الله يا أبَةِ ووصَلَكَ ، الساعة أبعث إليك بأحسنَ من هذه الباكورة ؛ فقال : إنّي أظنّه قد أتى بآبدةٍ[1] ؛ فلم يلبث أن دخل عليه علّويَه فغنّاه الصوتَ ؛ فعَجِب منه وأُعجب به ، وقال : قد أخبرتكم أنّه قد أتى بآبدةٍ . ثم قال لولده : أنتم تلومونني على تفضيل إسحاق ومحبّتي له ، والله لو كان ابنَ غيري لأحببتُه لفضله فكيف وهو ابني ؛ وستعلمون أنّكم لا تعيشون إلاّ به . وقد ذكر أبو حاتم الباهليّ عن أخيه أبي معاوية بن سعيد بن سَلْم أنّ هذه القصّة كانت لمّا صنع إسحاق لحنَه في :

غَيّضْنَ مــن عَبَراتهن وقلنَ لي

وقد ذكرتُ ذلك مع أخبار هذا الصوت في موضعه .

[رأيه في إبراهيم بن المهديّ]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال : سألت إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ ، فقال : دَعْني منه ، فليست له روايةٌ ولا دِراية ولا حكاية .

[رثاؤه هشيمة الخمارة]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : كانت هُشَيْمةُ الخَمّارة جارتي ، وكانت تَخُصّني بأطيب الشراب وجيِّدِه ؛ فماتت فقلت أرثيها : [من الكامل]

أضحتْ هُشَيْمةُ في القبور مقيمةً وخلتْ منازلُهـا مـن الفِتيانِ
كانت إذا هجَرَ المحبَّ حبيبُه دَبّــت لــه في السرّ والإعلانِ
حتى يَلـينَ لما تُريــد قيادُه ويصيرَ سيِّئُــه إلى الإحسانِ

[قضى حاجة لإدريس بن أبي حفصة]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سألني إدريسُ بن أبي حَفصة حاجة ، فقضيتُها له وزدت فيما سأل ؛ فقال لي : [من الرجز]

1 الآبدة : الغريبة .

إذا الرجـــالُ جَهِلُوا المكارمَا كان بهـــا ابنُ الموصليّ عالمَا
أَبقاك ذو العرش بقـــاءً دائماً فقـــد جُعِلتَ للكـــرام خاتما
إسحاقُ لو كنتَ لقيتَ حاتماً كان نَـــداه لنَـــداك خادما

قال حَمّاد : وقال لي أَبي : كان إدريسُ سخيّاً من بين آل أَبي حَفْصة ؛ فنزل به ضيفٌ ، فتنمّرت امرأَتُه عليه ؛ فقال لها : [من البسيط]

مِن شرّ أَيّامك اللاّتي خُلِقْتِ لها إذا فقدتِ نَدَى صوتي وزُوّاري[1]

[تشاغل عن دعوة علي بن هشام]

أَخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد عن أَبيه قال : كان عليّ بن هشام قد دعاني ودعا عبد الله بن محمّد بن أَبي عُيَيْنة ، فتأخّرتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً ، وتشاغلتُ عنه برجل من الأَعراب كان يَجيئني فأَكتب عنه وكان فصيحاً ؛ وكان عند عليّ بن هشام بعضُ مَن يُعاديني ؛ فسأَلوا ابنَ أَبي عُيَيْنة أَن يُعاتبني بشعر ينسُبني فيه إلى الخُلْفِ ؛ فكتب إليّ : [من الخفيف]

يا مَليّاً بالوعد والخُلْف والمَطْـ ـل بَطيئاً عن دعوةِ الأَصحابِ
لَهِجـاً بالأَعراب إنّ لدينـــا بعضَ ما تشتهي من الأَعرابِ
قد عرَفنا الذي شُغِلت به عنّا وإن كان غيرَ مـــا في الكتابِ

قال : فكتبتُ إلى الذي حمل ابن أَبي عيينة على هذه الأَبيات ، قال حَمّاد : وأَظنّه إبراهيم بن المهديّ : [من الخفيف]

قد فَهِمتُ الكتابَ أَصلحك اللّـ ـهُ وعندي عليه رَدُّ الجوابِ
ولعَمْري ما تُنصفون ولا كا ن الذي جاءَ منكمُ في حسابي
لستُ آتيك فاعلمنَّ ولا لي فيك حظٌّ من بعد هذا الكتابِ

[عاتب علي بن هشام لأنّه مرض ولم يعده]

قال حَمّاد : قال أَبي : وكتبت إلى عليّ بن هشام وقد اعتللتُ أَيّاماً فلم يأتني رسولُه : [من السريع]

أَنـــا عليلٌ منذُ فارقتَني وأَنتَ عمَّن غاب لا تسأَلُ
ما هكذا كنتَ ولا هكذا فيما مضى كنتَ بنا تفعلُ

فلمّا وصلتْ إليه رُقْعتي ركِب إليّ وجاءَني عائداً .

---

1 ندى الصوت : صداه .

[شعره حين عودته من البصرة]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد قال : لمّا خرج أَبي إلى البصرة خَرْجَته الأُولى وعاد ، أنشدني في ذلك لنفسه : [من البسيط]

صوت

ما كنتُ أَعرِف ما في البين من حَزَنِ ... حتى تَنادَوْا بأَن قد جِيء بالسُّفُنِ

قامـتْ تودّعنـي والعينُ تَغْلِبهـا ... فجَمْجَمتْ بعضَ ما قالت ولم تُبِنِ

مالـت علـيَّ تُفدِّيني وتَرشُفُني ... كما يَميـل نسيمُ الرِّيح بالغُصُنِ

وأَعرضتْ ثم قالت وهـي باكيةٌ ... يـا ليت معرفتـي إيّاك لم تكُنِ

لَمّـا افترقنـا على كُـرهٍ لفُرقتها ... أَيقنتُ أَنّي رهـينُ الهمِّ والحَزَنِ

[يزيد على شعرٍ لجميل]

أَخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : أَنشدني شَدّاد بن عُقْبة لِجَميل [1] : [من الطويل]

قِفِي تَسْلُ عنكِ النفسُ بالخُطّةِ التي ... تُطيلين تخويفي بهـا ووعيدي [2]

فقد طالما من غير شكوى قبيحةٍ ... رضِينا بحكمٍ منـكِ غيرِ سديدِ

قال : فانشدتُ الزُّبَير بن بَكّار هذين البيتين ، فقال : لو لم أَنصرف من العراق إلاّ بهما لرأَيتُهما غُنْما . وأَنشدني شدّاد لجميل أَيضاً [3] : [من الطويل]

بُثَيْن سَلِيني بعضَ مالي فإنّما ... يُبيَّن عنـد المـال كلُّ بخيـلِ

فإنّي وتَكراري الزيارةَ نحوَكم ... لَبَيْن يَدَيْ هَجْرٍ بُثَيْن طويلِ

قال أَبي : فقلت لشَدّاد : فهلا أَزيدك فيهما ؟ فقال : بلى ؛ فقلت : [من الطويل]

فيا ليتَ شِعْرِي هل تقولين بعدنا ... إذا نحـن أَزْمَعنـا غـداً لرَحِيلِ

أَلا ليـت أَيّامـاً مَضَيْنَ رواجـعٌ ... وليت النَّوَى قد ساعدتْ بجميلِ

فقال شدّاد : أَحسنتَ والله ، وإن هذا الشعر لضائعٌ ؛ فقلت : وكيف ذلك ؟

قال : نفيتَه عن نفسك بتَسْميتك جميلاً فيه ، ولم يَلْحَق بجميل ، فضاع بينكما جميعاً .

---

1 ديوان جميل : 50 .

2 تخويفي في ل : تسويفي .

3 ديوان جميل : 111 .

[عند إسحاق المصعبي]

حدَّثني جَحْظَة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المُنَجِّم قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : دعاني إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبيّ ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذٍ ، فوجّه إليّ فحضرتُ وحضَر عَلّويه ومخارقٌ وغيرُهما من المغنّين ؛ فبينا هم على شرابهم وهم أسرُّ ما كانوا ، إذ وافاه رسولُ المأمون فقال له : أَجِبْ أَمير المأمون فقال : السمعِ والطاعة ؛ ودعا بثيابه فلبِسها . ثم التفت إلى محمّد بن راشد الخنّاق فقال له : قد بلغني أنّك أحفظ الناس لِما يدور في المجالس ، فاحفظْ لي كلَّ صوت يمرّ وما يشربه كلُّ إنسان ، حتى إذا عدتُ أعدتَ عليّ الأصوات وشربتُ ما فاتني ؛ فقال : نعم ، أصلح الله الأمير . ومضى إلى المأمون ، فأمره بالشخوص إلى بابك[1] من غدٍ ، وتقدَّم إليه فيما يحتاج إليه ورجع من عنده . فلمّا دخل ووضع ثيابَه قال : يا محمّد ، ما صنعتَ فيما تقدّمتُ به إليك ؟ قال : قد أحكمتُه أعزّك الله ؛ ثم أخبره بما شرِب القومُ وما استحسنوه من الغناء بعده ؛ فأمر أن يُجمعَ له أكثرُ ما شربه واحدٌ منهم في قدح ، وأن يُعاد عليه صوتٌ صوتٌ ممّا حفظه له حتى يَستوفيَ ما فاته القومُ به ، ففعل ذلك وشرب حتى استوفى النبيذَ والأصواتَ . ثم قال لي : يا أبا محمد ، إنّي قد عمِلتُ في مُنْصَرَفي من عند أمير المؤمنين أبياتاً فاسمعها ؛ فقلت : هاتِها أعزّ الله الأمير ؛ فأنشدني : [من الطويل]

صوت

أَلا مَـنْ لقلبٍ مُسْلَمٍ للنوائـبِ أَحاطت به الأحزانُ من كلّ جانبِ
تَبَيَّن يـــومَ البـين أَنّ اعتزامــه على الصبر من بعض الظنون الكواذبِ

صوت

[من الطويل]

حرامٌ على رامي فـؤادِي بسهمه دمٌ صبّه بـين الحَشا والترائبِ
أَراق دمـاً لولا الهـوى ما أَراقه فهل بدَمـي مـن ثائـرٍ أَو مُطالِبِ

قال : فقلت له : ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشعر قطّ ؛ فقال لي : فاصنعْ فيه لحناً ؛ فصنعت فيه لحناً ؛ وأَحْضَرني وصيفةً له ، فألقيتُه عليها حتى أخذَتْه ؛ وقال : إنّما أردتُ أن أَتسلّى به في طريقي وتُذكّرني به الجاريةُ أمرَكَ إذا غنّته . فكان كلّما ذكر أَتاني برُّه ، إلى أن قَدِم ، عدّةَ دفعات . لم أجد لإسحاق صنعةً في هذا الشعر ، والذي وجدتُ فيه لعبد الله بن طاهر خفيف رَمَلٍ ، ذكره ابنه عُبيد الله عنه . ولمُخارِق لحنٌ من الرمل . ولعمرو بن بانة هَزَجٌ بالوسطى . ولمخارِق والطاهريّة خفيفُ ثقيل .

---

1 هو بابك الخرمي خرج على الدولة العباسية وقتل في أيّام المعتصم .

[سأل عنه المتوكّل عندما كفّ بصره]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو عبد الله محمّد بن حَمْدون قال : سأل المتوكّل عن إسحاق الموصليّ ، فعرف أنّه قد كُفَّ وأنّه في منزله ببغداد ؛ فكتب في إحضاره . فلمّا دخل عليه رفعَه حتى أجلسه قُدّامَ السرير ، وأعطاه مِخَدّة ، وقال له : بلغني أنّ المعتصم دفع إليك مخدّة في أوّل يوم جلستَ بين يديه وهو خليفة ، وقال : إنّه لا يُستجلب ما عند حُرّ بمثل الكرامة ؛ ثم سأله : هل أكل ؟ فقال نعم ؛ فأمر أن يُسقى ؛ فلمّا شرب أقداحاً قال : هاتوا لأبي محمّد عوداً فجيء به ؛ فاندفع يغنّي بصوتٍ الشعرُ فيه والغناء له : [من البسيط]

صوت

مـا علّةُ الشيخ عيناه بأربعـةٍ ... تَغْرَوْرِقان بدَمـع ثم يَنْسكِبُ

قال أبو عبد الله : فوالله ما بقي غلامٌ من الغِلمان الوقوفِ على الحَير[1] إلاّ وجدتُه يرقُص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل ، فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال لي المتوكّل : يا ابن حَمْدُون ، أتُحسن أن تغنّيني هذا الصوت ؟ فقلت نعم ؛ قال : غنّه ؛ فترنّمت به ؛ فقال إسحاق : مَن هذا الذي يَحْكيني ؟ فقـال : هذا ابنُ صديقك حمدون ؛ فقال : وَدِدتُ أنّه يُحسن أن يَحْكيني ، فقلت له : أنت عرَّضتني له يا أمير المؤمنين . ثم انحدر المتوكّل إلى رَقَّةِ بُوصَرا[2] ؛ وكان يَستطيبها لكثرة تغريد الأطيار بها ، فغنّى إسحاقُ : [من الطويل]

صوت

أإن هتَفتْ وَرْقاءُ في رَوْنق الضُّحى ... على غُصُنٍ غَضٍّ الشباب من الرَّنْدِ[3]

بكيـت كما يبكي الحزيـن صبابةً ... وشوقاً وتابعـتَ الحَنِينَ إلى نجدِ[4]

فضحك المتوكّل وقال لـه : يا إسحاق ، هـذه أخـتُ فَعْلتك بالواثـق لمّا غنّيتـه بالصالحيّـة[5] : [من الوافر]

طَرِبـتُ إلى الأُصَيْبِيّة الصِّغار ... وذكّرني الهـوى قربُ المَزارِ[6]

---

1 الحير : مشبه الحظيرة للحيوانات البريّة ، والمقصود هنا هو قصر المتوكّل بسامراء والذي كان له مثل تلك الحظيرة .

2 الرقة : أرض إلى جانب الوادي ينبسط فيها الماء . بوصرا : إحدى قرى بغداد .

3 ل : على فنن غض النبات من الرند .

4 رواية ل :

بكيت كما يبكي الوليد ولم تزل ... وأبديت الذي لم تكـن تبـدي

5 الصالحية : إحدى قرى الجزيرة .

6 الأصَيبية في ل : أصيبة .

فكم أَعطاك لَمّا أَذِن لك في الانصراف ؟ قال : مائة أَلف درهم ؛ فأَمر له بمائة أَلف درهم ، وأَذِن له بالانصراف إلى بغداد . وكان هذا آخرَ عهدنا به ، لأَنّ إسحاق توفّي بعد ذلك بشهرين .

[تطيَّر من اقتراح الواثق شعراً للغناء]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : دخلت على الواثق أَستأذِنه في الانحدار إلى بغدادَ فوجدته مصطبحاً ؛ فقال : بحياتي غنِّ[1] : [من الطويل]

صوت

أَلا إنّ أَهلَ الدار قد ودّعوا الدارا ... وإن كان أَهلُ الدّارِ في الحيّ أَجْوارا
وقد تركوا قلبي حزيناً متيَّماً ... بذكرهمُ ، لو يَستطيع لقد طارا

فتطيّرتُ من اقتراحه له وغنَّيته إيّاه ؛ فشرب عليه مراراً ، وأَمر لي بثلاثين أَلفَ درهم وأَذِن لي فانصرفت ؛ ثم كان آخرَ عهدي به . الشعر لمُطِيع بن إيّاس . والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى عن عمرو .

[استسقى نبيذاً ولكن الدن انكسر]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثنا عبد الله بن الفرج قال حدَّثنا أَحمد بن معاوية قال : كنت في بيتي وعَلّويه يُغنيني : [من البسيط]

صوت

أَعْرَضْنَ من شَمَطٍ في الرأس لاح به ... فهُنّ عنه إذا أبصرْنَه حِيدُ
قد كُنَّ يَعهَدْنَ منّي مَنظَراً حَسَناً ... وجُمّةً حَسَرتْ عنها العناقيدُ

فوردتْ عليّ رُقعة من إسحاقَ الموصليّ يستسقيني نبيذاً ؛ فبعثت إليه بدَنّ مع غلام لي ؛ فلمّا توسّطَ الغلامُ به الجَسرَ زُحِم فكُسِر ؛ فرجع الغلام إلى إسحاق فأَخبره الخبرَ وسأَله مسأَلتي التجافيَ عنه ؛ فكتب إليّ : [من مجزوء الكامل]

يا أَحمدُ بن معاويَهْ ... إنّي رُميت بداهيَهْ
أَشكو إليك فأَشْكِني ... كَسْرَ الغلامِ الخابيَهْ
يا ليتها سلمتْ وكا ... ن فداءَها ابنُ الزانيَهْ

فبعثت إليه بأَربعة أَدنان ، وأَعتقتُ الغلام بشفاعته في أَمره .

---

1 ل : غنني .

[صنع صوتاً أعجب به المعتصم والواثق]

أخبرني جعفر بن قُدامة ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق الموصليّ قال قال لي حمدون بن إسماعيل رحمه الله : لمّا صنع أبوك رحمه الله هذا الصوتَ : [من المنسرح]

صوت

قِـفْ بالديار التي عفى القِدَمُ ... وغيَّرَتْهـا الأرواحُ والدِّيَـمُ

لمّـا وقَفْنـا بهـا نُسائلهـا ... فاضتْ من القوم أعيُنٌ سُجُمُ[1]

ذِكْراً لعيشٍ مضى إذا ذكرت ... مـا فـات منـه فذكره سَقَمُ

وكلُّ عيشٍ دامَـتْ غَضارتُه ... مُنقطِـعٌ مـرّةً ومُنْصَرِمُ

ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ ، أُعجب به المعتصم والواثق جميعاً ؛ فقال له المعتصم : بحياتي اردُدْه على مُخارِق وعَلّويه والجماعة ليأخذوه عنك ، وانصَحْهم فيه ؛ فإنّهم إن أحسنوا فيه نُسبَ إليك إحسانُهم ، وإن أساءوا بان فضلُك عليهم ؛ فردّه عليهم أكثرَ من مائتي مرّة ، وكانوا يقصِدون إلى منزله ويَرُدّه عليهم ، ومات وما أخذوا منه علم الله إلاّ رَسْمَه . الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه ثقيل أوّل .

[في دير القائم وتلّ عزاز]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد عن أبيه قال[2] : خرجنا مع أمير المؤمنين الرشيد يريد الرَّقّة ؛ فلمّا صِرْنا بالموضع الذي يقال له القائم نزلْنا ، وخرج يتصيّد وخرجنا معه ، فأبعد في طلب الصيد ؛ ولاح لي دَيْر فقصدته وقد تعبتُ ، فأشرفتُ على صاحبه ؛ فقال : هل لك في النزول بنا اليوم ؟ فقلت : إي والله ، وإنّي إلى ذلك لمحتاج ؛ فنزل ففَتح لي البابَ وجلس يحدّثني ، وكان شيخاً كبيراً وقد أدرك دولة بني أميّة ، فجعل يحدّثني عمّن نزل به من القوم ومَواليهم وجيوشِهم ؛ وعرَض عليَّ الطعامَ فأجبتُه ؛ فقدَّم إليَّ طعاماً من طعام الدِّيارات نظيفاً طيّباً ، فأكلتُ منه ، وأتاني بشرابٍ ورَيحان طَرِيّ فشربتُ منه ، ووَكَّل بي جارية تخدِمُني راهبةً لم أرَ أحسن وجهاً منها ولا أشْكَل ؛ فشربتُ حتى سَكِرتُ ، ونمتُ وانتبهتُ عِشاءً ؛ فقلتُ في ذلك : [من الهزج]

صوت

بدَيْر القائِـم الأَقصَى ... غـزالٌ شادِنٌ أحْوَى

بَـرى حُبِّي له جِسْمِي ... ولا يَعْلَـمُ مـا ألقى

---

1 أعين في ل : أدمع .

2 هذه أخبار مكرّرة .

وأَكتُمُ حبَّـه جُهدِي ولا واللهِ مـا يَخفى

ورَكبتُ فلحِقتُ بالمعسكر والرشيدُ قد جلس للشرب وطلبني فلم أُوجَد . وأُخبرتُ بذلك ، فغنّيتُ في الأَبيات ودخلتُ إليه ؛ فقال لي : أَين كنتَ ؟ وَيْحَك ! فأَخبرته بالخبر وغنّيته الصوتَ ؛ فطرِب وشرب عليه حتى سَكِر ، وأَخَّر الرحيلَ في غدٍ ، ومَضَيْنا إلى الدَّيْر ونزله ، فرأَى الشيخَ واستنطقه ، ورأَى الجارية التي كانت تخدِمُني بالأَمس ؛ فدعا بطعام خفيف فأَصاب منه ، ودعا بالشراب ، وأَمر الجاريةَ التي كانت بالأَمس تخدِمُني أَن تتولّى خدمتَه وسَقْيَه ففعلتْ ، وشرب حتى طابت نفسه ؛ ثم أَمر للدَّيْر بأَلف دينار ، وأَمر باحتمال خراج مزارع كانت له سَبْعَ سنين ؛ فرحَلْنا .

قال حَمّاد : فحدّثني أَبي قال : فلمّا صِرنا بتلّ عَزاز من دابِق[1] خرجتُ أَنا وأَصحاب لي نتنزّه في قرية من قُراها ، فأَقمنا بها أَيّاماً ، وطلَبني الرشيدُ فلم يَجدني . فلمّا رجَعتُ أَتيتُ الفضلَ بن الربيع ؛ فقال لي : أَين كنت ؟ طلَبك أَميرُ المؤمنين ؛ فأَخبرته بنُزْهتنا فغضِب . وخِفتُ من الرشيد أَكثر ممّا لقيتُ من الفضل ؛ فقلت : [من الخفيف]

صوت

إنّ قلبـي بالتّـلِّ تـلِّ عَزازِ عنـد ظَبْيٍ مـن الظِّباء الجَوازِي
شادِنٍ يسكُـنُ الشآمَ وفيـه مع ظَرْف العراقِ شَكْلُ الحجازِ
يـا لَقَومي لبنت قَسٍّ أَصابتْ منك صفوَ الهوى وليست تُجازي
حَلَفتْ بالمسيح أَن تُنْجِـزَ الوعـ ـدَ وليستْ تَهُـمُّ بـالإنجازِ

وغنّيتُ فيـه ؛ ثم دخلتُ على الرشيد وهو مُغْضَبٌ ؛ فقال : أَين كنت ؟ طلبتُك فلم أَجِدْك ؛ فاعتذرتُ إليه وأَنشدتُه هذا الشعرَ وغنّيته إيّاه ؛ فتبسَّم وقال : عذرٌ وأَبيك وأَيُّ عذر ! وما زالَ يشربُ عليه ويَستَعِيدُنيه ليلتَه جَمْعاء حتى انصرفنا مع طلوع الفجر . فلمّا وصلتُ إلى رَحْلي إذا برسول أَمير المؤمنين قد أَتانا يَدْعونا ؛ فوافَيْتُ فدخلتُ ، وإذا ابنُ جامعٍ يتمرّغ على دُكّان في الدار وهو سَكْرانُ يتململ ؛ فقال لي : يا ابنَ الموصليّ ، أَتدري ما جاء بنا ؟ فقلت : لا والله ما أَدري ؛ فقال : لكنّي والله أَدري دِرايةً صحيحةً ، جاءت بنا نَصرانيَّتُك الزانية ، عليك وعليها لعنة الله . وخرج الآذِنُ فأَذِنَ لنا ، فدخلنا . فلمّا رأَيتُ الرشيد تبسَّمتُ ؛ فقال لي : ما يُضحكك ؟ فأَخبرته بقول ابن جامع ؛ فقال : صَدَق ، ما هو إلاّ أَن فقدتُكم فاشتقتُ إلى ما كنّا فيه ، فعُودوا بنا ، فعُدْنا فيه حتى انقضى مجلسنا وانصرفنا .

---

1 دابق : من قرى حلب .

لحن إسحاق الأوّل : [من الهزج]

بدَيــر القائــمِ الأقصى

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى . وفيه للقاسم بن زُرْزُور ثقيلٌ أوّلُ . ولحنه في : [من الخفيف]

إنّ قلبي بالتّلّ تلّ عَزازِ

خفيفُ رَمَلٍ .

[دخل على الرشيد ضارباً مغنّياً]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثني حَمّاد عن أبيه قال : دخلتُ على الرشيد يوماً في عمامة قد كَوَّرتُها على رأسي ؛ فقال : ما هذه العمامة ! كأنّك من الأنبار . فلمّا كان من غدٍ دعا بنا إليه ، فأمهلتُ حتى دخل المغنُون جميعاً قبلي ، ثم دخلتُ عليه في آخرهم ، وقد شددتُ وسطي بمِشَدّة حرير أحمر ، ولبِستُ لباساً مُشْتَهِراً ، وأخذتُ بيدي صَفَّاقَتَيْن وأقبلتُ أَخْطِر وأضرب بالصَّفّاقَتَيْن وأُغنّي : [من المجتث]

إسمعْ لصوتٍ مليــحٍ مــن صنعــة الأنباري

صوتٍ خفيفٍ ظريفٍ يطيــرُ في الأوتــارِ

فبسط يده إليَّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتي ! أحسنتَ أحسنتَ ! حتى جلستُ ، ثم شرب عليه بقيَّةَ يومه ، وما استعاد غيرَه ، وأمر لي بعشرين ألف درهم . لحنُ إسحاق في هذا الشعر هَزَج .

[لحن لذلك الشيطان إسحاق]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد قال حدَّثني أحمد بن يحيى المَكّيّ قال : كنتُ عند الفضل بن الربيع ، فغنّى بعضُ مَنْ كان عنده : [من الرمل]

صوت

كلُّ شيءٍ منكِ في عيني حَسَنْ ونَصيبي منــكِ هــمٌّ وحَزَنْ

لا تَظُنّــي أنّـــه غيَّـــرني قِدَمُ العهــد ولا طولُ الزمنْ

فقال لي : أتدري لمن هذا ؟ فقلت : لبعض الطُّنْبُورِيِّين ؛ فقال : لا ولكنّه لذلك الشيطان إسحاق . لحنُ إسحاق في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى من مجموع أغانيه .

[شعره في جارية سقته في الطريق إلى طوس]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال : لمّا خرجنا مع الرشيد إلى طُوس كنتُ معه أُسايِرُه ، فاستسقَيتُ ماءً من منزلٍ نزلناه يقال له سَحْنة[1] ، فخرجتْ إلينا جاريةٌ

---

1 موضع .

كأنّها ظبيةٌ ، فسقَتْني ماء ؛ فقلتُ هذا الشعر : [من الوافر]

غـزالٌ يَرْتَعِـي جَنَباتِ وادِ بسَحْنَةَ قـد تمكَّنَ في فؤادِي
سقاني شَرْبَـةً كانـت شِفاءً لِعِلَّةِ حائِـمٍ حَـرّانَ صادِي[1]

وغنَّيته الرشيدَ ؛ فقال لي : أَتحبُّ أَن أزوِّجكها ؟ فقلتُ : نعم واللّٰه يا سيّدي . قال : فاخطُبها والمهرُ عليّ وما يُصلحها ؛ فخطبتُها ، فأَبى أَهلها أَن يُخرجوها من بلدها . لحنُ إسحاقَ في هذين البيتين ثقيلٌ أَوّلُ . وفيه لعَلّويه خفيفُ رَمَلٍ .

[أحد العامّة يأخذ صوتاً عنه]

أَخبرني جعفر بن قُدَامة قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : قال لي أَبي : ما اغتممتُ بشيء قطُّ مثلَ ما اغتممتُ بصوتٍ مليحٍ صنعته في هذا الشعر : [من المديد]

صوت

كان لي قلبٌ أَعيشُ بـه فاكتَـوى بالنـارِ فاحترَقا
أَنـا لم أُرزَقْ مَحَبّتهـا إنّمـا للعبـد مـا رُزِقا
مَنْ يكن ما ذاقَ طعمَ رَدىً ذاقَــه لا شكَّ إن عَشِقا

فإنّي صنعتُ فيه لحناً وجعلتُ أُردّده في جَناحٍ لي سَحَراً ؛ فأَظنّ أَنّ إنساناً من العامّة مرَّ بي فسمعه فأَخذه ؛ فبكَّرتُ من غدٍ إلى المعتصم لأُغنّيه ، فإذا أَنا بسَوّاط يَسُوط[2] الناطِفَ وهو يُغنّي اللحنَ بعينه إلاّ أَنّه غناء فاسِدٌ . فعجبتُ وقلتُ : تُرى من أَين لهذا السَّوَّاط هذا الصوت ! ولعلّي إذا غنَّيتُه أَن يكون قد مرَّ بي هذا فسمعني أُغنّيه ؛ وبقيتُ مُتحيِّراً ، ثم قلت : يا فتى ، ممّن سمعت هذا الصوت ؟ فلم يجبني والتفتَ إلى شريكه ، وقال : هذا يسألني ممّن سمعته ! هذا غنائي ، واللّٰه لو سمِعه إسحاق الموصليّ لَخرِىء في سَراويله ؛ فبادرتُ واللّٰه هارباً خوفَ أَن يمرَّ بي إنسانٌ فيسمع ما جرى عليّ فأَفتضِح ؛ وما علم اللّٰه أَنّي نطقت بذلك الصوتِ بعدها .

[جوابه في أُحجية]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال : كتب إبراهيمُ بن المهديّ إلى أَبي : أَيّ شيء تصحيفُ : «لا يُريحُ مثلُ الأَسِنّة» . فكتب إليه أَبي : تصحيفُه : «لا يَرِثُ جميلٌ إلاّ بُثَينة» ؛ فكتب إليه : وَيْ منك ! .

[مديحه جعفر بن يحيى]

أَخبرنا جعفر قال حدّثنا حمّاد عن أَبيه قال : دخلتُ يوماً على جعفر بن يحيى ، فرأى

---

1 حائم : عطشان .

2 يسوط : يخلط .

شَفَتيَّ تتحرّكانِ بشيء كنتُ أعمله ؛ فقال : أتدعو أم تَصنع ماذا ؟ فقلتُ : بل أمدح ؛ قال : قُل ؛ فقلت : [من الطويل]

صوت

وكنتُ إذا إذنٌ عليك جَرى لنا ... تجلّـى لنا وجـهٌ أغَرُّ وسِيمُ

علانِيّـةٌ محمـودةٌ وسرِيـرةٌ ... وفِعـلٌ يَسُرُّ المُعْتَفِـينَ كريمُ

فاحتبَسني وأمر لي بمال جليل وكُسوةٍ ، وقال : زِدِ البيتين حُسناً بأن تصنع فيهما لحناً ؛ فصنعتُ لحناً من الثقيل الثاني ؛ فلم يزل يَشربُ عليهما حتى سَكِر .

[طفيلي ومقترح]

أخبرنا محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه أنّه حدّثه قال : غدوتُ يوماً وأنا ضَجِرٌ من ملازمةِ دار الخلافةِ والخدمةِ فيها ؛ فخرجتُ وركِبتُ بُكرةً ، وعزمتُ على أن أطوفَ الصحراءَ وأتفرَّجَ ؛ فقلتُ لغلماني : إن جاء رسول الخليفة أو غيرُه فعرِّفوه أنّي بكَّرتُ في بعض مُهِمّاتي ، وأنّكم لا تعرِفون أينَ توجّهتُ ؛ ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لي ، ثم عُدتُ وقد حَمِي النهارُ ؛ فوقفتُ في الشارع المعروف بالمخرِّم في فناءٍ ثَخين الظلّ وجَناحٍ رَحْبٍ على الطريق لأستريحَ . فلم ألبَثْ أن جاء خادمٌ يقودُ حماراً فارِهاً عليه جاريةٌ راكبة ، تحتها مِنديلٌ دَبيقيّ وعليها من اللباس الفاخر ما لا غايةَ بعده ، ورأيتُ لها قَواماً حسناً وطَرْفاً فاتِراً وشمائلَ حسنةً ؛ فَخَرَصْتُ[1] عليها أنّها مُغنّية ، فدخلتِ الدار التي كنتُ واقفاً عليها . ثم لم ألبث أن جاء رجلانِ شابّانِ جميلانِ ، فاستأذنا فأُذِن لهما فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ ؛ فظنا أنّ صاحبَ الدار دعاني وظنّ صاحبُ الدار أنّي معهما ؛ فجلسنا ، وأُتي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوُضِع ، وخرجتِ الجاريةُ وفي يدها عودٌ فغنَّتْ وشرِبنا ؛ وقمتُ قومةً ، وسأل صاحبُ المنزل الرجلين عنّي فأخبراه أنّهما لا يعرفاني ؛ فقال : هذا طُفَيليٌّ ، ولكنّه ظريفٌ ، فأجْمِلوا عِشْرَته . وجئتُ فجلستُ ؛ وغنَّتِ الجاريةُ في لحنٍ لي : [من الطويل]

ذَكَرتُكِ أن مرَّتْ بنا أُمُّ شادِنٍ ... أمامَ المطايـا تَشرئِبُّ وتَسْنَحُ

من المؤلفاتِ الرمل أدْماءُ حُرَّةٌ ... شُعاعُ الضُّحى في مَتْنِها يَتوضَّحُ

فأدّتْـه أداءً صالحـاً وشَرِبـت . ثـم غنَّت أصواتـاً شتّـى ، وغنَّـتْ في أضعافها مـن صنعتي : [من مجزوء الخفيف]

---

1 فخَرَصْتُ : قدرتُ .

الطُّلُـــولُ الدوارِسُ فارَقَتْهـــا الأَوانِسُ
أَوْحشتْ بعــد أَهلها فهـي قَفْـرٌ بَسابِسُ

فكان أَمرُها فيه أَصلحَ منه في الأَوّل . ثم غنَّتْ أَصواتاً من القديم والحديث ، وغنَّتْ في أَثنائها من صنعتي : [من مجزوء الخفيف]

قُـل لِمن صَـدَّ عاتِباً ونـأى عنـكَ جانبًا
قـد بلَغْتَ الذي أَرَد تَ وإنْ كنـتَ لاعِبا

فكان أَصلحَ ما غنّته ؛ فاستَعَدْتُه منها لأُصحِّحه لها ؛ فأَقبل عليّ رجل من الرجلين وقال : ما رأيتُ طُفَيليّاً أَصفقَ وجهاً منك ! لم تَرْضَ بالتطفيل حتى اقتَرحْتَ ، وهذا غاية المثل[1] «طُفَيليٌّ ومُقْتَرِحٌ» ؛ فأَطرَقْتُ ولم أُجبه ؛ وجعل صاحبُه يَكُفُّه عنّي فلا يَكُفُّ . ثم قاموا للصلاة وتأَخّرت قليلاً ، فأَخـذتُ العود من الجارية ، ثم شددتُ طبقتَه وأَصلحتُه إصلاحاً محكماً ، وعُدتُ إلى موضعي فصلَّيتُ ، وعادوا ؛ ثم أَخذ ذلك الرجلُ في عَرْبَدتِه عليّ وأَنا صامتٌ ؛ ثم أَخذتِ الجاريةُ العـودَ فجَسَّته وأَنكرتْ حالـه وقالت : مَنْ مَسَّ عُودي ؟ قالوا : ما مسَّه أَحدٌ ! قالت : بلى ، والله لقد مسَّه حاذقٌ متقدّم وشَدّ طبقتَه وأَصلحه إصلاحَ مُتَمكّن من صناعته ؛ فقلتُ لها : أَنا أَصلحتُه ؛ قالت : فبالله عليك خُذْه واضرِب به ؛ فأَخذتُه وضربتُ به مَبدَأً صحيحاً ظريفاً عجيباً صَعْباً ، فيه نَقَراتٌ محرّكةٌ ؛ فما بقي أَحدٌ منهم إلاّ وثَبَ على قدميه وجلس بين يديّ ؛ ثم قالوا : بالله يا سيّدَنا أَتُغنّي ؟ فقلتُ : نعم ، وأُعرِّفُكم نفسي ، أَنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصليّ ، ووالله إنّي لأَتِيهُ على الخليفة إذا طلبني وأَنتم تُسمِعُونَني ما أَكره منذ اليوم لأَنّـي تملَّحتُ معكم ؛ فوالله لا نَطقتُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم حتى تُخرِجوا هذا المُعَرْبِدَ المَقِيتَ الغَثَّ ؛ فقال له صاحبه : مِن هذا حَذِرتُ عليك ؛ فأَخذ يَعتذِرُ ؛ فقلتُ : والله لا نطقتُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى يُخرَجَ ؛ فأَخذوا بيده فأَخرجوه وعادوا . فبدأتُ وغنَّيتُ الأَصواتَ التي غنَّتها الجاريةُ من صنعتي ؛ فقال لي الرجلُ : هل لك في خَصْلةٍ ؟ قلتُ : ما هي ؟ قال : تُقيمُ عندي شهراً ، والجاريةُ والحِمارُ لك مع ما عليها من حُلِيّ ؛ قلت : أَفعل ، فأَقمتُ عنده ثلاثين يوماً لا يَدري أَحدٌ أَين أَنا ، والمأمونُ يَطلُبني في كلّ موضع فلا يعرفُ لي خبراً . فلمّا كان بعد ثلاثـين يومـاً أَسلم إليّ الجاريـةَ والحمارَ والخادمَ ؛ فجئتُ بذلك إلى منزلي ، وركِبتُ إلى المأمون من وقتي ؛ فلمّا رآني قال : إسحاقُ ! وَيْـحَك ، أَين تكون ؟ فأَخبرتُه بخبري ؛ فقال : عليّ بالرجل الساعةَ ؛ فدللتُهـم على بيته فأُحضِر ؛ فسأَله المأمونُ عن القصّة فأَخبره ؛ فقال له : أَنت رجلٌ ذو

1 المثل : «طفيلي ومقترح» في مجمع الميداني 1 : 442 .

مروءةٍ وسَبيلُكَ أن تُعاوَنَ عليها ، وأمر له بمائة ألف درهم ، وقال : لا تُعاشِرنّ ذلك المعربِدَ النّذْلَ ألبتَّةَ ؛ وأمر لي بخمسين ألف درهم ، وقال : أحضِرْني الجاريةَ ، فأحضرتُها فغنّته ؛ فقال لي : قد جعلتُ لها نوبةً في كلّ يوم ثُلاثاء تُغَنِّيني وراءَ الستارة مع الجواري ؛ وأمر لها بخمسين ألف درهم . فربحتُ والله بتلك الرَّكْبةِ وأربَحْتُ .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

ذكرتكِ أن مرَّتْ بنا أُمّ شادِنٍ أمامَ المطايـــا تشرئبّ وتَسْنَحُ
من المؤلفاتِ الرمل أدماءُ حُرَّةٌ شُعاعُ الضُّحى في مَتنِها يَتَوضَّحُ

الشعرُ لذي الرُّمّة . والغناءُ لإسحاقَ ثقيل أوّلٌ بالسبابة والوسطى ، عن ابن المكّيّ . ومن أغاني إسحاق : [من مجزوء الخفيف]

صوت

قُــل لِمَــن صَدَّ عاتِباً ونــأى عنــك جانِبَا
قــد بلَغْتَ الذي أرد تَ وإن كنـتَ لاعِبا

الشعرُ والغناء لإسحاقَ . وقد تقدَّم خبره قبل هذه الأخبار . [من مجزوء الخفيف]

الطُّلُـــولُ الدَّوارِسُ فارقَتْهـــا الأوانِسُ
أوْحشتْ بعــد أهلها فهي قَفْــرٌ بَسابِسُ

الشعرُ لابن ياسين ، شاعر مجهول قليل الشعر ، كان صديقاً لإسحاق . والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ . وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه . وقد ذكرنا ما كان من فعله فيه قبل هذا .

[إعجاب الواثق بصوت له]

أخبرني عمّي قال حدّثني يزيدُ بن محمّد المهلَّبيّ قال : كنتُ عند الواثق ؛ فغنّته «شجى» التي وهبها له إسحاقُ هذا الصوتَ ؛ فقال لمخارق وعَلّويه : والله لو عاش مَعْبدٌ ما شقّ غبارَ إسحاقَ في هذا الصوتِ ؛ فقالا له : إنّه لحسنٌ يا أمير المؤمنين ؛ فغضب وقال : ليس عندكما فيه إلاّ هذا ! ثم أقبل على أحمدَ بن المكّيّ فقال : دعني من هذين الأحمقين ؛ أوّلُ بيتٍ في هذا الصوت أربعُ كلمات : «الطلول» كلمة ، و«الدوارس» كلمة ، و«فارقتها» كلمة ، و«الأوانس» كلمة ؛ فانظر هل ترك إسحاقُ شيئاً من الصنعة يَتصرَّفُ فيه المغنّي لم يُدخِلْه في هذه الكلمات الأربع ! بدأ بهـا نشيداً ، وتلاه بالبسيط ، وجعل فيه صِياحاً ، وإسجاحاً ، وترجيحاً للنَّغَم ، واختلاساً

فيها ، وعمِل هذا كلَّه في أربع كلمات ، فهل سمِعتَ أحداً تقدّم أو تأخّر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟ ! فقال : صدق أميرُ المؤمنين ، قد لحِق مَنْ قبله وسبقَ مَنْ بعده .

[شعره في دير مريم]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني ميمونُ بن هارون قال حدّثني إسحاق قال : لمّا خرجتُ مع الواثق إلى النَّجَف دُرْنا بالحِيرة ومرَرْنا بدِياراتِها ؛ فرأيتُ ديرَ مريمَ[1] بالحِيرة ، فأعجبني موقعُه وحسنُ بنائه ؛ فقلتُ : [من البسيط]

نِعمَ المحـلُّ لمـن يسعَى لِلَذّته ... ديرٌ لمريمَ فوقَ الظهر معمورُ

ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ غيرُ ذي أَسَنٍ ... وقاصِراتٌ كأمثال الدُّمى حُورُ

فقال الواثقُ : لا نَصطبحُ واللهِ غداً إلاّ فيه ؛ وأمر بأن يُعدَّ فيه ما يَصلُحُ من الليل ؛ وباكرناه فاصطبَحْنا فيه على هذا الصوتِ ؛ وأمر بمالٍ ففُرِّق على أهل ذلك الدَّيرِ ، وأمر لي بجائزة . لحنُ إسحاق في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

[غناؤه بشعر على بساط طاهر]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال : أخرج إليّ عبدُ الله بن طاهر يوماً بيتَيْ شعرٍ في رُقْعة وقال : هذان البيتان وجدتُهما على بِساطٍ طَبَرِيّ أصبَهْبُذِيّ أُهدي إليَّ من طَبَرِسْتانَ ، فأُحبُّ أن تُغنِّيني فيهما ؛ فقرأتُهما فإذا هما : [من مجزوء الخفيف]

لَـجَّ بالعـين واكفُ ... مِن هَوىً لا يُساعِفُ

كلَّما كـفَّ غَرْبُها ... هيَّجتْـه المعـازِفُ

قال : فغنّيت فيهما وغَدَوتُ بهما إليه ، فأُعجِب بالصوت ووصلني بصِلة سنيّةٍ ، وكان يَشتهيه ويَقترحه ، وطرحتُه على جميع جواريه ، وشاع خبر إعجابه به . فبينا المعتصمُ يوماً جالسٌ يُعْرَضُ عليه فرشُ الربيع ، إذ مرَّ به بِساطُ ديباجٍ في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما : [من مجزوء الخفيف]

إنّما المـوتُ أن تفـا ... رقَ مَـنْ أنت آلِفُ

لـك حُبَّانِ في الفـؤا ... د تَليـدٌ وطـارِفُ

فأمرَ بالبساطِ فحُمِل إلى عبد الله بن طاهر ، وقال للرسول : قل له : إنّي قد عرفتُ شغفك بالغناء في هذا الشعر ، فلمّا وقع هذا البساط أحبَبْتُ أن أُتِمَّ سرورَك به . فشكر عبدُ الله ما تأدّى إليه من هذه الرسالة وأعظمَ مقدارَه ، وقال لي : واللهِ يا أبا محمّد لسَرُوري بتمام الشعرِ أشدُّ من

---

1 دير مريم : المقصود هنا هو الدير الذي بناه المنذر . وهناك دير آخر بهذا الاسم بالشام .

سروري بكلّ شيء ، فألحِقهما في الغناء بالبيتين الأوّلين ، فألحقتهما .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الخفيف]

لجَّ بـالعين واكـفُ مِن هوىً لا يُساعِفُ

كلّما كـفَّ غَرْبُها هيَّجتْـــه المعـازِفُ

إنّمـا المـوتُ أن تُفا رِقَ مَـنْ أنتَ آلِفُ

لـك حُبَّانِ في الفؤا دِ تَلِيـدٌ وطـارِفُ

ولم أعرف من خبر شاعره غيرَ ما ذكرتُه في هذا الخبر . والغناء لإسحاقَ هَزَجٌ بالوسطى .

[مقدار صنعته]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينيّ عن ابن المَكّيّ عن أبيه قال : قلت لإسحاق يوماً : يا أبا محمّد ، كم تكونُ صنعتُك ؟ فقال : ما بلغت مائتين قطّ .

[مرضه ووفاته]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال : قال لي وكيل بن الحَرُونيّ : قلت لأبيك إسحاق : يا أبا محمّد ، كم يكون غناؤك ؟ قال : نحواً من أربعمائة صوت . قال : وقال له رجل بحضرتي : مالك لا تُكثر الصنعةَ كما يُكثر الناس ؟ قال : لأنّي إنّما أنقُر في صخرة .

ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحَشْو ، طرحتُها لذلك ؛ وله أخبار أُخَر حسُن ذكرها في مواضع تليق بها فأخّرتها واحتبستها عليها ؛ وفيما ذكرتُه هاهنا منها مقنع .

وتوفّي إسحاق ببغداد في أوّل خلافة المتوكّل . فأخبرني الصُّوليّ قال ذكرَ إبراهيمُ بن محمّد الشّاهِينيّ :

أنّ إسحاق كان يسأل اللهَ ألاّ يبتليه بالقُولَنْج لما رأى من صعوبته على أبيه ؛ فرأى في منامه كأنّ قائلاً يقول له : قد أُجيبت دعوتُك ولستَ تموت بالقولنج ، ولكنّك تموت بضدّه ، فأصابه ذَرَبٌ في شهر رمضان سنةَ خمسٍ وثلاثين ومائتين ؛ فكان يتصدّق في كلّ يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم ؛ ثم ضعُف عن الصوم فلم يُطِقْه ومات في شهر رمضان .

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثني يزيد بن محمّد المهلّبيّ قال : نُعِي إسحاقُ إلى المتوكّل في وسط خلافته ، فغمّه وحَزِن عليه ، وقال : ذهب صدرٌ عظيمٌ من جمال الملك وبهائه وزينته ؛ ثم نُعِي إليه بعده أحمدُ بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقال : تكافأت الحالتان ، وقام الفتح بوفاة أحمد وما كنت آمَنُ وَثْبَتَه عليّ مقامَ الفَجيعة بإسحاق ؛

فالحمد لله على ذلك .

حدَّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني رجل من الكتّاب من أهل قُطْرُبُّل قال حدّثني أبي عن أبيه قال : رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول لي : [من مجزوء الكامل]

مات الحُسان ابن الحُسا ... نِ ومات إحسانُ الزمانِ

فأصبحت من غد فركبت في بعض حوائجي ، فتلقّاني خبر وفاة إسحاق الموصليّ .

[ما رثاه به الشعراء]

وقال إدريس بن أبي حَفْصة يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ : [من الطويل]

سقى اللهُ يا ابنَ الموصليّ بوابِلٍ ... من الغيث قبراً أنت فيه مقيمُ
ذهبتَ فأوحشتَ الكرامَ فمايَنِي ... بعَبْرته يَبْكي عليك كريمُ
إلى الله أشكو فقدَ إسحاق إنّني ... وإن كنت شيخاً بالعراق يَتيمُ

وقال محمّد بن عمرو الجُرجانيّ يرثيه : [من الطويل]

على الجَدَثِ الشرقيّ عُوجا فسلِّما ... ببغدادَ لمّا ضَنّ عنه عوائدُهْ
وقُولا له لو كان للموت فِدْيةٌ ... فَداك من الموت الطَّريفُ وتالِدُهْ
أإسحاقُ لا تَبْعَدْ وإن كان قد رمى ... بك الموتُ وِرْداً ليس يَصْدُر وارِدُهْ
إذا هزَل اخضرّتْ فنونُ حديثه ... ورقّتْ حَواشِيه وطابت مَشاهِدُهْ
وإن جَدَّ كان القول جِدّاً وأقسمتْ ... مَخارجُه ألاّ تَلِينَ مَعاقِدُهْ
فبَكِّ على ابن الموصليّ بعَبْرةٍ ... كما ارْفَضَّ من نَظْم الجُمان فرائدُهْ

وقال مصعَب بن عبد الله الزُّبيريّ يرثيه ، نسخت ذلك من كتاب جعفر بن قُدامة ، وذكر أنّ حَمّاد بن إسحاق أنشده إيّاها ، ونسختُه أيضاً من كتاب الحِرْميّ بن أبي العَلاء يذكر فيه عن الزُّبير عن عمّه مصعَب أنّه أنشده لنفسه يرثي إسحاق : [من الطويل]

أتَدْرِي لِمَن تَبْكي العيونُ الذَّوارفُ ... وينهلّ منها واكِفٌ ثم واكِفُ
نعمْ لامرىء لم يبقَ في الناس مثلُه ... مفيدٌ لعلم أو صديقٌ مُلاطِفُ
تجهّز إسحاقٌ إلى الله غادياً ... فللّه ما ضُمَّتْ عليه اللفائفُ
وما حَمَل النعشَ المزجَّى عشيّةً ... إلى القبر إلاّ دامعُ العين لاهِفُ
صدورهمُ مَرْضى عليه عَميدةٌ ... لها أزْمةٌ من ذكره وزَفازِفُ

تــرى كلَّ محزون تَفيض جفونُه دموعاً على الخدّين والوجهُ شاسِفُ[1]

جُزِيتَ جــزاءَ المحسنين مضاعفاً كما كان جَدْواك النَّدى المتضاعِفُ

فكم لك فينا مــن خلائقَ جَزْلةٍ سبَقتَ بها منها حديثٌ وسالفُ

هي الشّهدُ أو أحلى إلينـا حلاوةً من الشهد لم يمزُج به الماءَ غارِفُ

ذهبتَ وخلّيتَ الصديـق بعَوْلةٍ به أسفٌ مــن حزنـــه مترادِفُ

إذا خَطَراتُ الذكر عــاودْنَ قلبَه تتابـع منهــنّ الشؤونُ النوازفُ

حبيبٌ إلى الإخوان يَرْزُون مالَه وآتٍ لما يأتي امرؤ الصدقِ عارفُ

هــو المَــنّ والسَّلْوى لمن يستفيده وسمٌّ على من يشرب السمّ زاعِفُ

بكت دارُه مــن بعده وتنكّرتْ مَعالمُ مــــن آفاقِهـــا ومعارفُ[2]

فما الدار بالدار التي كنت أعتري وإنّي بها لولا افتقادِيك عارفُ

هـــي الدار إلاّ أنّها قد تخشّعتْ وأظْلم منها جانبٌ فهو كاسِفُ

وبَـــانَ الجمال والفَعال كلاهما من الدار واستَنّتْ عليها العواصفُ[3]

خلت دارُه مــن بعــده فكأنّما بعاقبةٍ لم يَغْــنَ في الدار طارفُ

وقــد كان فيها للصديق مُعَرَّسٌ وملتمسٌ إن طاف بالدار طائفُ[4]

كرامـــةُ إخوانِ الصفاء وزُلفـــةٌ لمن جـــاء تُزْجيه إليه الرَّواجِفُ

صَحابتُه الغُرّ الكـــرام ولم يكن ليَصْحبَه السُّودُ اللئـــام المَقارِفُ[5]

يَؤول إليــه كلّ أبلــجَ شامــخٍ ملـــوكٌ وأبناء الملوك الغَطارفُ

فلُقِّيتَ في يمنى يديْك صحيفةً إذا نُشرتْ يومَ الحساب الصحائفُ

يَسرُّ الذي فيهـا إذا ما بـــدا له ويَفْتَرُّ منهـا ضاحكاً وهو واقفُ

بما كان ميموناً على كلّ صاحب يُعـــين على مـا نابـــه ويُكانِفُ[6]

سريـــعٌ إلى إخوانـــه برضائـه وعن كلّ ما ساء الأَخِلاّءَ صارِفُ

---

1 شاسف : يابس ضمراً وهزالاً .

2 بعده في ل : فقده . آفاقها في ل : آياتها .

3 استنت : انصبت .

4 المعرس : المكان الذي ينزل فيه المسافر آخر الليل للاستراحة .

5 المقارف : الأنذال .

6 نابه في ل : ناله .

أَرى الناسَ كالنَّسْناس لم يبقَ منهمُ خلافَــك إلاّ حُشوةٌ وزَعانِفُ[1]

أَخبرنا يحيى بن عليّ قال : أَنشدني أبو أيّوبَ لأَحمد بن إبراهيم يَرْثِي إسحاقَ في قصيدة له : [من الوافر]

لقد طاب الحِمامُ غداةَ أَلْوَى بنفس أَبـي محمّـــدٍ الحِمـامُ

فلـو قُبِــلَ الفِدَاءُ إذاً فَدَتْهُ ملـوكٌ كان يألفهــا كـــرامُ

فلا تَبْعَد فكلُّ فتـــىً سيَثْوِي عليـه التُّرْبُ يُحْثى والرِّجامُ

قال وقال أَيضاً يرثيه : [من الكامل]

لله أيُّ فتـــىً إلى دار البِلَى حَمَل الرجالُ ضُحىً على الأعوادِ

كَم من كريم ما تَجِفُّ دموعُه من حاضرٍ يبكي عليــه وبادِ

أَمسى يؤبِّنــه ويعرف فضلَه من كان يَثْلِبــه مـــن الحُسّادِ

فسقتْكَ يا ابنَ الموصليّ روائحٌ تُرْوِي صداكَ بصَوْبها وغَوادِ

قال الأَصفهاني : وقد بقيت من أَخبار إسحاق بقايا مثلُ أَخباره مع بني هاشم ، وأَخباره مع إبراهيم بن المهديّ وغيرها ، فإنّها كثيرة ، ولها مواضع ذُكِرت فيها وحسُن ذكرها هنالك ، فأَخّرتُها لذلك عن أَخباره التي ذُكرت هاهنا ، حَسْبما شرَطنا في أوّل الكتاب .

وممّا في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم :

صوت

[من الطويل]

أَلا قاتلَ اللهُ اللِّوَى من مَحَلَّةٍ وقاتلَ دُنْيانا بها كيف ذَلّتِ

غَنِينا زماناً باللِّوَى ثم أَصبَحتْ عِراصُ اللِّوَى من أَهلها قد تخلَّتِ

عَرُوضه من الطويل . الشعرُ للصِّمَّة القُشَيْريّ ، والغِناء لإسحاق ، ولحنه المختار ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى في مجراها .

* * * *

1 الحشوة والزعائف : أراذل الناس قليلو القدر .

الفهرس

